# الجامع

# في أخبار أبي العلاء المعرّي وآثاره


ألّفه

محمد سليم الجندي


الجزء الثالث


علّق عليه وأشرف على طبعه

عبد الهادي هاشم



دار صادر

بيروت

# الجامع

## في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره

٣

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

# الجامع

# في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره

ألفه

محمد سليم الجندي



الجزء الثالث

علق عليه وأشرف على طبعه

عبد الهادي هاشم



دار صادر
بيروت

الطبعة الأولى دمشق ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م
الطبعة الثانية بيروت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

طبع بإذن من المجمع العلمي العربي بدمشق
رقم ٥٠٤/ص بتاريخ ١٩٩١/١٢/٨







ص.ب. ١٠ بيروت ، لبنان / فاكس : ٠٤-٩٢٠٩٧٨
هاتف : ٠٤-٩٢٨٢٧١ ، ٠١-٤٤٨٨٢٧ ، ٠١-٤١٣٢٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

# فلسفة أبي العلاء

ذهب فريق من العلماء إلى أن للفلسفة ناحيتين : إحداهما من جهة المبدأ ؛ والثانية من جهة الغاية .

وهي في نظر العلماء باعتبار الجهة الأولى : العلم الباحث عن حقائق الأشياء على ما هي عليه بحسب الطاقة البشرية .

وباعتبار الجهة الثانية : هي التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية ، على وفق ما أمر النبي ﷺ بقوله : « تخلقوا بأخلاق الله » وفسروه بأن المراد : تشبهوا به في الإحاطة بالمعلومات ، والتجرد عن الجسمانيات . وهذا الحديث لا أعلم درجته من الصحة وغيرها ، وإنما نقله العلماء الحكماء .

## الفيلسوف

وقد أطلق بعضهم لفظ الفيلسوف على من درس كتب الفلسفة درساً علمياً ؛ كما قيل ذلك في الفارابي[1] ، ويعقوب الكندي[2] . ومنهم من

---

(١) الفارابي : هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ ، أكبر فلاسفة المسلمين ، تركي الأصل ، ولد في فاراب سنة ٢٦٠ هـ وانتقل إلى بغداد فنشأ فيها ، ورحل إلى مصر والشام ، وتوفي بدمشق سنة ٣٢٩ هـ . ( الأعلام ٧/٢٤٢ ) .

(٢) الكندي : أبو يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصباح الكندي ، أحد أبناء الملوك من كندة ، نشأ في البصرة وانتقل الى بغداد فتعلم وأصبح فيلسوف العرب والإسلام في عصره ، توفي نحو سنة ٢٦٠ هـ ( الأعلام ٩/٢٠٥ ) .

يطلقه على العالم المعوّل على العقل الخـــارج في بعض آرائه على الدين ، كالعلماء القائلين بقدم العالم . ومنهم من أطلقه على غير من ذكر .

والمشهور أن هذا اللفظ يطلق على من درس العلوم الطبيعية والرياضية والإلهية والخلقية وأتقن دراستها ، ومن جعل حياته العملية منهم مطابقة لحياته العلمية فهو الفيلسوف حقاً .



# هل أبو العلاء فيلسوف

ما أسلفنا ذكره في تحصيل أبي العلاء وتعلمه ومصادر ثقافته وآثار العلوم – فيما وصل إلينا من نظمه ونثره على قلته – يدل على أن أبا العلاء درس أكثر هذه العلوم درساً متقناً ، وبحث عن حقائق العالم بحث مدقق مستقص ؛ وأنه اطلع على الديانات من إسلامية ونصرانية ويهودية ومجوسية وغيرها اطلاعاً واسعاً ، كما اطلع على الثقافات الأعجمية من يونانية وفارسية وهندية ، واطلع على المذاهب والفرق وآراء أهل الأهواء ، وأنه كان يمر بالحوادث فيمعن فيها تفكيره ويعرض كل ما يعرض له على محك العقل .

وما سبق ذكره في سيرته وحياته يدل على أنه كان عاملاً بما يقتضيه علمه ؛ وليس بين علمه وعمله تناقض ما . ومن جمع بين هاتين الخلتين فهو الجدير بأن يسمى فيلسوفاً ، ويكاد قوله :

رَدَدْتُ إلى مَلِيكِ الخَلْقِ أمْرِي ... فَلَمْ أسْأَلْ مَتَى يَقَعُ الكُسُوفُ[1]

فَكَمْ سَلِمَ الجَهُولُ مِنَ المَنَايَا ... وَعُوجِلَ بِالحِمَامِ الفَيْلَسُوفُ

يشعر بأنه يعد نفسه فيلسوفاً . وقد اختلفت كلمة المتأخرين فيه ، فذهب كثير من المستشرقين إلى أنه شاعر فيلسوف . وذهب فريق إلى أنه جمع بين الوصفين ، وأنه صور في آثاره التي دونها ميلَ التشاؤم والحيرة للعصر الذي انحلت فيه النظم الاجتماعية والسياسية . وفريق منهم يعده من أعظم

---

(١) اللزوميات هـ س ٢٩٣ .

فلاسفة الأخلاق . وفريق منهم جعله شاكاً حيران . ومنهم من زعم أن آثاره خالية من المنهج الفلسفي ، وأن أفكاره غير منسقة .

وكذلك اختلفت كلمة المتأخرين من العرب فيه ، وتفاوتت آراؤهم فيه على قدر تفاوتهم في فهم كلامه وإدراك مراميه .

فمنهم من جعله شاعراً فيلسوفاً ، وأعجب بآرائه الفلسفية التي اشتمل عليها ( لزوم مالا يلزم ) و ( الفصول والغايات ) و ( ملقى السبيل ) كما أعجب بشعره الذي اشتمل عليه ( لزوم مالا يلزم ) و ( سقط الزند ) و ( ملقى السبيل ) . ورأى في هذه الكتب من المعاني الفلسفية ، والصور الخيالية ، والصياغة الفنية ، ماجعله يعد أبا العلاء فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة والحكماء .

ومنهم من قصر فهمه عن فهم كلام أبي العلاء ، وإدراك ما يرمي إليه في غضـــون كلامه لضعف لغته وكثرة مايحتاج إليه من الجهد في سبيل إدراكه . فلم يشأ أن يصرح بذلك حتى لايوصم بالجهل أو لايظن أنه عربي النسب أعجمي اللغة ، فأخذ ينتقد شعر المعري ويصمه بأن فيه تعقيداً ، وأن فيه تكلفاً ، وأن أفكاره مشتتة لم يجتمع كل نوع منها تحت باب واحد .

ومنهم من قال : إن المعري لم يبتكر شيئاً في الفلسفة ، لأن فلسفته نوعان ، أحدهما : مأخوذ عن أصول قديمة ارتضاها . وثانيها : عبارة عن تأمل وتفكير في الحياة . وهذا يرجع إلى ما لقيه في حياته من تجارب وأحداث ، فكون في نفسه أفكاراً عامة . ومنهم ، ومنهم ، ومنهم . وأكثرهم جعل عمدته في النقض والإبرام والنفي والإثبات (لزوم مالا يلزم). وفي بعض ماذكره هؤلاء شيء من الحق ، لو أن ( لزوم ما لا يلزم ) أو ( الفصول والغايات ) أو ( ملقى

السبيل ) كتاب مستقل في الفلسفة ؛ وليس في واحد من هذه الكتب الثلاثة مايدل على شيء من هذا ، بل الأمر على عكس ذلك ؛ فإنه ذكر في مقدمة ( لزوم مالا يلزم ) أنه أنشأ أبنية أوراق توخّى فيها الصدق ، منها ماهو تمجيد لله ، ومنها تذكير للناسي ، وتنبيه للراقد ، وتحذير من الدنيا ، وجمع ذلك كله في كتاب لقبه ( لزوم مالا يلزم )[١]. ثم بين معنى هذا اللقب ، وذكر الأحكام المتعلقة بحروف القافية وحركاتها وعيوبها وأقسامها . ثم قال : « وقد بنيتُ هذا الكتاب على بنية حروف المعجم المعروفة ... وتكلفت في هذا التأليف ثلاث كلف : أن ينتظم حروف المعجم عن آخرها ، وأن يجيء رويّه بالحركات الثلاث وبالسكون ، وأن يُلتزم مع كل روي فيه شيء لايلزم من باء أو تاء أو غير ذلك » . ثم قال : « وقد كنت قلت : إني رفضت الشعر .. » ومقدمة هذا الكتاب تبلغ نحو خمس وثلاثين صفحة[٢] ، وهي تدل دلالة قاطعة على أن هذا الكتاب كتاب شعر لاكتابُ فلسفة مستقل . وإذا كان الأمر على ماذكرنا فلا يسوغ لنا أن نطالب المعري بتنسيق آرائه ، وترتيب أفكاره الفلسفية ، وجمع كل نوع منها تحت عنوان واحد ، وإحكام الروابط والمناسبات بين كل واحد وآخر .

---

(١) جاء في مقدمة اللزوم : « كان من سوالف الأقضية أني أنشأت أبنية أوراق ، توخيت فيها صدق الكلمة ، ونزهتها عن الكذب والميط . . . فمنها ماهو تمجيد لله الذي شرف عن التمجيد . . . وبعضها تذكير للناسين وتنبيه للرقدة الغافلين ، وتحذير من الدنيا الكبرى التي عبثت بالأول . . . وإنما وصفت أشياء من العظة وآثابين على حسب ما تسمح به الغريزة . . . وجمعت ذلك كله في كتاب لقبته لزوم ما لا يلزم » ، اللزوميات ١ ص ٢ .

(٢) وهي تقع في ط بومبي بالهند ١٨ صفحة ، انظر اللزوميات ١ من ص ٢ ــ ١٩ .

وأبو العلاء عرض جملة من آرائه في غضون أبياته المختلفة ، فاستدل منها الناس على أنه فيلسوف ، كما استدلوا من الأبيات التي تعرض فيها إلى نكت نحوية ، أو صرفية ، أو عروضية ، أو فقهية ، على أنه نحوي أو صرفي أو عروضي أو فقهي أو نحو ذلك . والشعر لمح لايتسع صدره للبسط والتفصيل بقدر مايتسع له صدر النثر .

ونحن لاننكر أن المعري استعمل بعض الكلمات القليلة التداول ، وغير المأنوسة بالنسبة إلى غيره ؟ ولكن استعملها على وجه صحيح ، وأسلوب فصيح ، فلا يصح أن نجعلها عيباً نحط به من قيمة شعره الذي لايستطيع كثير من الناس أن يجاريه فيه . و ( لزوم مالا يلزم ) يشتمل على ألوف من الأبيات ، فإذا وجد في بعضها شيء من الغريب فهل يجوز أن نحكم على جميع الأبيات بحكم واحد ؟ نعم لو أنه لحن في شيء منها لحناً لا وجه له ، لعددنا ذلك ذنباً لا يغتفر ؛ ولكن ذكر كلمات عريقة في العربية لا يجوز أن يكون قادحاً في أدب رجل أو فلسفته أو موجباً للحكم ببراءته منها . ونحن في زمن غريب ، وكل ما فيه غريب ؛ فإن الرجل إذا سمع كلمة ولم يفهمها بادر إلى انتقاد صاحبها ، ووصمه بأنه يتعمد الوحشي في كلامه ، وحاول إسقاطه والحط من كرامته؛ وقام من حوله جماعة كثيرون يشايعونه ويمالئونه . ذلك لأنهم لم يفهموا معنى الكلمة ، ولم يحبوا أن يجهدوا أنفسهم في الرجوع إلى كتاب لغة لفهمها ، وكل واحد منهم يشق عليه أن يظهر للناس أنه غير عالم بمعناها ، وقد وصلت بنا الحالة إلى ما هو أفظع من هذا وأعجب ، فإن الرجل إذا أخطأ أو لحن في كلمة ، وبينت له وجه الصواب ، ولم يستطع إدحاض حجتك ، اعترض على أصل اللغة وقواعدها وقال لك : إني لا أقنع بما ذكرت ، وإني أرى الصواب ما قلته أنا ، وإن خالف اللغة وقواعدها .

ومن غريب ما رأيت من هذا القبيل أن أحد الأدباء قال كلمة في المهرجان الألفي الذي أقامته الجمهورية السورية لأبي العلاء المعري في دمشق سنة ١٣٦٣ هـ — ١٩٤٤ م عنوانها : « أبو العلاء المعري شاعر أم فيلسوف » انتقد فيها ما في ( لزوم ما لا يلزم ) من الغريب كما انتقد ما في آثاره من الترصيف اللغوي والبديعي ...

وقد رأيت في كلمته هذه ألفاظاً لم تذكر في كتب اللغة على الوجه الذي ذكره ، أو لم ترد للمعنى الذي أراده . منها قوله : « التحليل الكيمياوي » ، « ميزة الشاعر » . « معانيها الوضعية أو القاموسية » . « بثقافة ممتازة » . « ثم تمتاز .. بهذه المعاني » . « الشرح والتدليل » . « متى كان الحزن واليأس والفشل » . « أو نبرره بأن .. » وأمثال ذلك .

ولو أن صاحب هذه الكلمة جاء بكلمات غريبة ، أو جاء بترصيف لغوي أو بديعي مؤلف من كلمات عرفتهـا العرب أو استعملتها في المعنى الذي يريده ، لكان ذلك خيراً من الرشاقة التي توخاها بألفاظ لم تعرفها العرب ، ومعان لم يستعملوها فيها منذ برأ الله العربية إلى يومنا هذا ، وقد فتشت فيمن سمع هذه الكلمة على كثرة عددهم فلم أجد من انتبه إلى شيء مما ذكرته . وهذه الحادثة تصور لنا حقيقة الأمة العربية وحقيقة معرفتها لغتها في هذا العصر .

ومهما حاول المتحذلقون إقصاء أبي العلاء عن الفلسفة ، أو إقصـاء الفلسفة عنه ، فإن المسائل التي ألم بها في ( لزوم ما لا يلزم ) من الفلسفة الطبيعية ، والرياضيه ، والإلهية ، والعملية ، وحدها تكفي لإدحاض حجتهم . نعم لا ننكر أن تلك المسائل غير منسقة وليس كل فرد منها مجموعاً تحت نوع ، لأن الكتاب كتاب أدب وشعر فيه فلسفة ، لا كتاب فلسفة كما قلنا ، وقد ذكرنا أمثلة توضح الحقيقة في هذا الموضوع .

# منشأ فلسفته

إذا استقرينا حياة أبي العلاء في أطواره كلها ، تبين لنا أنه سلك طريقاً خاصاً في حياته ودراسته ، خالف بها طريقة أهل عصره وبيئته التي درج فيها . ومن البديهي أنه لا بد لكل أثر من مؤثر ، ولكل حادث من علة ؛ وقد كانت حياته الخاصة نهباً مقسماً بين الكوارث الممضّة ، والأمراض المؤلمة ؛ على قلة من يعنى بخدمته حق العناية ، لفقده والديه ، وقلة ماله وعماه ، وكثرة حساده وعفافه وأنفته .

وكانت الحياة العامة في عصره على غاية من القلق ، والاضطراب ، والرداءة ؛ سواء في ذلك الحالة الدينية ، والسياسية ، والاجتماعية . وكان أبو العلاء مفرطاً في الذكاء قوي الحس ، نزاعاً إلى الاطلاع على الحقائق ، وعلى آراء الحكماء ، وأقوال العلماء ، وأحوال البشر وسيرهم في الماضي والحاضر . وكان رقيق القلب ، شديد الرأفة بكل حي من إنسان وحيوان وطير ، كارهاً للظلم والاستئثار . ومن تأمل أقواله وجدها طافحة بالتبرم من حياته ، وعماه ، وعزلته ، وعصره ، وتألمه من مخالطة الناس ؛ مضمورة بذم الملوك وأعوانهم ، والأدباء ، والشعراء ، والعلماء ، وأهل عصره . وربما تعدى ذلك إلى الناس عامة ، من ماض وحاضر ومستقبل . وقد صرح أحياناً ، ولمّح أحياناً أخرى إلى ما يحيط به من أهوال عصره ، وأحوال أهله التي كان يمقتها منه ؛ فكونت هذه المؤثرات في نفسه ثلاثة أشياء :

١ً ـ الزهد بالحياة وكل ما فيها من متع .

٢ً ـ الانفراد عن الناس . وهذا من أعظم العوامل التي ساعدته على الإمعان في الدرس والتعمق في التفكير .

٣ً ـ حب الاستقراء والبحث عن حقائق الأشياء وعللها ونتائجها .

وقد كان لذلك أثر كبير في كثير من آرائه الفلسفية كما سترى .

# مصادر فلسفته

لا ريب في أن أبا العلاء استقى فلسفته من مصادر متعددة ، يلوح في شعره منها آثار ظاهرة .

## الفلسفة اليونانية

من هذه المصادر الفلسفة اليونانية ، فإن لها أثراً بيناً في ( لزوم ما لا يلزم ) وفي بعض كتبه ورسائله ، يدل على أنه اطلع عليها اطلاع راسخ فيها . ولكن التاريخ لم يبيّن ما درسه من كتبها ، ولا عمن أخذها ، كما لم يبين زمان ذلك ومكانه ؛ ولكنه نقل في رسالته إلى أبي الحسين النكتي البصري[1] عن « صاحب المنطق في كتابه الثاني من الكتب الأربعة » ، وأشار إلى أرسطاليس بقوله :

لَوْ صَحَّ مَا قَالَ رَسْطَالِيسُ مِنْ قِدَمٍ[2] . . . . . . . . .

وإلى سقراط ، وبقراط ، بقوله :

فَمَا دَفَعَتْ حُكَمَاءُ الرِّجَا لِ حَتْفاً بِحِكْمَةِ بُقْرَاطِهَا[3]

وَلَكِنْ يَجِيءُ قَضَاءٌ يُرِيكَ أَخَا غَيِّهَا مِثْلَ سُقْرَاطِهَا

---

(١) رسائل أبي العلاء المعري شرح شاهين عطية ص ١٣٩ ط بيروت .

(٢) عجزه : وهب من مات لم يجمعهم الفلك انظر اللزوميات هـ ص ١٨٢

(٣) اللزوميات هـ ص ١٨٠ وفيها : « وما دفعت . . . » .

وإلى جالينوس بقوله :

أينَ بُقْراطُ والمُقَلَّدُ جَالِينوسُ هَيْهاتَ أنْ يَعيشَ طَبيبُ[(١)]

وأشار إلى شيء من مذاهب الحكماء ومزاعمهم في مثل قوله :

زَعَمَ الفَلاسِفَةُ الذِينَ تَنَطَّسُوا أنَّ المَنِيَّةَ كَسْرُها لا يُجْبَرُ[(٢)]

## الفلسفة الهندية

ومنها الفلسفة الهندية ، فقد زعم بعضهم أن لها أثراً كبيراً في شعره ، وأثراً أكبر في حياته العملية ؛ لأن أخص ما عرف به أهل الهند الزهد في الحياة المادية ، ليتصلوا بالموجد الأول ، وأنهم يقدسون الحيوان ، ويرأفون به ، ويحرقون الميت ، ويقولون بالتناسخ ؛ ولكل واحد من هذه أثر في ( لزوم ما لا يلزم ) منه ما ارتضاه ، ومنه ما أنكره عليهم .

وعندي أن هذا بعيد عن الصواب ، لأن العرب إنما اتصلوا حقيقة بالهند في عهد أبي العلاء فما بعده واطلع العرب على شيء من أخبار الهند وعقائدهم ومذاهبهم ، ولكنهم لم يطلعوا على حقائق مذاهبهم الفلسفية اطلاعاً يحملهم على الأخذ بمبادئهم وعقائدهم ؛ وإنما حدث ذلك في أخريات القرن السادس للهجرة ، فإذا وقع في كلام أبي العلاء شيء من آرائهم ، فما هو إلا من قبيل الأخبار الشائعة عنهم ، لا من قبيل مذهب فلسفي له حدود مقررة ومسائل معينة ، كما يتضح ذلك قريباً . على أن الزهد في الحياة المادية والرأفة بالحيوان من سنن الإسلام .

---

(١) اللزوميات ٥ س ٣٧ .

(٢) « « س ١٢٧ .

### الفلسفة الفارسية

ومنها الفلسفة الفارسية ، فقد أخذ العرب عن الفرس الأخلاق ، والسياسة ، والنجوم ، والقصص . وفي ( لزوم ما لا يلزم ) وغيره أثر بيّن من ذلك .

### كتب الدين

ومنها كتب الدين ، فإن في ( لزوم ما لا يلزَم ) وغيره ما يدل على أن أبا العلاء ، درس الشريعة الإسلامية ، واطلع على مذاهب الفرق ، وآرائها ، وأدلتها ، وشبهها ؛ كما اطلع على النصرانية ، واليهودية ، والمجوسية ؛ وناقش أصحابها في كثير من المسائل ، وربما كانت كتب الكلام والفقه والتصوف من أشدها أثراً فيه .

### حياته

ومنها حياته العملية ، وقد تقدم الكلام في شيء منها ، وستأتي تتمة القول في ذلك .

## كيف اتصل بهذه المصادر

ربما كان من أدق النواحي الغامضة في أبي العلاء معرفة اتصاله بمصادر فلسفته ؛ لأن آثاره تدل على أنه اتصل بها من طريق الدراسة والعلم ، ويرجح أن يكون ذلك في المعرة ، لأن التاريخ لم ينقل الينا أن المعري خالط اليونان أو الهنود أو الفرس أو عاشرهم ، أو أخذ عن أحد منهم علماً ، أو درس بعد العشرين عاماً . وقد ادعى بعض الأدباء أنه درس الفلسفة اليونانية في أنطاكية ، واللاذقية ، واطرابلس ، ثم أتقنها في بغداد ؛ وأنه عاشر

الفرس وخالطهم أشد المخالطة حين رحل إلى بغداد ؛ وأنه درس اليهودية والنصرانية في اللاذقية ، والمجوسية في بغداد .

وقد قدمنا ما في رحلاته إلى البلدان الثلاثة المذكورة أولاً من الشكوك ، ورجحنا عدم صحتها ، وبيّنا أن مدة إقامته فيها ـ على تقدير صحتها ـ لا تكفي لدرس هـذه العلوم المتشعبة ومصطلحاتها المتعددة ؛ كما بينا قول أبي العلاء بعد انصرافه عن بغداد : « وقد فارقتُ العشرينَ من العمر ما حدثتُ نفسي باجتداء علم من عراقي ولا شآم »[1] . وأبو العلاء أصدق الناس فيما يخبر به عن نفسه .

والذي أظنه بل أعتقده هو أن أبا العلاء اطلع على مذاهب النصارى واليهود والمجوس وغيرهم من كتب الشريعة الإسلاميـة لاسيما كتب الكلام والعقائد ككتب الأشعرية ؛ لأن فيها كثيراً من المسائل التي تُبسط فيها عقائد غير المسلمين ؛ ومن كتب أرباب النحل والآراء والفرق ككتب الشيعة ، وابن زرعة[2] ، وابن سمح[3] وابن الراوندي[4] . ومنها ماوقع إليه على ألسنة الناس ؛ ويدل على هذا قوله في ( رسالة الغفران ) ـ حين تعرض لذكر الحلاج ومذهب الحلول ـ : « وهذه المذاهب قديمة تنتقل في عصر

---

(١) من رسالته الى خاله أبي القاسم علي بن سبيكة عند طلوعه من العراق : انظر رسائل أبي العلاء المعري شرح شاهين عطية ص ٧٩ .

(٢) هو أبو علي عيسى بن اسحاق بن زرعة بن مرقس البغدادي ، عالم بالفلسفة والمنطق ، امتاز بالترجمة ، ولد ببغداد وتوفي بها سنة ٤٤٨ هـ . انظر ( طبقات الأطباء : ١/ ٢٣٥ والامتاع والمؤانسة ١/ ٣٣ ) .

(٣) لعله أصبغ بن محمد بن السمح الغرناطي ، مهندس فلكي له عناية بالطب توفي بغرناطة سنة ٤٢٦ هـ ، ( كحالة ، معجم المؤلفين ٢/ ٣٠٢ ) .

(٤) هو أبو الحسين أحمد بن يحيى بن اسحاق الراوندي أو ابن الراوندي ، فيلسوف مجاهر بالالحاد ، وقد انفرد عن علماء الكلام بمذاهب نقلت عنه في كتب علماء الكلام ، مات سنة ٢٩٨ هـ برحبة مالك بين الرقة وبغداد وقيل : صلب ببغداد ، انظر وفيات الأعيان ١/ ٢٧ وفيه : « وفاته سنة ٢٤٥ هـ » . والبداية والنهاية ١١/ ١١٢ وفيه أنه توفي سنة ٢٩٨ هـ .

بعد عصر ، ويقال : إن فرعونَ كان على مذهب الحلولية ، فلذلك ادعى أنه رب العزة .. » ثم قال : « وتؤدي هذه النحلة إلى التناسخ ، وهو مذهب عتيق يقول به أهل الهند ، وقد كثر في جماعة من الشيعة .. » ثم قال : « وحكي لي عن بعض ملوك الهند – وكان شاباً حسناً – أنه جدر ، فنظر إلى وجهه في المرآة ، وقد تغير ، فأحرق نفسه وقال : أريد أن ينقلني الله إلى صورة أحسن من هذه .. » ثم قال : « وحدثني قومٌ من الفقهاء أنهم كانوا في بلاد محمود .. » وذكر قصة خلاصتها أن رجلا مسافراً أخبرت امرأته أنه مات ، فأحرقت نفسها ؛ وكان هذا الخبر باطلا فلما قدم الزوج ، وأخبر بذلك أحرق نفسه ليلحق بصاحبته ، وأن أصحابه كانوا يوصونه بأشياء إلى أمواتهم .. ثم قال : « وحدّث من شاهد إحراقهم نفوسَهم أنهم إذا لذعتهم النار أرادوا الخروج ، فيدفعهم من حضر إليها بالعصي والخشب (١) .. » .

وقد تعرض في ( لزوم مالا يلزم ) إلى ذكر جماعة من رؤساء النِّحلِ والفِرق وكتبهم ( كالمغنى ) و ( العمد ) .

وذكر في ( رسالة الغفران ) كتب ابن الراوندي وغيره .

وبعد هذا فلا سبيل إلى الشك في أن أبا العلاء لم يتلق علماً في بغداد ولا غيرها ، وأنه كان يجتمع بأناس يروي عنهم طرفاً من أخبار الهند والصابئة وغيرهما ، وأنه كان يتتبع من الكتب التي كان يقرؤها أخبار الأمم وما يتعلق بعقائدها ونحلها .

ويلخص ماتقدم بأن مصادر فلسفته ، الفلسفة اليونانية ، والهندية ، والفارسية ، وكتب الأديان ، والعقائد والأخبار وأن من أعظم مصادر فلسفته ، حياته ، وما كان يكتنفها من أحواله وأحوال بيئته وعصره ،

---

(١) انظر رسالة الغفران ص ٣٩٥ – ٩٩ تحقيق بنت الشاطئ ط ١ .

وأنه درس الناسّ في عصره ومصره ، وفي غيرهما درساً دقيقاً وافياً فكوّن ذلك فيه ملكة النقد ؛ ولذلك نجد في شعره ونثره كثيراً من نقد الأخلاق والعادات ، والآداب ، والمعتقدات ، وكل ماعابه منها ولم يتفق مع ذوقه وعقله . وأمثلة ذلك مستفيضة في ( لزوم مالا يلزم ) وقد أسلفنا ذكر طائفة منها ؛ وسيأتي ذكر طائفة أخرى .

**عماد فلسفته والأصل الذي اتخذه طريقاً الى البحث وعمدة يعول عليه في أقواله وآرائه :**

اختلف الناس في الأصل الذي يتخذونه أساساً يبنون عليه البحث عن حقائق الأشياء ، ونبراساً يستضيئون به في تمييز الحق من الباطل ، والصحيح من الفاسد .

**اليونانيون**

فاليونانيون يذهبون إلى أن العقل هو المقياس الصحيح للعلم ، وفي معرفة الحق من الباطل ؛ وهم ينقسمون إلى فرقتين :

**الأولى** : تقول : إن العقل يستمد علمه بالأشياء من المحسوسات التي تقع على الأشياء الجزئية ، فتنتقل صورها إلى النفس ، حيث يعمل العقل في تجريد تلك الصور ، وردها إلى أصولها العامة التي تتألف منها قضاياه .

**والثانية** : تقول : إن العقل يستمد علمه بالأشياء من مصدر آخر غير الحس ، وهو الإشراق . وهذا المذهب قائم على ماذهب إليه أفلاطون من وجود عالم عقلي مجرد يماثل عالم المادة المركب ، أهبطت منه النفس الإنسانية إلى عالم المادة لتبتلى . فذهب بعده قوم إلى أن النفس إذا صفّي جوهرها بهجر الملاذ وحصر الفكر في موضوع واحد تيسر لها أن تتصل بعالمها العقلي أثناء حياتها المادية .

وهناك فرقة أنكرت الحقائق وهم السوفسطائية ، لأنهم لم يستطيعوا الجزم بصحة ما ينتهي اليه العقل من نتائج البحث . وهؤلاء لا يعترفون بالإشراق ؛ ويرون أن الحس كثير الخطأ والاختلاف والتغير ، ولذلك لا يستطيعون الجزم بما ينقل إليهم من صور الأشياء ويتهمون العقل .

ومنهم طائفة رأت أن الحقيقة تتغير بتغير الأشخاص والأطوار ، فما تراه أنت حقاً فهو حق ، وما يراه غيرك حقاً فهو حق ، وإن كان بين الرأيين تناقض .

المتكلمون : وهناك فرقة وقفت موقف الشك ، فلم يثبتوا الحقائق ولم ينكروها ، ويقال لهم « اللا أدرية » .

أما المتكلمون من المسلمين وجمهور الفلاسفة ، فإنهم يقولون : إن حقائق الأشياء ثابتة ، ويجعلون العقل هو المقياس الصحيح والمحك الصادق .

والمتكلمون يضيفون إلى المصادر التي يستمد منها العقل علمه مصدراً آخر وهو الشرع الذي يأتي به نبي مرسل من عند الله . ولكنهم اختلفوا في تقديم بعض هذه المصادر على بعض .

فالأشاعرة يقدمون الشرع على العقل ، لأنه صادر عن معصوم ، ولأن العقل قد يخطىء لأن مصدره الحس الذي قد يخطىء ويعتريه الضعف والقوة ؛ ألا ترى أنك لو أدرت جمرة بسرعة شديدة رأيتها دائرة تامة ؛ ولو وضعت عوداً مستقيماً في ماء ظهر لك أنه منحن ، فهذا من خطأ الحس لعارض .

والمعتزلة يقدمون العقل ، قالوا : لأنا لا نعرف الشرع إلا بالعقل ، ولا نصدقه إلا إذا قام عليه دليل واضح من العقل ، فالعقل أحق بالتقدم ؛ ولو قدمنا الشرع على العقل للزم أحد أمرين : إما بطلان الشرع ، إذ لا مثبت له على هذا التقدير ، وإما إثبات الشرع بالشرع ، وهذا باطل لما

فيه من الدور ، وهو توقف الشيء على نفسه بمرتبة كما هنا أو بمرتبتين ..

أما أبو العلاء فإنه جعل العقل وحده أساساً لآرائه الفلسفية . ولم يضف اليه مصدراً آخر من إشراق أو شرع ، وبذلك خالف الإشراقيين ، والمتكلمين ، والمعتزلة ، كما خالف السوفسطائيين المنكرين حقائق الأشياء ، وصرح بذلك في مثل قوله :

وَقَالَ أُنَاسٌ : مَا لِأَمْرٍ حَقِيقَةٌ　　فَهَلْ أَثْبَتُوا أَنْ لَا شَقَاءَ وَلَا نُعْمَى [١]

فَنَحْنُ وَهُمْ فِي مَزْعَمٍ وَتَشَاجُرٍ　　وَيَعْلَمُ رَبُّ النَّاسِ أَكْذَبَنَا زَعْمَا

وقد احتذى في ذلك على مثال الفلاسفة النظريين ، من اليونانيين والمسلمين في الاعتماد على العقل وحده ؛ وزاد عليهم فجعل كل عقل نبياً ، ومن استقرى أقوال أبي العلاء في ( لزوم ما لا يلزم ) تبين له أن العقل عنده أعز كل شيء وفوق كل شيء ، وأنه يعوّل عليه في كل شيء من أحكامه .

وهذه أمثلة من كلامه ، تدل على مكانة العقل عنده ، فالعقل أفضل ما مُنحه الإنسان ، فمن عصاه وأضاعه وضعه ، ومن أطاعه واتبعه رفعه :

وَالعَقْلُ أَنْفَسُ مَا حُبِيتَ وَإِنْ يُضَعْ　　يَوْماً يَضَعْ فَغَوَى الشَّرَابُ وَمَا جَلَبْ [٢]

وهو قطب تدور عليه الأمور :

اللبُّ قُطْبٌ وَالأُمُورُ لَهُ رَحًى　　فِيهِ تُدَبَّرُ كُلُّهَا وَتُدَارُ [٣]

والعقل للفرد كالنبي للأمة ، يهديه إلى سواء السبيل ، ويميز له الحق من الباطل ، ويرشده إلى الفضيلة ، وينهاه عن الرذائل :

---

(١) اللزوميات ج ٢ ص ٢٣٩ .

(٢) « « ص ٥٥ .

(٣) « « ص ١٢٨ وفيها : « فيه تدبر .... » .

أيُّها الغِرُّ إنْ خُصِصْتَ بعَقلٍ      فَاسْأَلَنْهُ فكُلُّ عقلٍ نَبِيُّ[1]

وهو سراج أوقده الله في نفس صاحبه لينير له السبيل ، ويوضح المنهاج :

خُذُوا في سَبيلِ العَقلِ تُهْدَوْا بِهَدْيِهِ      وَلاَ يَرْجُونَ غَيْرَ المُهَيْمِنِ رَاجِ[2]

وَلاَ تُطْفِئُوا نُورَ المَلِيكِ فَإِنَّهُ      مُمَتِّعُ كُلِّ مِنْ حِجًى بِسِرَاجِ

والعقل خير مشير :

فَشَاوِرِ العَقْلَ وَاتْرُكْ غَيْرَهُ هَدَراً      فالعَقْلُ خَيْرُ مُشِيرٍ ضَمَّهُ النَّادِي[3]

والعقل عمدة يرجع اليه أهل الرأي والمشورة :

عَلَيْكَ العَقْلَ فَافْعَلْ مَا رَآهُ      جَمِيلاً فَهْوَ مُشْتَارُ الشَّوَارِ[4]

وهاد يرشد من ضل أو خشي الضلال :

فَاسْأَلْ حِجَاكَ إذَا أَرَدْتَ هِدَايَةً      وَاحْبِسْ لِسَانَكَ أَنْ يَقُولَ مَجَازا[5]

وهو خير إمام يقتدى به ، بل لا إمام سواه عند التحقيق :

كَذَبَ الظَّنُّ لا إمَامَ سِوَى العَقْـــلِ مُشِيراً في صُبْحِهِ وَالمَسَاءِ[6]

---

(١) اللزوميات ج ص ٣٤٣ .
(٢) « « ص ٧٧ .
(٣) « « ص ١١٠ .
(٤) « « ص ٢٥٦ .
(٥) « « ص ١٧٣ .
(٦) « « ص ٢٦ .

وهو الذي يميط اللثام عن حقائق الأشياء ، حتى يهون به الصعب :

إِذَا تَفَكَّرْتَ فِكْراً لا يُمَازِجُهُ فَسَادُ عَقْلٍ صَحِيحٍ هَانَ مَا صَعُبَا[١]

ويتساوى المتضادان : الحب والمبغض :

وَمَنْ كَانَ فِي الأَشْيَاءِ يَحْكُمُ بِالحِجَى تَسَاوَى لَدَيْهِ مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ يَقْلِي[٢]

ويجعل النفس لا تغتم بما يصيبها من المصائب :

وَلَوْ كَانَ عَقْلُ النَّفْسِ فِي الجِسْمِ كَامِلاً لَمَا أَضْمَرَتْ فِيمَا يُلِمُّ بِهَا غَمّاً[٣]

وهو يأمر بالفضائل ، وينهى عن القبائح والرذائل :

وَعَقَائِلُ الأَلْبَابِ غَيْرُ أَوَامِرٍ بِأَذَاةِ أَيْتَامٍ وَهَتْكِ عَقَائِلِ[٤]

ومن اتخذ غير العقل هادياً أورده موارد الهلكة :

مَنِ اهْتَدَى بِسِوَى المَعْقُولِ أَوْرَدَهُ مَنْ بَاتَ يَهْدِيهِ مَاءً طَالَمَا تَبَلا[٥]

ولو أن الإنسان أعمل فكره وكلّف عقله أن يبحث في حقيقة المذاهب التي اتخذها المحتالون وسيلة إلى جذب الدنيا إلى الرؤساء لتكشفت له حقائقها ولتهاون بتلك المذاهب واحتقرها :

إِذَا رَجَعَ الحَصِيفُ إِلَى حِجَاهُ تَهَاوَنَ بِالمَذَاهِبِ وَازْدَرَاهَا[٦]

---

(١) اللزوميات هـ ص ٣٩ .

(٢) « « ص ٢١٠ .

(٣) « « ص ٢٣٨ .

(٤) « « ص ٢٢١ والعقائل : مفردها عقيلة ، وهي كريمة الحي وعقيلة كل شيء أكرمه .

(٥) اللزوميات هـ ص ٢٠٣ وتبل : تبل الدهر القوم رماهم بصروفه وأفناهم .

(٦) « « ص ٢٣٨ .

والحازم يعرض على العقل كلَّ ما يعرض على سمعه من الأخبار ، فيقبل منها ما يؤيده العقل ، ويرفض ما عداه :

يَقُولُونَ إنَّ الجِسْمَ تُنْقَلُ رُوحُهُ ... إلى غَيْرِهِ حَتَّى يُهَذِّبَهَا النَّقْلُ[1]

فَلا تَقْبَلَنْ مَا يُخْبِرُونَكَ ضِلَّةً ... إذَا لَمْ يُؤَيِّدْ مَا أَتَوْكَ بِهِ العَقْلُ

ذلك لأن العقل غرس يثمر الصدق :

هَلْ صَحَّ قولٌ مِنَ الحاكي فنقبلَهُ ... أم كُلُّ ذَاكَ أَبَاطِيلٌ وأسْمَارُ[2]

أمَّا العُقولُ فآلَتْ أنه كَذِبٌ ... والعَقْلُ غرْسٌ لَهُ بِالصِّدقِ إثمارُ

والحازم يعظّم ما يعظمه العقل ويبيحه ، ويحتقر غيره :

وَلاَ تُجِلَّنَّ مَا الأحْلامُ تَحظُرُهُ ... فَقَدْ عَلِمْتَ بأنَّ الرِّمْسَ مَحْلُولُ[3]

والعقل يدرك حقائق الأشياء ، ولا يغتر بظاهرها ؛ فرب أمر سر إنساناً ، وكانت فيه إساءته ؛ ورب حادث أضحكه ، وكان في طيه ما يغمه ويبكيه :

إذَا افْتَكَرَ اللَّبِيبُ رَأى أُموراً ... تَرُدُّ الضَّاحِكَاتِ إلى الوُجُومِ[4]

وينظر الى الأمور باعتبار غاياتها وما تنتهي إليه فالناس :

لَوْ يَعْقِلُونَ لَهَنَّوا أهْلَ مَيِّتِهِمْ ... وَلَمْ تَقُمْ لِوَلِيدٍ فِيهِمُ البُشَرُ[5]

---

(١) اللزوميات « ص ١٩٥ وفيها : « ينقل روحه » .
(٢) « « ص ١٢٣ .
(٣) « « ص ١٩٧ .
(٤) « « ص ٢٥٢ .
(٥) « « ص ١٢١ .

ولو كان للأمراء عقل ما تركوا المنجمين وأمثالهم يسلبون الضعيف ماله ، والمرأة عفافها :

أَمَا لِأَميرِ هَذَا المِصْرِ عَقْلٌ يُقِيمُ عَنِ الطَّرِيقِ ذَوِي النُّجومِ[١]
فَكَمْ قَطَعُوا السَّبِيلَ عَلَى ضَعِيفٍ وَلَمْ يُعْفُوا النِّسَاءَ مِنَ الهُجُومِ

ولكن ولاة الأمر :

يَسُوسُونَ الأُمُورَ بِغَيْرِ عَقْلٍ فَيَنْفُذُ أَمْرُهُمْ وَيُقَالُ سَاسَهْ[٢]

وإذا تأمل المرء وجد أن كل شيء يتركب منه الإنسان محفوف بالأعداء والأحداث ، والكوارث . وكلما كان ذلك الشيء شريفاً أو نفيساً كان عرضةً للحوادث أكثر مما هو أدنى منه ، وأشد احتمالاً للأذى والآلام . فالعين مثلاً ينتابها من المصائب ، وتتحمل من الأذية والمضض أكثر مما ينتاب الخِنْصَر وتتحمله . ولما كان العقل أشرف ما في الإنسان كان تحمله لما ينتابه أكثر وأشد من غيره :

وَاللُّبُّ يَحْمِلُ مِنْ هَوَاجِسِهِ مَا لَيْسَ نَاهِضَةً بِهِ البُزْلُ[٣]

وكان صاحبه غرضاً لمصائب الدهر :

والدَّهْرُ يَخْطُبُ أَهْلَ اللُّبِّ مُذْ عَقَلُوا مَا خَافَ عِيّاً وَلَا أَزْرَى بِهِ الحَصَرُ[٤]

---

(١) الزوميات ج س ٢٥٢ .

(٢) » » س ٢٩٦ .

(٣) » » س ٢٠٠ . والبزل : جمع البازل وهو الجمل في تاسع سنيه .

(٤) » » س ١٢٢ .

وقد طبع الإنسان على الشر :

وَالشَّرُّ فِي طَبْعِ الأَنَامِ فَإِنْ يُبِنْ شَيْئاً سِوَاهُ فَلَيْسَ خِيمَ نِجَارِ[١]

ولهذا الطبع دولة تؤيدها أعضاء الجسم وسلطان تنصره أهواء النفس ، حتى يغلب العقل :

فَطَبْعُكَ سُلْطَانٌ لِعَقْلِكَ غَالِبٌ تَدَاوَلُهُ أَهْوَاؤُهُ بِالتَّشَصُّصِ[٢]

وإنما سمي العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه أي يحبسه عن الشر والسفاه والتورط في المهالك ؛ مأخوذ من عقل الناقة إذا جمع قوائمها بعقال ومنعها من المشي :

وَالعَقْلُ فِي مَعْنَى العِقَالِ وَلَفْظِهِ فَالخَيْرُ يَعْقِلُ وَالسَّفَاهُ يَحُلُّهُ[٣]

ولو ترك الأمر للعقل وحده لكان الإنسان إنساناً كاملاً بكل ما في هذه الكلمة من معنى ؛ ولسار كل واحد من الناس في منهج من الهدى واضح يستنير فيه بنور العقل في كل أموره . ولكن الطبع يعارضه ويغلبه فيقف العقل وقفة الضعيف وينظر نظرة العاجز ، وتحجب نوره ظلمات الأهواء والشهوات ، فيكون كالشمس التي يسترها الغمام :

يَتَحَارَبُ الطَّبْعُ الذِي مُزِجَتْ بِهِ مُهَجُ الأَنَامِ وَعَقْلُهُمْ فَيَفُلُّهُ[٣]
وَيَظَلُّ يَنْظُرُ مَا سَنَاهُ بِنَافِعٍ كَالشَّمْسِ يَسْتُرُهَا الغَمَامُ وَظِلُّهُ

---

(١) اللزوميات ص ١٦٠ .
(٢) « « ص ٢٨٧ .
(٣) « « ص ١٩٩ .

فإذا أرشدهم العقل إلى الرشاد ، قادهم الطبع إلى الضلال وكانت له الغلبة :

إذَا مَا أشارَ العَقلُ بِالرُّشدِ جَرَّهُمْ إلى الغَيِّ طَبْعٌ أخْذهُ أخذُ سَاحِبِ [1]

وكثيراً ما حاول العقل تهذيب أهله فأعياه ذلك :

وَاللبُّ حَاوَلَ أنْ يُهَذِّبَ أهْلَهُ فَإذَا البَرِيَّةُ مَا لَهَا تَهْذِيبُ [2]

وكم أمةٍ لعبت بها جُهالها وأذاقتها ألواناً من العذاب والجور ، وأخبرتها بغير الحق فكان :

الخَوْفُ يُلجِئُهَا إلى تَصْدِيقِهَا وَالعَقْلُ يَحْمِلُهَا على تَكْذِيبِهَا [3]

ولم يستطع عقلاؤها تهذيبها لأنها مجبولة على الفساد ، وتغيير الجبلة ليس بالأمر اليسير :

وَجِبِلَّةُ النَّاسِ الفَسَادُ فَضَلَّ مَنْ يَسْمُو بِحِكْمَتِهِ إلى تَهْذِيبِهَا [4]

ومن استقرى حوادث الدهر ، وما يعرض منها للعقول والطباع والنفوس ، يتضح له أن العقل لا يستمر على حالة واحدة ؛ بل هو ينقاد مرة ، وينفر أخرى ؛ ويضعف تارة ويقوى تارة أخرى بحسب ما يعرض له من التفكر والتأمل ، وما يعترضه من الأحداث :

وَأشْعُرُ أنَّ العَقْلَ يُصْحِبُ تَارَةً وَيَنْفِرُ أُخْرَى وَهْوَ غَيْرُ عَلِيمِ .

---

(١) اللزوميات هـ ص ٤٥ .

(٢) « « ص ٣٦ .

(٣) « « ص ٥١ .

(٤) المصدر السابق وفي اللزوميات هـ « ... فظل من يسمو ... » ولعلها خطأ والصواب ما أثبته المؤلف .

(٥) اللزوميات هـ ص ٢٤٦ .

فيكون له في كل حالة حكم مع الدنيا :

العَقلُ إنْ يضْعُفْ يَكُنْ مَعَ هذهِ الدُّ ... نْيَا كَعَاشِقِ مُومِسٍ تُغْوِيهِ[(١)]

أوْ يَقْوَ فَهيَ لَهُ كَحُرَّةِ عَاقِلٍ ... حَسْنَاءَ يَهْوَاهَا وَلا تَهْوِيهِ

وأبو العلاء يتبع من يدعو إلى الخير في الدنيا ، حتى يفارقها وليس له إمام غير عقله :

سَأَتْبَعُ مَنْ يَدْعُو إلى الخَيْرِ جَاهِداً ... وَأَرْحَلُ عَنْهَا مَا إمَامِي سِوَى عَقْلِي[(٢)]

وهو يخشى أن يغضب عقله إن أهمله واتبع غيره :

وَيَنْفِرُ عَقْلِي مُغْضَباً إنْ تَرَكْتُهُ ... سُدًى وَاتَّبَعْتُ الشَّافِعِيَّ وَمَالِكَا[(٣)]

ويرى أن العقل أجـدرُ بالإكرام والتصديق ممن هو مؤمن الظاهر زنديق الباطن :

تَسَتَّرُوا بِأُمُورٍ فِي دِيَانَتِهِمْ ... وإنَّمَا دِينُهُمْ دِينُ الزَّنَادِيقِ[(٤)]

نُكَذِّبُ العَقْلَ فِي تَصْدِيقِ كَاذِبِهِمْ ... والعَقْلُ أَوْلَى بِإِكْرَامٍ وَتَصْدِيقِ

وأن العقل لا يؤثر في طلب الرزق :

والعَقْلُ زَيْنٌ وَلَكِنْ فَوْقَهُ قَدَرٌ ... فَمَا لَهُ فِي ابْتِغَاءِ الرِّزْقِ تَأْثِيرُ[(٥)]

---

(١) اللزوميات ھ ص ٣٤١ .

(٢) « « ص ٢١٠ .

(٣) « « ص ١٨٥ .

(٤) « « ص ٣٠٧

(٥) « « ص ١٢٤ .

ويأمر صاحبه بسلوك سبيل الحكمة ، واختيار أخف الضررين :

يَقُولُ لَكَ العَقْلُ الذي بَيَّنَ الهُدَى ... إذَا أنْتَ لَمْ تَدْرَأْ عَدُوّاً فَدَارِهِ[1]

وَقَبِّلْ يَدَ الجَانِي الذِي لَسْتَ وَاصِلاً ... إلى قَطْعِهَا وانْظُرْ سُقُوطَ جِدَارِهِ

وقد يضطر إلى مخالفة ما تقتضيه طبيعته فيلجأ إلى الكذب بحكم الضرورة :

تَعَالَى اللهُ فَهْوَ بِنَا خَبِيرٌ ... قَدِ اضْطُرَّتْ إلى الكَذِبِ العُقُولُ[2]

نَقُولُ عَلَى المَجَازِ وَقَدْ عَلِمْنَا ... بِأنَّ الأمْرَ لَيْسَ كَمَا نَقُولُ

وأن العقل يدرك من الأمور إلى غاية محدودة ، ثم يقف وقفة العاجز ، فإنك :

إنْ تَسْأَلِ العَقْلَ لا يُوجِدْكَ مِنْ خَبَرٍ ... عَنِ الأوَائِلِ إلاّ أنَّهُمْ هَلَكُوا[3]

وأن الخمر :

تُغَيِّرُ العَقْلَ حَتَّى يَسْتَجِيزَ بِهِ ... مَدَّ اليَمِينِ لِكَيْمَا تَقْبِضَ الفَلَكَا[4]

فهذه الأبيات وأشباهها ، مما مر ومما سيأتي ، تدل على أن أبا العلاء كان لا يعوّل إلا على العقل في آرائه ، وفلسفته ، ونقده ، وتبين منزلة العقل عنده .

---

(١) اللزوميات هـ س ١٤٨ .

(٢) « « س ١٩٨ .

(٣) « « س ١٨٣ .

(٤) « « س ١٨٦ .

## الفرق بين أبي العلاء وبين غيره من شعراء العرب الحكماء

الشعر الفلسفي قديم عند العرب ، نظم فيه شعراء الجاهلية المتقدمون ومن بعدهم إلى عصر أبي العلاء .

والباحث في شعر الجاهليين ، كالأفوه الأودي[١] ، وعلقمة بن عَبَدة[٢] ، والأضبَط بن قريع السعدي[٣] ؛ وطرفة بن العبد[٤] ، وزهير بن أبي سُلْمى[٥] ، وجماعة كثيرين من حكماء الجاهلية ، وشعراء الصعاليك وغيرهم ، يجد كثيراً من النظرات الفلسفية الأخلاقية والدينية وغيرهما ؛ ومن أكثر من عرف بذلك طرفة وزهير من المتقدمين .

---

(١) هو أبو ربيعة صلاءة بن عمرو بن مالك ، من بني أود من مذحج ، شاعر يماني جاهلي ، كان سيد قومه ، وهو أحد الحكماء والشعراء في عصره توفي حوالي سنة ٥٠ قبل الهجرة . ( الشعر والشعراء ١/١٧٥ تحقيق شاكر ) .

(٢) هو علقمة بن عبدة — بفتح العين والباء — بن ناشرة بن قيس من تميم شاعر جاهلي كان معاصراً لامرىء القيس ، توفي نحو ٢٠ قبل الهجرة ، ( الشعر والشعراء ١/١٧٠ ) .

(٣) هو الأضبط بن قريع بن عوف بن كعب السعدي التميمي شاعر جاهلي قديم لم يعرف تاريخ وفاته ، ( الشعر والشعراء ١/٣٤٢ ) .

(٤) هو أبو عمرو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي ، شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات ولد في بادية البحرين وقتل في هجر ولما يزل شاباً في سنة ٦٠ قبل الهجرة ( الشعر والشعراء ١ /١٣٢ ) .

(٥) هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني من مضر ، من شعراء المعلقات ولد في بلاد مزينة بنواحي المدينة وكان يقيم في الحاجر وتوفي سنة ١٣ قبل الهجرة ، ( الشعر والشعراء ١/٨٦ ) .

واشتهر من الإسلاميين بذلك أبو العتاهية[1] ، وأبو تمـام[2] ، وأبو الطيب[3] ، وأبو العلاء .

وبين فلسفة هؤلاء الجاهليين والإسلاميين المذكورين وأمثالهم ، وبين فلسفة أبي العلاء فروق كبيرة كثيرة منها :

١ — مصدر الفلسفة : فإن زهيراً وأشباهه من الجاهليين استمدوا حكمتهم من الفطرة والتجارب ؛ ولذلك جاءت فطرية بسيطة ، وأكثر اتصالها بالحياة العملية .

وأبو العتاهية وأمثاله اقتبسوا حكمتهم من الدين الإسلامي ؛ ولذلك جاء أكثرها متصلاً بالوعظ والزهد .

وأبو تمام أراد أن يخضع الفلسفة والعلم للشعر ، فاستعصى عليه ذلك ، ولم يطاوعه من أنواعها إلا ما كان متصلاً بالأخلاق .

وكذلك أبو الطيب فقد كان أكثر آرائه ونظرياته متصلاً بالفلسفة الخلقية . وليس لواحد من هؤلاء نظريات خاصة يقيم الأدلة عليها . فأقوالهم كلهم من نوع أقوال الحكماء إذا تحدثوا عن الأخلاق .

---

(١) هو أبو اسحاق اسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العنزي بالولاء ، شاعر مكثر في الزهد والمديح وأكثر أنواع الشعر في عصره ، ولد في عين التمر بقرب الكوفة وسكن بغداد وتوفي فيها سنة ٢١١ هـ ، انظر ( الأغاني دار الكتب ، ١/٤ ) .

(٢) هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي الشاعر الأديب أحد أمراء البيان صاحب الحماسة ولد بجاسم من أعمال حوران وتنقل بين مصر وبغداد وغيرهما وتوفي بالموصل سنة ٢٣١ هـ ، ( وفيات الأعيان ١٢١/١ ) .

(٣) هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي ، الشاعر الحكيم المبدع ولد بالكوفة ونشأ بالشام واتصل بسيف الدولة ومدحه وسافر إلى مصر ومـدح كافور الاخشيدي ثم انصرف إلى العراق وزار بلاد فارس ثم عاد يريد بغداد فالكوفة فقتل في الطريق بالنعمانية مع ابنه محمد وغلامه وذلك في سنة ٣٥٤ هـ ، ( وفيات الأعيان ٣٦/١ ) .

أما أبو العلاء فقد كانت فلسفته مستمدة من المصادر المتعددة التي سبق ذكرها ، ومنها التجارب والدين . وقد استطاع أن يخضع الفلسفة والعلم للشعر ؛ وقد يأتي بالنظرية ويقيم الدليل عليها تصريحاً أو تلميحاً ، كما يتمثل ذلك في قوله :

قُلْتُمْ : لَنَا صَانِعٌ قَدِيمٌ ... قُلْنَا : صَدَقْتُمْ كَذَا نَقُول

إلى آخر الأبيات [١] ، وفي قوله :

لَمْ يَسْقِكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ حُسْنِ فِعْلِكُمُ ... وَلاَ حَمَاكُمْ غَمَاماً سُوءُ أعْمَالِ [٢]

دَلِيلُ ذٰلِكَ أنَّ الحُرَّ أعْوَزَهُ ... قُوتٌ وأنَّ سِواهُ فَازَ بِالمَالِ

وقوله :

إنْ كَانَ مَنْ فَعَلَ الكَبَائِرَ مُجْبَراً ... فَعِقَابُهُ ظُلْمٌ عَلَى مَا يَفْعَلُ [٣]

وقوله :

وَيَدُلُّنِي أنَّ المَهَاتَ فَضِيلَةٌ ... كَوْنُ الطَّرِيقِ إلَيهِ غَيرَ مُيَسَّرِ [٤]

لَوْلَا نَفَاسَتُهُ لَسَهَّلَ نَهْجَهُ ... كَأَذَى الضَعِيفِ عَلَى لَئِيمِ المَكْسِرِ

---

(١) تمامها :

زعمتموه بلا مكان ... ولا زمان ألا فقولوا

هذا كلام له خبيء ... معناه ليست لنا عقول

انظر اللزوميات هـ ص ١٩٨ وفيها : « قلتم لنا خالق حكيم ... » .

(٢) اللزوميات هـ ص ٢١٥ .

(٣) « « ص ١٩٨ .

(٤) « « ص ١٥٨ . ولئيم المكسر : يقال : فلان طيب المكسر إذا كان محموداً عند الخبرة ولئيم المكسر إذا كان بضد ذلك .

ويُعزى شعر أبي العلاء على أشعار من تقدم ذكرهم بما أسبغته كثرة الدراسة على شعره من المسحة البدوية ، والصياغة الفنية ، حتى جاء أكثره بدوي اللفظ ، حضري المعنى والتفكير .

ويجوز أن يقال : إن أبا العلاء أحدث فناً جديداً في الشعر لا عهد للعرب به من قبل ، وهو الشعر الفلسفي ؟ إذ لا يعرف شاعر قبله أخضع الفلسفة بجميع أنواعها وراضها حتى أفرغها في قوالب الشعر الضيقة ، بعد أن كانت تضيق بها الكتب الواسعة ؛ وأسبغ عليها ثوباً ضافياً من الطلاوة حببها إلى النفوس بعد أن كانت جافة لا تأنس بها الأسماع ، ولا تصبو إليها القلوب .

# موضوع فلسفته

قسم بعض المسلمين الفلسفة تقسيماً إجمالياً إلى أربعة أقسام :

الأول : الفلسفة الطبيعية ، ويقال لها العلم الأدنى .

الثاني : الفلسفة الرياضية ، ويقال لها العلم الأوسط .

الثالث : الفلسفة الإلهية ، ويقال لها العلم الأعلى .

الرابع : الفلسفة العملية .

ولقد تناول أبو العلاء في ( لزوم مالا يلزم ) وغيره هذه الأقسام الأربعة .

## الفلسفة الطبيعية

أما الفلسفة الطبيعية ، فقد بحث فيها عن المادة ، والزمان ، والمكان ، وتناهي الأبعاد .

## المادة

قال بعض العلماء : « مادة الشيء هي التي يحصل معها الشيء بالقوة » .
وقال آخرون : « هي على رأي المتأخرين من المناطقة عبارة عن كيفية كانت لنسبة المحمول إلى الموضوع إيجاباً أو سلباً ، وعلى رأي المتقدمين منهم هي عبارة عن كيفية النسبة الإيجابية في نفس الأمر بالوجوب ، والإمكان ، والامتناع ؛ ولها أسماء باعتبارات متعددة ، فمن جهة توارد الصور عليها يقال لها : مادة وطينة ؛ ومن جهة استعدادها للصور يقال لها : قابل وهيولى ؛ ومن جهة أن التركيب يبتدىء منها يقال لها : عنصر ؛ ومن جهة أن الحل ـ التحليل ـ ينتهي إليها يقال لها : أسطقس » .

وقد ذهب صاحب ( الذكرى ) إلى أن أبا العلاء يعتقد « أن الأجسام تتألف من مادة قديمة ... وصور تختلف عليها » وأنه أثبت قدم المادة بقوله :

تُرَدُّ إلى الأُصولِ وَكُلُّ حَيٍّ ... لَهُ في الأَربعِ القُدُمِ انتِسابُ[1]

يريد بالأربع القدم : العناصر الأربعة ؛ وبقوله :

آلَيتُ لا يَنفَكُّ جِسْمِيَ في أذىً ... حَتّى يَعُودَ إلى قَدِيمِ العُنْصُرِ[2]

وأنه أثبت بقاء المادة واختلاف الصور عليها :

فَلاَ يُمْسِ فَخّاراً مِنَ الفَخرِ عائِدٌ ... إلى عُنْصُرِ الفَخّارِ لِلنَّفعِ يُضرَبُ[3]

لَعَلَّ إناءً مِنهُ يُصْنَعُ مَرَّةً ... فَيأكُلُ فِيهِ مَنْ أَرادَ وَيَشرَبُ

---

(١) اللزوميات ه ص ٣٤ .
(٢) « « ص ١٥٨ .
(٣) « « ص ٣١ .

وقوله :

تَعُودُ إلى الأرْضِ أجسَامُنَا وتَلْحَقُ بالعُنْصُرِ الطَاهِرِ (١)

ويَقْضِي بِنَا فَرْضَهُ نَاسِكٌ يَمُرُّ اليَدَيْنِ عَلى الظَاهِرِ

وقوله :

تَيَمَّمُوا بِتُرابي عَلَّ فِعلَكُمُ بَعْدَ الهُمُودِ يُوافِيني بأغْراضِ (٢)

وَإنْ جُعِلتُ بحكمِ اللهِ في خَزَفٍ يَقْضِي الطَّهُورَ فإني شاكِرٌ رَاضِ

جَوَاهِرٌ ألّفتهَا قُدْرَةٌ عَجَبٌ وَزَايَلَتْهَا فَصَارَتْ مثلَ أعْراضِ

وأنه وصف المادة بالخلود كما وصف العناصر بالقدم فقال :

وإذَا رَجَعتُ إليهِ صَارَتْ أعْظُمِي تُرْباً تَهَافَتُ في طِوَالِ الأعْصُرِ (٣)

ثم قال : « بهذا يظهرك على أنه يرى قدم المادة وخلودها ، ولا يرى رأي المتكلمين من المسلمين في حدوثها ، وتركيب الأجسام من الأجزاء التي لاتتجزأ (٤) » .

وفي كلام أبي العلاء كثير مما يشبه أبياته المتقدمة ؛ منها قوله :

لَعَلَّ مَفَاصِلَ البَنَّاءِ تُضْحِي طِلاءً للسَّقِيفَةِ والجِدَارِ (٥)

---

(١) اللزوميات هـ ص ١٦٧ . وفيها : « . . . أجسادنا ونلحق . . . » .
(٢) « « ص ٢٨٩
(٣) « « ص ١٥٨ .
(٤) انظر طه حسين ذكرى أبي العلاء ط ٢ ص ٣٢٨ ـ ٢٩ .
(٥) اللزوميات هـ ص ١٥٧ .

وفيه كثير مما يدل على حدوث المادة وفنائها ، كقوله :

وَلَيْسَ اعْتِقَادِي خُلُودَ النُّجُومِ وَلاَ مَذْهَبِي قِدَمَ العَالَمِ [١]

وقوله :

فَسَادٌ وكَوْنٌ حَادِثَانِ كِلاهُمَا شَهِيدٌ بأنَّ الخَلْقَ صُنْعُ حَكِيمِ [٢]

وقوله :

ضَمَانِي أَنْ سَيَنْفَدُ كُلُّ شَيءٍ سِوَى مَنْ لَيْسَ يَدْخُلُ فِي الضَّمَانِ [٣]

وقوله يرد على أرسطاليس :

لَوْ صَحَّ مَا قَالَ رَسْطَالِيسُ مِنْ قِدَمٍ وَهَبْ مَنْ مَاتَ لَمْ يَجْمَعْهُمُ الفَلَكُ [٤]

وهذا تناقض بحسب الظاهر ؛ ومنشأ التناقض من لفظ القدم في قوله :

. . . . . . . . . . في الأرْبَعِ القُدُمِ انتِسابُ

وقديم في قوله :

. . . . . . . . . . إلى قَدِيمِ العنْصُرِ

ومما يفيده كلامه من أن الجسم بعد مفارقته الروح يعود إلى التراب فيصير تراباً ، ثم خزفاً ، أو طلاء ، أو إناء . وظاهر هذا يدل على أن المادة قديمة باقية لاتفنى ؛ وإنما تختلف عليها الصور . وأبياته الثانية تدل على نفي القدم والبقاء ، وهما متناقضان . وإيضاح هذا يتوقف على مقدمتين :

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٥٥ .
(٢) « « ص ٢٤٦ .
(٣) « « ص ٢٧٩ .
(٤) انظر ماسبق ص ١٢٥١ .

الأولى : أن لفظ « القديم » وقع في كلام العلماء على معانٍ مختلفة كما يشعر به كلام السيد الجرجاني في كتاب ( التعريفات ) وغيره . فقد يطلق على الموجود الذي لا يكون وجوده من غيره ، وهو القديم بالذات . ويطلق على الموجود الذي لا يكون وجوده مسبوقاً بالعدم ؛ وهو القديم بالزمان . والقديم بالذات يقابله المحدث بالذات ، وهو الذي يكون وجوده من غيره . والقديم بالزمان يقابله المحدث بالزمان ، وهو الذي سبق عدمُه وجودَه سبقاً زمانياً . وكل قديم بالذات قديم بالزمان ، وليس كل قديم بالزمان قديماً بالذات . وقال فريق : القديم ما لا ابتداء لوجوده الحادث ؛ والمحدث ما لم يكن كذلك . وقال آخرون : القديم هو الذي لا أول له ولا آخر .

ومنهم من جعل القدم ثلاثة أقسام : القدم الذاتي ، والقدم الزماني ، وقد تقدم معناهما ، والقدم الإضافي وهو أن يكون ما مضى من وجوده أكثر مما مضى من وجود غيره ، كما في وجود الأب بالقياس إلى وجود الابن . وجعل الحدوث ثلاثة أقسام ، يقابل كل قسم منها قسماً من القدم .

وأهل اللغة يطلقون القديم على خلاف الحادث ، وعلى ما سبق زمانه وتقدم وقوعه . قال في المصباح : وأصل القديم في اللسان السابق . وقال الراغب : وأكثر ما يستعمل القديم باعتبار الزمان ، نحو العرجون القديم . ومن هذا القبيل قول أبي العلاء :

وَلَمْ يَأْتِ فِي الدُّنْيَا القَدِيمَةِ مُنْصِفٌ ... وَلا هُوَ آتٍ بَلْ تَظَالَمُنَا جَزْمُ(١)

وقوله في الخمر :

مَقْتُولَةٌ فِي الحَدِيثِ ضَاحِكَةٌ ... مَوْطُوءَةٌ فِي القَدِيمِ بِالقَدَمِ(٢)

---

(١) اللزوميات ج ٢ ص ٢٢٨ .

(٢) « « ص ٢٥٤ .

فإنه أراد بالدنيا القديمة في الزمن ، وأراد بالخمر الموطوءة بالأقدام عند عصرها ، وهو قديم بالنسبة إلى وقت شربها . وكذلك قوله في النفس :

فِي طَبْعِهَا حُبُّهَا الدُّنْيَا وَقَدْ عَلِمَتْ أَنَّ المَنِيَّةَ فِينَا حَادِثٌ قَدُمَا[1]

وقوله :

وأعجَبُ من جهْلِ الذين تَكاثَرُوا بِمَجْدٍ لهُمْ مِنْ حَادِثٍ وَقَدِيمِ[2]

وقوله :

ومَولِدُ هذي الشمسِ أعياكَ حدُّهُ وخَبَّرَ لبٌّ أنهُ متقادِمُ[3]

واستعمل القديم بمعنى القديم بالذات ، في مثل قوله :

نَصَحْتُكَ لا تُقْدِمْ على فِعْلِ سَوْءَةٍ وَخَفْ مِنْ إلٰهٍ للزَّمانِ قَدِيمِ[4]

وقوله :

يَغْنَى الذي مَالَهُ فَنَاءٌ وَذَلِكَ الواحِدُ القَدِيمُ[5]

الثانية : أن أبا العلاء يريد بأبياته التي توهم أنها تدل على بقاء المادة وخلودها ، أن يحذر الإنسان من الاغترار بحالته الحاضرة ؛ وينبهه إلى ما يصير اليه أمره بعد الموت من الصور المستقذرة ، وما ينتهي إليه من الإهانة والذل والعجز حتى يصير تراباً تطؤه الحوافر والنعال ، وأداة تمتهن في الأعمال

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢٤٢ .
(٢) « « ص ٢٤٦ .
(٣) « « ص ٢٣١ .
(٤) « « ص ٢٤٦ .
(٥) « « ص ٢٣٤ .

الدنيئة ، بعد أن كان يجر إزاره خيلاء ، ويظن أنه أعظم من أظلته الخضراء وأقلته الغبراء . فمثله في أقواله هذه مثل علي بن أبي طالب — ض — في قوله : « ما لابن آدم والفخر ، أوله نطفة وآخره جيفة » . وقوله في وصف الأموات : « تطؤون في هامهم وتستثبتون [ أو تستنبتون ] في أجسادهم ، أولئك سلف غايتكم .. الذين كانت لهم مقادم العز وحلبات الفخر ملوكاً وسوقاً .. » .

فإن علياً — ض — لم يعرّف أول ابن آدم وآخره تعريفاً حقيقياً ، ولم يحدّه حدّاً منطقياً ؛ وإنما أراد أن يوجه الإنسان إلى التفكر فيما نشأ منه ، وفيما يؤول إليه أمره .

وكذلك أبو العلاء في أقواله السابقة وما يشبهها ، مثل قوله :

أَعْلَمُ أني إذا حَيِيتُ قَذىً        وأنَّني بَعْدَ مِيتَتي مَدَرُ[١]

كَمْ مِنْ رِجالٍ جُسُومُهُمْ عَفَرٌ        تُبْنَى بِهِمْ أوعَلَيْهِمُ الجُدُرُ

لا يريد بيان عقيدته في المادة ، ولا تعريفها تعريفاً علمياً ؛ وإنما يريد تنبيه الإنسان إلى عاقبة أمره وتصويرها له بصورة تستفز شعوره وتوقظه .

وكذلك لا يريد بالقديم في كل موضع من كلامه ما ذهب إليه الحكماء في معنى القديم الذاتي والزماني ، بل ظاهر كلامه في هذه الأبيات يومىء إلى أنه يريد القِدَم الإضافي . ويدل على ذلك أنه لما أراد أن يبين اعتقاده في العالم نفى عنه القدم والخلود ، في مثل قوله :

وَلَيْسَ اعتِقَادي خُلُودَ النُّجومِ        وَلاَ مَذْهَبي قِدَمَ العَالَمِ[٢]

---

(١) اللزوميات هـ ص ١٣٥ . والمدر : الطين الملك لا يخالطه رمل ؛ والعفر : ظاهر التراب.

(٢) انظر ما سبق ص ١٢٧٣ .

وأنكر على أرسطاليس ما نسب اليه من قدم العالم ، فقال :

لوَصحّ مَا قَالَ رَسْطَالِيسُ مِنْ قِدَمٍ[1] . . . . . . . . .

وسيأتي الكلام في ذلك في اعتقاده بالنجوم .

ومما تقدم يظهر أن أبا العــلاء لا يرى قدم المادة ، ولا خلودها ، ولا يخالف رأي المتكلمين المسلمين في حدوثها ، خلافاً لما نسبه إليه صاحب ( الذكرى ) في ( تجديده ص ٢٦٥ ) .

## الزمان

اختلفت كلمة العلماء والحكماء في تعريف الزمان ، فقال فريق من الحكماء : هو مقدار حركة الفلك الأطلس . وقال آخرون : هو عبارة عن امتداد موهوم غير قار الذات متصل الأجزاء . ومعنى كونه غير قار الذات تقدم جزء منه على جزء آخر إلى غير النهاية . وقال المتكلمون : هو عبارة عن متجدد معلوم يقدر به متجدد آخر موهوم ، كما يقال : آتيك عند طلوع الشمس ، فطلوعها معــلوم ومجيئه موهوم . فإذا قرن ذلك الموهوم بذلك المعلوم زال الإبهام . وقال بعض اللغويين : الزمان مدة قابلة للقسمة ، ولهذا يطلق على القليل والكثير . وقال أبو البقاء[2] : « والزمان ليس شيئاً معيناً تحصل فيه الموجودات ، بل كل شيء وجد وبقي ، أو عدم وامتد عدمه ، أو تحرك وبقي جزئيات حركاته ، أو سكن وامتد سكونه ، وحصل كل واحد من الامتداد هو الزمان . قال أفلاطون : إن في عالم

---

(١) انظر ما سبق ص ١٢٥١ .

(٢) هو أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي ، أبو البقاء ، من قضاة الأحناف ، صاحب كتاب الكليات توفي في القدس سنة ١٠٩٥ هـ ( الأعلام ١/٣٨٣ ) .

الأمر جوهراً أزلياً يتبدل ويتغير ، ويتجدد ويتصرم بحسب الاضافات إلى المتغيرات ، لا بحسب الحقيقة والذات ؟ ومنه الماضي والمستقبل والحال ، وبه التقدم والتأخر . وذلك الجوهر باعتبار نسبة ذاته إلى الأمور الثابتة يسمى سرمدياً ، وإلى ما قبل المتغيرات يسمى دهراً ، وإلى مقارنتها يسمى زماناً » ثم قال : « والزمان المدعى قدمه عند الفلاسفة هو الآن السيال ، وهو أمر بسيط لا تركب فيه ، خلق الله الزمان ليلاً مظلماً ، ثم جعل بعضه نهاراً بإحداث الإشراق فيه لإبقاء بعض الزمان على ظلامه ، وبعضه مضيئاً . . . » .

وأبو العلاء لم يرتض ما ذهب إليه العلماء والحكماء ، فذكر له حدًّا ارتضاه . فقد قال في ( رسالة الغفران ص ١٣٧ )[١] : « وقول بعض الناس : الزمان حركة الفلك ، لفظ لا حقيقـــة له ، وفي كتاب سيبويه ما يدل على ان الزمان [ عنده ] : مضيُّ الليل والنهار . وقد تُعُلِّقَ عليه في هذه العبارة . وقد حدَدْتُه حدًّا[٢] ما أجدره أن يكون قد سُبق إليه ، إلا أني لم أسمعه ، وهو أن يقال : الزمان شيء أقلُّ جزء منه يشتمل على جميع المدركات وهو في ذلك ضد المكان ، لأن أقل جزء منه لا يمكن أن يشتمل على شيء كما تشتمل عليه الظروف ، فأما الكون فلا بد من تَشَبُّثِهِ بما قل وكثر » اهـ .

وعرفه في ( لزوم ما لا يلزم ) بأنه ذاهب لا يثبت ، وأنه أحرز كل مدرك ، وما له لون ولا حجم كما سيأتي في المكان . وقال في اللزوم :

---

(١) الغفران ط أمين هندية سنة ١٣٢١ وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطيء ط ١ ص ٣٠٩ .

(٢) الحد في اصطلاح المناطقة لا يكون إلا بالذاتيات . وهنا ذكر في تعريف الزمان كونه يشتمل على المدركات وانه ذاهب ولا لون ولا حجم له : والاشتمال والذهاب وعدم اللون والحجم أعراض فلا يصح أن يسمى حداً إلا أن يقال أراد بالحد التعريف (ج).

إذا قيلَ : غالَ الدّهرُ شيئاً فانما يرادُ الـهُ الدّهرِ والدّهرُ خادمُ[١]

ومو لذهذي الشمسِ أعياكَ حدُّهُ وخبرَ لبٌ أنهُ متقـادمُ

وأيسرُ كونٍ تحتهُ كلُّ عالـمٍ ولا تدركُ الأكوانَ جردٌ صلادمُ

إذا هيَ مرّتْ لمْ تعدْ وورَاءهَا نظائرُ والأوقاتُ ماضٍ وقادمُ

فما آلَ منها بعدَ ما غابَ غائبٌ ولا يعدمُ الحينَ المجـددَ عادمُ

ولعل أبا العلاء لا يريد بالاشتمال معنى الإحاطة هنا ، وإنما يريد به المقارنة في الوجود . وهذا حق لا غبار عليه ، إذ لا يمكن للإنسان أن يتصور شيئاً من المدركات لم يتصل بزمان في وقت وجوده . وأبو العلاء لما اعتقد صحة هذا الحد الذي حد به الزمان لم يقتصر على جعله خاصاً بالمدركات ، بل جعله شاملاً للإله الذي لا يدرك . ولذلك ما استطاع أن يتصور إلهاً موجوداً بلا زمان . فقال هذه الأبيات :

قلتمْ : لنا خالقٌ حكيمٌ قلنا : صدقتمْ كذا نقولُ[٢]

زعمتموهُ بلاَ مكانٍ ولا زمانٍ ، ألاَ فقولـوا

هـذا كلامٌ له خبيءٌ معناهُ ليستْ لنا عقولُ

فإن كان أراد بالاشتمال المقارنة في الوجود ، فذلك صحيح بالنسبة للإله ؛ وإن أراد الإحاطة فباطل . وقد كفره جماعة بهذه الأبيات . وزعم

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٣١ .

(٢) انظر ماسبق ص ١٢٦٩ .

صاحب ( الذكرى ) أن أبا العلاء « يرى قدم الزمان كما يرى قدم المادة »[١] واستدل على ذلك بقوله :

نَزُولُ كَمَا زَالَ آباؤُنَا     وَيَبقَى الزَّمانُ عَلى مَا تَرَى[٢]

نَهَارٌ يَمُرُّ ولَيلٌ يَكُرُّ     وَنَجمٌ يَغُورُ ونَجمٌ يُرَى

هكذا روى البيتين في ( تجديده ص ٢٦٦ ) وهما في ( لزوم ما لا يلزم ) هكذا :

نَزُولُ كَمَا زَالَ أجدادُنا     . . . . . . .

نَهَارٌ يُضِيءُ وَلَيلٌ يجيءُ     . . . . . . .

وقوله :

وعَلَى حَالِها تَدُومُ اللَّيالي     فَنُحُوسٌ لِمَعشَرٍ وَسُعُودُ[٣]

وقوله :

أرَى زَمَناً تَقَادَمَ غَيرَ فَانٍ     فَسُبحَانَ المُهَيمِنِ ذِي الكَمَالِ[٤]

ولأبي العلاء كثير من مثل هذه الأبيات ؛ ولكن يظهر عند التدبر والإمعان أنه لا يريد بها ما يدل عليه ظاهر لفظه من القدم ؛ فإن قوله السابق في الشمس[٥] :

---

(١) انظر ما سبق ص ١٢٧٢ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٢٩ ، ورواية الأبيات فيها كما أثبتها المؤلف بعد قليل .

(٣) اللزوميات هـ ص ١٠١ وفيها : « ... لمعشر أو سعود » .

(٤) اللزوميات هـ ص ٢١٧ .

(٥) انظر ما سبق ص ١٢٧٩ .

إذا هِيَ مَرَّتْ لَمْ تَعُدْ . . . . . . . . .

فما آلَ مِنْها بَعْدَ مَا غَابَ . . . . . . . . .

دليلٌ صريحٌ على فناء ماغاب منها وما سيغيب . وقوله : « يضيء ، ويجيء ، ويغور .. » دليل على الحدوث لا على القدم ، لأن انقسام الزمان إلى نهار يضيء ، وليل يجيء ، دليل على حدوثه .

وقوله : « متقادم . وتقادم » ، يريد به القدم الإضافي ، وقوله : « غير فان .. » يريد به غير فان الآن ، لأن اسم الفاعل حقيقة في الحال ، ويدل على ماذكرنا أمور كثيرة منها :

١ – تعريفه الزمان بأنه « شيء أقل جزء منه يشتمل ... » وتعريفه إياه بقوله :

السَّاعُ آنِيَةُ الحَوادِثِ مَاحَوَتْ لَمْ يَبْدُ إلا بَعْدَ كَشْفِ غِطَائِها[1]

فإنه جعل الزمان شيئاً له أجزاء ، والساعات آنية للحوادث ، فلكل حادثة إناء ، وهذا من شأن الحادث .

٢ – ومنها وصفه الزمان بأنه « غير قار الذات » في مثل قوله :

تَتَابَعُ أجزاءُ الزَّمانِ لَطَائِفاً وتَلْحَقُ تَفْرِيقاً بِمُؤْتَلِفِيها[2]

فإنه جعل الزمان ذا أجزاء تتتابع وتلحق ، وهذا من صفات الحدوث .

٣ – تصريحه بفناء الزمان في مواضع كثيرة ، وتلميحه في مواطن أكثر كقوله :

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٧ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٣٣٥ .

وأشهدُ أنّ الدّهرَ كالحُلْمِ زائلٌ ... وأنّ أديمَ البَدْرِ يَبْلَى ويَحْلَمُ (١)

وقوله :

الدّهرُ كالرّبعِ لمْ يَعلَمْ بحالتِهِ ... هل عِندَ ذي الدارِ مِن سُكّانِها خَبَرُ (٢)

وسوفَ يَقْدُمُ حتى يَسْتَسِرّ بهِ ... سَنا النهارِ ويُفني شرخَهُ الكِبَرُ

وقوله :

أرَى الوَقْتَ يُفني أنفُساً بفَنائِهِ ... ويَمْحو فما يَبقى الحَدِيثُ ولا الرّسمُ (٣)

وقوله :

واللهُ صَيّرَ للبِلادِ وأهلِها ... ظَرْفَينِ وَقْتاً ذاهِباً ومَكانا (٤)

وقوله :

. . . . . . . . . ... لكنْ زَمانُكَ ذاهِبٌ لا يَثْبُتُ (٥)

وقوله :

ويَثْبُتُ اللهُ وسُلْطانُهُ ... وكُلُّ أمْرٍ غيرِهِ يَضْمَحِلْ (٦)

وقوله :

بَلى قدْ أتانا أنّ ما كانَ زائِلٌ ... ولكِنّنا في عالَمٍ ليسَ يَعْلَمُ (٧)

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢٢٩ ، وحلم الأديم يحلم : إذا تثقب وفسد .
(٢) اللزوميات ﻫ ص ١٢٢ .
(٣) اللزوميات ﻫ ص ٢٢٧ .
(٤) اللزوميات ﻫ ص ٢٦٩ .
(٥) صدر البيت : « أما المكان فثابت لا ينطوي ... » اللزوميات ﻫ ص ٦١ .
(٦) اللزوميات ﻫ ص ٢٢٥ .
(٧) اللزوميات ﻫ ص ٢٢٩ .

ويتضح مما ذكرناه من أقوال أبي العلاء ومن أمثالها مما لم نذكره ، أنه لايرى قدم الزمان ، ولا بقاءه ؛ وما ورد في كلامه مما يوهم القدم فالمراد به القدم بالنسبة إليه وإلى مافي عصره . والمراد بقوله :

. . . . . . . . . . وَيَبْقَى الزَّمَانُ عَلى مَا تَرَى[١]

طول المدة بالنسبة إليه وإلى أجداده ، لا البقاء بمعنى الخلود وعدم الفناء. وقد تقدم قوله :

ضَمَانِي أَنْ سَيَنْفَدُ كُلُّ شَيءٍ[٢] . . . . . . . . . .

على أن أبا العلاء كثيراً ماوصف الأشياء بالقدم ، ولا يريد به إلا القدم الإضافي كقوله :

نُبَكِّي عَلى المَيْتِ الجَدِيدِ لأَنَّهُ حَدِيثٌ وَيُنْسَى مَيْتُكَ المُتَقَادِمُ[٣]

وقوله :

أَتُضْمِرُ التَّوبَ مِنْ ضَأْنٍ تَرَوَّعُها أَمْ كَانَ ذَلِكَ دَاءٌ فِيكُمُ قُدُمَا[٤]

وقوله :

وَجَدْتُ المَوْتَ لِلحَيَوانِ دَاءً وَكَيْفَ أُعَالِجُ الدَّاءَ القَدِيمَا[٥]

---

(١) انظر ماسبق ص ١٢٨٠ .
(٢) انظر ماسبق ص ١٢٧٣ .
(٣) اللزوميات ٢ ص ٢٣١ .
(٤) اللزوميات ٢ ص ٢٤١ .
(٥) اللزوميات ٢ ص ٢٤٢ .

وقد قدمنا في المقدمة الأولى أبياتاً من هذا النوع ، وسيأتي طرف آخر منها . وعلى هذا الوجه الذي ذكرناه يمكن الجمع بين أقوال أبي العلاء التي ذكر فيهـا القِـدَم ، ولا يكون في شيء من كلامه تناقض أو تعارض .

## اعتقاده في الظلام والنور

قدمنا أن بعض الفلاسفة قال : إن الله خلق الزمان ليلا مظلماً ، ثم جعل بعضه نهاراً بإحداث الإشراق فيه . وكلام أبي العلاء يدل على أنه يعتقد ذلك ، كما يشعر به قوله :

وَالنُّورُ في حُكْمِ الخَوَاطِرِ مُحْدَثٌ وَالأَوَّلِيُّ هوَ الزَّمَانُ المُظْلِمُ[1]

وقوله :

يَرَى الفِكْرُ أَنَّ النورَ في الدَّهْرِ مُحْدَثٌ وَمَا عُنْصُرُ الأَوْقَاتِ إلا حُلُوكُهَا[2]

وقوله :

وَكَأَنَّ الشَّرَّ أَصْـلٌ فِيهِمْ وَكَذا النورُ حَدِيثٌ في الظُّلَمْ[3]

## المكان

اختُلف في لفظ المكان ومعناه ؛ أما لفظه فقيل : إنه « مَفْعَل » من الكون ، أي هو موضع كون الشيء أي حصوله والميم زائدة ؛

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٣٥ .

(٢) اللزوميات هـ ص ١٨٣ .

(٣) اللزوميات هـ ص ٢٥٦ .

ولكثرته في الكلام أجري مجرى « فَعال » فقيل « تمكّن » أي توهموا الميم أصلاً فقالوا « تمكن » في المكان .

وقيل : إن الميم أصلية فهو « فَعال » من « التمكن » لا « مَفعل » من « الكون » لأنهم قالوا في جمعه « أمكنة وأماكن وأمكُن » وقالوا : « تمكّن » ولو كان من الكون لقالوا : « تكوّن » .

وأما معناه عند أهل اللغة فقيل : موضع كون الشيء كما تقدم ؛ وقيل : الموضع الحاوي للشيء ؛ وقيل الحاوي للشيء المستقر . وهو عند الحكماء : السطح الباطن من الجسم الحاوي المماسّ للسطح الظاهر من الجسم المحوي . وعند بعض المتكلمين هو الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وتنفذ فيه أبعاده ، وعند بعضهم أنه عرض ، وهو اجتماع جسمين : حاوٍ ومحويّ ، وذلك أن يكون سطح الجسم الحاوي محيطاً بالمحوي ، فالمكان عندهم هو المناسبة بين هذين الجسمين . والمكان أمر محقق موجود في الخارج عند الحكماء ، والحصول فيه أمر محقق أيضاً . وأما الزمان فلا وجود له عندهم ، بل هو أمر وهمي ، وكذا الحصول فيه . هكذانقله أبو البقاء .

والمكان قار الذات ، فجميع أجزائه موجودة . والزمان غير قار الذات كما تقدم ، فأجزاؤه منصرمة منقطعة ، بعضها حال يصير ماضياً ، وبعضها مستقبل يصير حالا .

وقد عرفه أبو العلاء بأنه ضد الزمان ، أي بأنه شيء أقل جزء منه لا يمكن أن يشتمل على جميع المدركات كما تقدم . ولم يذكر له حداً جامعاً مانعاً ، وإنما عرفه ببعض أعراضه الخاصة والعامة ، فقال .

أمّا المَكانُ فَثَابِتٌ لا يَنطَوي ... لَكِنْ زَمَانُكَ ذَاهِبٌ لا يَثْبُتُ[1]

---

(١) انظر ما سبق ص ١٢٨٢ .

فهو عنده قار الذات ، وذلك من خواصه ، وقال :

مَكَانٌ وَدَهْرٌ أَحْرَزَا كُلَّ مُدْرَكٍ ... وَمَا لَهُمَا لَوْنٌ يُحَسُّ وَلَا حَجْمُ[1]

فقد وصفه بإحراز كل مدرك ، وهو من أعراضه العـامة ، وكذلك عدم اللون والحجم . وقال :

حَوَانَا مَكَانٌ لَا يَجُوزُ انْتِقَالُهُ ... وَدَهْرٌ لَهُ بِالسَّاكِنِينَ مُرُورُ[2]

والحواية وعدم الانتقال من الأعراض العامة . وزعم صاحب ( الذكرى ) أن أبا العلاء يرى قدم المكان والزمان والمادة وخلودها[3] . ولم أر في كلامه مايدل على أنه كان يرى قدم المكان . أما قوله المتقدم في ( رسالة الغفران ) وفي ( لزوم ما لا يلزم )[4] فلا يدل على القدم ، بل يدل على الحدوث ، لأنه أثبت للمكان جزءاً ، وجعله محرزاً كل مدرك ، وحاوياً للمحدث . وهذا كله من أدلة الحدوث . أما قوله : « لا يجوز انتقاله » فالمراد به انتقال أجزائه وانقطاعها ، بدليل مقابلته للزمان الذي تتصرم أجزاؤه . وبهذا يكون كلام المعري كله جارياً على نمط واحد ، خاليـاً من التناقض المتكلف .

## تناهي الأبعاد

البعد عبارة عن امتداد قائم بالجسم ، أو قائم بنفسه عند القائلين بوجود الخلاء كأفلاطون . وقد اتفقت كلمة المتكلمين على حدوث العالم ، وأنه

---

(١) اللزوميات ٥ ص ٢٢٨ .

(٢) اللزوميات ٥ ص ١٢١ .

(٣) انظر ذكرى أبي العلاء لطه حسين ط ٢ ، ص ٣٢٨ ـ ٣٣٣ .

(٤) انظر ماسبق ص ١٢٧٨ ـ ٧٩ .

مسبوق بالعدم ، وأن الزمان والمكان وما اشتملا عليه محدودات متناهية حادثة ، وأبو العلاء اقتفى آثارهم في ذلك كله . وزعم صاحب ( الذكرى ) أن أبا العلاء سلك مسلك الفلاسفة وقال بقدم المادة والزمان والمكان ، فلم يلزمه القول بتناهي الأبعاد فقال :

وَلَوْ طَارَ جِبْرِيلٌ بَقِيَّةَ عُمْرِهِ
مِنَ الدَّهْرِ مَا اسْطَاعَ الْخُرُوجَ مِنَ الدَّهْرِ [1]

وقال :

وَأَيْسَرُ كَوْنٍ تَحْتَهُ كُلُّ عَالَمٍ وَلَا تُدْرِكُ الْأَكْوَانَ جُرْدٌ صَلَادِمُ [2]

الأبيات الثلاثة السابقة . وقال :

وَهَلْ يَأْبَقُ الْإِنْسَانُ مِنْ مُلْكِ رَبِّهِ فَيَخْرُجَ مِنْ أَرْضٍ لَهُ وَسَمَاءِ [3]

ثم قال : « فأنت ترى من هذا أن أبا العلاء قد استمد فلسفته الطبيعية من فلسفة اليونان ، فوافقهم في العناصر وقِدَمِها ، والزمان والمكان ، وخلودهما ، وأنها غير متناهيين .. » [4] .

والبيت الأول الذي ذكره ، قبله قوله :

غَدًا رَمَضَانِي لَيْسَ عَنِّي بِمُنْقَضٍ وَكُلُّ زَمَانِي لَيْلَتِي آخِرِ الشَّهْرِ [1]

---

(١) اللزوميات هـ ص ١٤٦ . وفيها : « .. وكل زماني ليلتا آخر الشهر » .
(٢) انظر ماسبق ص ١٢٧٩ .
(٣) اللزوميات هـ ص ٢٥ .
(٤) انظر ماسبق ص ١٢٨٦ .

أرُومُ خَلاصاً مِنْ قَضاءٍ مُسَلَّطٍ ... عَلَيَّ تَوَخّى قاهِرَ الناسِ بالقَهْرِ

رَمَى آلَ صَخْرٍ بالصُّخورِ وَجَرْوَلاً ... بِهَضْبٍ وأَلْقَى الرّاسِياتِ عَلى فِهْرِ

وَلَوْ طارَ جِبْرِيلٌ بَقِيَّةَ عُمْرِهِ ... . . . . . . . . . .

ويظهر للمتأمل أن أبا العلاء في هذه الأبيات لايريد أن يقرر مسألة فلسفية ، ولا حقيقة علمية ، ولا أن يبين رأيه في تناهي الأبعاد وعدمه ، وإنما أراد أن يبين تذمره من الحياة ، وما انتابه فيها من الكوارث ؛ فذكر أنه يتابع الصوم حتى كان عمره كله رمضان لاينقضي عنه ؛ وان زمانه كله مظلم كأنه ليلتا آخر الشهر اللتان لايظهر فيها البدر ، بل يستسر ؛ ويقال لليالي التي يستتر فيها القمر آخر الشهر : السرار والمحاق على اختلاف عند اللغويين ، وذلك لفقده بصره ، وأنه يفكر فلا يجد سبيلا للخلاص مما هو فيه ، لأن القضاء الذي سلط عليه قوي قاهر ، رمى من هو أشد منه قوة ، وأكثر ناصراً بما هو أعظم مما رماه به . ولا يتأتى الخلاص من ذلك إلا بالخروج من الدهر ، لأن سلطة هذا القضاء تشمل كل ناحية من الدهر . وهذا يحتاج إلى أمد بعيد ، لأن مدى الدهر واسع ، حتى لو أن جبريل أراد أن يطير بقية عمره ليخرج من الدهر لما استطاع الخروج لسعة مداه . وهذا كله كناية عن بعد المدى ، وتعذر الخلاص . فسبيله فيه سبيل النابغة في قوله :

فإنَّكَ كَاللَّيْلِ الذي هُوَ مُدْرِكي ... وَإنْ خِلْتُ أنَّ المُنْتَأى عَنْكَ وَاسِعُ[1]

---

(١) الأغاني ط الدار ١١ / ٥ .

ويؤيد هذا قوله :

أأخْرُجُ مِنْ تَحْتِ هَذِي السَّماء فَكَيْفَ الإباقُ وأيْنَ المَفَر[(١)]

وإذا فرضنا أنه يريد بيان رأيه في الأبعاد وعدم تناهيها ، فإن لفظ « بقية » يفهم منه أمران :

الأول : أن عمر جبريل منته ، لأنه ذهب منه قسم وبقيت منه بقية ، وهذا من صفة الحادث المنتهي .

الثاني : يفهم منه أنه لو طار جميع عمره لاستطاع الخروج ؛ وإذا لم يحمل على هذا الوجه ، فإن لفظ « بقية » زائد لافائدة من ذكره . وقد قال العلماء : كلام العاقل يصان عن الإلغاء ما أمكن ؛ وإعمال الكلام أولى من إهماله .

وأما الأبيات الميمية التي منها :

وأيسَرُ كَوْنٍ تَحتَهُ كُلُّ عالَمٍ . . . . . . . . .[(٢)]

فقد بينا فيما سبق أنها دليل للحدوث لا للقدم . وأما بيته الذي على روي الهمزة :

وهَلْ يأبَقُ الإنسانُ مِنْ مُلْكِ رَبِّهِ . . . . . . . . .[(٣)]

فقبله قوله :

قَضَى اللهُ فِينَا بالذي هُوَ كَائِنٌ فَتَمَّ وَضَاعَتْ حِكْمَةُ الحُكَماء

(١) اللزوميات هـ ص ١٧٠ .

(٢) تمامه : « ولا تدرك الأكوان جرد صلادم » انظر ما سبق ص ١٢٨٧ .

(٣) تمامه : « فيخرج من أرض له وسماء » انظر ما سبق ص ١٢٨٧ .

وبعده قوله :

تَتَتَبَّع آثارَ الذينَ تَحَمَّلُوا عَلى ساقةٍ مِنْ أَعْبُدٍ وإماء

وهذه الأبيات مسوقة لأمرين ، أحدهما : بيان أن الإنسان ضعيف ، وثانيهما : أن ربه قوي واسع السلطان ، وقد قضى عليه ما قضى ؛ فلا يستطيع الخروج عن ملكه الذي هو أرض وسماء . وذلك كناية عن سعة قدرته وسلطانه وضعف الإنسان ، فهي على حد بيت النابغة المتقدم ؛ وتشبه قول أشجع السُّلَمي :

وَعلى عَدُوِّكَ يا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصَدانِ ضَوْءُ الصُّبْحِ والإظْلامُ[1]

وإذا كان عليه هذان الرصدان ، فلا يمكنه الإفلات من يده ، ولا التخلص من سلطانه . وإذا تأملنا أبيات المعري الهمزية لا نجد فيها ما يدل على عدم تناهي الأبعاد ، بل نجد فيها ما يدل على تناهيها ؛ لأن أبعاد الأرض متناهية وكذلك السماء .

ومما ذكرنا يتضح أن أبا العلاء خالف الفلاسفة في ذلك ، ووافق المتكلمين في حدوث المادة والزمان والمكان وتناهي الأبعاد . ثم ذكر صاحب ( الذكرى ) بيتاً لأبي العلاء وهو :

والنُّورُ في حُكْمِ الخَواطِرِ مُحْدَثٌ . . . . . . . . .[2]

وذكر قبله وبعده كلاماً خلاصته : أن الكواكب هي مصدر النور ، وان العقل لا بد من أن يتصور وجوداً قد سبق الكواكب ، وهذا الوجود لم يخلُ من زمان ؛ وقد سمى هذا الزمان مظلماً لا نور فيه ...

---

(١) الأغاني ط بولاق ١٧ / ٣١ ، وفيه : « وعلا عدوك ... » .

(٢) تمامه : « والأولي هو الزمان المظلم » انظر ما سبق ص ١٢٨٤ .

وهذا يدل على حدوث النور والكواكب التي هي مصدره ، والزمان الذي يقدر بحركة الفلك ، ولا يتفق مع قول الفلاسفة بقدمها وخلودها ، فكيف يقال : إن أبا العلاء يرى ذلك ويوافق الفلاسفة ؟! فتأمل . وقد قدمنا القول في ذلك .

## الفلسفة الرياضية

لم نر فيما وقفنا عليه من كلام أبي العلاء ما يدل على أنه بحث في الأعداد والمقادير بحثاً مستفيضاً ؛ وإنما تصدى إلى بعض المسائل من علم الحساب والهندسة ، وأشار إلى شيء مما اصطلح عليه أهل هذين العلمين ، كقوله مما يتعلق بعلم الحساب :

سَمَا نَفَرٌ ضَرْبَ المِئِينَ وَلَمْ أَزَلْ
بِجَدِّكَ مِثْلَ الكَسْرِ يُضْرَبُ في الكَسْرِ [1]

وقوله :

خَمْسَةٌ في نَظِيرِهَا خَمْسٌ خَمْسَا ... تِ تَتَمَّتْ والنِّصْفُ في النِّصْفِ رُبْعُ [2]

وقوله :

طُرُقُ العُلاَ مَجْهُولَةٌ فَكَأَنَّها ... صُمُّ العَدَائِدِ مَالَهَا أَجْذَارُ [3]

---

(١) اللزوميات ج ص ١٤٦ .
(٢) « « ص ٢٨٤ .
(٣) « « ص ١٢٨ .

وقوله مما يتعلق بعلم الهندسة :

ظَلُّوا كَدَائِرَةٍ تَحَوَّلَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضِهَا فَجَمِيعُهَا مَعْكُوسُ[(١)]

• • •

خَطٌّ اسْتِوَاءً بَدَا عَنْ نُقْطَةٍ عَجَبٍ أَفْنَتْ خُطُوطاً وأَقْلاماً وَكُتَّاباً[(٢)]

ولعله لم يتعمق في هذين العلمين ، لأن عماه لا يؤهله للأعمال التي يتطلبانها .
ويجوز أن يكون أقلَّ مِنْ ذكرهما في كلامه لعدم الحاجة إلى ذلك .

## الهيئة

وأما الهيئة ، فقد كان عالماً بأسماء النجوم وخواصها وما يتصل بها من الحوادث الكونية ؛ كما كان عالماً بشخصاتها . وقد أكثر في نظمه ونثره من استعمالها في التشبيه ، وضرب المثل ، ونحو ذلك مما قدمنا بعض أمثلة له .

ولم يتصدَّ في كلامه فيها إلى ما يتعلق بالرصد ، لأن فقد بصره حال بينه وبين ذلك ؛ ولكنه بحث عن قدمها وخلودها وما زعم الناس لها من عقل وحسّ وتأثير ونحو ذلك .

## اعتقاده في النجوم

يعتقد أبو العلاء أن النجوم حادثة فانية ، ولا يرى قدمها ولا خلودها ؛ وفي ( لزوم ما لا يلزم ) أدلة على ذلك كثيرة كقوله :

وَلَيْسَتْ بِالقَدَائِمِ فِي ضَمِيرِي لَعَمْرُكَ بَلْ حَوَادِثُ مُوجَدَاتُ[(٣)]

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢٩٥ .
(٢) « « ص ٤٠ .
(٣) « « ص ٦٠ .

فَلَوْ أَمْرَ الذي خَلَقَ البَرَايَا     تَهَاوَتْ للدُّجى مُتَسَرِّدَاتُ

وقوله المتقدم :

وَلَيْسَ اعْتِقَادِي خُلُودَ النُّجُوم     وَلا مَذْهَبِي قِدَمَ العَالَمِ (١)

وقوله :

وَيَكُونُ أَزْهُرِ الطَّوالِعِ مُنْتَهى     يَذْوِينَ فِيهِ كَمَا ذَوَى النُّوَّارُ (٢)

وقوله :

وَمَا أَظُنُّ المَنَايَا تَخْطُو كَوَاكِبَ جِرْبَهْ (٣)

سَتَأْخُذُ النَّسْرَ والغَفْرَ والسِّمَاكَ وِتِرْبَه

وقوله :

وَلاَ أَدَّعِي للْفَرْقَدَيْنِ بِعِزَّةٍ     وَلاَ آلِ نَعْشٍ ما ادَّعَاهُ لَبِيدُ (٤)

وقوله :

وَثُرَيَّا النُّجُومِ تَلْقَى حِمَامًا     كَالثُّرَيَّا في رَهْطِها القُرَشِيَّه (٥)

---

(١) انظر ما سبق ص ١٢٧٦ .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ١٣٠ .

(٣) » » ص ٤٣ الجربة بالكسر : القراح من الأرض . والجرباء بالفتح : السماء أو الناحية التي يدور فيها فلك الشمس والقمر . والنسر : كوكبان الواقع والطائر ؛ والغفر : منزل القمر ثلاثة أنجم صغار . والسماك : الأعزل والرامح ؛ نجمان نيران والترب : الصديق أو من ولد معه .

(٤) اللزوميات ﻫ ص ٩١ .

(٥) أراد بالثريا الثانية التي نسب بها عمر بن أبي ربيعة في قوله :

من رسولي إلى الثريا فإني     ضقت ذرعاً بحبها والكتاب

وكانت من قريش وهي الثريا الأموية التي تزوجها سهيل بن عمرو بن عبد الرحمن ابن عوف . اللزوميات ﻫ ص ٣٤٦ .

وقوله :

إنْ كَانَ لِلْمِرِّيخِ عَمَلٌ فَمَا     يُسْتَرُ عَنْـهُ أَنَّهُ بَائِدُ[١]

وقوله :

وإنَّ السِّماكَيْنِ لاَ يَخْـلُدانِ     ويَهْلِكُ ذُو الرُّمحِ والأعزَلُ[٢]

وقوله :

كَأَنِّي بِهذا البَدْرِ قَدْ زَالَ نُورُهُ     وَقَدْ دَرَسَتْ آثارُهُ وَمَنَازِلُـهُ[٣]

وقوله :

وَنَيِّرُ اللَّيْـلِ وَشَمْسُ الضُّحَى     دَامَا وَلكِنَّهُمَا يَهلَكَانْ[٤]

وقوله :

إِذَا شَبَّتِ الشِّعْرَيانِ الوَقُودَ     فَفِي الحُكْمِ أَنَّهُمَا يَخْبُوَانِ[٥]

وقوله :

هَذِي نُجُومٌ شَاهَدَتْ تُبَّعاً     وَمَنْ مَضَى مِنْ حِمْيَرٍ أَوْ قَدُمْ[٦]

بُرُوجُهَا كَالبُرْجِ فِي الأَرْضِ إِنْ     طَالَ مَدَاهُ فِي العُصُورِ انْهَدَمْ

---

(١) اللزوميات ج ص ١٠٠ .

(٢) « « ص ٢٠٢ .

(٣) « « ص ١٩٦ .

(٤) « « ص ٢٨٥ .

(٥) « « ص ٢٨٣ الشعريان: العبور والغميصاء : كوكبان يطلعان في شدة الحر .

(٦) « « ص ٢٥٧ .

وقوله :

إنْ خَرِفَ الدَّهرُ فَهو شَيخٌ ... يَحُقُّ بالهُتْرِ والزَّمانَه[1]

إنْ قالتِ الشُّهْبُ نَحنُ رَهطٌ ... أقـــدَمُ مِنهُ فَهُنَّ مَانَه

إلى غير ذلك من الأبيات الدالة على حدوثها وفنائها تصريحاً أو تلميحاً .

وقد وقع في كلامه ما يوهم غير هذا كقوله :

كَأنّكَ عَنْ كَيْدِ الحوادِثِ رَاقِدٌ ... وَمَا أمِنَتْهُ في السَّماءِ الفَرَاقِدُ[2]

سَيَجْري عَلى نِيرانِ فارِسَ طَارِقٌ ... فَتَخْمَدُ والمِرِّيخُ في العَيْنِ وَاقِدُ

وقوله :

يَا شُهْبُ إنّكِ في السَّماءِ قَديمَةٌ ... وأشَرْتِ للحُكَماءِ كُلَّ مُشَارِ[3]

وقوله :

وَقَدْ زَعَموا الأفلاكَ يُدْرِكُها البِلى ... فإنْ كَانَ حَقّاً فالنَّجَاسَةُ كَالطُّهْرِ[4]

وَأمّا الذي لا رَيْبَ فيهِ لِعَاقِلٍ ... فَغَدْرُ اللّيالي بالظّلامِيّةِ الزُّهْرِ

ونحو ذلك من مثل هذه الأبيات . والمراد بقوله : « والمريخ واقد » أنه أطول بقاء من نيران فارس ، ولكنه يخمد بعد ذلك ، كما يشعر بـه

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٦٧ . يحق : كان حقيقاً . الهُتر : ذهاب العقل من كبر أو من مرض أو حزن . الزمانة : العاهة وتعطيل القوى . مان يمين : كذب .

(٢) اللزوميات هـ ص ٩٠ .

(٣) « « ص ١٦٢ وفيها : « وأشرت للعلماء . . . » .

(٤) « « ص ١٤٦ .

البيت الذي قبله . والمراد بقوله : « في السماء قديمة » التقدم الإضافي .
وقوله : « وقد زعموا الأفلاك .. » لا يريد به أنه لا يعتقد ما زعموه .
ولا يريد بقوله : « فإن كان حقاً .. » الشك في كون بلاها حقاً ، وإنما
يريد أن بلاها حق ؛ وأن الطهارة لا تقي صاحبها من الهلاك ، فهي
كالنجاسة في ذلك . وقد استعمل مثل هذا الأسلوب في كثير من المواطن
كقوله :

إِذَا كَانَ هَذَا التُّرْبُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ... فَأَهْلُ الرَّزَايَا مِثْلُ أَهْلِ المَمَالِكِ[1]

وقوله بعد البيت السابق : « وأما الذي لا ريب فيه .. » صريح في أنها
تفنى حين تغدر بها الليالي .

وعلى مثل هذا يحمل ما في كلامه مما يوهم القدم والخلود . وبهذا يتضح
أن أبا العلاء ليس في كلامه تناقض في هذا الغرض ، وأنه لا يرى قدم النجوم
ولا خلودها ، خلافاً لما زعمه صاحب ( الذكرى ) في ( تجديده ص ٢٦٨ ) .

## تأثير الكواكب

يدل قول أبي العلاء في السقط :

مَنْ قَالَ إِنَّ النَّيِّرَاتِ عَوَامِلٌ ... فَبِضِدِّ ذَلِكَ فِي عُلاكَ يَقُولُ[2]
يَعْمَلْنَ فِيمَا دُونَهُنَّ بِزَعْمِهِ ... وَلَهُنَّ دُونَكَ مَطْلِعٌ وَأُفُولُ

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ١٨٨ .
(٢) شروح سقط الزند ، ق ٢ ص ٨٧٢ .

وقوله في ( لزوم ما لا يلزم ) :

يَقُولونَ صُنْعٌ مِنْ كَوَاكِبَ سَبْعَةٍ  وَمَا هُوَ إلاّ مِنْ زَعيمِ الكَوَاكِبِ[1]

على أنه لا يعتقد تأثير الكواكب في عالم الأرض ، كما يشعر بذلك قوله : « من قال إن .. » وقوله : « بزعمه .. » .

وقوله في ( لزوم ما لا يلزم ) :

لِعَالَمِ العُلْوِ فِعْلٌ لا خَفَاءَ بِهِ
في عَالَمِ الأرْضِ مِنْ وَحْشٍ وِمِنْ أَنَسِ[2]

وقوله :

مَا دَامَ في الفَلَكِ المِرِّيخُ أوْ زُحَلٌ  فَلاَ يَزَالُ عُبَابُ الشَّرِّ يَلْتَطِمُ[3]

يدل على أنه يعتقد ذلك ، ومثل هذا قوله :

هَذِهِ الأَجْسَامُ تُرْبٌ هَامِدٌ  فَمِنَ الجَهْلِ افْتِخَارٌ وَأَشَرْ[4]
جَسَدٌ مِنْ أرْبَعٍ تَلْحَظُهَا  سَبْعَةٌ رَاتِبَةٌ في اثْنَيْ عَشَرْ

يريد « بالأربع » العناصر التي يتركب منها الجسد في اصطلاح المتقدمين ، وهي الماء ، والهواء ، والتراب ، والنار ؛ ويريد « بالسبعة » الكواكب السيارة ؛ و « بالاثني عشر » بروجها .

---

(١) اللزوميات ج س ٤٥ .
(٢) « « س ٣٠ . والأنس : بفتح الهمزة والنون لغة في الإنس بكسر وسكون .
(٣) « « س ٢٣٤ .
(٤) « « س ١٦٨ .

وقوله :

أَرَى أَرْبَعاً آزَرَتْ سَبْعَةً ... وَتِلْكَ نَوَازِلُ في اثْنَيْ عَشَرْ [١]

ويمكن الجمع بين أقواله بأن يقال : إن الذي يعتقده أن الكواكب لا تؤثر بذاتها فيما دونها ؛ وإنما تؤثر باعتبار أنها سبب ، كما يؤثر الماء في النبات ، والسكين في الذبح .

## عقل الأفلاك وحسها

قال ثاوفرسطيس أحد تلاميذ أرسطو : « السماء مسكن الكواكب ، والأرض مسكن الناس ؛ على أنهم مثل وشبه لما في السماء . فهم الآباء والمدبرون ، ولهم نفوس وعقول مميزة ، وليس لهـــا أنفس نباتية ؛ فلذلك لا تقبل الزيادة والنقصان » [٢] .

وأبو العلاء يعتقد أن الكواكب مجردة من العقل والحس والعمل ؛ ويتلقى اعتقاد غير هذا تارة بالنقـــد والاستفهام ، وأخرى بالتهكم والسخرية ؛ فمن الأول قوله :

فَهَلْ عَلِمَتْ بِغَيْبٍ مِنْ أُمورٍ ... نُجومٌ لِلْمَغِيبِ مُعَرِّدَاتُ [٣]

وَقَدْ زَعَمُوا بِأَنَّ لَهَا عُقُولاً ... وَأَقْضِيَةُ الْمَلِيكِ مُؤَكَّدَاتُ

وَأَنَّ لِبَعْضِهَا لَفْظاً وَفِيهـــا ... حَوَاسِدُ مِثْلُنَا وَمُحَسَّدَاتُ

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ١٧٠ .

(٢) الملل والنحل ٤٢/٢ . (ج)

(٣) اللزوميات ﻫ ص ٦٠ . عرّد النجم : مال للغروب بعد ما تكبد السماء .

وقوله :

فَاعْجَبْ لِعُلْوِيَّةِ الأَجْرَامِ صَامِتَةً ... فِيمَا يُقَالُ وَفِيهَا ذَاتُ أَصْوَاتِ[1]

وقوله :

تَعَالَيْتَ رَبَّ النَّجْمِ هَلْ هُوَ عَالِمٌ ... بِحَالَاتِهِ فِي مَطْلَعٍ وَمَغَارِ[2]

أَمِ الشُّهْبُ لَمْ تَشْعُرْ كَمَا جَهِلَ الْهُدَى ... وَقُودٌ لَدَى غَارٍ يُحَشُّ بِغَارِ

وقوله :

فَهَلْ لِطَوَالِعِ الأَقْمَارِ عَقْلٌ ... فَتَعْلَمَ حِينَ يُدْرِكُهَا الْخُسُوفُ[3]

أَتَسْمَعُ أَوْ تُعَايِنُ أَوْ تُعَانِي ... بَلَاءً أَوْ تَذَوَّقُ أَوْ تَسُوفُ

وقوله :

سُبْحَانَ خَالِقِ هَذِي الشُّهْبِ دَائِبَةً ... سَارَتْ وَأَسْرَتْ فَلَا أَيْنًا وَلَا وَسَنَا[4]

ومن الثاني قوله :

قَالَتْ رِجَالٌ : عُقُولُ الشُّهْبِ وَافِرَةٌ

لَوْ صَحَّ ذَلِكَ قُلْنَا : مَسَّهَا خَرَفُ[5]

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٦٧ .

(٢) » » ص ١٤٩ . حشّ النار : أوقدها .

(٣) » » ص ٢٩٢ . والسوف : الشم .

(٤) » » ص ٢٦٥ . والأين : الإعياء والتعب .

(٥) » » ص ٢٥٠ .

وقوله :

لِلْعَالَمِ العُلْوِيِّ فِيما خَبَّرُوا شِيَمٌ بِها قَدْرُ الكَواكِبِ نَازِلُ[1]
أَتَرى الهِلالَ وَلَيسَ فِيهِ مَظِنَّةٌ يَصْبُو إلى جَوْزائِهِ وَيُغَازِلُ
وَيَنالُهُ نَصَبٌ يُطِيلُ عَنَاءَهُ فَلَهُ كَسَارِي المُدْلِجِينَ مَنَازِلُ
وَيُقِيمُ في الدَّارِ المُنِيفَةِ لَيْلَةً وَإِذَا تَرَحَّلَ لَمْ يَعُقْهُ الآزِلُ

وقوله :

وإنْ صَحَّ أنَّ النَّيِّراتِ مُحِسَّةٌ فَماذا نَكِرْتُمْ مِنْ وِدَادٍ وَمِنْ صِهْرِ[2]
لَعَلَّ سُهَيْلاً وَهْوَ فَحْلُ كَواكِبٍ تَزَوَّجَ بِنْتاً لِلسِّماكِ عَلَى مَهْرِ
يَقُولُونَ تَأْتِي فَوْقَنا مِثْلَ مَا أَتَى بَنُو الأَرْضِ فِي حَالِ الْسِّرارِ أَوِ الجَهْرِ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تُرَاعُ مِنَ الرَّدَى وَتَرْكَعُ نُسْكاً بِالعِشَاءِ وَبِالظُّهْرِ
وَتَكْذِبُ إِنَّ المَيْنَ فِي آلِ آدَمٍ غَرَائِزُ جَاءَتْ بِالنِّفَاقِ وَبِالعُهْرِ

وقوله :

العَالَمُ العُلْوِي بِرَأْيِ مَعَاشِرٍ كَالعَالَمِ الهَاوِي يُحِسُّ وَيَعْلَمُ[3]
زَعَمَتْ رِجَالٌ أَنَّ سَيَّارَاتِهِ تَسِقُ العُقُولَ وأَنَّها تَتَكَلَّمُ
فَهَلِ الكَوَاكِبُ مِثْلُنا فِي دِينِها لا يَتَّفِقْنَ فَهَائِدٌ أَوْ مُسْلِمُ
ولَعَلَّ مَكَّةَ فِي السَّماءِ كَمَكَّةٍ وَبِها نَضَادِ وَيَذْبُلٌ وَيَلَمْلَمُ

---

(١) اللزوميات « ص ١٩٩ ».
(٢) « « ص ١٤٦ .
(٣) « « ص ٢٣٥ وفيها : « العالم العالي . . . » · نضاد ويذبل ويلملم : جبال

إلى غير ذلك من الأبيات ، وخلاصة ما فيها أنه لا يعتقد ما زعمه الناس من أن الكواكب لها عقول وحس وألفاظ تتكلم بها ، ولها علم بالأشياء ... بل يعتقد أن إثبات ذلك يفضي الى إثبات شيم وأفعال لها تؤدي إلى نزول قدرها ، والحط من كرامتها ؛ لأنها إذا كانت مشابهة للناس في عقولها وحسها وعلمها وعملها وشيمها وجب أن يكون فيها حساد ، وأهل صبوة ، ومغازلة ، وانتقال ، وإقامة ، وحب ، ومصاهرة ، واختلاف في الدين ، واتصاف بالخلائق الذميمة ، كالنفاق والفجور ، كما كان ذلك في الناس ؛ ويجب أن يصيبها الخرف كما يصيب الإنسان إذا عمر طويلا . وإذا كان العالم العلوي مشابهاً للعالم السفلي وجب أن يكون في السماء مدينة تسمى مكة ، كما كان ذلك في الأرض ؛ وأن يكون فيها جبال تسمى بأسماء الجبال التي في مكة ، كنضاد ، ويذبل ، ويلملم ، حتى يتم التشابه بين العالمين في كل شيء .

## اعتقاده في تأثير القِران

لا يعتقد أبو العلاء أن لِقِران الكواكب أثراً في حياة العالم السفلي ، وإنما يتلقى هذه المزاعم بالاستخفاف والجحد فيقول :

وَقَدْ زَعَمُوا أنَّ القِرانَ مُغَيِّرٌ مُلُوكَ بَني النَّضْرِ الأُولى مَلَكُوا النَّضْرا[1]

ويقول :

يَقُولونَ : تأثيرُ القِرانِ مُغَيِّرٌ مِنَ الدِّينِ آثارَ السَّراةِ الأَماجِدِ[2]

---

(١) اللزوميات « ص ١٣٦ .

(٢) « « ص ١٠٥ ورواية البيت الأخير فيها : « إذا عظموا . . . » .

مَتَى يَنْزِلِ الأَمْرُ السَّمَاوِيُّ لا يُفِدْ    سِوَى شَبَحٍ رُمْحُ الكَمِيِّ المُنَاجِدِ
وإنْ لَحِقَ الإسْلامَ خَطْبٌ يَغُضُّهُ    فَمَا وَجَدَتْ مِثْلاً لَهُ نَفْسُ وَاجِدِ
وَإنْ عَظَّمُوا كِيوانَ عَظَّمْتُ وَاحِداً    يَكُونُ لَهُ كِيوَانُ أوَّلَ سَاجِدِ

ويقول :

قِرَانُ المُشْتَرِي زُحَلاً يُرَجَّى    لإيقَاظِ النَّوَاظِرِ مِنْ كَرَاهَا[1]

ويقول :

مَالِي رَأَيْتُ صُنُوفَ البَاطِلِ اشْتَبَهَتْ
فَلَمْ تَزُلْ بِقِرَانِ المُشْتَرِي زُحَلا[2]

## تعظيم الكواكب

خلق الله تعالى هذه الكواكب ، وجعلها عظيمة في مقاديرها وفي منافعها ؛ واختص كل واحد منها بعظم خاص ، حتى إن منها مـا هو أعظم من الأرض بألوف المرات . واختص كلا منها بنوع معين من الحركة في البطء والسرعة ، وبجهة معينة للحركة . فبعضها يسير من المشرق إلى المغرب ، وبعضها يخالف هذه الجهة . وجعل ألوانها مختلفة بحسب الظاهر ، فمنها ما هو ضارب إلى الصفرة كعطارد ، ومنها ما هو ضارب إلى البياض كالزهرة ، ومنها ما هو مائل إلى الحمرة كالمريخ ، ومنها ما هو غير ذلك . وجعل بعضها نهاريا ، وبعضها ليليـًا . . وجعل لكل منها فلكا يجري فيه . وأودعها

---

(١) اللزوميات هـ ص ٣٣٨ .
(٢) » » ص ٢٠٤ .

من الأسرار والفوائد والتأثير في هذا العالم بنورها وحرارتها وغير ذلك مما اهتدى إليه العقل البشري ، ومما لم يهتد اليه بعد .

وقد نبه القرآن الكريم إلى عظم أمرها ، وجعلها آية لأولي الألباب ، دالة على قدرة خالقها وحكمته . وحض على التفكر في خالها . وإذا كان خالقها عظمها ، وجب على خلقه تعظيمها . وأبو العلاء تفكر في خلقها ، وعظمها ، وعظم آثارها في الهداية ، في حياة العالم السفلي فقال :

الشُّهْبُ عَظَّمَها المليكُ وَنَصَّها ... للعَالَمِينَ فَوَاجِبٌ إعْظَامُها[1]

فهو يعظمها لأن الله عظمها ، وهي عنده أحق بالتعظيم من أشرف بني آدم :

وَلَهُنَّ بالتَّعْظِيمِ في خَلَدِي ... أولى وأجْدَرُ مِنْ بَني فِهْرِ[2]

## العناصر التي تتركب منها الكواكب

قلنا : إن الحكماء المتقدمين ذهبوا إلى أن العالم مركب من أربعة عناصر : الماء ، والهواء ، والنار ، والتراب ، وإليها يردون كل موجود من المخلوقات . وأبو العلاء اقتفى آثارهم في ذلك في مواطن من شعره كقوله :

الخَلْقُ مِنْ أرْبَعٍ مُجَمَّعَةٍ ... نَارٍ وَمَاءٍ وَتُرْبَةٍ وَهَوَا[3]

وهو يعتقد أن الكواكب كغيرها تتركب من هذه العناصر فيقول :

وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُنَجِّمُ مَا يُو ... جِبُ للدِّينِ أنْ يَكُونَ صَرِيحَا[4]

مِنْ نُجُومٍ نَارِيَّةٍ وَنُجُومٍ ... نَاسَبَتْ تُرْبَةً وَمَاءً وَرِيحَا

---

(١) اللزوميات ح ٢ ص ٢٣٧ .
(٢) « « ص ١٦٥ .
(٣) « « ص ٣٤٢ .
(٤) « « ص ٨٤ .

## وجود البشر في الأفلاك

ويعتقد أن الفلك العلوي آهل بالبشر ، كما أن فلك الأرض آهل بالملائكة . وقد أورد هذه القضية على طريقة المناطقة في القياس الاستثنائي ، وإن لم يساعده النظم على إتمامه ، وذلك إشارة إلى أنه جازم بهذه القضية ، قال :

إنْ لَمْ يَكُنْ في سَماء فَوْقَنا بَشَرٌ     فَلَيْسَ في الأرْضِ أوْ مَاتحْتَها مَلَكُ[1]

وتركيب القياس أن نقول : إن لم يكن في السماء بشر فليس في الأرض . . . ملك . لكن في الأرض ملك فينتج في السماء بشر ، لأن استثناء نقيض التالي ينتج نقيض المقدم ، كما هو مبين في كتب المنطق .

## رأيه فيما يعتقده الناس في النجوم

لأبي العلاء اعتقاد سيء في المنجمين ومزاعمهم . وقد نعى عليهم أعمالهم ، وبيّن كثيراً من حيلهم ومكايدهم . وقد أفردنا لذلك بحثاً خاصاً بهم . أما هنا فإننا نذكر ما لغير المنجمين من المزاعم ، وإن كان بعضها يتصل بهم ؛ فاسمعه يروي لنا ما شاع في عهده والذي قبله ، من العقائد والمزاعم :

وَفي كُلِّ شَهْرٍ تَصْرَعُ الدَّهْرَ جِنَّةٌ
فَتُعْقَدُ فِيهِ بالهِلاَلِ التَّمَائِمُ[2]
لَهُ عُوَذٌ في كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ     دَعَاهَا اليَمَانِي الدَّارِ والْمُتَشَائِمُ

• • •

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ١٨٣ .
(٢) » » ص ٢٣٠ .

قَدْ صَدَّقَ النَّاسُ مَا الأَلْبَابُ تُبْطِلُهُ ... حَتَّى لَظَنُّوا عَجُوزاً تَحْلُبُ القَمَرا[1]

أَنَاقَةٌ هُوَ أَمْ شَاةٌ فَيَمْنَحَهَا ... عُسّاً تُغِيثُ بِهِ الأَضْيَافَ والغَمَرا

• • •

وَقَدْ كَذَبُوا حَتَّى عَلَى الشَّمْسِ أَنَّهَا ... تُهَانُ إِذَا حَانَ الشُّرُوقُ وَتُضْرَبُ[2]

• • •

وَلَسْتُ أَقُولُ إِنَّ الشُّهْبَ يَوْماً ... لِبَعْثِ مُحَمَّدٍ جُعِلَتْ رُجُومَا[3]

قال بعض العلماء : « لم يقذف بالنجوم حتى ولد النبي ﷺ » وقال آخرون : « حتى بعث » . وقال جماعة : « دلت التواريخ على أن ذلك كان موجوداً قبل هذا الوقت » . وقد بحث فيه الحكماء المتقدمون قبل الإسلام ، ووفق جماعة من المحققين بين الأمرين ، فقالوا : إنه كان قبل مجيء النبي ﷺ ولكنه كثر في بدء بعثته ، كما يتضح ذلك مما ذكره الفخر الرازي في تفسيره ( مفاتيح الغيب ج ٧ ص ٨٧ ) والشهاب الخفاجي في ( حاشيته على البيضاوي ج ٧ ص ٢٦٣ ) وابن جرير الطبري (في تفسيره ج ٣، ص ٢٢) ؛ وسأل أبو العلاء في ( رسالة الغفران ص ٧٨ )[4] أبا هدرش عن الرجم فقال : « زاد في

---

(١) اللزوميات هـ ص ١٣٩ . وفيها : « . . . تغيث به الأضياف أو غمرا »
والعس واحد العساس : الأقداح الكبار ، وغمر الناس : جماعتهم .

(٢) اللزوميات هـ ص ٣٠ .

(٣) « » ص ٢٤٢ .

(٤) الغفران ط أمين هندية وانظر تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٢٠٦ .

أوان البعث » . وأورد فيها بيتاً للأودي وآخر لابن حجر[١] فراجعها .

وبهذا يتبين لنا أن أبا العلاء لا يكفر بالبيت الأخير، وأنه في فلسفته الرياضية لم يوافق الفلسفة اليونانية في طريقة البحث ولا في نتائجها ، وإنما وافق المتكلمين ، وأن الواضح من أكثر أقواله حدوث الكواكب ، وتأثيرها في العالم السفلي ، وتجردها عن الحس والعقل ، وبطلان كل ما نسب إليها من المزاعم ، وأنها لا تخلو من بشر .

# الفلسفة الإلهية

## الإله

يعتقد أبو العلاء في الله تعالى ما يعتقده المؤمنون المخلصون من المسلمين ، ويثبت له من صفات الكمال ما يثبتون له ، وينفي عنه من صفات الحدوث والنقص ما ينفون . وإذا استقريت أقواله في هذا الغرض لا ترى فرقاً بينه وبين أعظم المسلمين في الاعتقاد .

### اعتقاد أنه موجود :

فهو يعتقد أن الله موجود لا شك فيه ولا ريب فيه ؛ محتجب عن الإدراك بحقيقته ، ظاهر بآثار قدرته وصفاته ، وهذا مراده بقوله :

اللهُ لَا رَيْبَ فِيهِ فَهْوَ مُحْتَجِبٌ ... بَادٍ وَكُلٌّ إِلَى طَبْعٍ لَهُ جَذَبَا[٢]

### خالق وحكيم :

وأنه تعالى خالق حكيم :

---

(١) الأفوه الأودي من كبار شعراء الجاهلية ، وبيته المشار إليه هو من رائيته المشهورة :

كشهاب القذف يرميكم به ... فارس في كفه للحرب نار

وأوس بن حجر من أوصف الجاهليين للقوس والسحاب وبيته المشار اليه هو :

فانصاع كالدري يتبعه ... نقع يثور تخاله طنبا

(٢) اللزوميات ج ١ ص ٣٩ .

أُثبِتُ لي خَالِقاً حَكِيماً ... وَلَسْتُ مِنْ مَعْشَرٍ نُفاةِ[١]

• • •

إذَا كُنْتَ مِنْ فَرْطِ السَّفَاهِ مُعَطِّلاً ... فَيَا جَاحِداً اشْهَدْ أنَّنِي غَيْرُ جَاحِدِ[٢]

وأنه أولٌ أحد ملك :

إلـهُنا اللهُ مَلِكٌ أَوَّلٌ أحَدٌ ... تُطِيعُهُ مِنْ صُنُوفِ النَّاسِ آحَادُ[٣]

وأنه واحد :

ويتبرأ من قومه إذا أشركوا :

أَدِينُ بِرَبٍّ واحِدٍ وَتَجَنُّبٍ ... قَبِيحَ المَسَاعِي حِينَ يَظْلِمُ دَائِنُ[٤]

• • •

إذا قَوْمُنَا لَمْ يَعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ ... بِنُصْحٍ فإنَّا مِنْهُمُ بُرَءَاءُ[٥]

وأنه عالم كل شيء ومحص كل شيء :

لَمْ يُحصِ أعْدَادَ رَمْلِ الأرْضِ سَاكِنُها

وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ مَحْصُورُ[٦]

• • •

---

(١) اللزوميات هـ س ٦٧ .
(٢) « « ص ١٠٦ .
(٣) « « ص ٩٥ .
(٤) « « ص ٢٥٩ .
(٥) « « ص ٢١ .
(٦) « « ص ١٢٣ .

اللهُ عالِمُ غيبٍ لا أحاوِلُهُ ... مِنْ ذِي نُجومٍ ولا أبغيهِ في الكُهُنِ[١]

• • •

ونيحَ لِجيلِيَ والأجيالِ إنْ بُعِثُوا ... إلى حِسابٍ قديمِ اللُّطْفِ عَلاّمِ[٢]

وأنه موجد كل شيء :

إلهُكَ أوجَدَ الأشياءَ جَمْعاً ... فَلا يَفخَرْ بِشيءٍ مُوجِدُوهُ[٣]

وأنه حق :

واللهُ حَقٌّ وإنْ مَاجتْ ظُنُونُكُمُ ... وإنَّ أوجبَ شيءٍ أنْ تُراعُوهُ[٤]

وأنه قادر :

أُقِرُّ بأنَّ لي رَبّاً قَديراً ... ولا أَلْقَى بَدائِعَهُ بِجَحْدِ[٥]

وقد اختلفت كلمة أهل السنة والمعتزلة في قدرة الله على المستحيلات ؛ فقال أهل السنة : المحال لايدخل تحت القدرة ، أي لايصلح متعلقاً لها ، فلا يوصف الله بالقدرة على الظلم والسفه . وقالت المعتزلة : يقدر ولا يفعل . وقد درج أبو العلاء على طريقتهم ، حيث قال في ( الفصول والغايات ص ٣١ ) : « يقدرُ ربُّنا أن يجعلَ الإنسانَ ينظرُ بِقَدَمِيه ،

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢٧٥ .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ٢٥٠ .

(٣) اللزوميات ﻫ ص ٣٣٣ .

(٤) اللزوميات ﻫ ص ٣٣٠ .

(٥) اللزوميات ﻫ ص ١١١ .

ويسمعُ الأصواتَ بيده ، وتكونُ بنانُه مجاريَ دمعه ... » . وقال في ( ص ١٧٤ ) : « يقدرُ اللهُ على المستحيلات : ردّ الفائت ، وجمع الجسمين في مكان ، وما لا تحتمله الألبابُ ، إذْ كانَ لاينُسبُ إلى عجزٍ وانتقاص . . . وإذا شاء اللهُ جعلَ شجرَ الطّلحِ ركائبَ لركبانِ الأطلاح . . . » فقد سوغ أن تتعلق القدرة بالمستحيل عادة وعقلا . . . وبعد هذا لايعترض على مافي كلامه في ( لزومَ مالا يلزم ) من مثل قوله :

يَقْدِرُ اللهُ أنْ تَرَى كَفَرَطَابٍ    حَوْلَهَا العَاصِي أو المَيَاسِ[1]

وقوله :

إنْ زَجَرَ اللهُ حَدِيداً نَبَا    أوْ أَمَرَ اللهُ حَرِيراً كَلَمْ[2]

وأنه رازق :

وَيَرْزُقُني اللهُ الذي قَامَ حُكْمُهُ    بِأَرْزَاقِنَا في أرْضِهِ مُتَكَفِّلاَ[3]

وأنه عدل مهيمن :

وَمَا كَانَ الْمُهَيْمِنُ وَهْوَ عَدْلٌ    لِيَقْصُرَ حِيلَتي وَيُطِيلَ لَوْمي[4]

وأنه ديّان :

وَنُفُوساً تَرُومُ إرْثاً وَمَا الوَا    رِثُ إلاّ الْمُهَيْمِنُ الدّيّانُ[5]

---

(١) كذا في الديوان (ج) اللزوميات ه ص ٣٠٥ .

(٢) اللزوميات ه ص ٢٥٧ .

(٣) « « ص ٢٠٣ .

(٤) « « ص ٢٥٢ .

(٥) « « ص ٢٦٣ .

وأنه قديم :

لَنَا خَالِقٌ لاَ يَمْتَرِي العَقْلُ أَنَّهُ قَدِيمٌ فَمَا هَذَا الحَدِيثُ المُوَلَّدُ(١)

. . .

وَعَالَمٌ ظَلَّ فيه القَوْلُ مُخْتَلِفاً وَمُحْدَثٌ هُوَ مِنْ رَبٍّ لَهُ القِدَمُ(٢)

وأنه حي :

مَنْ لِي بِأَنِّي وَحِيدٌ لاَ يُصَاحِبُنِي حَيٌّ سِوَى اللهِ لاَ جِنٌّ وَلاَ أَنَسُ(٣)

وأنه باق دائم لايزول :

وَيَثْبُتُ اللهُ وَسُلْطَانُه وَكُلُّ أَمْرٍ غَيْرِهِ يَضْمَحِلْ(٤)

. . .

وَمَهْمَا يَكُنْ فَاللهُ لَيْسَ بِزَائِلٍ وَيَجْنِي الفَتَى مِنْ بَعْدِ مَا هُوَ غَارِسُ(٥)

. . .

مَا دَامَ غَيْرُ اللهِ مِنْ دَائِمٍ فَاغْضَبْ عَلَى الأَقْدَارِ أَوْ سَلِّمِ(٦)

---

(١) اللزوميات ﻫ س ٨٩ .

(٢) » ﻫ س ٢٣٣ .

(٣) اللزوميات ﻫ س ٣١١ . والأنس : لغة في إنس .

(٤) انظر ما سبق س ١٢٨٢ .

(٥) اللزوميات ﻫ س ٣١٠ .

(٦) اللزوميات ﻫ س ٢٥٤ .

**ولا يموت :**

نَموتُ لأَنَّنا خُلَفاءُ نَقْصٍ ... وَيَبْقى مَنْ تَفَرَّدَ بالكَمالِ (١)

**ولا يتغير :**

كَمْ غَيَّرَتْنا بأَمرٍ خطٌّ حادِثَةٌ ... وَرَبُّنا اللهُ لَمْ تُلْمِمْ بِهِ الغِيَرُ (٢)

**وليس له نظير :**

لَنَا ربٌّ وليسَ لهُ نَظيرٌ ... يُسَيِّرُ أَمرُهُ جَبَلاً ويُرْسي (٣)

**ولا شبيه :**

تَشابَهَتِ الأَشياءُ طَبعاً وَصورَةً ... وَرَبُّكَ لَمْ يُسْمَعْ لَهُ بِشَبيهِ (٤)

**ولا مثل :**

عَزيزانِ باللهِ الذي لَيسَ مِثْلَهُ ... يُذِلّانِ في مِقْدارِهِ ويُعِزّانِ (٥)

**ولا كفاء :**

اِنْفَرَدَ اللهُ بِسُلْطانِهِ ... فَمالَهُ في كُلِّ حالٍ كِفاءُ (٦)

---

(١) اللزوميات هـ ص ص ٢١٨ .

(٢) « « ص ١٢٢ .

(٣) « « ص ٣٠١ .

(٤) « « ص ٣٣٩ .

(٥) « « ص ٢٧٢ .

(٦) « « ص ٢٧ .

**ولا شريك :**

وَالْمُلْكُ لِلّهِ مَنْ يَظْفَرْ بِنَيْلِ غِنًى ... يَرْدُدْهُ قَسْراً وَتَضْمَنْ نَفْسُهُ الدَّرَكَا[(١)]

لَوْ كَانَ لِي أَوْ لِغَيْرِي قَدْرُ أُنْمُلَةٍ ... مِنَ الوُجُودِ لَكَانَ الأَمْرُ مُشْتَرَكَا

• • •

وَلَوْ يُرْجَى مع الشُّرَكَاءِ خَيْرٌ ... لَمَا كَانَ الإِلهُ بِلاَ شَرِيكِ[(٢)]

**ولا يقاس به غيره :**

واللهُ أَكْبَرُ لاَ يَدْنُو القِيَاسُ لَهُ ... وَلاَ يَجُوزُ عَلَيْهِ كَانَ أَوْ صَارَا[(٣)]

**وأنه مدبر :**

إذَا كُنْتَ بِاللهِ المُهَيْمِنِ وَاثِقاً ... فَسَلِّمْ إِلَيْهِ الأَمْرَ فِي اللَّفْظِ وَاللَّحْظِ[(٤)]

يُدَبِّرُكَ خَلاَّقٌ يُدِيرُ مَقَادِراً ... تَخَطَّيكَ إِحْسَانَ الغَمَائِمِ أَوْ تُحْظِي

**منزه عن القبيح :**

كَذَبَ الَّذِي نَسَبَ القَبِيحَ إِلَى الَّذِي ... خَلَقَ الأَنَامَ وَخَطَّ فِي بِرْسَامِهِ[(٥)]

---

(١) اللزوميات » س ١٨٦ ، وفيها : « . . . أغلة فوق التراب . . . » .

(٢) « « س ١٨٩ ، وفيها : « فلو يرجى . . . » .

(٣) « « س ١٤١ .

(٤) « « س ١٨١ ، تخطيك : تجاوزك ، تحظي : تنيل .

(٥) البرسام : علة يهذى بها ( ع ) انظر اللزوميات » س ٢٥٣ وفيها : « كذب امرؤ.. » .

كامل لايوصف بزيادة ولا نقص :

وَالرَّبُّ لَمْ يَزْدَدْ وَلاَهُوَ نَاقِصٌ      مَا قَلَّ مُلْكُ إِلٰهِنَا فَيُكَثَّرَا [1]

ولا يتصف بحركة ولا انتقال :

أَمَا تَرَى الشُّهْبَ فِي أَفْلاَكِهَا انْتَقَلَتْ      بِقُدْرَةٍ مِنْ مَلِيكٍ غَيْرِ مُنْتَقِلِ [2]

والانتقال الخروج من حَيِّز إلى آخر ، وهو حركة ؛ والله تعالى لايوصف بها . والحركة تكون في الكم والكيف ، والوضع والأين ؛ وهي حركة الجسم من مكان إلى آخر ، وتسمى « نقلة » وهي المرادة هنا . والمتكلمون إذا أطلقوا الحركة أرادوا بها هذه الحركة الأيْنِيّة ، وهي المتبادرة في استعمال اللغة . وقد قال ثاوفرسطيس أحد تلاميذ ارسطاطاليس: « الإلهية لاتتحرك » . ومعناه : لاتتغير ولا تتبدل لافي الذات ولا في شبه الأفعال . وقد زعم بعضهم أن أبا العلاء لما نفى الانتقال الذي هو حركة عن الله تعالى أثبت له السكون . وهذا غير صحيح ، لأن السكون هو عدم الحركة عما من شأنه أن يتحرك . فعدم الحركة عما ليس من شأنه أن يتحرك لايكون سكوناً ، والموصوف بهذا لايكون متحركا ولا ساكناً . وأبو العلاء نفى في هذا البيت الحركة عما ليس من شأنه الحركة ، فلا يلزمه بذلك إثبات السكون . وبهذا القدر يمكن الاستغناء عما أطال به صاحب ( الذكرى ) في ( تجديده ص ٢٧٥ ) وأثبت فيه لأبي العلاء ماقدمنا نفيه عنه .

---

(١) اللزوميات هـ ص ١٤٣ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٢١٤ .

ويعتقد أنه عاجز من معرفة حقيقة الإله وإدراك كنهه :

قال في ( الفصول والغايات ص ٣٠ ) : « والعقول عاجزة عن معرفة حقيقتك » وقال في ( اللزوم ) :

أَمَّا الإلهُ فإني لَسْتُ أُدْرِكُهُ ... فَاحْذَرْ لِجِيلِكَ فَوْقَ الأَرْضِ إِسْخَاطَا[1]

وأن الاوصاف تقصر عنه :

فَتَبَارَكَ اللهُ الذي هُوَ قَادِرٌ ... تَعْيَا وَتَقْصُرُ دُونَهُ الأَوْصَافُ[2]

وأن المرء مأمور بان يفكر في بدائعه لا في ذاته خشية الزيغ :

وَقَدْ أُمِرْنَا بِفِكْرٍ فِي بَدَائِعِهِ ... وَإِنْ تَفَكَّرَ فِيهِ مَعْشَرٌ لَحَدُوا[3]

وعلى ذكر اعتقاده بوجود الله وصفاته نذكر جملة من كلامه الدالّ على حسن ظنه بالله وأمله عفوه ورحمته ، وتمسكه بالتقوى ، وخوفه من الله ، ورضاه بالقضاء ، وما شاكل ذلك .

ظنه بالله وأمله :

لِيَفْعَلِ الدَّهْرُ مَا يَهُمُّ بِهِ ... إِنَّ ظُنُونِي بِخَالِقِي حَسَنَهْ[4]

لاَ تَيْأَسُ النَّفْسُ مِنْ تَفَضُّلِهِ ... وَلَوْ أَقَامَتْ فِي النَّارِ أَلْفَ سَنَهْ

• • •

(١) اللزوميات « ص ١٧٨ » وفيها : « أما الإله فأمر لستُ مدرِكَه » .
(٢) « « ص ٢٩٣ .
(٣) « « ص ٩٣ .
(٤) اللزوميات « ص ٢٧١ .

وَمَا أَنَا يَائِسٌ مِنْ عَفْوِ رَبِّي عَلى مَا كَانَ مِنْ عَمْدٍ وَسَهْوِ[١]

• • •

لِمَ لاَ أُؤَمِّلُ رَحْمَةً مِنْ قَادِرٍ وَالسُّولُ يُطْلَبُ مِنْ سَحَابٍ أَسْوَلِ[٢]

• • •

وَلاَ يُعْقَدْ لَكُمْ أَمَلٌ بِخَلْقٍ وَبِيتُوا لِلْمُهَيْمِنِ آمِلِينَا[٣]

الرضى بالقضاء والتسليم لله :

رَضِيتُ بِمَا جَاءَ القَضَاءُ مُسَلِّماً وَضَاعَ سُؤَالِي في حَوَازٍ حَوَازِنِ[٤]

• • •

رَدَدْتُ إلى مَلِيكِ الخَلْقِ أَمْرِي فَلَمْ أَسْأَلْ مَتَى يَقَعُ الكُسُوفُ[٥]

• • •

وَمَا أَحَدٌ مُعْطِيَّ واللهُ حَارِمِي ولاَ حَارِمِي شَيْئاً إِذَا هُوَ أَعْطَانِي[٦]

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٣٤٢ .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ٢١٩ . وفيها : « . . والسول يطلب في السحاب الأسول »
والأسول : من في أسفله استرخاء ، يريد : من سحاب مسترخ .

(٣) اللزوميات ﻫ ص ٢٦٩ .

(٤) اللزوميات ﻫ ص ٢٧٣ . والحوازي : الكواهن ، يقال : حزيت الطير وحزوتها إذا زجرتها . والحوازن لعلها من قولهم : قرأ بالتحزين : رقق صوته .

(٥) اللزوميات ﻫ ص ٢٩٣ .

(٦) اللزوميات ﻫ ص ٢٧١ .

إيثاره الخوف على الرجاء ؛ من تأمل مثل قوله :

وَإِنْ كَفَتْنِي عَذَابَ اللهِ آخِرَةٌ ... فَمَا أُحَاوِلُ مِنْهَا فَوْزَ رِضْوَانِ[١]

• • •

يَا رِضْوَ لاَ أَرْجُو لِقَا ... ءَكَ بَلْ أَخَافُ لِقَاءَ مَالِكْ[٢]

• • •

أَوْجَالُ نَفْسِيَ فِي الدُّنْيَا مُضَاعَفَةٌ ... وَلاَ أَزَالُ مِنَ الأُخْرَى عَلَى وَجَلِ[٣]

يتضح له أنه كان يؤثر الخوف على الرجاء . وهذا مذهب جماعة من كبار الصحابة والتابعين وأهل النسك . وقد أوردنا عند الكلام على تقواه من أقواله ما يدل على صحة إيمانه وعقيدته ونسكه .

## الجبر

هو نفي الفعل حقيقة عن العبد ، وإضافته إلى الله تعالى . وهو مذهب قديم . والجبرية صنفان :

الأول : جبرية خالصة ، وهي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلا ، كالجهمية أصحاب جهم [٤] بن صفوان فإنه يقول : إن الإنسان لا يقدر على شيء ، ولا يوصف بالاستطاعة ، وإنما هو مجبر في أفعاله ، لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار . وإنما يخلق الله الأفعال فيه على حسب ما يخلق في

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢٧٦ .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ١٩١ .

(٣) اللزوميات ﻫ ص ٢١٤ . وفيها : « . . نفسي في الأولى مضاعفة » .

(٤) هو أبو محرز جهم بن صفوان السمرقندي ، رأس الجهمية ، قتل سنة ١٢٨ ﻫ .

سائر الجمادات . وينسب إليه الأفعال مجازاً كما تنسب إلى الجماد ، فيقال : أثمرت الشجرة ، وتحرك الحجر ، وجرى الماء . والثواب والعقاب والتكليف جبر ، كما أن الأفعال جبر . ويقابل هذه الفرقة فرقة يقال لها القدرية ، وهم يقولون : إن كل عبد خالقٌ لأفعاله . وهؤلاء لا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى .

الثاني : جبرية متوسطة ، تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلا ، كالأشعرية أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري . وهذه القدرة الحادثة لا تأثير لها في الأحداث . ويلخص قولهم بأن الله تعالى أجرى سنته أن يخلق مع القدرة الحادثة أو تحتها الفعل الحادث إذا أراده العبد وتجرد له ، ويسمى هذا الفعل كسبا . فيكون خلقاً من الله إبداعاً وإحداثاً ، وكسباً من العبد حصولاً تحت قدرته ، وهذه القدرة بمنزلة الشرط من المشروط . فالقدرة كالمشروط ، والفعل كالشرط ؛ فكما لا يوجد المشروط بدون شرط لا توجد القدرة بلا فعل ، ويجوز أن يوجد الشرط بلا مشروط . وهذه القدرة شرط التكليف مقدمة عليه ، وهي سلامة آلات الفعل وصحة الأسباب ، ولا تتقدم على الفعل ، وتسمى الاستطاعة ، والطاقة ، والقدرة ، والقوة . وبعض علماء الحنفية جعل للعبد قدرة حادثة ، وهي العزم على الفعل ؛ وهي مسمى الكسب عندهم . هذا الملخص من أقوال متعارضة ، وآراء متناقضة . وهو توسط بين الجبر والقدر فيما قالوا . ولكن إذا تأمل الإنسان تبيّن أن قول أهل السنة يرجع إلى الجبر عند التحقيق ؛ وإن الإنسان في رأيهم مجبر في صورة مختار ؛ وأنّ كلامهم في الأفعال الاختيارية فقط .

واتفقت الفلاسفة والمعتزلة على أن أفعال العباد الاختيارية بقدرة خلقها الله فيهم ؛ لأن دخول مقدور واحد تحت قدرة قادريْن محال اعتباراً بالشاهد . ولكنهم اختلفوا ، فقالت المعتزلة : إن الله خلق قدرة العبد باختياره ، لأنه فاعل بالاختيار . وقالت الفلاسفة : خلقها بطريق الإيجاب عند تمام الاستعداد ،

لأنه موجب بالذات لا فاعل بالاختيار في اعتقادهم . وفي هذه المسألة كثير من الأقوال والرد عليها والانتصار لها . وهي من مزالق الافهام ، بل من العقد التي استعصى على العقول حلها حلاً مقنعاً ترتاح إليه النفوس . ولا يتسع هذا الكتاب لسردها وتفصيلها .

## موقف أبي العلاء في هذا المعترك

كلام أبي العلاء في هذا الباب على أقسام : قسم يدل على الجبر المحض كقوله :

وَرَدْتُ إلى دَارِ المَصَائبِ مُجْبَراً ... وأصبَحتُ فيها لَيسَ يُعجِبُني النَّقْلُ(١)

وقوله :

وَمَا فَسَدَتْ أخلاقُنَا باختِيَارِنا ... وَلَكِنْ بأمرٍ سَبَّبَتْهُ المَقَادِرُ(٢)

وقسم يقف فيه موقف الشاك ، فيسأل سؤال من لم يتيقن الأمر ، كقوله :

مَا باختِيَاريَ مِيلادِي ولا هَرَمِي ... وَلا حَيَاتي فَهَلْ لي بَعْدُ تَخْيِيرُ(٣)

وَلا إقَامَةَ إلاَّ عَنْ يَدَيْ قَدَرٍ ... وَلا مَسِيرَ إذَا لَمْ يُقْضَ تَسْيِيرُ

• • •

خَرَجتُ إلى ذِي الدَّارِ كَرْهاً وَرِحْلَتي ... إلى غَيْرِها بالرَّغمِ واللهُ شَاهِدُ(٤)

فَهَلْ أنَا فِيما بَيْنَ ذَلِكَ مُجْبَرٌ ... على عَمَلٍ أمْ مُسْتَطِيعٌ فَجَاهِدُ

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ١٩٤ .

(٢) « « ص ١٢٠ .

(٣) « « ص ١٢٤ .

(٤) « « ص ٨٩ . وفيها : « ... فيما بين ذلك مجبر .. »

وقسم ينقل فيه آراء غيره ، ولا يبدي رأيه فيه ، كقوله :

وتَخَالفَ الأهْوَاءُ هَذَا مُدَّعٍ فِعْلاً وآخَرُ دِينُهُ الإجْبَارُ[١]

وقوله :

جَرَى خُلْفٌ وادَّعى المُدَّعو نَ أَنَّا على مَا أرَدْنَا قُدُرْ[٢]

وَقَالَتْ مَعَاشِرُ لا نَسْتَطِيـ ـعُ بَلْ نَحْنُ مِثْلُ الرُّبى والغُدُرْ

وقسم يذكر فيه أنه رأى أدلة وشواهد تدل على الجبر ، ولكنه لايحققه ولا يجزم به ، كقوله :

قَالَتْ مَعَاشِرُ كُلُّ عَاجِزٍ ضَرِعٌ مَا لِلْخَلائِقِ لا بُطْءٌ وَلا سَرَعُ[٣]

مُدَبَّرُونَ فَلاَ عَتْبٌ إِذَا خَطِئُوا عَلى المُسِيءِ وَلاَ حَمْدٌ إذَا بَرَعُوا

وَقَدْ وَجَدْتُ لِهذَا القَوْلِ فِي زَمَنِي شَوَاهِداً وَنَهاني دُونَهُ الوَرَعُ

وقوله :

أرَى شواهِدَ جَبْرٍ لا أُحَقِّقُهُ كَأنَّ كُلاًّ إلى مَا سَاءَ مَجْرُورُ[٤]

وقسم يصرح فيه باعتقاده أنه لايرى رأي المعتزلة ، ولا المرجئة ، ولا الجبرية ، ولا القدرية كقوله :

أرْجُوا أو اعتزِلوا فإنِّـ ـي عَنْ مَقَامِكُمُ بِمَعْزِلْ[٥]

• • •

(١) اللزوميات ھ ص ١٢٩ .

(٢) اللزوميات ھ ص ١٧١ ، وفيها : « مثل الربى والجدر »

(٣) اللزوميات ھ ص ٢٨٢ .

(٤) اللزوميات ھ ص ١٢٣ .

(٥) اللزوميات ھ ص ٢٢٥ . وقوله : أرجوا أو اعتزلوا ، أي كونوا من المرجئة أو المعتزلة .

لا تَعِشْ مُجبِراً ولا قَــدَرِيا     واجتَهِدْ في تَوَسُّطٍ بَيْنَ بَيْنَا[١]

وأصرح أقواله في الدلالة على مذهبه قوله :

وإنْ سَألوا عَنْ مَذْهَبِي فَهوَ خَشْيَةٌ     مِنَ اللهِ لا طَوْقاً أُبَتُّ ولا جَبْرا[٢]

ولم يعين لنا التاريخ زمن كل من هذه الأبيات وأشباهها ، لنجعل المتأخر منها هو الذي استقر عليه رأيه ، ونجعله مذهباً له ؛ لكن البيت الأخير منها يدل على أنه متوسط بين الطوق والجبر ، وهو مذهب أهل السنة كما تقدم . وفي كثير من كلامه ما يدل على أنه لا يرى الجبر ، وأنه يرى في الجبر نسبة الظلم إلى الله تعالى كقوله :

إنْ كانَ مَنْ فَعَلَ الكَبائِرَ مُجْبَراً     فعِقَابُهُ ظُلْمٌ على ما يَفعَلُ[٣]

واللهُ إذْ خَلَقَ المَعادِنَ عالِمٌ     أنَّ الحِدادَ البِيضَ مِنْها تُجْعَلُ

وفي أقواله ما يدل على أنه غير راض بما تكلفه أهل المذاهب والفرق من التأويل والتمحل للوجوه البعيدة ، لكثرة مايعارض أقوالهم من الشواهد والأدلة . ولذلك أنكر على القاضي الباقلاني ، وابن المعلم الذي انتهت إليه رئاسة المتكلمين من الشيعة في عصره ، وعدّ عملها هزلاً فقال :

شَهِدْتُ بِأنَّ ابنَ المُعَلِّمِ هازِلٌ     بِأصْحابِهِ والباقِلانِيُّ أهْزَلُ[٤]

ويتضح لنا مما سبق أن أبا العلاء لا يقول بالجبر على وفق ما تقوله الجبرية الخالصة ، بل يوافق الجبرية المتوسطة . لأنه لم يتيقن الجبر فيما

---

(١) اللزوميات هـ س ٢٢١ .

(٢) اللزوميات هـ س ١٣٦ .

(٣) اللزوميات هـ س ١٩٨ .

(٤) اللزوميات هـ س ١٩٥ .

رآه من الشواهد ، ولأن القول به يفضي إلى نسبة الظلم إلى الله إذا عاقب مرتكب الكبيرة وهو مجبر على ارتكابها .

## الروح

اختلفت كلمة العلماء والحكماء في تعريف الروح ، وذهبوا في ذلك مذاهب متعددة متباينة ؛ فنقل عن الماديين من قدماء الفلاسفة ، أن الروح نار يخمدها الموت ، وهذا الرأي كثير في كلام أبي العلاء مثل قوله :

أَرَى قَبَسًا فِي الجِسْمِ يُطْفِئُهُ الرَّدَى    وَمَا دُمْتَ حَيًّا فَهْوَ ذَا يَتَلَهَّبُ[1]

وقوله :

وَجِسْمِي شَمْعَةٌ وَالنَّفْسُ[2] نَارٌ    إِذَا حَانَ الرَّدَى خَمَدَتْ بِأُفِّ

ونقل عن أفلاطون أن الروح جوهر مجرد ، أهبط إلى هذا البدن ليبتلى فيه ؛ ثم يعود بعد الموت إلى العالم العقلي ، فيعذب أو ينعم بما

---

(١) اللزوميات هـ ص ٣٢ .

(٢) قال ابن الأنباري ، وابن الأعرابي : الروح والنفس واحد ، غير أن العرب تذكر الروح وتؤنث النفس ، وقال صاحب المحكم ، والجوهري : الروح يذكر ويؤنث قال في المصباح : وكأن التأنيث على معنى النفس . وقال أيضا : النفس أنثى إن أريد بها الروح . . وإن أريد الشخص فذكر . وللعلماء أقوال في تعريف الروح وتقسيمه إلى الروح الحيواني والروح الإنساني ؛ وفي كونه جوهراً أو عرضاً أو غيرهما ، وفي قدمه وحدوثه ، وانتقاله إلى جسم آخر . وكذلك لهم أقوال في النفس ، وتقسيمها إلى حيوانية وروحانية وغيرهما ، واختلاف في قدمها وحدوثها . وتجد توضيحاً لذلك في ( التعريفات للسيد الشريف ص ٧٧ وص ١٦٧ ) وفي ( الكليات لأبي البقاء ص ١٩٣ و ص ٣٠٨ ) وغيرهما من كتب الكلام والحكمة . ومن نظر في أقوال الحكماء والعلماء المتعلقة بالروح ودخل بحرها من الشك والحيرة ، خرج بخاطير مقنطرة منها . (ج) وانظر اللزوميات هـ ص ٢٩٥ .

بقي فيه من تذكر ما كان له في الحياة من إساءة وإحسان . ومن هذا الرأي كثير في شعر المعري كقوله :

وَقَدْ زَعَمُوا هَذِي النُّفُوسَ بَوَاقِياً ... تُشَكَّلُ فِي أَجْسَامِهَا وتُهَذَّبُ[1]

وَتُنْقَلُ مِنْهَا فَالسَّعِيدُ مُكَرَّمٌ ... بِمَا هُوَ لاَقٍ وَالشَّقِيُّ مُشَذَّبُ

وقوله :

تَصَعَّدَ الجَوْهَرُ العَالِي وَخَلَّفَنَا ... فِي الأَرْضِ كَثْرَةَ أَوْسَاخٍ وَأَدْنَاسِ[2]

وقوله :

إِنْ مَاتَ جِسْمٌ فَهَذِي الأَرْضُ تَحْزُنُهُ

وَإِنْ نَأَتْ عَنْهُ رُوحٌ فَهِيَ بِالفَلَكِ[3]

وذهب أكثر المتكلمين إلى أن الروح جسم لطيف ، سارٍ في البدن سريان ماء الورد في الورد ، والنار في الفحم .

ومنهم من جعل الروح قسمين : الروح الحيواني ، وهو جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني ، وينتشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن . والروح الإنساني ، وهو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان ، الراكبة على الروح الحيواني . وهو نازل من عالم الأمر ، تعجز العقول عن إدراك كنهه . ومنهم من قال غير ذلك .

---

(١) اللزوميات ١ ص ٣١ .

(٢) » » ص ٣٠٠ وفيها : « ... الجوهر الصافي ... » .

(٣) » » ص ١٨٩ .

وفي كلام أبي العلاء ما يشعر بأنه يرى رأي المتكلمين كقوله :

الرُّوحُ شيءٌ لَطِيفٌ لَيسَ يُدرِكُهُ عَقلٌ ويَسكُنُ مِن جِسمِ الفَتَى حَرَجا[١]

وأنهم اختلفوا في أنها حادثة أو قديمة ، واتفقوا على أنها لا تفنى . واختلفوا في انتقالها بعد مفارقة البدن .

وأبو العلاء اطلع على هذه الآراء ، ولم يقتصر على واحد منها ، ولا اتخذ لنفسه رأياً خاصاً ؛ وإنما نهز مع كل قوم بدلوهم ، وأخذ من كل شجرة زهرة ، وزاد عليهم بما أورده في كلامه الآتي من صور الشكوك والتناقض ، فإنه تارة يجعل الفضل للروح ، ولا يجعل للجسد شأناً ، لأنه ظرف فيقول :

كأنما أنتِ الجِسمُ الذي هو صُورةٌ لَكِ في الحَياةِ فحاذِري أن تُخدَعي[٢]

لا فَضلَ للقَدَحِ الذي استَودَعتَهُ ضَرَباً ولكِن فَضلُهُ للمُودَعِ[٣]

وقد يعطف على الجسم فيجعل الروح مصدراً امنانه ، وشقائه ، وسقامه ، وفراقها عافية له فيقول :

أعاتِبَةٌ جَسَدي رُوحُهُ وَمَا زَالَ يَخدُمُ حتى وَنَى[٤]

وَقَدْ كَلَّفتهُ أَعَاجِيبَها فَطَوراً فُرَادَى وطَوراً ثُنَا

يُنَافي ابنُ آدمَ طَبعَ الغُصُونِ فَهَاتِيكَ أَجنَتْ وَهذا جَنَى

---

(١) الزوميات ٥ ص ٧٥ ، وفيها : « والروح فيه . . . » .

(٢) اللزوميات ٥ ص ٢٨٨ .

(٣) الضرَب : العسل .

(٤) الزوميات ٥ ص ٣٠ .

ويقول :

يَا رُوحُ كَمْ تحمِلِينَ الجِسْمَ لاهِيَةً ... أبلَيْتِهِ فاطْرَحِيهِ طَالَمَا لَبِسَا [١]

ويقول :

وَمَسْكِنُ الرُّوحِ فِي الجُسْمانِ أسقَمَهُ ... وَبَيْنُها عَنْهُ مِنْ سُقْمٍ يُعَافِيهِ [٢]

وتارة يجعلها سبباً لفنائه فيقول :

وَلوْ سَكَنَتْ جِبَالَ الأرْضِ رُوحٌ ... لَمَا خَلَدَتْ نَضَادِ ولاَ أرَابُ [٣]

• • •

لَوْ تَسلُكُ الرُّوحُ فِي الأجْبَالِ عَالِمَةً ... كَعِلْمِنَا هَدَمَتْها كَثْرَةُ الرَّعْدِ [٤]

وقد يعطف على الروح فيجعل الجسم سبباً في أذاها فيقول :

تَجاوَرَ هَذَا الجِسْمُ والرُّوحُ بُرْهَةً ... فَمَا بَرِحَتْ تأْذَى بِذَاكَ وَتَصْدَأُ [٥]

• • •

مَازَالَتِ الرُّوحُ قَبْلَ اليَوْمِ فِي دَعَةٍ ... حَتَّى اسْتَقَرَّتْ بِحُكْمِ اللهِ فِي الجَسَدِ [٦]

فالآنَ تِلْكَ وَهَذَا مِنْ قَذًى وأذًى ... لاَ يُخْلِيَانِكَ بَلْهَ الغِلَّ والحَسَدِ

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢٩٦ .

(٢) « « ص ٣٤٠ ، وفيها : « ... الروح في الجثمان ...

(٣) « « ص ٣٤ ، ونضاد : جبل بالعالية ، وأراب مثلثة الهمزة : موضع أو ماء .

(٤) « « ص ١٠٩ .

(٥) « « ص ٢١ .

(٦) « « ص ١٠٨ .

وربما جعله سجناً ضيقاً لها :

رُبَّ رُوحٍ كَطَائِرِ القَفَصِ المَسْـجُونِ تَرْجُو بِمَوْتِها التَّسْرِيحَا [1]

• • •

يَا نَفْسُ يَا طَائِراً فِي سِجْنِ مَمْلَكَةٍ لَتُصْبِحَنَّ بِحَمْدِ اللهِ مَسْرُوحَا [2]

وقد تقدم قوله :

. . . . . . . . وكَوْنِ الرُّوحِ فِي الجَسَدِ الخَبِيثِ [3]

وربما جعل الموت فرجاً لها لخلاصها من الجسم الضيق ، فهي بسبب الموت :

تَرْجُو انْفِساحاً وكَمْ لِلْمَاءِ مِنْ جِهَةٍ إِذَا تَخَلَّصَ مِنْ ضِيقِ الأَنَابِيبِ [4]

وأحياناً يجعل اتصال الروح بالجسد سبباً لعنائها ونقمتها ، من غير أن يسند ذلك إلى واحد منهما فيقول :

الجِسْمُ والرُّوحُ مِنْ قَبْلِ اجْتِمَاعِهِما كَانَا وَدِيعَيْنِ لَا هَمّاً وَلَا سَقَمَا [5]

تَفَرُّدُ الشَّيْءِ خَيْرٌ مِنْ تَأَلُّفِهِ بِغَيْرِهِ وتَجُرُّ الأُلْفَةُ النِّقَمَا

ويقول :

إِذَا وُصِلَتْ بِالجِسْمِ رُوحٌ فَإِنَّهَا وَجِسْمَانَهَا تَصْلَى الشَّدَائِدَ والضُّرَّا [6]

---

(١) اللزوميات هـ ص ٨٤ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٨٤ . وفيها : « ... في سجن مالكه ... » .

(٣) عجز بيت صدره : « لفقدي ناظري ولزوم بيتي » اللزوميات هـ ص ٧٢ .

(٤) اللزوميات هـ ص ٥٠ .

(٥) اللزوميات هـ ص ٢٤١ .

(٦) اللزوميات هـ ص ١٣٧ .

وقد يجعل فراق الروح للجسد نعمة عليها وعلى الجسد :

وفي الحَيَوانِ شِرْكٌ بينَ أرضٍ وَجَوٍّ سوفَ يُدرِكُهُ انقِسَامُ[١]

فِراقُ الرُّوحِ هذا الجِسْمَ فيهِ على نَوعَيْهِما نِعَمٌ جِسَامُ

ولا يعتقد أن الروح يصحبها العقل إذا انفردت عن الجسم ، ولا يجزم ببقاء الحس فيها بعد انفصالها عنه ، ولذلك يقول :

قَدْ قِيلَ : إنَّ الرُّوحَ تأْسَفُ بَعْدَمَا

تَنْــأى عَنِ الجَسَدِ الذي غَنِيَتْ بِهِ[٢]

إنْ كانَ يَصْحَبُها الحِجَى فَلَعَلَّها تَدْرِي وَتَأْبَهُ لِلزَّمانِ وَعَتْبِهِ

أوْلاَ فَكَمْ هَذَيانِ قَوْمٍ غابِرٍ في الكُتْبِ ضاعَ مِدادُهُ في كَتْبِهِ

ويقول :

لاَ حِسَّ لِلجِسْمِ بَعْدَ الرُّوحِ نَعلَمُهُ فَهَلْ تُحِسُّ إذا بانَتْ عَنِ الجَسَدِ[٣]

ويقول :

سُبْحانَ رَبِّكَ هَلْ يَبقَى الرَّشادُ لَهُ وَهَلْ يُحِسُّ بما يَلْقَى إذا خَرَجا[٤]

---

(١) اللزوميات ٢ ص ٢٣٤ .

(٢) « « ص ٥١ .

(٣) « « ص ١٠٨ .

(٤) « « ص ٧٦ .

وقد يناقض قوله في الأمر الواحد؛ فتارة يجزم بأنَّ الروح تصعد إلى الفلك بعد فراق الجسم فيقول :

ألاَ إنَّ أيامَ الفِراقِ حُتُومُ يُفرِّقُ بينَ الشخصِ والرُّوحِ حادِثٌ[١]

نُفُوسٌ وتبْقَى في التُّرابِ جُسُومُ إلى العالَمِ العُلْوِيِّ تُزْمِعُ رِحلَةً

وتارة يشك في مقرها الذي تصير اليه فيقول :

وفي التُّرابِ لَعَمْري يُرْفَتُ الجسَدُ والرُّوحُ تَنْأى فلا يُدرَى بِمَوْضِعِها[٢]

• • •

وَلَمْ يَدْرِ دارٍ أينَ تَذْهَبُ روحُها وأَوْصالُ جِسْمٍ للترابِ مَآلُها[٣]

وفي كلامه ما يدل على أنه يشك في بقائها، كقوله :

للمَوْتِ عَنِّي فأجْدِرْ أنْ ترى عَجَبَا إنْ يَصْحَبِ الرُّوحَ عَقْلِي بعدَ مَظْعَنِها[٤]

هَلاكَ جِسْمِيَ في تُرْبي فَوَا شَجَبَا وإنْ مَضَتْ في الهَواءِ الرَّحْبِ هالِكَةً

وأحياناً ينقل قول غيره ولا يبدي فيه رأياً كقوله :

وَعِنْدَ قَومٍ تَرَقَّى في السَّمواتِ والرُّوحُ أرْضِيَّةٌ في رأيِ طائِفَةٍ[٥]

فيهِ إلى دارِ نُعْمَى أو شَقاوَاتِ تَمْضِي على هَيْئَةِ الشخصِ الذي سكَنَتْ

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢٣١ .

(٢) « « ص ٩٢ ، ورفته : دقه وكسره .

(٣) « « ص ٨١ .

(٤) « « ص ٣٩ .

(٥) « « ص ٦٧ .

وقوله :

قَالَتْ مَعَاشِرُ يَبْقَى عِنْدَ جُثَّتِهِ ... وَقَالَ نَاسٌ إِذَا لاقَى الرَّدَى عَرَجَا[١]

والباحث في كلامه في الروح يجد مذاهب متعددة وآراء مختلفة ؛ وإذا محصها تبين له منها أن أبا العلاء لا يجزم بشيء منها ، يدل على ذلك قوله :

بُنُونَ كَآبَاءٍ وَقَدْ بَرِحَ الرَّدَى ... بِضَبٍّ عَلَى عِلاَّتِهِ وَبِنُونِ[٢]

دَفَنَّاهُمُ في الأَرْضِ دَفْنَ تَيَقُّنٍ ... وَلاَ عِلْمَ بِالأَرْوَاحِ غَيْرَ ظُنُونِ

وَرَوْمُ الفَتَى مَا قَدْ طَوَى اللهُ عِلْمَهُ ... يُعَدُّ جُنُوناً أو شَبِيهَ جُنُونِ

وإنما كان يعرض له المعنى فينظمه في شعره . وهو لا يريد إثبات قضية علمية ، ولا تقرير عقيدة دينية ، أو مذهب في الروح . والذي يظهر أن مذهبه فيها الجهل بحقيقتها ، والعجز عن ادراك كنهها . وهذا مذهب الجمهور من المسلمين . قال السيد الشريف في ( التعريفات ص ٧٧ ) : « الروح الأعظم الذي هو الروح الإنساني ، مظهر الذات الإلهية من حيث ربوبيتها ولذلك لا يمكن أن يحوم حولها حائم ، ولا يروم وصلها رائم ، لا يعلم كنهها إلا الله ... » ثم ذكر ماله من المظاهر والأسماء في العالم الكبير ، والعالم الصغير الإنساني فراجعه فإنه مفيد .

ولهذا السبب نرى صوراً مختلفة في كلام أبي العلاء ، كقوله السابق :

. . . . . . . . . . ... وَلاَ عِلْمَ بِالأَرْوَاحِ غَيْرَ ظُنُونِ

---

(١) اللزوميات « ص ٧٦ . وعرج : ارتقى .
(٢) « « ٢٧٤ . والنون : الحوت .

وقوله :

أرْواحُنَا مَعَنَا وَلَيْسَ لَنَا بِهَا عِلْمٌ فكَيْفَ إذَا حوَتْها الأقْبُرُ[١]

وله كثير من الأبيات ، يذكر فيها مفارقة الروح البدن ، وأن ذلك أمر لا بد منه ، وأنها لا تعود إليه في الدنيا كقوله :

وَهَلْ أرْواحُ هَذِي الخَلْقِ إلاَّ عَوارِيُّ المَقَادِرِ لاَ الهِبَاتُ[٢]

وقوله :

وأرْواحُنَا كالرَّاحِ إنْ طالَ حَبْسُهَا فَلا بُدَّ يوْماً أنْ يَكُونَ سِبَاؤهُ[٣]

وقوله :

إذَا نَفَرَتْ نَفْسٌ عَنِ الجِسْمِ لَمْ تَعُدْ إليْهِ فَأبْعِدْ بالذي فَعَلَتْ نَفْرا[٤]

وقوله :

وَرُوحُ الفَتَى أشْبَهَتْ طَائِراً أُطِيرَ فَمَا عَادَ لَمَّا نَفَرْ[٥]

وهذا يدل على أنه في الكلام على الروح ذهب مذهب الأدباء في تخير المعاني ، من غير نظر الى مطابقتها لعقيدته أو عدمها . ولم يذهب مذهب العلماء في تقرير عقائدهم وتأييدها . وبهذا القدر يظهر أن ليس له عقيدة ثابتة في الروح ؛ وإنما جمع في كلامه أقوال من تقدمه ، فأفرغها في قوالب

---

(١) اللزوميات هـ س ١٢٦ .

(٢) » » س ٥٩ وفيها : « وهل أرواح هذا الخلق ... » .

(٣) » » س ٢٠ وفيها : « ... يوماً أن تكون ... » .

(٤) » » س ١٣٦ .

(٥) » » س ١٧٠ .

جميلة ، واستعملها في أغراض مختلفة ، فأحكم استعمالها . فمثله في ذلك مثل من دخل حديقة ، فاختار من أفضل شجرها أحسن زهرها ، ثم ألف من ذلك طاقة أحكم صنعها ، فهي طيبة الرائحة ، جميلة الرواء ، جامعة لما تفرق .

ولا تكاد ترى له قولاً في هذا الباب ابتعد فيه عن الشك ، ووقف موقف الجزم الا في أمرين :

الأول : مفارقة الروح الجسد ، وعدم عودتها اليه في الدنيا .

والثاني : خلو الجسد من الحس بعد مفارقة الروح .

فهذان الأمران تجد كلامه فيهما كلام جازم غير شاك ولا متردد ، فمن الأول قوله :

لاَ بُدَّ للرُّوحِ أنْ تَنأى عَنِ الجَسَدِ ... فَلاَ تُخَيِّمَ عَلى الأضْغَانِ والحَسَدِ [1]

ومن الثاني قوله :

لَوْ شُكَّ بالطَّعْنِ مَيْتٌ لَمْ يَجِدْ أَلَماً ... فالرُّمْحُ فيهِ كإشْفَى الخَرْزِ في الأَدَمِ [2]

سِيَّانِ إلباسُهُ مَا لاَنَ مِنْ كَفَنٍ ... وَطَرْحُهُ في لَظًى لِلنَّارِ مُحْتَدِمِ

وقد أيد هذا في ( الفصول والغايات ) حيث قال في ( ص ١٨ ) : « الجَسَدُ بعدَ فراقِ الرُّوحِ كما قُصٍّ مِنْ يَدِكَ ، وقُصِّرَ مِنْ فَوْدِكَ ، اذا أُلقِيَ قَسيطُ [3] في النارِ لم تُبَالِهِ ، واذا غُرِّقَ قَليلٌ [4] في

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ١٠٨ .

(٢) « » ص ٢٤٧ . والإشفى : المثقب والمخرز .

(٣) القسيط : قلامة الظفر . (ج) .

(٤) القليل : الشعر المجتمع . (ج) .

الثلج فكذلك ؛ هكذا يقول المعقول » . ولكنه قال بعد ذلك : « ولله نظر في العالم دقيق ، لا يمتنع أن يكون جسد الصالح إذا قبر في نعيم ، وجسد الكافر في عذاب أليم ، لا يعلم به الزائرون » .

ومن مجموع ما تقدم يظهر لنا أن أبا العلاء لم يكن يرى رأي الماديين في الروح ولا رأي أفلاطون ؛ وأنه لا يشك في البعث خلافاً لما زعمه صاحب ( الذكرى ) في ( تجديده ص ٢٨٥ و ٤٨٧ ) .

## تكريم الجسم بعد الموت

وعلى ذكر الجسم وحسه رأينا أن نذكر هنا رأي أبي العلاء في تكريم الجسم بعد موته ، وفي الأكفان والتوابيت . وقد تقدم أنه يعتقد عدم حس الجسم بعد مفارقة الروح ، ولذلك لم يحفل أين يوضع جسمه بعد موته :

إِذَا مِتُّ لَمْ أَحْفِلْ أَبِالشَّامِ حُفْرَةٌ　　حَوَتْنِي أَمْ رَيْمٌ بِرَيْمَانَ مُنْهَالُ[1]

ولا يبالي أي عمل عمل به ، لأن مآل هذا الجسم أن يصير هباء وهو لا يشعر بتكريم مكرم ولا إهانة مهين :

تُكَرَّمُ أَوْصَالُ الفَتَى بَعْدَ مَوْتِهِ　　وَهُنَّ إِذَا طَالَ الزَّمَانُ هَبَاءُ[2]

• • •

وَمَنْ ضَمَّهُ جَدَثٌ لَمْ يُبَلْ　　عَلَى مَا أَفَادَ وَلاَ مَا اقْتَنَى[3]

يَصِيرُ تُرَاباً سَوَاءٌ عَلَيْـ　　ـهِ مَسُّ الحَرِيرِ وَطَعْنُ القَنَا

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٧٢٦ ، والريم : القبر وريمان : اسم جبل ، والمنهال : الذي يتساقط ترابه ولا يتماسك .

(٢) اللزوميات ١ ص ٢٠ .

(٣) « « ص ٣٠ .

وَشُرْبُ الفَنَاه بِحُضْرِ الفِرِنْدِ ... كَأَنَّ عَلى آسِهِنَّ الفَنَا[1]

وَلا يَزْدَهِي غَضَبٌ حِلْمَهُ ... أَلَقَبَهُ ذَاكِرٌ أَمْ كَنَى[2]

• • •

طَأْ بِالحَوَافِرِ قَتْلَى في مَصَارِعِها ... فَالجِسْمُ بَعْدَ فِرَاقِ الرُّوحِ كَالمَدَرِ[3]

ويعتقد أن الأرض لا تشعر بما دفن فيها ، ولا تفرق بين كبير وصغير ، ولا عظيم وحقير ، بل كل حي عندها سواء :

إِذَا مِتُّ لَمْ أَحْفِلْ بِمَا اللهُ صَانِعٌ ... إِلى الأَرْضِ مِنْ جَدْبٍ وَسَقْيِ غُيُوثِ[4]

وما تَشْعُرُ الغَبْرَاءُ مَاذا تُجِنُّهُ ... أَأَعْظُمُ ضَأْنٍ أَمْ عِظَامُ لُيُوثِ

**الأكفان**

وإذا كان يعتقد أن الجسم لا يحس بشيء بعد موته ، ولا يفرق بين الحرير وطعن القنا ، ولا يشعر بغيره من الموتى ، كما لا يشعر به غيره منهم ، ولا تشعر الأرض بما دفن فيها ؛ فإن الميت يكفيه ما يستره من الأكفان . وما درج عليه الناس من التنافس في الأكفان والطيب ، لا يستفيد منه الميت ، وإنما هو تجمل للأحياء ، ومنافسة للفقراء ، واسمع إلى قوله :

كَأَنَّمَا الأَجْسَادُ إِنْ فَارَقَتْ ... أَرْوَاحَهَا صَخْرٌ ثَوَى أَوْ خَشَبْ[5]

وَمَا دَرَى المَيْتُ أَأَكْفَانُهُ ... مُخلِقَةٌ في رَمْسِهِ أَمْ قُشُبْ

---

(١) الفرند : السيف أو وشيه . والآس : شجر ، أو القبر ، أو آثار الدار . والقنا : عنب الثعلب .

(٢) يزدهي : يستخف ويستميل .

(٣) اللزوميات ﻫ ص ١٤٩ .

(٤) « « ص ٧٢ .

(٥) « « ص ٥٦ . وفيها : « ... الميت أكفانه .. »

وقوله :

لَوْلاَ التَّجَمُّلُ سِرْنَا في تَرَحُّلِنا ... كَمَا وَرَدْنا بِلا طِيبٍ وَلا كَفَنِ [1]

إنَّ اللِّبَاسَ وعِطْراً أنْتَ بَائِعُهُ ... لَيْسَا لِمَدْفُونِ مَوْتَانا بَلِ الدُّفُنِ

جَاءَ الوَلِيدُ مُعَرًّى لا خُيُوطَ لَهُ ... فَمَا الفَضِيلَةُ بَيْنَ الطِّفْلِ واليَفَنِ

## التوابيت

وإذا كان يعتقد في الأكفان أنها نوع من السرف الذي لا يستفيد منه الميت ولا الحي ، فبالأولى أن يعتقد أن التوابيت التي هي قبور في قبور ضرب من الإسراف الذي لا يستفيد منه الميت شيئاً ، ولا يستفيد الحي إلا مباهاة الفقير فيما لا يساوي نقيراً ولا قطميرا عند الله وعند العقل . ولذلك نهى عن اتخاذها بقوله :

ادْفِنْ أخَا المُلْكِ دَفْنَ المَرْءِ مُفْتَقِراً ... مَا كَانَ يَمْلِكُ مِنْ بَيْتٍ ولا بِيتِ [2]

إنَّ التَّوابيتَ أجْدَاثٌ مُكَرَّرَةٌ ... فَجَنِّبِ القَوْمَ سَجْناً في التَّوابِيتِ

وَارْدُدْ إلى الأمِّ شَبْحاً طَالَ مَعْهَدُها ... بِضَمِّهِ وَهْيَ لاَ تُرْجَى لِتَرْبِيتِ

وأصل الجسم من تراب ، فإذا رد إلى أصله أنس به :

قَدْ يَسَّرُوا لِدَفِينٍ حَانَ مَصْرَعُهُ ... بَيْتاً مِنَ الخُشْبِ لَمْ يُرْفَعْ وَلاَ رُحِبَا [3]

---

(١) اللزوميات هـ س ٢٧٥ . والدفن : مفردها دفان كسحاب وهي البئر التي اندفن بعضها ، ويريد منها أبو العلاء القبر . واليفن : الشيخ الكبير .

(٢) يقال : ماله بيت ليلة ، أي قوت ليلة . (ج) اللزوميات هـ س ٦٦ . والأم في البيت الثالث : يريد بها الأرض . والشبح : محركا وبسكن الشخص . والتربيت : التربية .

(٣) اللزوميات هـ س ٤٠ .

يَا هَؤلاء اتركُوهُ والثرى فَلَهُ أُنسٌ بِهِ وَهوَ أولى صَاحِبٍ صُحِبا
وَإنّما الجِسْمُ تُرْبٌ خيرُ حالَتِهِ سُقيًا الغَمائمِ فاستَسقُوا لَهُ السُّحبا

وقد ذكرنا أن أبا العلاء استحسن مذهب الهند في تحريق الموتى ، لأن النار أطيب غبا من الكافور الذي يحمل لموتانا ، وأذهب للنكراء والريح . والمسلمون متفقون على أن الميت يكفن بثلاثة أثواب ، إلا عند الضرورة ، ويطيب بالحنوط والكافور . وقد نهوا عن المغالاة في الأكفان . والجمهور منهم لا يستحسنون التوابيت الا لضرورة . وظاهر قول أبي العلاء يشير الى أن اللباس والطيب لا حاجة اليها ، إذ لا يستفيد الميت منها فتأمل .

## حسّ النبات والجماد

قدمنا من أقوال أبي العلاء ما يدل على آرائه في حسّ الكواكب ، وحس الجسم بعد فراق الروح ؛ ورأينا من المفيد أن نلحق بذلك ما يراه في حسّ النبات والجماد تتميا للبحث . أما النبات والجماد فكلامه فيها غير مطّرد ، لأنه أثبت لها نفوساً في مثل قوله :

في التربِ والصخرِ والثمارِ وفي الـسماءِ نُفُوسٌ صَاغَها القَـدَرُ[1]
فَصَادِرٌ لا وُرُودَ يُدرِكُهُ وَوَارِدٌ لا يَنَالُهُ صَـدَرُ

وهذا إنما يصح إذا أريد بالنفوس الأرواح ، أما إذا أريد بها الحيوان فلا شاهد فيه ، وشك في إثبات الحس لها مرة أخرى في مثل قوله :

أرَى النّبتَ أولَى أنْ يُحِسّ بِحَطمِهِ إذا زَعَمُوا أنّ الصُّخورَ تألّمُ[2]

---

(١) اللزوميات ه ص ١٣٥ ، وفيها : « ... نفوس يصوغها القدر »
(٢) « « ص ٢٢٩ .

ونفاه عن الجماد في مواطن أخرى ، وعد ذلك فضيلة له كما في قوله :

وِمِنَ الفَضِيلَةِ لِلجَوَامِدِ أنّها     لاَ حِسَّ يُدْرِكُها ولا أوْطَارُ[1]

وقوله :

عَزَّ الذي أغنَى الجمادَ فَمَا تَرى     حَجَراً يَغَصُّ بِمأكَلٍ أوْ يَشْرَقُ[2]

مُتَعَرِّياً في صَيْفِهِ وشِتَائِهِ     مَا رِيعَ قطُّ لِلُبسٍ يَتَخَرَّقُ

. . . . .

لاحِسَّ يُؤْلِمُهُ فَيُظهِرَ جَزَعاً     إنْ رَاحَ يَضرِبُ مِلْطَسٌ أو مِطْرَقُ

. . . . .

تَمَنَّيْتُ أنّي مِنْ هِضَابِ يَلَمْلَمٍ     إذا مَا أتَاني الرُّزْءُ لَمْ أتَلَمْلَمِ[3]

ونفاه عنها في مواطن أخرى كقوله :

أمّا الجمادُ فإنّي بِتُّ أغْبِطُهُ     إذْ لَيسَ يَعلَمُ إمّا زَادَ أوْ مُحِقَا[4]

لا يَشعُرُ العُودُ بالنّارِ التي أخَذَتْ     فِيهِ ولاَ الأصْهَبُ الدّاريُّ إذْ سُحِقَا

ومن الجيد في هذا الباب قوله في ( سقط الزند ) :

وَلَوْ طَرِبَ الجَمَادُ لَكَانَ أوْلَى     شُرُوبِ الرَّاحِ بِالطَّرَبِ الدِّنَانُ[5]

وأكثر أقواله وأصرحها يدل على أنه ينفي الحس عنها .

---

(١) اللزوميات ﻫ س ١٢٨ . وفيها : « ... لاحس يلبسها ... » .

(٢) « « س ٣٠١ والملطس : حجر عريض وقد يسمى به خف البعير . والمطرق : آلة من حديد يطرق بها .

(٣) اللزوميات ﻫ س ٢٤٤ ويلملم : جبل من جبال تهامة .

(٤) اللزوميات ﻫ س ٣٠٤ وفيها : « الداري إذا سحقا » . وأراد بالأصهب الداري : المسك ، وأصل الأصهب ما فيه حمرة أو شقرة ، والداري نسبة الى دارين فرضة في البحرين يحمل اليها المسك من الهند .

(٥) شروح سقط الزند : ق ١ س ١٩١ . والشروب : القوم يشربون .

# التناسخ

قال أبو البقاء الكفوي في ( الكليات ص ١٩٣ ) : « اتفق العقلاء على أن الأرواح بعد مفارقة الأبدان تنتقل إلى جسم آخر ، لحديث : إن أرواح المؤمنين في أجواف طير خضر[1] ... لكن اختلفوا في أنها هل تكون مدبرة لذلك الجسم أو لا ؟ فذهب علماؤنا إلى صحة ذلك بدليل آخر الحديث ، وقالت الحكماء : لا يصح أن تكون مدبرة لتلك الأبدان ، وإلا لكان تناسخاً ، وهو باطل . ووافق محققو الصوفية العلماء ، ومنعوا لزوم التناسخ ؛ لأن لزومه على تقدير عدم عودها إلى جسم نفسها الذي كانت فيه . والعَوْدُ حاصل في النشأة الجنانية . وإنما هذا التعلق في النشأة البرزخية » : وقال في ( ص ١٢٥ ) : « والتناسخ المحال تعلق بدن ببدن آخر ، لا يكون مخلوقاً من أجزاء بدنه ، ولا يكون عين البدن الأول شرعاً وعرفاً » ثم قال : « وتعلّق النفوس بأبدان أخرى في الدنيا محكيٌّ عن كثير من الفلاسفة . والنصوص القاطعة من الكتاب والسنة ناطقة بخلافها ؛ والعقل لا يدل على امتناع التناسخ ، ولكن يحكم بأنه لو كان واقعاً لتذكرت نفس ما أحوالاً مضت عليها في البدن السابق ، والقول بالمعاد ينفيه » . وفي ( فيض القدير ج ٢ ص ٤٢٢ ) شيء مما تقدم .

---

(١) هذا الحديث ، رواه الترمذي هكذا : « ان أرواح الشهداء في طير خضر تعلُق من ثمر الجنة » كما في ( الجامع الصغير للسيوطي ) ورواه المنذري في ( الترغيب والترهيب ) عن الترمذي هكذا : « ان أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تعلق من ثمر الجنة أو من شجر الجنة » . وفي ( النهاية ) تعلق من ثمار أي تأكل .. وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ، وقال الهيثمي : وفيه محمد بن اسحق وهو مدلس ، وبقية رجاله رجال الصحيح . وذهب بعض العلماء إلى أن هذا خاص بالشهداء (ع) .

وقال السيد الشريف : « التناسخ : هو عبارة عن تعلق الروح بالبدن بعد المفارقة من بدن آخر من غير تخلل زمان بين التعلقين للتعشق الذاتي بين الروح والجسد » .

وأهل هذا المذهب – التناسخ – يسمون تعلق روح الإنسان ببدن إنسان آخر : نسخاً ؛ وببدن حيوان آخر : مسخاً ؛ وبجسم نباتي : فسخاً ؛ وبجسم جمادي : رَسْخاً ، بناء على أن الأرواح المفارقة للأبدان باقية ومتناهية ، والدورات الماضية غير متناهية بناء على قدم العالم ؛ والأبدان الماضية أيضا غير متناهية لأنها نتائجها . فإذا قسمت على الأبدان يصل بكل منها نفس واحدة .

ويظهر من أقوال أبي العلاء أنه درس هذا المذهب درساً وافياً ، واطلع على آراء أهله ؛ ووقف على كثير من أخبارهم ومزاعمهم . وأنه لم يره مذهبا صحيحا ولا عقيدة مرضية ؛ ولذلك ذم أصحابه ، وشنع عليهم آراءهم ، واستخف بهم غاية الاستخفاف . ولا شك في أنه كان يعلم ذلك قبل ذهابه إلى بغداد ، فقد ذكره في قصيدة أجاب بها أبا ابراهيم موسى بن إسحق فقال :

وَلَوْ صَحَّ التَّنَاسُخُ كُنْتَ مُوسَى    وكَانَ أُبوكَ إسْحَقَ الذَّبِيحَا[1]

وهي في ( سقط الزند ) وذكر في ( رسالة الغفران ) مذهب الحلولية ثم قال في ( ص ١٥٢ )[2] : « وتؤدي هذه النحلة إلى التناسخ ، وهو

---

(١) البيت من قصيدة أجاب بها الشريف أبا ابراهيم العلوي من قصيدة أولها :

ألاح وقد رأى برقاً مليحاً    سرى فأتى الحمى نضواً طليحاً

انظر شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٣٧ ، ٢٧٦ وفيها : « فلو صح . » .

(٢) الغفران ط أمين هندية ، وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطيء ط ١ ص ٣٩٧ – ٨ .

مذهب عتيق ، يقول به أهل الهند ، وقد كثر في جماعة من الشيعة[١] نسأل الله التوفيق والكفاية ؛ ويُنشد لرجل من النُّصَيْرية :

اِعْجَبِي أُمَّنَا لِصَرْفِ اللَّيَالي جُعِلَتْ أُخْتُنَا سُكَيْنَةُ فَارَهْ

فَازْجُرِي هَذِهِ السَّنَانِيرَ عَنْهَا وَاتْرُكِيها وَمَا تَضُمُّ الغِرَارَهْ

وقال آخر منهم :

تَبَارَكَ اللهُ كَاشِفُ المِحَنِ فَقَدْ أرَانَا عَجَائِبَ الزَّمَنِ

حِمَارُ شَيْبَانَ شَيْخِ بَلْدَتِنَا صُيِّرَهُ جَارُنَا أبو السَّكَنِ

بُدِّلَ مِنْ مَشْيِهِ بِحِلْيَتِهِ مِشْيَتَهُ في الحِزَامِ والرَّسَنِ

ويصور لهم الرأيُ الفاسد أبَاجِيرَ[٢] ومُشْبِهات ؛ فيسلكون في تُغلُّس[٣] وفي التُّرهات » . ثم قال في ( ص ١٥٧ )[٤] : « والحلولية قريبةٌ من مذهب التناسخ . وحدِّثتُ عن رجل من رؤساء المنجمين من أهل حرّان أقام في بلدنا زمانا ؛ فخرج مرة مع قوم يتنزهون ؛ فمرُّوا بثور يكرُبُ فقال لأصحابه : لا أشك في أن هذا الثور رجل كان يعرف بخَلَفٍ بحرّان ، وجعل يصيح به : يا خلف ، فيتفق أن يخور ذلك

---

(١) كالجناحية وهم أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين ، فإنهم قالوا : الأرواح تتناسخ فكان روح الله في آدم ، ثم في شيث ، ثم في الأنبياء والأئمة حتى انتهت إلى علي وأولاده الثلاثة ، ثم إلى عبد الله هذا (ج)

(٢) الأباجير : الدواهي والأمور العظام ، وأصل بجر عظيم جمعه أباجير . (ج)

(٣) يقال : وقع في وادي تُغُلِّس ، وتُغَلِّس : أي الداهية والباطل . (ج)

(٤) وانظر الغفران لمحقق بنت الشاطئ، ص ٤٠٩ — ٤١٠ .

الثور ، فيقول لأصحابه : ألا ترون إلى صحة ما أخبرتكم [١] به ؟ » ثم قال : « وحكي [ لي ] عن رجل آخر ممن يقول بالتناسخ ، أنه قال : رأيت في النوم أبي وهو يقول : أبني : إن روحي قد نقلت إلى جمل أعور في قطار فلان ، وإني قد اشتهيت بطيخة ؛ قال : فأخذت بطيخة ؛ وسألت عن ذلك القطار ، فوجدت فيه جملا أعور ؛ فدنوت منه بالبطيخة ، فأخذها أخذ مريد مشته . أفلا يرى مولاي الشيخ إلى ما رمي به هذا البشر من سوء التمييز ، وتحيزهم إلى ما يمتنع من التحييز ؟ » .

وأشار في ( لزوم مالا يلزم ) إلى أنواع من التناسخ بقوله :

وَقَالَ بِأَحْكَامِ التَّنَاسُخِ مَعْشَرٌ غَلَوا فَأَجَازُوا الفَسْخَ فِي ذَاكَ والرَّسْخَا [٢]

وقد صرح برفض هذا المذهب وما يزعمه أهله ، فقال على سبيل الجد :

يَقُولونَ: إنَّ الجِسْمَ يَنقُلُ رُوحَهُ إلى غَيْرِهِ حَتَّى يُهَذِّبَها النَّقْلُ [٣]

فَلاَ تَقْبَلَنْ ما يُخْبِرونَكَ ضَلَّةً إذَا لَمْ يُؤَيِّدْ مَا أَتَوْكَ بِهِ العَقْلُ

وقال على سبيل التهكم والاستخفاف بهذا المذهب وقد صرح بالتبرؤ منه :

يَا آكِلَ التُّفَّاحِ لاَ تَبْعَدَنْ وَلاَ يُقِمْ يَوْمُ رَدًى نَاكِلَكْ [٤]

قَالَ النُّصَيْرِيُّ وَمَا قُلْتُهُ فَاسْمَعْ وَشَجِّعْ فِي الوَغَى نَاكِلَكْ

قَدْ كُنْتَ فِي دَهْرِكَ تُفَاحَةً وَكَانَ تُفَّاحُكَ ذَا آكِلَكْ

وَحَرْفَ هَاجٍ لُحْتَ فِيمَا مَضَى وَطَالَمَا تَشْكُلُهُ شَاكَلَكْ

---

(١) في الغفران تحقيق بنت الشاطىء : « ماخبرتكم به » .

(٢) اللزوميات ٥ ص ٨٧ . وانظر ما سبق ص ١٣٣٧ .

(٣) انظر ما سبق ص ١٢٦١ .

(٤) اللزوميات ٥ ص ١٩٢ ، وقوله : تبعدن : من بعد كفرح وكرم أي مات .

# الحلول

أصل معنى الحلول أن يكون شيء حاصلاً في شيء . وهو أقسام : منه الحلول السَّرَياني ، وهو عبارة عن اتحاد الجسمين ، بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر ، كحلول ماء الورد في الورد ؛ فيسمى الساري حالاً والمسري فيه محلاً . ومنه الحلول الجواري ، وهو عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر ، كحلول الماء في الكوز . ومنه الحلول الوضعي ، كحلول السواد في الجسم .

ومعنى الحلول عند القائلين به من أصحاب النحل ، أن الله تعالى قائم بكل مكان ، ناطق بكل لسان ، ظاهر بشخص من أشخاص البشر .

وقد يكون الحلول بجزء ، كإشراق الشمس في كرة ، أو إشراقها على البلور . وقد يكون بكل ، كظهور ملك بشخص ، أو كشيطان بحيوان . وقال بعضهم : غلاة الشيعة كلهم متفقون على التناسخ والحلول .

وقد تصدى أبو العلاء إلى هذا المذهب في ( رسالة الغفران في ص ١٥٠ ) [١] فما بعدها . وتلقى أقوال أصحابه بالإنكار ، والاستخفاف ، والتبرؤ منه . فقال في الحلاّج [٢] : « وكم افْتُرِيَ للحلاج ، والكذب كثير الخلاج ، وجميع من [٣] ينسب إليه بما لم تجر العادة بمثله ، فإنه المين الحنبريت [٤] لا أصدق به ولو كريت » [٥]. ثم قال : « وهذه المذاهب قديمة ، تنتقل في عصر بعد

---

(١) الغفران ط امين هندية وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٣٩٠ ـ ٤٠١ .

(٢) هو الحسين بن منصور ، نشأ في واسط العراق وظهر أمره سنة ٢٩٩ هـ وتوفي سنة ٣٠٩ هـ يعد في الزهاد ، وفي الملحدين . وكان يدعي حلول الالهية فيه وله نحو ٤٦ كتاباً غريبة الأسماء والأوضاع . (ج)

(٣) في الغفران تحقيق بنت الشاطيء : « .. وجميع ما .. » .

(٤) كذب حنبريت : خالص لايخالطه صدق .

(٥) كري الرجل : نعس .

عصر . ويقال : إن فرعون كان على مذهب الحلولية ، فلذلك ادّعى أنه رب العزة . وحكي عن رجل منهم أنه كان يقول في تسبيحه : سبحانك سبحاني ، غفرانك غفراني . وهذا هو الجنون الغالب . إنما [١] من يقول هذا القول معدود في الأنعام ، ما عرف كنه الإنعام » . .

ثم أورد أبياتاً لبعض أهل هذا الرأي[٢] . ثم قال : « وتؤدي هذه النحلة إلى التناسخ . . . » . وعدّ ابن هانىء المغربي ممن يتظاهر بهذا المذهب ، ليتوصل به إلى الدنيا الفانية . وذكر له بيتين قالهما في مدح المعز أبي تميم معدّ ، وقد نزل بموضع يقال له رقادة وهما :

حَلَّ بِرَقّادَةَ المَسِيحُ ... حَلَّ بِها آدَمٌ وَنُوحُ

حَلَّ بِها اللهُ ذُو المَعَالِي ... وكلُّ شَيْءٍ سِواهُ رِيحُ

ويلخص قوله في ( رسالة الغفران ) بأنه ينكر هذا المذهب ، ويتبرأ منه ، ويسخر من أهله ومن مزاعمهم .

## الجن والملائكة

الجن : عرّفه ابن سينا بأنه « حيوان هوائي يتشكل بأشكال مختلفة » . ثم قال : « وهذا شرح الاسم ، أي بيان لمدلول هذا اللفظ ، مع قطع النظر عن انطباقه على حقيقة خارجية ، سواء كان معدوما في الخارج ، أو موجوداً ولم يعلم وجوده فيه ، فإن التعريف الاسمي لا يكون إلا كذلك » .

---

(١) في الغفران تحقيق بنت الشاطىء : « أن من » .

(٢) هي :

أنا أنت بلا شك ... فسبحانك سبحاني

وإسخاطك إسخاطي ... وغفرانك غفراني

ولمَ أجلد باري ... إذا قيل هو الزاني

ويدل القرآن الكريم على أن الجن خلقوا من نار ، كما أن الإنس خلقوا من تراب . قال تعالى في سورة الرحمن [١] : ﴿ خلق الإنسانَ من صَلصال كالفخّار وخلق الجانَّ من مارج من نار ﴾ . . . وقد اختلف في الجان ، فقيل : هو أبو الجن ، كما أن الإنسان المذكور في الآية الكريمة أبو الإنس . وقيل : هو الجن بنفسه ؛ ذكر ذلك الفخر الرازي في ( مفاتيح الغيب ج ٨ ص ١٢ ) . وفي ( الكشاف ) : « والجان أبو الجن ، وقيل هو إبليس » . وجمهور أرباب الملل المصدقين بالأنبياء قد اعترفوا بوجوده ، واعترف به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة . والجن يقال على وجهين :

أحدهما : للروحانيين المستترين عن الحواس كلها بإزاء الإنس . وعلى هذا تدخل فيه الملائكة والشياطين .

والثاني : أن الجن بعض الروحانيين ، وذلك أن الروحانيين ثلاثة : أخيار ، وهم الملائكة . وأشرار ، وهم الشياطين . وأخيار وأشرار ، وهم الجن . وظاهر كلام الفلاسفة أن الجن والشياطين هم النفوس البشرية المفارقة للأبدان بحسب الخير والشر . وظاهر كلام أهل السنة أن الجن تقدر على أن تلج في باطن الحيوان ، وتنفذ في منافذه الضيقة نفوذ الهواء المستنشق ، وأنها تتمثل بصور . وأن منهم من يولد له ويأكل ويشرب كالآدمي . ومنهم بمنزلة الريح . وأن المؤمنين منهم يدخلون الجنة وينعمون فيها كالآدميين .

رؤية الإنس الجن :

قال الله تعالى في سورة الأعراف [٢] : ﴿ يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزِعُ عنهما لباسهما ليريَهما سوآتهما انه يَرَىٰكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم . . ﴾ .

---

(١) سورة الرحمن ٥٥/١٤ .
(٢) سورة الأعراف ٢٦/١ .

وقد اختلف العلماء في رؤية الجن ، فقالت المعتزلة : إن الإنس لا يرون الجن . واستدلوا بظاهر هذه الآية . قال الزمخشري في ( الكشاف ج ١ ص ٣٢٦ ) في تفسير هذه الآية : « وفيه دليل بيّن على أن الجن لا يُرون ولا يظهرون للإنس ، وأن زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة » . اهـ

وقالت المعتزلة : الوجه في أن الإنس لا يرون الجن لرقة أجسام الجن ولطافتها . والوجه في رؤية الجن للإنس كثافة أجسام الإنس . والوجه في أن يرى بعض الجن بعضاً أن الله تعالى يقوّي شعاع أبصار الجن ويزيد فيه ؛ ولو زاد الله في قوة أبصارنا لرأيناهم كما يرى بعضهم بعضا .

وردّ عليهم أهل السنة بأنه قد ثبتت رؤية الإنس الجنّ بالأحاديث الصحيحة . وقالوا : إنها لا تعارض نص القرآن هذا ، لأن المنفي فيه رؤيتهم إذا لم يتمثلوا لنا ، كما ذكر ذلك الخفاجي في ( حاشيته على البيضاوي ج ٤ ص : ١٦١ ، ١٦٢ ) .

وقال الفخر الرازي في ( مفاتيح الغيب ج ٤ ص ١٩٥ ) : « قوله تعالى : ﴿ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾(١) يدل على أن الإنس لا يرون الجن ، لأن قوله : ﴿ من حيث لا ترونهم ﴾ يتناول أوقات الاستقبال من غير تخصيص ، قال بعض العلماء : ولو قدر الجن على تغيير صور أنفسهم بأي صورة شاؤا وأرادوا لوجب أن ترتفع الثقة عن معرفة الناس ؛ فلعل هذا الذي أشاهده وأحكم عليه بأنه ولدي أو زوجتي جني صور نفسه بصورة ولدي أو زوجتي ؟ وعلى هذا التقدير فيرتفع الوثوق عن معرفة الأشخاص . وأيضاً فلو كانوا قادرين على تخبيط الناس ، وإزالة العقل عنهم ، مع أنه تعالى بيّن العداوة الشديدة بينهم وبين الإنس ، فلمَ لا يفعلون ذلك في حق أكثر البشر ، وفي حق العلماء ، والأفاضل ، والزهاد ؛ لأن هذه العداوة بينهم

---

(١) سورة الأعراف ٧/٢٦ .

وبين العلماء والزهاد أكثر وأقوى . ولما لم يوجد شيء من ذلك ثبت أنه لاقدرة لهم على البشر بوجـــه من الوجوه . ويتأكد هذا بقوله تعالى :
﴿ ما كان لي عليكم من سلطان إلا أنْ دعوتكم فاستجبتم لي [1] ﴾ اهـ .

وأنا أقول : لو صح أن الجن قادرون على تصوير أنفسهم بأي صورة شاؤا لارتفعت الثقة عن كل أحد ، وتعطلت الشرائع السماوية ، والنظم المدنية ؛ وضاعت الحقوق ، وشك الإنسان في أهله وولده وفي نفسه أيضاً . لأننا إذا أردنا أن نتلقى القرآن أو الحديث أو الفقه عن شيخ لانستطيع أن نجزم بأنه هو الشيخ الذي نريد التلقي عنه ، بل يجوز أن يكون جنياً صوّر نفسه بصورة الشيخ . وإذا أردنا أن نرفع قضية إلى حاكم ، لانستطيع أن نقبل قول أحد المتداعِيَيْن ، ولا قول شاهد ، ولا حكم قاض ، ولا استئناف حكم ، ولا تمييزه ، لجواز أن يكون كل واحد من هؤلاء أو كل هؤلاء من الجن صوروا أنفسهم بصور أشخاص معينين ليجروا مغنماً أو يدفعوا مغرماً . وكذلك لاتستطيع الزوجة أن تمكن زوجها من نفسها ولا الزوج أن يغشى زوجته ، لجواز أن يكون أحدهما جنياً . ولا يجوز إثبات ولد وإلحاقه بنسب أبيه ، ولا توريثه ، ولا حجبه بغيره ، لاحتمال ذلك فيه . ويتأتى فرض ذلك في كل حادثة من حوادث الكون ، من بيع ، وشراء ، ومصانعة ، وإجارة ، وقرض ، وصلح ، وهبة وما شاكل ذلك من الأعمال . وهذا يفضي إلى عدم اعتقادنا عملاً صحيحاً ؛ كما يفضي إلى أن تعطل الأحكام والعقود ، وأن يكون الكون ألعوبة سداها الشك ولحمتها الحيرة . ولا يقول بذلك عاقل ولا ديِّن .

وعلى ذكر ماتقدم ، تذكرت حادثة وقعت في دمشق ، لا أذكر تاريخها على التحقيق ، ولكنها قبل سنة ١٣٣٠ هجرية ، خلاصتها : أن

---

(١) سورة ابراهيم ٢٢/١٤ .

رجلاً مغربياً من أهل مراكش ، قدم دمشق في التاريخ المذكور ، وادعى أنه من المحدّثين ؛ ونزل ضيفاً عند أحد علماء دمشق الذين ليس لهم من العلم إلا التزيي بزي العلماء الكبار ، وكان له حظ وافر من سلاطة اللسان وجرأة الجنان . ثم شاع في المدينة أن هـــذا المحدّث سيقرأ درساً في الحديث تحت قبة النسر في الجامع الأموي يوم الجمعة بعد الصلاة . فحضرت المسجد بعد شروعه في الدرس ، فرأيته كهلاً جميل الشارة ، وقد كحل عينيه بكحل أسود ، وشد في وسطه مسواكا طويلا ، وبإحدى يديه سبحة طويلة ؛ وقد لبس برنساً أبيض ستر به رأسه وجسمه كله ، ولم يظهر منه غير ملامح وجهه ويده التي تحمل السبحة ، وقد سمعته يذكر طرفاً من فضل علم الحديث ، ومن مناقب المحدّثين ، وما اختصّهم الله به من نور في الوجه ، وقبول عند الناس . ثم شرع في ذكر سنده ، فسرد أسماء لايعلم عدتها إلا الله . ثم ذكر حديث الرحمة المسلسل بالأولية ، وهو : « الراحمون يرحمهم الرحمن . . . » ولم يتكلم على شيء يتعلق بلفظ الحديث ولا بمعناه ولا بحكمه ، وانتهى بذلك الدرس .

فخرجت بعد ذلك إلى السوق ، فاجتمعت برجل يعد في تجار المدينة وأدبائها وعلمائها أيضاً ؛ فسألني عما رأيته وسمعته من المحدّث المغربي . فحدثته بما رأيت وما سمعت ، فقال لي : إن سند هذا الرجل أعلى سند في الحديث النبوي ، إذ ليس بينه وبين النبي ﷺ سوى رجلين . قلت : وكيف ذلك ؟ قال : لأنه يروي عن شيخه الذي يروي عن شمهورش قاضي الجن ، وهـــذا يروي عن النبي ﷺ . قلت له : أوتصدق ذلك وتعتقده ؟ قال : نعم ، وما الذي يمنع من تصديقه وقد أجازني هذا المحدث بكل ما يرويه عن شمهورش ؟ قلت له : يا هذا إنك وضعت نفسك في مكان حرج ، ولا تستطيع الخروج منه ، وأحرجت موقف شيخك أيضاً . لان

الله تعالى يقول في الجن : ﴿ إنه يَرَيكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم[١] ﴾ وأنت تزعم أن شيخك رأى شمهورش وأخذ عنه ، فهل تكذّب القرآن وتصدق شيخك ، أم تصدق القرآن وتكذب شيخك ؟ فأطرق ملياً ، ثم قال : لا هذا ولا ذاك ، لأن شيخي روى عن شمهورش من غير أن يرى شخصه . قلت : هذه أقبح ، ألا يجوز أن يأتي الشيطان فيزعم أنه شمهورش فيحدثنا بأحاديث يفتريها على رسول الله ( ﷺ ) ؟ وكيف نستطيع أن نفرق بين الشيطان وشمهورش ، ونحن لا نرى واحداً منهما لندرك ملامحه وخصائصه ، ولم يعطنا الله قدرة على تمييز واحد من آخر ؟ فبهت وانقطع فقلت : رحم الله أبا العلاء القائل :

لَوْ قَالَ سِيدٌ غَضًا بُعِثْتُ بِمِلَّةٍ مِنْ عِنْدِ رَبِّي قَالَ بَعْضُهُمْ نَعَمْ[٢]

## الملائكة

الملائكة : جمع ملَك ، وقد اختلف في أصل هذه الكلمة ، فقيل : « مألك » وقيل : « ملأك » وقد تعرض لهذا البحث أبو العلاء في مقدمة ( رسالة الملائكة في ص ٥ ) واستوفينا الكلام عليه في شرح الرسالة المذكورة في ( ص ٦ ) .

وقد اتفقت الكلمة على أنهم ذوات موجودة قائمة بأنفسهم ، ولكنهم اختلفوا في حقيقتهم . فذهب الحكماء إلى أنهم جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة . وأكثر المتكلمين قالوا : إنهم أجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكل بصور مختلفة ، كما أن الرسل كانوا يرونهم كذلك . وقال الفخر الرازي ( ج ١ ص ٢٥٣ [٣] ) : « إنها أجسام لطيفة هوائية

---

(١) سورة الأعراف ٢٦/٧ .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ٢٥٦ ، والسيد : الذئب جمعه سيدان ، والغضا : شجر . والعرب تقول : ذئب غضا كأنهم يصفونه بالخبث .

(٣) مفاتيح الغيب .

تقدر على التشكل بأشكال مختلفة ، مسكنها السموات » . وهذا قول أكثر المسلمين . وزعم قوم أنها هي الحقيقة في هذه الكواكب الموصوفة بالإسعاد والإنحاس . وأكثر المجوس والثنوية يقولون : إن هذا العالم مركب من أصلين أزليين : النور والظلمة . وجوهر النور لم يزل يولد الأولياء ، وهم الملائكة ، لا على سبيل التناسخ ، بل على سبيل تولد الحكمة من الحكيم ، والضوء من المضيء . وجوهر الظلمة لم يزل يولد الأعداء ، وهم الشياطين ، على سبيل تولد السفه من السفيه . وهناك أقوال أخر . وقد أطلنا في ذكر هذه الأقوال والآراء لنبين أين وضع أبو العلاء نفسه منها ، وأين وضعه الناس .

## الجن والملائكة وأبو العلاء في نظر صاحب ذكرى أبي العلاء

قال صاحب ( الذكرى ) : « أبو العلاء أنكر الجن والملائكة في ( اللزوميات ) نصاً [1] فقال :

قَدْ عِشْتُ دَهْراً طَوِيلاً مَا عَلِمْتُ بِهِ ... حِسّاً يُحَسُّ لِجِنِّيٍّ وَلاَ مَلَكِ [2]

وقال :

فَاخْشَ المَلِيكَ ولاَ تُوجَدْ على رَهَبٍ

إنْ أنْتَ بالجِنِّ في الظَّلْمَاءِ خُشِّيتَا [3]

فَإنَّمَا تِلْكَ أخْبَارٌ مُلَفَّقَةٌ ... لِخُدْعَةِ الغَافِلِ الحُوشِيِّ حُوشِيتَا

---

(١) انظر ماذكره طه حسين في هذا الباب في ذكرى أبي العلاء ط ٢ من ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠ .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ١٨٩ وفيها : « قد عشت عمراً ... » .

(٣) « « ص ٦٣ .

( ورسالة الغفران ) مملوءة بالسخرية المؤلمة من الجن والملائكة جميعاً . وقد قدمنا أنه نظم الشعر في ( رسالة الغفران ) على ألسنة الجن الذين دخلوا الجنة فقال : — إنما يريد الهزء والسخرية [1] — :

مَكَّةُ أَقْوَتْ مِنْ بَنِي الدَّرْدَبِيسْ   فَمَا لِجِنِّيٍّ بِهَا مِنْ حَسِيسْ

وهي قصيدة طويلة ملئت بالغريب ، واشتملت على ما شاع في الناس من أخبار الجن . على أن أبا العلاء لم ينكر قدرة الله على خلق أجسام نورانية ليست بلحم ولا دم ، فقال :

لَسْتُ أَنْفِي عَنْ قُدْرَةِ اللهِ أَشْبَا   حَ ضِيَاءٍ بِغَيْرِ لَحْمٍ وَلَا دَمْ [2]

وَبَصِيرُ الأَقْوَامِ مِثْلِيَ أَعْمَى   فَهَلُمُّوا فِي حِنْدِسٍ نَتَصَادَمْ

وفي هذا البيت الأخير من السخرية شيء كثير » اهـ .

هذا ما قاله الأستاذ ، أوردناه بنصه وفصه ، لنبيّن أنه حكم على أبي العلاء حكماً جائراً ، وفهم من كلامه مالم يرده ، وألصق به اعتقاداً باطلا وهو يعتقد غيره . وأول كلامه يدل على أن المعري ينكر الجن والملائكة . وآخر كلامه والأبيات التي استشهد بها تدل على أنه ينكر الجن ؛ وكل ذلك باطل . وإيضاح هذا أن البيت الأول يقول : إنه ما علم حسًّا لجني ولا ملك ، وهذا لا يوجب الإنكار ، بل بالعكس يدل على الإقرار ؛ لأنه يقتضي أن يكون هناك حسّ ، ولكن لم يعلم به ؛ ونفي العلم عن شيء لا يستلزم إنكاره ولا نفيه . كما أننا لا نعلم حسّ كثير من الحيوان والطير والسمك والإنسان وهي موجودة بالفعل . فإذا قال قائل : ما علمت حسًّا لوَعْلٍ ولا عُقاب ولا سمكة ، ولا هندي ، لا يوجب قوله هـذا نفي شيء من هذه الأشياء ولا إنكاره ، بل يوجب أنه موجود ولكن لم يعلمه .

---

(١) انظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٢٠٦ — ٢١٤ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٢٥٨ .

والبيت الثاني ينهى عن الخوف من الجن إذا خوّف بهم في الظلماء ، وهذا يقتضي أن يكونوا موجودين ليتأتى الخوف منهم ، ولا يوجب انكارهم . والظاهر أن أهل المعرة في عصر أبي العلاء يشبهون أهلها في هذا العصر ، لأنهم يخوفون الأطفال بالجن ، فيستمر الخوف مع فريق منهم وإن بلغ سن الحلم ، ويخشون بعض الأماكن الخربة أو الموحشة ، لاعتقادهم أنها آهلة بالجن ويقولون : انها مسكونة أي يسكنها الجن . وما في ( رسالة الغفران ) ، ولو فرض أنها مملوءة بالسخرية ، لا يدل على إنكار بل على إثبات . ويمكننا أن نقول : إن أبا العلاء لم ينكر الجن والملائكة لا نصاً ولا تلميحاً ، كما يتضح لك ذلك قريباً .

## الجن

أبو العلاء لا ينكر الجنّ ، وإنما يثبتهم ؛ والدليل على ذلك قوله في ( اللزوم ) :

مَنْ لِي بِأَنِّي وَحِيدٌ لاَ يُصَاحِبُنِي ... حَيٌّ سِوَى اللهِ لاَ جِنٌ ولا أنس[١]

فهذا صريح في إثبات الجن .. وإذا قيل : إنه يفيد نفي الجن وإنكارهم لزم أن يقال : إنه يستوجب ذلك في الإنس لأنه جمعها في حكم واحد ، وهذا باطل ، وقوله :

أَبِالقَدَرِ المُتَاحِ تَدِينُ جِنٌّ ... تَسَمَّعُ غَيْرَ هَائِبَةِ الرُّجُومِ[٢]

وَتَعْلَمُ أَنَّ مَا لَمْ يُقْضَ صَعْبٌ ... فَمَا تَخْشَى المَنِيَّـةَ في الهُجُومِ

(١) انظر ما سبق ص ١٣١٠ .

(٢) اللزوميات ٢ ص ٢٥٢ .

فهذا نظير سؤاله عن عقل الكواكب وحسها ، وهو يستلزم إثباتها لا إنكارها.
وقوله :

أَحِنُّ وَمَا أُبِينُ سِوَى غَرامٍ      بِغَيْرِ الحَقِّ مِنْ حِنٍّ وجِنِّ [١]

ثم قوله في وصف مفازة :

وَتَعْزِفُ جِنُّهَا واللَّيْلُ دَاجٍ      إذَا خَلَتِ الجَنَادِبُ مِنْ تَغَنِّ [١]

وقوله في ( السقط ) :

وَهُوَ مَنْ سُخِّرَتْ لَهُ الإِنْسُ والجِنْـ      ـنُ بِمَا صَحَّ مِنْ شَهَادَةِ صَادِ [٢]

فهذا كله صريح في الإثبات ، لا يشوبه شيء من الشك والإنكار .
وأما ما أورده في ( رسالة الغفران ) فإنه لم يخلُ من تهكم في بعض المواطن ، ولكن فيه كثيراً مما أصاب فيه شاكلة الصواب ، وكثيراً مما يعتقده المسلمون في مؤمني الجن ، وهو بعد ذلك كله يقتضي إثبات الجن لا نفيها ، وكيف نعده كله سخرية وهزءاً ، وفيه ما يوافق اعتقاد العلماء ، وما يوافق القرآن الكريم ؟ وأبو العلاء مع إثباته الجن ينكر أشياء ينسبونها إليهم لأنها لم تصح عنده ، من ذلك قوله :

مَا صَحَّ عِنْدِيَ أَنَّ ذَاتَ خَلَاخِلٍ      تُقْفَى مِنَ الجِنِّ الغُوَاةِ بِتَابِعِ [٣]

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٧٨ ، والحِنُّ : ضرب من الجن أو سفلة الجن وضعفاؤهم .

(٢) شروح سقط الزند ، ق ٣ ص ٩٩٢ ، وشهادة صاد : يعني ما ذكره الله تعالى من قصته في سورة « ص » .

(٣) التابع : جني يتبع المرأة يحبها . والتابعة : جنية تتبع الرجل تحبه . وقد جاء في الخبر : « من ولد له مولود أو ولد فأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى لم تضره أم الصبيان » وأم الصبيان : قيل هي الريح التي تعرض للأولاد فربما غشي عليهم منها ، ورجح بعض آخر أنها التابعة من الجن ، وهذا الحديث غير صحيح لأن في رواته متروكاً وكذباً وضاعاً كما في « فيض القدير ج ٦ ص ٢٣٨ » (ج) وانظر اللزوميات هـ ص ٢٨٨ .

وأما الملائكة ، فلا نعلم شيئاً في كلام أبي العلاء يوهم الشك في وجودها ، أو يفيد إنكارها لا تصريحاً ولا تلميحاً . بل كتبه طافحة بما يدل على إثباتها ، من ذلك قوله في ( لزوم ما لا يلزم ) :

مَلائِكٌ تحتَها إنسٌ وسائمةٌ فالأغبياءُ سَوامٌ والتقيُّ مَلَكْ[1]

وقوله :

إنْ لَمْ يَكُنْ في سَماءٍ فوقَنا بشرٌ فليسَ في الأرضِ أو ما تحتَها مَلَكُ[2]

وقوله :

وَمَنْ يُطَهِّرْ بِخوفِ اللهِ مُهْجَتَهُ فذاكَ إنسانُ قومٍ يُشْبِهُ المَلَكا[3]

وقوله :

ولستُ كَمُوسَى أهابُ الحِمَامَ وَلَكِنْ أوَدُّ لِقَـاءَ المَلَكْ[4]

وقوله :

ثَلاثُ مَرَاتِبٍ مَلَكٌ رَفيعٌ وإنْسانٌ وَجِيلٌ غَيْرُ إنسِ[5]

وقد ذكر كثيراً منها كجبريل ، ورضوان ، ومالك في أبيات تقدمت وهناك أبيات ذكر فيها غيرهم كقوله :

---

(١) اللزوميات ﻫ س ١٩٠ .

(٢) اللزوميات ﻫ س ١٨٣ .

(٣) « « س ١٨٦ .

(٤) « « س ١٩٢ .

(٥) « « س ٣٠١ .

فَهَلْ هُوَ خَاشٍ مِنْ نَكِيرٍ وَمُنْكَرٍ     وَضَغْطَةِ قَبْرٍ لا يَقُومُ لَهَا نَظْمُ[1]

وقوله :

وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي     يَصْحَبُنِي حَافِظٌ قَعِيدُ[2]

وذكر في ( السقط ) جبريل بقوله :

. . . . . . . . .     لَمْ يأتِهِ بِرِسالَةِ جِبْرِيلُ[3]

وقوله :

تَقَرَّبَ جِبْرِيلٌ بِرُوحِكَ صَاعِداً     . . . . . . . . .

وذكر في رسالة ( الملائكة ) طائفة منهم وهو لا يشك في وجودهم .

* * *

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢٢٨ .

(٢) » » ص ٩٦ .

(٣) عجز بيت من قصيدة يخاطب بها بعض العلويين مطلعها :

ليت الحمول عن فراقك حول     والسير عن حب إليك رحيل

وصدره : « هو مثله في الفضل إلا أنه . . . »

انظر شروح سقط الزند ، ق ٢ ص ٨٧٣ .

# النبوات، والانبياء، والكتب والشرائع

ربما كان هذا الموطن أدقّ شيء على الباحث في ترجمة أبي العلاء وكلامه ، والسبب في ذلك أنك بينا تراه يقر بالإله كما يقر الموحدون ، ويعتصم بكل عرى الإسلام ، ويأخذ نفسه بالشدة في إقامة شعائره ، وعدم مجاوزة حدوده ؛ إذا بك تجده في موطن آخر يستخف بشيء مما يقدسه الدين ، ويتعدى حدود الأدب مع الرسل ، وينسب الى الشرائع ما لا يتفق مع حكمة وضعها ولم أر في كلامه ما يدل على سبب هذا التناقض ، ولا على الباعث الذي حمله عليه . وقد زعم بعض الأدباء أن اضطراب الحياة الدينية ، والسياسية ، والاجتماعية ، وحياة أبي العلاء نفسه ، وما كان يعتوره فيها من أوصاب وفاقة ، وضيق ذرع ، وتبرم بأصحابه وأهل عصره وبيئته ، هو العامل الأول في اضطراب آرائه ، وفي شكه وحيرته ، وكل ما شذ فيه عن سنن الدين والأدب . وأنا لا أعتقد أن هـذا وحده هو الذي يكوّن مزاجاً مضطرباً في الانسان . ولو كان وحده يقتضي ذلك لكان جميع العلماء والشعراء والكتاب في عصر أبي العلاء مساوين له فيما ذكرنا . ويجوز أن يكون ذلك كله من جملة الأسباب والعوامل ، لا سبباً مستقلاً . وقد كنا ذكرنا أن أبا العلاء كان محسوداً ، وأن حساده في حياته وبعد مماته كانوا يكيدون له ، ويضعون على لسانه ما ليس له به علم ، ويحرّفون كلامه عن مواضعه عمداً ليغروا به الأمراء ، ويثيروا عليه الدهماء ؛ وفيهم من كان يحرّفه على غير عمد ، إما لسهو أو جهل ؛ وأن أبا العلاء كان واسع الاطلاع على أقوال العلماء ، واختلاف آرائهم . وأنه كان يعول على العقل في كل حكم . فلعل بعض كلامه الذي أوخذ به في هذا الباب من صنع أعدائه ، أو تحريف حساده ، وبعضه من تحريف الساهين أو الجاهلين ؛ وبعضه طبع فيه على غرار

بعض العلماء المختلفين ؛ وبعضه ناشىء من اضطراب حياته الخاصة والعامة . أما إذا كان كله وليد قريحته ، ونتيجة فكره ، فلا شك في أنه خرج به عن دائرة الشرع ، وتعدى حدود الأدب والدين . وإن كان في أضعاف كلامه شبح من الحقيقة ، يرضى به العقل ، ويؤيده الواقع . على أن في كلامه هذا كثيراً مما يقبل التأويل ، والحمل على محمل حسن . ولكن الناس أكثروا من اتهامه بالإلحاد والزندقة . وفيهم من لو استطاع لجعل كل كلامه كفراً وزندقة ، ولنسب إليه كل كفر وإلحاد . والحكم بالكفر أو الزندقة لايصح إلا بعد أن يقوم الدليل القاطع على أنه تكلم بالبيت أو الأبيات على الوجه الذي يوجب الكفر . أما إذا لم يكن هناك دليل قطعي ، فلا يجوز الحكم عليه بشيء ، كما بينا ذلك فيما سبق . وإليك جملة من كلامه في النبوات والأنبياء ، تدل على أنه مؤمن بهما إيماناً صحيحاً .

وَمَوَّهَ النَّاسُ حَتَّى ظَنَّ جَاهِلُهُمْ ... أَنَّ النُّبُوَّةَ تَمْوِيهٌ وَتَدْلِيسُ[1]

جَاءَتْ مِنَ الفَلَكِ العُلْوِيِّ حَادِثَةٌ ... فِيهَا اسْتَوَى جُبَنَاءُ القَوْمِ وَالأُلْيسُ

. . .

قَالَتْ مَعَاشِرُ لَمْ يَبْعَثْ إِلٰهُكُمُ ... إِلَى البَرِيَّةِ عِيسَاهَا وَلَا مُوسَى[2]

وَإِنَّمَا جَعَلُوا لِلْقَوْمِ مَأْكَلَةً ... وَصَيَّرُوا لِجَمِيعِ النَّاسِ نَامُوسَا

وَلَوْ قَدَرْتُ لَعَاقَبْتُ الذِينَ طَغَوْا ... حَتَّى يَعُودَ حَلِيفُ الغَيِّ مَرْمُوسَا

. . .

---

(١) اللزوميات ٥ ص ٢٩٣ ، والأليس : مفردها أليس وهو الشجاع لا يبالي هولاً .

(٢) اللزوميات ٥ ص ٢٩٦ . والمأكلة : وبضم الكاف الميرة وما أكل .

والناموس : من معانيها الشريعة والشَّرَك . والمرموس : المدفون من الرمس أي الدفن .

دَعَا مُوسَى فَزَالَ وَقَامَ عِيسَى     وَجَاءَ مُحَمَّدٌ بِصَلَاةِ خَمْسِ[1]

وَقِيلَ : يَجِيءُ دِينٌ غَيْرُ هَذَا     وَأَوْدَى النَّاسُ بَيْنَ غَدٍ وَأَمْسِ

فهذه الأبيات وما شاكلها لاريب ولا عيب فيها ، لأنه أنكر في البيتين الأولين أن تكون النبوة تمويهاً وتدليساً ؛ وإنما هي منزلة من الفلك العلوي ، لايستطيع ردها الجبناء ولا الشجعان . وفي الأبيات الثلاثة التي بعدهما ، أنكر على من ينكر بعث موسى وعيسى ، وقال : إنه لو استطاع لعاقب هؤلاء الطاغين المنكرين حتى يميتهم ويدفنهم . وفي البيتين الأخيرين ، أنكر قول من قال : إن ديناً غير الإسلام سيجيء بعده . وهذا كله حق لاغبار عليه . وقد قدمنا أن هذين البيتين حرّف ثانيهما بعض الرواة .

وهذه جملة أخرى من كلامه في الأنبياء . من ذلك قوله في آدم وحواء :

دَعْ آدَماً لَا شَفَاهُ اللهُ مِنْ هَبَلٍ     يَبْكِي عَلَى نَجْلِهِ الْمَقْتُولِ هَابِيلَا[2]

فَفِي عِقَابِ الَّذِي أَبْدَاهُ مِنْ خَطَإٍ     ظَلْنَا نُمَارِسُ مِنْ سُقْمٍ عَقَابِيلَا

وَنَحْنُ مِنْ حَدَثَانٍ نَمْتَرِي عَجَباً     وَمَعْشَرٌ يَقْفُونَ الْغَيَّ تَسْبِيلَا

وقوله :

بَنِي الْأَرْضِ مَا تَحْتَ التُّرَابِ مُوَفَّقٌ

لِرُشْدٍ وَلَا تَحْتَ التُّرَابِ سِوَى فَسْلِ[3]

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ١٠٣ .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ٢٠٥ ، والهبل : الثكل . والعقابيل : بقايا المرض .

(٣) اللزوميات ﻫ ص ٢١٠ . والفسل : الرذل الذي لا مروءة له .

أَكَانَ أَبُوكُمْ آدَمٌ في الذي أَتى ... نَجِيباً فَتَرْجُونَ النَّجَابَةَ للنَّسْلِ

وقوله :

إِحْتَجَّ بالغَيِّ في النِّسْيَانِ والِدُهُمْ ... وَقَدْ غَوَوْا بادِّكَارٍ لا أَقولُ نَسُوا[1]

وقوله :

وَمَا حَمْدي لِآدَمَ أَوْ بَنِيهِ ... وأَشْهَدُ أَنَّ كُلَّهُمُ خَسِيسُ[2]

وقوله :

خَيْرٌ لِآدَمَ والخَلْقِ الذي[3] خَرَجُوا ... مِنْ ظَهْرِهِ أَنْ يَكُونوا قبلُ ما خُلِقُوا

فَهَلْ أَحسَّ وَبالي جِسْمِهِ رِمَمٌ ... بِمَا رَآهُ بَنُوهُ مِنْ أذىً وَلَقُوا

وقوله :

فَلَيْتَ حَوَّاءَ عَقِيمٌ غَدَتْ ... لا تَلِدُ النَّاسَ وَلا تَحْبَلُ[4]

وَلَيْتَ شِيثاً وَأَبَانا الذي ... جَاءَ بِنا أَهْبَلَهُ المُهْبِلُ

وقوله :

فَسْلٌ أَبُو عَالِمِنَا آدَمٌ ... وَنَحْنُ مِنْ وَالِدِنا أَفْسَلُ[5]

إلى غير ذلك من الأبيات التي تتعلق بآدم وحواء . ولا شك أن فيها مالا يليق نسبته إلى آدم ـ عليه السلام ـ . أما الدعاء عليه بالعقم ، فإنه

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٩٢ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٢٩٤ .

(٣) كذا في الديوان ولعله : « الأولى خرجوا » ( ج ) انظر اللزوميات ، ص ٣٠٠

(٤) اللزوميات هـ ص ٢٠١ .

(٥) المصدر السابق .

لايضر ولا ينفع ، ولابن الشبل البغدادي المتوفى سنة ٤٧٤ هـ قصيدة بديعة تصدي فيها إلى قصة آدم عليه السلام بأبيات منها قوله :

فَإِنْ يَكُ آدَمٌ أَشْقَى بَنِيهِ ... بِذَنْبٍ مَالَهُ مِنْهُ اعْتِذَارُ
وَلَمْ يَنْفَعْهُ بِالأَسْمَاءِ عِلْمٌ ... وَمَا نَفَعَ السُّجُودُ وَلاَ الجِوَارُ
فَأُخْرِجَ ثُمَّ أُهْبِطَ ثم أُوذِي ... فَتُوبُ السَّافِيَاتِ لَهُ شِعَارُ
فَأَدْرَكَهُ بِعِلْمِ اللهِ فِيهِ ... مِنَ الكَلِمَاتِ لِلذَّنْبِ اغْتِفَارُ
وَلَكِنْ بَعْدَ غُفْرَانٍ وَعَفْوٍ ... يُعَيِّرُ مَا تَلاَ لَيْلاً نَهَارُ
لَقَدْ بَلَغَ العَدُوُّ بِنَا مُنَاهُ ... وَحَلَّ بِآدَمٍ وَبِنَا الصَّغَارُ
وَتِهْنَا ضَائِعِينَ كَقَوْمِ مُوسَى ... وَلاَ عِجْلٌ أَضَلَّ وَلاَ خُوَارُ
فَيَالَكِ أَكْلَةً مَا زَالَ مِنْهَا ... عَلَيْنَا نِقْمَةٌ وَعَلَيْهِ عَارُ
نُعَاقَبُ فِي الظُّهُورِ وَمَا وُلِدْنَا ... وَيُذْبَحُ فِي حَشَى الأُمِّ الْحُوَارُ (١)

والقصيدة كلها جيدة . ولا أعلم إنْ كان ابن الشبل اطلع على أبيات أبي العلاء ، أم كانت موافقته إياه في بعض معانيه من باب توارد الخاطر ، ووقع الحافر على الحافر ، ومن العجب أن كلا من الشاعرين اقتصر في لومه على آدم ( ﷺ ) فقط ولم يتعرض لحواء . وقد اتفق لي مرة أن رأيت في سوق المعرة رجلا شرب الحشيش حتى فقد عقله ، ووقف في السوق يتكلم بصوت جهوري ، فاجتمع الناس حوله ، وكان يسوق لهم الأحاديث : من كل واد عصا ، فوقفت عليه لأسمع كلامه ، فرأيته يقبح

(١) الظهور جمع الظهر : والحوار بالضم وقد يكسر : ولد الناقة ساعة تضعه ، أو الى أن يفصل من أمه ؟ ومعناه في البيت : ولد الناقة قبل أن يولد .

العذر لآدم عليه السلام ، ويهوّن ذنبه ، ولكنه ينحي باللائمة كلها على حواء ، ويقول : إنها هي التي حملت آدم على أكل الشجرة ، ويبيّن أسباباً لايليق ذكرها ، بعبارات بذيئة ؛ والناس يضحكون من حديثه ويستزيدونه . فقلت في نفسي : سبحان الله ! هذا رجل أمي عامي حشاش تصدى إلى مبحث وقف دونه العلماء ، إما أدباً منهم ، وإما أنهم لم يروا لحواء ذنباً ، فبعث الله هذا الرجل لينال من حواء ويذكرها بمالا تستحقه .

وقوله في داود ( ﷺ ) .

وَلَنْ تُصِيبُوا مِنَ الدُّنْيَا سِوَى صَبِرٍ حَتَّى تَكُونُوا عَلَى أَحْدَاثِهَا صُبُرَا[1]

رَحَّبْهَا وهْيَ مُذْ كانتْ مُحَبَّبَةٌ أقَامَ دَاوُدَ يَتْلُو لَيْلَهُ الزُّبُرا

. . .

إنَّ ابنَ آسَى مَضَى ولَكِنْ دَلَّ عَلَى فَضْلِهِ الزَّبورُ[2]

وهذه طائفة من كلامه في الشرائع ، منها قوله :

وَلاَ تُطِيعَنَّ قَوْماً مَادِيَانَتُهُمْ إلا احْتِيالٌ عَلَى أَخْذِ الأَتَاوَات[3]

وَإنَّمَا حَمَّلَ التَّوْرَاةَ قَارِئَهَا كَسْبُ الفَوَائِدِ لاَحُبُّ التِّلاوَاتِ

إنَّ الشَّرَائِعَ أَلْقَتْ بَيْنَنَا إحَنًا وَأَوْدَعَتْنَا[4] أَفَانِينَ العَدَاوَاتِ

---

(١) اللزوميات ﻫ س ١٤٠ .

(٢) اللزوميات ﻫ س ١٢٥ .

(٣) اللزوميات ﻫ س ٦٧ والاتاوة : الخراج والرشوة .

(٤) في يالوت : « وأورثتنا » . ( ج )

وَهَلْ أُبِيحَتْ نِسَاءُ القَوْمِ[1] عن عُرُضٍ لِلْعُرْبِ إلاّ بِأَحْكَامِ النُّبُوَّاتِ

وظاهر هذه الأبيات اجتراء على الشرائع ، وافتراء على أصحابها ، ويمكن أن يقال في تأويلها : إنه يريد أن أصحاب الشريعة السابقة إذا جاءتهم شريعة تنسخ الأولى ، كلها أو بعضها ، تمرد فريق منهم ، وعتوا عن أمر ربهم فما قبلوا الشريعة الجديدة ، فيضطر أصحابها إلى مقاتلتهم حتى ينقادوا إلى الحق ويثوبوا إلى الرشد . وإن أصحاب الشريعة الواحدة ليسوا سواء في تقبلها ؛ وإنما فيهم المؤمن المنقاد ، والمتمرد ، والزنديق والمستخف ، والمارق ، والمنافق ، والعاصي ، والفاسق . وقد يقع بين كل واحد من هؤلاء وبين غيره إحن وأحقاد بسبب الشريعة في الظاهر ، مع أن الشريعة إنما جاءت لتؤلف بين قلوبهم ، وتجمع كلمتهم ، وتنزع ما في صدورهم من غل ، وليس الذنب في ذلك ذنب الشريعة ؛ وهذه سنة الكون منذ القديم .

وإذا صح هذا الوجه فليس في كلامه ما يوجب القدح في دينه . بل هو قريب من قوله تعالى في ( سورة البقرة آية ٢١٣ ) ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

ويمكن تأويل قوله : « ما ديانتهم إلا احتيال ... » بأن يقال : إنهم يتظاهرون بالديانة ، ويأخذون الإتاوات باسمها ؛ وهم في الحقيقة غير مخلصين في ديانتهم ، وإنما جعلوها واسطة لأخذ الأموال ؛ كما يقال : ما صلاة فلان

---

(٣) في طبقات النحاة والنحويين : « وهل أبيح نساء الروم » وفي ياقوت « وما أبيحت » (ج) والعرض : الناحية ، وفي القاموس : يضربون الناس عن عرض لا يبالون من ضربوا .

إلا رياء ، ولا ورعه إلا خديعة . وهذا هو الواقع ، وفي الماضي والحاضر أدلة وشواهد لا يدركها حصر .

وقوله :

وَالعَقْلُ يَعْجَبُ للشُّرُوعِ تَمَجُّسٍ ... وَتَحَنُّفٍ وَتَهَوُّدٍ وَتَنَصُّرِ [1]

فَاحْذَرْ وَلاَ تَدَعِ الأُمُورَ مُضَاعَةً ... وَانْظُرْ بِقَلْبٍ مُفَكِّرٍ مُتَبَصِّرِ

وقوله :

وَالعَقْلُ يَعْجَبُ وَالشَّرَائِعُ كُلُّهَا ... خَبَرٌ يُقَلَّدُ لَمْ يَقِسْهُ قَائِسُ [2]

مُتَمَجِّسُونَ وَمُسْلِمُونَ وَمَعْشَرٌ ... مُتَنَصِّرُونَ وَهَائِدُونَ وَسَائِسُ

. . . . . . . . .

فَالصَّابِئُونَ يُعَظِّمُونَ كَوَاكِباً ... وَطِبَاعُ كُلٍّ فِي الشُّرُورِ حَبَائِسُ

أَنَّى يَنَالُ أَخُو الدِّيَانَةِ سُؤْدَداً ... وَمَآرِبُ الرَّجُلِ الشَّرِيفِ خَسَائِسُ

والبيتان الأولان ليس فيهما ما يدل دلالة صريحة على إلحاد أو كفر ؛ وإنما هما إخبار بحقيقة الواقع ، وحض على التفكر والتبصر . فإن العقل يعجب من اختلاف هذه الفرق ، وعدم اتفاقها على الحق ، بعد أن وضح لها الطريق ، وأسفر الصبح لذي عينين . ولذلك يجب على المرء أن ينظر بقلب مفكر متبصر فيها . وكذلك الأبيات الخمسة التي بعدهما ، فإن كثيراً من أمور الشرائع لا تتفق مع القياس والرأي ؛ إما لخفاء الحكمة فيها ، وإما لقصور الناس عن إدراكها على حقيقتها . وقد نقل عن بعض الأئمة أنه قال : لو كان الدين بالرأي ، لكان باطن الخف أولى بالمسح من ظاهره . وإن المسلمين كانوا يجهلون الحكمة الحقيقية في كثير من الأحكام ، كتحريم

---

(١) اللزوميات ء ص ١٥٨ . والشروع : جمع شرع .

(٢) اللزوميات ء ص ٢٩٥ وفيها : والصابئون يعظمون .

الخمر ، ولحم الخنزير ، والزنى ، ويذكرون لذلك أسبابا وعللا ، منها ما هو مقبول ، ومنها ما هو أدنى منه ، ومنها ما لا يصلح وحده لأن يكون علة للحكم وما يترتب عليه من حد . فلما ارتقى العلم وكشف عن كثير من الحقائق الغامضة ، أدرك الناس من مسلمين وغيرهم حكمة الشارع في التحريم والحدود ، ورأوها ضرورية لحفظ الصحة والنسل وسلامة المجتمع . وبقية الأبيات ليس فيها ما يوجب الحكم بالحاده .

وقوله :

فِكَرٌ حَسَّنَتْ لِقَوْمٍ أُموراً ... فَاسْتَجَازُوا التَّهْوِيدَ والتَّمْجِيسَا[1]

مَعْشَرٌ صَيَّرُوا المُدَامَةَ قُرْبا ... نًا وَنَاسٌ أَلْقَوْا بِهَا التَّنْجِيسَا

بيان لأمرين :

**الأول** : أن من دان باليهودية أو المجوسية لم يكن ذلك منه عن اعتقاد بصحة ما دان به أو بحسنه . وإنما عرضت له فكرة زينت له ذلك لما يترتب عليه من الفوائد العاجلة .

**والثاني** : أن أصحاب النحل متباينون في الأحكام ، ففريق يحل شيئاً وآخر يحرمه ، وفريق يجعله طاهراً وآخر يجعله نجساً . بل يتفاوتون في التناقض إلى حد أبعد من ذلك ، ففريق يجعل الخمر مقربة إلى الله وآخر يجعلها نجسة .

وكذلك قوله :

وَجَدْنَا اخْتِلَافاً بَيْنَنَا في إلهِنَا ... وَفي غَيْرِهِ عَزَّ الذي جَلَّ واتَّحَدْ[2]

لَنَا جُمْعَةٌ والسَّبْتُ يُدْعَى لأُمَّةٍ ... أطَافَتْ بِمُوسَى والنَّصَارَى لَهَا الأحَدْ

(١) اللزوميات هـ ص ٢٩٧ .
(٢) اللزوميات هـ ص ١١٥ .

فَهَلْ لِبَوَاقِي السَّبْعَةِ[1] الزُّهْرِ مَعْشَرٌ يُجِلُّونَهَا مِمَّنْ تَنَسَّكَ أَوْ جَحَدْ
تَقَرَّبَ نَاسٌ بِالْمُدَامِ وَعِنْدَنَا عَلَى كُلِّ حَالٍ أَنَّ شَارِبَهَا يُجَدْ

فإنه بيان لحقيقة الواقع ، فإن الناس لم تتفق على إله واحد ، ولا على استحسان شيء واحد ، واستقباح شيء واحد . وإنما اختلفوا في ذات الإله ، ووحدانيته ، وصفاته ؛ كما اختلفوا في أصناف العبادة والأيام التي يجلونها ، والأمور التي يحرمونها ويحلونها . فمنهم فريق يعبد الله وحده ، وينزهه عن الوالد والولد والشريك . ومنهم من لا ينزهه . ومنهم من يعبد غيره . ومنهم من يحل الخمر ويجعلها قربانا لله . ومنهم من يجد شاربها . وهذا ليس فيه شيء وإنما هو من نوع قوله :

وَكَيْفَ يَصِحُّ إِجْمَاعُ الْبَرَايَا وَهُمْ لاَ يُجْمِعُونَ عَلَى إِلٰهِ[2]

ومثل قوله :

وَلَيْسَ يُوَافِقُ ابْنُ أَبٍ وَأُمٍّ أَخَاهُ فَكَيْفَ تَتَّفِقُ الشُّرُوعُ[3]

• • •

مَا أَسْلَمَ الْمُسْلِمُونَ شَرَّهُمُ وَلاَ يَهُودٌ لِتَوْبَةٍ هَادُوا[4]
وَلاَ النَّصَارَى لِدِينِهِمْ نَصَرُوا وَكُلُّهُمْ لِي بِذَاكَ أَشْهَادُ

ليس فيه ما يقدح في الأديان والشرائع ، وإنما يطعن في المتدينين بهـا لمخالفتهم إياها ، وتقصيرهم عن تأييدها والعمل بما تقتضيه . وعلى هـذا الوجه العادل يمكن أن يحمل قوله :

---

(١) السبعة الزهر : أيام الجمعة .

(٢) اللزوميات ه ص ٣٤١ ، وفيها « ... على الإله » .

(٣) اللزوميات ه ص ٢٨٤ .

(٤) اللزوميات ه ص ١٠٠ .

تَوَافَقتِ اليَهودُ مَعَ النصَارَى  عَلى قَتْلِ المسيحِ بلاَ اخْتِلافِ[١]
وَمَا اصْطَلَحوا عَلى تَرْكِ الدَّنَايَا  بَلِ اصْطَلَحُوا على شُرْبِ السُّلافِ
تَلافَيْنَاهُمُ بِالقَوْلِ فِيهِ  فَجَاءَهُمُ التَّلاَفِي بالتَّلاَفِ

وقوله :

غَدَتْ أَهلُ الشَّرَائعِ في اخْتِلافٍ  تُقَضُّ بِهِ المَضَاجِعُ والمُهُودُ ...

إلى آخر الأبيات[٢] . وقوله :

مَجُوسِيَّةٌ وَحَنِيفِيَّةٌ  وَنَصْرَانَةٌ وَيَهودِيَّهْ

إلى آخر الأبيات[٣] . وقوله :

أَتَتْنِيَ أَنْبَاءٌ كَثيرٌ شُجُونُهَا  لَهَا طُرُقٌ أَعْيَا عَلى النَّاسِ خُبْرُهَا

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٩٦ ، والتلاف : لعل معناها : الخلف ، وانظر بشأنها الجزء ١ من هذا الكتاب ص ٦٢٠ — ٢١ .

(٢) تمامها : فقد كذبت على عيسى النصارى  كما كذبت على موسى اليهود
ولم تستحدث الأيام خلقاً  ولا حالت من الزمن العهود
اللزوميات هـ ص ٩٧ ورواية البيت الأول فيها : « غدا أهل الشرائع ... »

(٣) تمامها : مجوس تخالف أديانها  وليست من الموت بمفديه
تراقب مهديها ان يقوم  فتلقى الى الحق مهديه
فيا سعد كم خرجت ظبية  ترود بخضراء سعديه
فتضحي من الرد مردية  وتمسي من الردى مرديه
لقد كان أبدى اليها الزما  ن ثم هي الان مبديه
ويا هند ما عصت أهلها  قواضب في الضرب هنديه
ولا ورد غاب له حلة  من الدم في النيل ورديه
تشبه بعض يعض فما  تزال القبائل فرديه
لقد امتزج العالم الآدمي  نفورية مع مجديه
وأم النميري تركية  وأم العقيلي صفديه
وزوج الكلابية الكاسكي  وعرس الكلابي كرديه
اللزوميات هـ ص ٣٤٦ .

إلى آخر الأبيات (١) وقوله :

وَأعُدْ قَصّ الظُّفْرِ شيمةَ نَاسِكِ ... وَالهِنْدُ بَعْدُ مُطِيلَةٌ أظْفَارَهَا

الأبيات (٢) .

---

(١) تمامها : عفا دونها قس النصارى وموبذ الـ ... ـمجوس وديان اليهود وحبرها

وخطوا أحاديثاً لهم في صحائف ... لقد ضاعت الأوراق فيها وحبرها

تحالفت الأشياع في عقب الردى ... وتلك بحار ليس يدرك عبرها

وقيل نفوس الناس تسطيع فعلها ... وقال رجال بل تبين جبرها

ولو خلقت أجسادنا من صخارة ... لقل على كر الحوادث صبرها

يجيئك شهرا ناجر بعد قرها ... وسنبرها بعد المقيظ ووبرها

وما أحرزت نفس المدجج ذ الوغى ... مغبرة يستأسر الوحش ضبرها

أو النثرة الحصداء فورب نسجها ... لما حلق حال الأسنة عبرها

إذا أودعتها جثة وتعرضت ... لبيض الظبا لم يمكن السيف هبرها

وأودت بنو وبر وبير فما حي ... عزيز ولا شم لوقل وبرها

وقد سمي المرء الهزبر تفاؤلاً ... وليس يباق في الزمان هزبرها

نوائب ألقت في النفوس حرائباً ... عصى كل آس في البرية سبرها

لي القوت فليغمر سرنديب حظها ... من الدر أو يكثر بغانة تبرها

اللزوميات ٥ ص ١٢١ .

(٢) تمامها : ملل غدت فرقاً وكل شريعة ... تبدي لمضمر غيرها إكفارها

والرملة البيضاء غودر أهلها ... بعد الرفاغة يأكلون افارها

والعرب خالفت الحضارة واتقت ... سكنى الفلاة ورعلها وصفارها

كانت إماؤهم زوافر مورد ... فالآن أثقل نضرها أزنارها

أهلت بها الأمصار فهي ضوارب ... عمد الممالك لا تريد قفارها

لم يبق إلا أن تؤم جيادهم ... رمحاً لتقطع رملها وجفارها

عبروا الفوارس بالصوارم والقنا ... والملك في مصر يعثر نارها

جعلوا الذفار هوادياً لتنونة ... سرهاء تكحل بالدجى أشفارها

لكبوا زناد النادحين وعامر ... بالشام تقدح مرخها وعفارها

واذا الذنوب طمت فأخلص توبة ... لله يلف بفضله غفارها

اللزوميات ٥ ص ١٤٣ ـ ١٤٤ .

فهذه الأبيات وأشباهها ، لا توجب كفراً ولا زندقة ؛ بل ليس فيها طعن في دين ولا شريعة . وإنما يشير بعضها إلى اختلاف الشرائع في الأمر الواحد ؛ كما يشير إلى اختلاف الناس فيما يعتقدون في الإله ، وبعض الأشياء والأمور ، وهذا يعود إلى المتدينين لا إلى الديانات .

## ما وقع في كلامه في الشرائع والأنبياء مما يصعب تأويله :

وردت في كلام أبي العلاء أبيات يصعب حملها على وجه حسن ، منها قوله من قصيدة يقول فيها :

وَيَنْشَأُ نَاشِىءُ الفِتْيَانِ مِنَّا ... عَلى مَا كَانَ عَوَّدَهُ أَبُوهُ[1]

وَمَا دَانَ الفَتَى بِحِجىً وَلكِنْ ... يُعَلِّمُهُ التَّـدَيُّنَ أَقْرَبُوهُ

(١) المراد بالفتى : الشاب الحدث ، بدليل قوله « ناشئ الفتيان » ، وهذه الأبيات الثلاثة ليس فيها شيء ، بل مستمدة من الحديث الشريف « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » . وهذا الحديث رواه ابن عدي والطبراني ، والبيهقي ، ورواه البخاري ، ومسلم ، بألفاظ متقاربة . وقد بسط هذا الرأي في ( رسالة الغفران ) ص ١٥٤ حيث قال : « ومن الناس من يتظاهر بالمذهب ولا يعتقده يتوصل به الى الدنيا الفانية ... وقد تجد الرجل حاذقاً في الصناعة بليغاً في النظر والحجة ، فإذا رجع الى الديانة ألفي كأنه غيْر معتاد . وإنما يتبع ما اعتاد . ويلقن الطفل الناشئ ما سمعه من الأكابر ، فيلبث معه في الدهر الغابر . والذين يسكنون الصوامع ، والمتعبدون في الجوامع ، يأخذون ما هم عليه ، كنقل الخبر عن المخبر ، لا يميزون الصدق من الكذب » . الى آخر كلامه ، وهو كلام مفيد ، قلما يظفر به الانسان في غير هذا الكتاب ( ج ) . انظر اللزوميات ٥ ص ٣٣٢—٣٣ ، ورسالة الغفران تحقيق بنت الشاطئ ط ١ ص ٣٩٩ — ٤٠٣ .

وَطِفلُ الفَارِسِيِّ لَهُ وُلاَةٌ بأَفعَـالِ التَّمَجُّسِ دَرَّبُوهُ

. . . . . . . . . . . . . . . .

وجَاءتنَا شَرَائِعُ كُـلِّ قَومٍ عَلى آثَارِ شَيْءٍ رَتَّبُـوهُ

وغَيَّرَ بَعضُهُمْ أقوالَ بَعضٍ وَأَبطَلَتِ النُّهَى مَا أوجَبُوهُ

. . . . . . . . . . . . . . . .

إذَا أصْحَابُ دِينٍ أحكَمُوهُ أذَالُوا مَا سِوَاهُ وَعَيَّبُوهُ

وَقَدْ شَهِدَ النَّصَارَى أنَّ عِيسَى تَوَخَّتْهُ اليَهُودُ لِيَصلِبُوهُ

وَمَا أبِهُوا وَقَدْ جَعَلُوهُ رَبّاً لِئَـلاَّ يَنقُصُوهُ وَيَجْدِبُوهُ[1]

تَمُجُّ قُلُوبُهُمْ مَا أُودِعَتْـهُ لِسُوءٍ في الغَرَائِزِ أُشرِبُوهُ

. . . . . . . . . . . . . . . .

وَنُبِّيءَ في بَنِي يَعقُوبَ مُوسَى بِشَرْعٍ مَا تَخَلَّصَ مُتْعِبُوهُ

فإن قوله :

وَجَاءتنَا شَرَائِعُ . . . عَلَى آثَارِ شَيْءٍ رَتَّبُوهُ

إذا أريد به أن كل قوم يرتبون شريعة لأنفسهم فهذا باطل وافتراء ، أما إذا أريد به أن أصحاب كل شريعة رتبوها على وفق ما أرادوا ، ثم حملوا الناس على ذلك بعد وفاة صاحبها ؛ فهذا لاشبهة فيه بالنسبة لأكثر الشرائع القديمة . وبقية الأبيات لاشيء فيها .

(١) الجدب : العيب .

ومنها قوله :

وَلاَ تَحْسَبْ مَقَالَ الرُّسْلِ حَقًّا ... وَلَكِنْ قَوْلُ زُورٍ سَطَّرُوهُ
وَكَانَ النَّاسُ في عَيْشٍ رَغِيدٍ ... فَجَاؤُوا بِالمُحَالِ فَكَدَّرُوهُ

وهذان البيتان لم يردا في شيء من كتبه التي رأيناها وإنما رواهما ياقوت في ( إرشاد الأريب ج ١ ص ١٩٣ ) وإذا صحت نسبتها إليه ، فلا يمكن تأويلها تأويلاً صالحاً ، ونسبة الباطل والزور إلى الرسل كفر بلا ارتياب .

ومنها قوله في اللزوم :

قَدْ تَرَامَتْ إلَى الفَسَادِ البَرَايَا ... واسْتَوَتْ في الضَّلاَلَةِ الأدْيَانُ[1]

فإن أراد أن الأديان كلها ضالة ، كما يدل عليه ظاهر اللفظ ، فهو من جنس البيتين السابقين موجب للكفر ، وإن أراد أن أصحاب الأديان كلها خالفوها ، وفسقوا عن أمر ربهم ؛ فكلهم متساوون في ذلك . فلكلامه وجه ، لأن المتأمل قلما يجد أصحاب دين كلهم متمسكون بكل ما أمرهم به دينهم في عصر المعري والذي قبله وبعده . فيكون المراد بالأديان أصحابها .

ومنها قوله :

يَهُودُ بَاغِي الحَاجِ واللَّيلُ مُسْلِمٌ ... عَلَى كُفْرِهِ والأرْضُ في زِيِّ رَاهِبِ[2]
تَأَلُّفُ غَيِّ النَّاسِ شَرْقاً وَمَغْرِباً ... تَكَامَلَ فِيهِمْ بِاخْتِلاَفِ المَذَاهِبِ

---

(١) اللزوميات ھ ص ٢٦٢ .

(٢) اللزوميات ھ ص ٤٧ . ويهود : من التهويد وهو مشي ضعيف . والليل مسلم : من قولك : أسلم من الغي. إذا تركه وهنا لتز . والكفر ها هنا : ستره الأشياء .

وَرَّى بالبيت الأول عن اليهود ، والبغاة ، والمسلمين ، والكفار ، والرهبان . واختلاف هؤلاء بالمذاهب كان سبباً في تكامل الغي في البشر . ولم يقل : إن كل مذهب منها سبب للغي أو مكمل له ؛ وإنما نشأ ذلك من الاختلاف . فلا سبيل إلى تكفيره بهذا البيت .

ومنها قوله :

إذَا رَجعَ الحَصِيفُ إلى حِجَاهُ     تَهَاوَنَ بِالمَذَاهِبِ وازْدَرَاهَا[1]

فَخُذْ مِنها بِمَا أدّاهُ لُبٌّ     وَلاَ يَغمِسنكَ جَهْلٌ في صرَاهَا

وَهَتْ أدْيانُهُمْ مِنْ كُلِّ وَجهٍ     فَهَلْ عَقْلٌ يُشَدُّ بِهَا عُرَاهَا

المذاهب : جمع مذهب ، وقد جاء لمعانٍ ، منها : المعتقد الذي يذهب إليه ، سواء كان في الدين ، كما يقال : مذهب الشافعي ، والأشعري ، والمعتزلة . أم في غير الدين كما يقال : مذهب البصريين ، ومذهب الكوفيين ومذهب الخليل . ومنها : الطريقة ، يقال : ذهب فلان مذهباً حسناً ، أي طريقة حسنة . ومنها : الرأي ، يقال : ذهب في كذا مذهباً ، أي رأى رأياً . وأحياناً يكون صالحاً لأكثر من معنى واحد .

وقد جاء في كلام أبي العلاء بمعنى المعتقد كقوله :

زَكُّوا عَلى مَذْهَبِ الكُوفيّ أرْضَكُمُ
وَخَالِفُوا رَأْيَهُ في مُنْكِرٍ طُبِخَا[2]

---

(١) اللزوميات ه ص ٣٣٨ ورواية البيت الثالث فيها :

« . . . فهل عقل يشد به عراها » . والصرى : ما اجتمع من الماء واللبن ،

(٢) أراد بالكوفي أبا حنيفة رحمه الله ، ومذهبه أن الزكاة تجب في كل ما تنبته الأرض ما عدا الحشيش والحطب والقصب . انظر اللزوميات ه ص ٨٧ .

وقوله :

وإنْ سألوا عنْ مَذْهبي فَهْوَ خشيةٌ مِنَ اللهِ لاَ طوْقاً أبثُّ ولاَ جبْرا[١]

وبمعنى الطريقة كقوله :

مِنْ مَذْهبي أنْ لا أشُدَّ بفضّةٍ قَدَحي ولاَ أُصغِي لِشُرْبٍ مُعَوّجٍ[٢]

وقوله :

وَلِي مَذْهبٌ في هَجْرِيَ الإنْسَ نَافِعٌ

إذَا القَوْمُ خاضُوا في اخْتِيارِ المَذاهِبِ[٣]

مع احتمال أن يكون بمعنى الرأي بضرب من التأويل .

وبمعنى الرأي كقوله :

وَمَذْهبي في البرَايا كَوْنُهمْ شِيَعاً كَالثلْجِ والقَارِ مِنْهُ الجوْنُ والحَلَكُ[٤]

ويحتمل أن يكون بمعنى المعتقد .

ولا أذكر أني رأيت المذهب بمعنى الدين أو الشريعة في كلامه ، ولا في كلام غيره من العلماء والفصحاء ؛ وإنما يطلقونه على مايذهب إليه رجل تكون له منزلة في علم الدين ، ثم يتابعه في أقواله وآرائه جماعة ، فيقال : مذهب المعتزلة ، ومذهب الحنفية ، والمالكية .. ومذهب داود ، والأوزاعي . . وهكذا .

وقد ذكر أبو العلاء أن الناس يرجون أن يقوم إمام . ثم قال :

---

(١) انظر ما سبق ص ١٣٢٠ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٧٨ .وأصغي : أميل . ومعوج : يقال اناء معوج أي ركب فيه العاج .

(٣) اللزوميات هـ ص٤٦٠ .

(٤) اللزوميات هـ ص ١٨٣ ، والجون : الأبيض ، والحلك : السواد .

إنما هــذهِ المَذاهِبُ أسْبَا بٌ لِجَذبِ الدُّنيا إلى الرُّؤَساء[(1)]

ثم قال :

كَالذي قَامَ يَجْمَعُ الزَّنْجَ بِالبَصْـــرَةِ والقَرْمَطِيِّ بالاحْساء

ولم يتقدم في هذه القصيدة ذكر لمذهب إلا ماذكره من قران المشتري زحلا ، فإن أراد بالمذاهب هذا فليس فيه مايوجب التكفير ولكنه بعيد .

وإذا أراد بالمذاهب ماذكرناه أخيراً ، فليس في الأبيات مايكفره . لأن الإنسان يرى عند كل أهل مذهب شيئاً لايرتضيه العقل . ولذلك حض على أن يأخذ منهــا بما أدّاه إليه اللب ، ويجوز أن نحمل عليه قوله السابق .

. . . . . . . . . تَكَامَلَ فِيهِمْ باخْتِلافِ المَذَاهِبِ

فلا يكون فيه شيء .

وهذه الأبيات من قصيدة عدد أبياتها ( ٤٣ ) بيتاً[(2)] . وقد روى أبياتاً

---

(١) اللزوميات ص ٢٦ .

(٢) رأينا أن نثبت فيما يلي اللزومية كاملة حسب ترتيبها في اللزوميات ط ( عزيز زند ) ٢ / ٤١٥ ـ ١٨ وهي التي اعتمدها المؤلف رحمه الله ، وفي ط بومبي في الهند ص ٣٣٨ ـ ٩ وليس ثمة اختلاف بين الطبعتين وذلك لتبين مانقفه بعض الرواة .

١ قران المشتري زحـلاً يرجى لايقـاظ النـواظر من كراهـا

٢ وحيهـات البرية في ضـلال وقد فطن اللبيب لمـا اعتراها

٣ وكم رأت الفراقد والثريا قبـائل ثم أضحت في ثراهـا

٤ تقضى الناس جيلاً بعد جيل وخلفت النجوم كما تراهـا

٥ تراه الوحش وهي مسومات بربات المعـاطف من قراهـا

منها جماعة كثيرون . واختار كل فريق جملة منها ، وقدم بعض الأبيات على بعض ، وحرّف بعض الكلمات ؛ ليتكون من مجمـــوع ذلك صورة

---

| | | |
|---|---|---|
| ٦ | وما ظلم الشبر ولا قراه | ظليم المقفرات ولا قراهـا |
| ٧ | إذا رجع الحصيف لل حباه | تهـاون بالمذاهب وازدراهـا |
| ٨ | فخـذ منهـا بمـا أداه لب | ولا يغمسك جهل في صراهـا |
| ٩ | وهت أديانهم من كل وجه | فهل عقل يشد به عراها |
| ١٠ | أتعلم جارسات في جبـال | أراها قبلهـا سلف أراهـا |
| ١١ | بما فيه المسافر من فساد | توارى في الجوانح أو وراهـا |
| ١٢ | قضاه من إلهك مستمر | غـدت منه المعاطس في براها |
| ١٣ | يحط إلى الفوادر كلّ حين | منيات الفوادر من ذراهـا |
| ١٤ | وما تبقى الأراقم في حماها | ولا الأسـد الضراغم في شراهـــا |
| ١٥ | تقدم صاحب التوراة موسى | وأوقع في الخسار من اتراهـا |
| ١٦ | وقال رجاله وحي أتاه | وقال الظالمون بل افتراها |
| ١٧ | اعبري تهوك في حديث | فباع المشكلات كما اشتراها |
| ١٨ | وغايات بسطن إلى أمور | جراها الآخرون كمن جراها |
| ١٩ | ارى أم القرى خصت بهجر | وسارت غل مكة عن قراها |
| ٢٠ | وكم سرت الرفاق الى صلاح | فارست القدائد في سراها |
| ٢١ | يوافون البنية كل عام | ليلقوا المخزيات على قراها |
| ٢٢ | ضيوف ما قراها الله عفواً | ولكن من نوائبها قراها |
| ٢٣ | وما سيري إلى أحجار بيت | كؤوس الخمر تشرب في ذُرَاها |
| ٢٤ | ولم تزل الأباطح منذ كانت | بدنس من فواجرها براها |
| ٢٥ | وبين يدي جميع الناس خطب | له نيت مولة تغرّاها |
| ٢٦ | مهالك إن أجزت الحرق منها | فأنت سليكها أو شنفراها |
| ٢٧ | بعث كرة كأن الوقت لاه | بها عز المهيمن إذ كراها |
| ٢٨ | تبارك من أدار بنات نعش | ومن برأ النائم في حراها |
| ٢٩ | تمارى القوم في الدعوى وهبوا | الى الدنيا لمكلهم مراها |

مشوهة توجب الطعن في عقيـدة أبي العلاء . فذكر في ( المنتظم )[١] البيت « ٢ و ١٥ و ١٦ و ٢٣ و ٧ » على هذا الوجه .

وَهَيْهاتَ البَرِيَّةُ في ضَلاَلٍ    وَقَدْ نَظَرَ اللَّبِيبُ لِمَا اعْتَرَاهَا

. . . . . . . . . . . . . .

تَقَدَّمَ صَاحِبُ التَّوراةِ مُوسَى    وَأَوْقَعَ في الخَسَارِ مَنِ افْتَرَاهَا

. . . . . . . . . . . . . .

فَقَالَ رِجَالُهُ وَحْيٌ أَتَاهُ    وَقَالَ النَّاظِرونَ بَلِ افْتَرَاهَا

. . . . . . . . . . . . . .

---

٣٠   وكم جمع النفائس رب مال    فلما جد مرتحلاً ذراها

٣١   تظل عيون هذا الدهر خزراً    ضد الماشيات وخَوْزَرَاها

٣٢   كتائب منسراها الليل تتلى    بصبح كيف يؤمن يمن سُراها

٣٣   وأدواء ثوى بقراط ميتاً    وجالينوس فاد وما دراها

٣٤   وما اذاك الزمان بغير جرم    طوائفه تطيع من ادّراها

٣٥   أمنهي الدار ملك لابن أرض    بها رام المقام أم اكتراها

٣٦   على كره تيممها فألقى    بها رحلاً ومن سخط شراها

٣٧   وما برح الوجيف على المطايا    وتلك نفوسنا حتى براها

٣٨   إذا ما حرة هربت وسيفت    فمن ساق الإماء ومن هراها

٣٩   ونحن كأنا حمل بجدب    عراة لا تمكن من عراها

٤٠   شبابك مثل جنح الليل فانظر    أعاد الى الشيبة من سراها

٤١   وما نال المجين من المعالي    لذا خطب الكريمة واستراها

٤٢   أترهب هذه الغبراء ناراً    تطبق مثل ما تهوى سراها

٤٣   فإن الله غير ملوم فعل    إذا أورى الوقود على وراها

(١) انظر تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٢٢ عن المنتظم في أخبار الأمم لابن الجوزي .

وَمَا حَجِّي إلى أحجَارِ بَيتٍ     كُؤوسُ الخَمرِ تُشرَبُ في ذَرَاهَا

. . . . . . . . . . . . . . .

إذَا رَجَعَ الحَلِيمُ إلىَ حِجَاهُ     تَهاوَنَ بِالمَذَاهِبِ وَازْدَرَاهَا

وذكـر القفطي [١] البيت « ١ و ٢ و ٤ و ١٥ و ١٦ و ٢٣ و ٧ » وفي روايته : « وقد فَطِنَ اللّبيبُ » ، « في الخَسَارِ مَنِ اقْتَرَاها » « وقال الآخرون بل افتراها » . « إذا رَجَعَ الحكيمُ » .

وذكر كل من ياقوت ، وصاحب ( مرآة الزمان ) والذهبي ، وابن حجر ، والعيني [٢] ، وغيرهم ابياتاً منها . وقد اختلفوا في أعيان الأبيات وأعدادها ؛ كما اختلفوا في روايتها . فمنهم من روى : « البريّةَ في ظِلالٍ .. » « وبالخَسَارِ مَنِ افْتَرَاهَا » و « قالَ الناظرونَ » و « رجعَ الحَلِيمُ ، والحكيم » « تَهاوَنَ بالشّرائع » وغير ذلك من الاختلاف .

والذي يهم من اختيار هذه الأبيات من هذه القصيدة ، وترتيبها على وفق ما أراده كل واحد منهم ، أنهم يريدون تكفير أبي العلاء بما فيها ؛ وهو يكاد ينحصر في قوله : « البرية في ضَلال » وقوله : « وأوقَعَ في الخَسَارِ مَن اقْتَرَاها » . وقوله : « وما حَجِّي إلى أحْجارٍ .. » وقوله : « إذَا رَجَعَ الحكيمُ .. » .

---

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٧ عن انباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي .
(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء الصفحات ١١٤ ، ١٤٦ ، ١٩٣ ، ٣١٧ ، ٣٢٣ ، عن إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت ، ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ، وتاريخ الإسلام للذهبي ، ولسان الميزان لابن حجر ، وعقد الجمان للعيني .

وإذا تأمل المنصف هذه القصيدة على ترتيبها في ( لزوم ما لا يلزم ) لا يجد فيها ما يؤاخذ به أبو العلاء ، لأنه يقول في الأبيات الأربعة الأولى منها : إن قران المشتري زحلا يرجى منه إيقاظ النـــاس من غفلتهم في دنياهم . وهذا أمر بعيد لأنهم في ضلال ، وقد فطن اللبيب لما أصابهم . وطالما شاهد الفرقدان والثريا أجيالاً انقضى بعضها إثر بعض ، وغيب في الثرى ، والنجوم باقية كما تراها .

وليس فيها شيء يوجب الكفر ، لأنه لا يريد الضلال في الدين ، إذ لا ذكر للدين في كلامه ، ولا قرينة في الكلام تدل على حصر الضلال في الدين . بل الأصل فيه الغَيْبَة . وقد جاء لمعانٍ : نقيض الهدى والرشاد ، والنسيان ، والضياع ، وغيرها . ويقال الضلال لكل عدول عن الحق عمداً كان أو سهواً ، يسيراً كان أو كثيراً . ولذا صح أن يستعمل لفظه فيمن يكون منه خطأ مّا . ولذلك نسب إلى الأنبياء ، وإلى الكفار ، وإن كان بين الضلالين بون بعيد ، ألا ترى قول الله تعالى في النبي ﷺ : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى ﴾[1] أي غير مهتد لما سبق اليك من النبوة — في قول — . وقال في يعقوب عليه السلام : ﴿ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ القَدِيمِ ﴾[2] وقال أولاده : ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[3] وقال عن موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾[4] تنبيها على أن ذلك سهو منه . فقوله : « البرية في ضلال » يجوز أن يكون معناه في نسيان وغفلة ، ويجوز أن يكون معناه في عدول عن طريق

---

(١) سورة الضحى الآية ٧ .
(٢) « يوسف « ٩٥ .
(٣) « يوسف « ٨ .
(٤) « الشعراء « ٢٠ .

الحق ؛ وكلاهما لا يوجب التكفير . لأن اللبيب فطن لما اعتراها فليس في ضلال ، فيكون المراد بعض البرية لا كلها .

وإذا تأملنا وجدنا أن المذاهب إسلامية وغير إسلامية ، وأكثر المذاهب الإسلامية متفقه في الأصول مختلفة في بعض الفروع . والاختلاف في الفروع لا يوجب الكفر إذا كان عن دليل ، بل يسوغ فيه الاجتهاد . وأبو العلاء لم ينكر من العقائد أمراً معلوماً من الدين بالضرورة ؛ وإنما أنكر الاختلاف في القسم الذي يخالف العقل من الفروع . وهذا لا يوجب الكفر . وكلام ابن الهمام في ( المسايرة ) يدل على أن ما كان من الأصول المعلومة من الدين ضرورة يكفر المخالف فيه بالاتفاق . كالقول بقدم العالم ، ونفي حشر الأجساد ؛ وما لم يكن من الأصول المعلومة من الدين ضرورة فقد اختلف فيـــه ؛ فذهب جماعة إلى تكفير المخالف فيه . وظاهر قول الشافعي وأبي حنيفة أنه لا يكفر أحداً منهم . وقال الكمال ابن أبي شريف في ( المسامرة ) : « وهذا هو المنقول عن جمهور المتكلمين والفقهاء » .

وأما قوله : « وأوقعَ بالخُسَّارِ مَنِ اقترها ... » فحكاية حال واقعة ، لأن قوم موسى لم يؤمنوا كلهم بالتوراة كلها ، وإنما تابعه فريق ، وتمرد فريق آخر . والذين تابعوه حرّفوا وبدلوا على حسب أهوائهم وأطماعهم ، فكانوا في خسار . والذين خالفوه قالوا : إنها من عند موسى وليست من عند الله . وليس في نقل كلام الفريقين أو تصوير حالتيهما ما يوجب التكفير .

وأما قوله : « وما حَجّي إلى أحجارِ بَيْتٍ ... » فهو بيان لحالة أهل مكة في اقترافهم المنكرات ، واستباحتهم ما لا يحل ، لاكتساب الأموال في بيت الله الحرام . وهو بيان وتصوير لحالة واقعة في القديم والحديث أيضاً . أما كونه لم يحج فلأنه لا يجب عليه الحج .

ويتبين مما ذكرنا أن هؤلاء النقلة قدموا قوله : « وما حَجّي إلى أحجار بيت » وغيره من الأبيات على قوله : « إذا رجع الحصيف إلى حِجَاه » . وخالفوا ترتيب الأبيات ليوهموا أن المراد بالمذاهب مذاهب المسلمين ، وأنه يزدري الحج والبيت وغيرهما . وهذا منكر في الدين ومورث للشبهة في كل ما ينقلونه .

وقد وقع في كلامه مايسهل تأويله ، أو الحكم بأنه لايوجب تكفيراً ولا زندقة ، ومنه قوله :

لَوْ يَتْرُكُونَ وَهَذَا اللبُّ مَا قَبِلوا ... مَيْناً يُقَالُ وَلَكِنْ شَالَتِ الجِذَمُ(١)

أَتَوْهُمُ بِأَحَادِيثٍ وَقِيلَ لَهُمْ ... قُولوا صَدَقْنَا وإلاّ أُرْوِيَ الخِذَمُ(٢)

وَأَرْهَبَتْهُمْ جُفُونٌ مِلْؤُهَا نُوَبٌ ... وَأَرْغَبَتْهُمْ جِفَانٌ لِلنَّدَى رُذُمُ(٣)

وهو لم يعين في هذه الأبيات القائلين ، ولم يبين القول لهم . فلا يمكن الحكم عليه بشيء قبل معرفة الآتي والقائل والمقول له .

ومنه قوله :

أَتَوْكُمْ بِإِقْبَالِهِمْ والحُسَامِ ... فَشَدَّ بِهِ زَاعِمٌ مَا زَعَمْ(٤)

تَلَوْا بَاطِلاً وَجَلَوْا صَارِماً ... وَقَالُوا صَدَقْنَا فَقُلْتُمْ نَعَمْ

---

(١) الجذم : جمع جذمة ، السوط (ج) اللزوميات هـ ص ٢٣٣ .

(٢) الخذم . السيف القاطع . (ج)

(٣) رذم : جمع رذوم أي ملآى . (ج) والجفون : مفردها جفن وهو غمد السيف .

(٤) اللزوميات هـ ص ٢٥٨ .

أَفِيقُوا فَإِنَّ أَحَادِيثَهُمْ ضِعَافُ القَوَاعِدِ والْمُدَّعَمْ
زَخَارِفُ مَا ثَبَتَتْ فِي العُقُو لِ عَمَّى عَلَيْكُم بِهِنَّ الْمُعَمّْ

فهذه الأبيات لايصح أن يحكم عليه بسببها بكفر ولا غيره ، لأنه لم يبين الآتي ، ولا المأتي ، ولا المأتي به .

ومنه الأبيات السابقة التي يقول فيها :

وَقَوْمٍ أَتَوْا مِنْ أَقَاصِي البِلادِ لِرَمْيِ الجِمَارِ وَلَثْمِ الحَجَرْ[1]

وهذه الأبيات لم ترد في كتبه التي وصلت إلينا ؛ وإنما أوردها أبو الفداء في ( تاريخه ج ٢ ص ١٧٦ ) مثالاً من شعر أبي العلاء المؤذن بفساد عقيدته . ولا يبعد أن تكون مقولة على لسان المعري . وعلى تقدير أنها له فليس فيها مايقدح في الإسلام لأن رمي الجمار ولثم الحجر مما جاء به الإسلام . وقوله : « فواعجبا .. » يصح تأويله وحمله على أنه تعجب من مقالات أولئك الفرق . ولم يذكر مقالة للمسلمين ، وإنما ذكر عملا لهم . والحكم بالتكفير إنما يكون لإنكار أمر معلوم من الدين بالضرورة ، بشرط أن لايكون الكلام محتملا لوجه آخر لايوجب التكفير .

---

(١) الأبيات :

عجبت لكسرى وأشياعه وغسل الوجوه ببول البقر
وقول النصارى إله يضام ويظلم حياً ولا ينصر
وقول اليهود إله يحب رسيس الدماء وريح القتر
. . . . . . . .
فواعجباً من ضلالاتهم أيعمى عن الحق كل البشر

انظر تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٨٧ من المختصر في أخبار البشر .

وأورد أبو الفداء لأبي العلاء من شعره الدال على فساد عقيدته قوله :

زَعَمُوا أنني سَأُبعَثُ حَيًّا بَعْدَ طُولِ المُقَامِ في الأرْمَاسِ[١]

وقد تقدمت هذه الأبيات وهي ليست في ( لزوم مالا يلزم ) ، ولم نرها في شيء من كتبه ، ولا رأينا من ذكرها غير أبي الفداء . وأظن أنها محرفة عن قوله في ( لزوم مالا يلزم ) :

زَعَمُوا أنَّني سَأرْجِعُ شَرْخاً كَيْفَ لي كَيْفَ لي وَذَاكَ التَّناسي[٢]

وَأزُورُ الجِنَانَ أُحبَرُ فِيهَا بَعْدَ طُولِ الهُمُودِ في الأرْمَاسِ

وَتَزُولُ العُيُونُ عَنِّي إذَا خُمِّـمَ بِعَيْنِ الحَيَاةِ ثُمَّ انْغِمَاسي

أيُّما طَارِقٍ أصَابَكَ يا طَا رِقُ حَتَّى مَسَاكَ لِلْغَيِّ مَاسِ

ضَاعَ دِينُ الدَّاعِي فَرُحْتَ تَرُومُ الدْ دِينَ عِنْدَ القِسِّيسِ والشَّمَّاسِ

أتَهُدُّ الإنجِيلَ في يومِ كَنْسٍ بَعْدَ حِفْظِ الأسْبَاعِ والأخْمَاسِ

هَاهُنَا مَا تُرِيدُ قَدْ ظَهَرَ الأمْـ ـرُ الذي كَانَ قَبْلُ في الدِّيمَاسِ

وهذه الأبيات ليس فيها مايوجب الكفر أو الإلحاد ، لأنه يؤنب فيها رجلاً اسمه طارق تنصر من بعد ثلاثين حجة ، وطلب الدين عند القس

---

(١) تمام الأبيات :

وأجوز الجنان أرتع فيها بين حور وولدة أكياس
أي شيء أصاب عقلك يامسـ ـكين حتى رميت بالوسواس

تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٨٧ عن المختصر في أخبار البشر .

(٢) اللزوميات ٥ ص ٣٢٥ .

والشماس ، بعد ما كان يحفظ الأسباع والأخماس من القرآن الكريم . وقد ذكر قصته في ( لزوم مالا يلزم ج ٢ ص ١٣٤ )[١] بقصيدة أولها :

أَلاَ هَلْ أَتَى قَبْرَ الفَقِيرَةِ طَارِقٌ ... يُخَبِّرُهَا بالغَيْبِ عَنْ فِعْلِ طَارِقِ

والقصيدة تدل على أن طارقاً تنصر ، وأبو العلاء يؤنبه على عمله ويتهكم به.

وأما كلمة « زعموا » في الأبيات السينية فلا تفيد معنى سيئا ، لأن « زعم » تكون بمعنى « قال » وبمعنى « اعتقد » وغيرهما ، ودليلنا على أنه لاينكر رجوعه قوله : « وذاك التمامي » وقوله قبله :

يقدرُ اللهُ أنْ تَرَى كَفَرطَاب ... حَوْلَهَا العَاصي أو المِيماسِ

وإذا استقرينا أقوال أبي العلاء في هذا الغرض ، وأقوال الذين حكموا عليه بالكفر أو الزندقة تبين لنا أنه ينكر كل مايخالف العقل ؛ وأن كثيراً من العلماء كان يكفره بالشبهة أو البيت المحرف . ومنهم من يكفره تقليداً لغيره من غير أن يرى في كلامه مايوجب تكفيره .

## المزاعم :

وهناك أمور يعتقدها الناس كلهم أو بعضهم من ملة واحدة أو ملل مختلفة . وقد عدها أبو العلاء من المزاعم ، وبين رأيه في طائفة منها ، وتلقى شيئاً منها بالسخرية ، من ذلك قوله :

وَقَدْ كَذَبُوا حَتَّى على الشَّمْسِ أَنَّها ... تُهانُ إذا حَانَ الشُّرُوقُ وتُضْرَبُ[٢]

---

(١) اللزوميات ط عزيز زند وانظر اللزوميات هـ ص ٣٠٩ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٣١ .

وقوله :

زَعَمُوا رِجالاً كَالنَّخيلِ جُسُومُهُمْ وَمَعَاشِرٌ أَمَّاتُهُمْ أَشْبَارُ[١]
إنْ يَصغُرُوا أوْ يَعظُمُوا فَبِقُدْرَةٍ وَلِرَبِّنَا الإِعْظَامُ والإِكْبَارُ

لعل هؤلاء يأجوج ومأجوج ، فقد قيل : هم ثلاثة أصناف : صنف منهم أمثال الأرْز بالشام ، طوله عشرون ومائة ذراع في السماء ، وصنف منهم عرضه وطوله سواء ، عشرون ومائة ذراع ، وصنف منهم يفترش أحدهم أذنه ويلتحف الأخرى . وقيل : منهم من طوله شبر . وفيهم أقوال كثيرة منقولة عن وهب بن منبه وأمثاله ومنها طائفة مذكورة في ( ص ٢٤٤ من الجزء ٣ من تفسير الخازن ) وفي ( ص ٤٩ من الجزء الثالث من حاشية الجمل على الجلالين ) .

وقوله :

وَقَدِ ادَّعى مَنْ لَيْسَ يَثْبُتُ قَوْلُهُ عِظَمَ الجُسُومِ وَبَسْطَةَ الأَعْمارِ[٢]
مَا كَابِرٌ إِلاَّ كَآخَرَ غَابِرٍ وَالحَقُّ يُعْلَمُ وَجْهُهُ بِأَمَارِ

وقوله :

وَادَّعَوْا لِلْمُعَمَّرِينَ أُمُوراً لَسْتُ أَدْرِي ما هُنَّ في المَشْهُورِ[٣]
كُلَّما لاحَ لِلعُيُونِ هِلاَلٌ كَانَ حَوْلاً لَدَيْهِمُ في الدُّهُورِ

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ١٢٩ .
(٢) « « ص ١٦٠ .
(٣) « « ص ١٦٦ .

أتُراهُمْ فيما تَقضّى مِنَ الأيّـــامِ عَدّوا سنِيّهِمُ بالشُّهورِ

. . . . . . . . . . . . . . . .

هكذا يَنْبَغِي وإلاّ فإنّ الـــعَقْلَ يثنى في حالَةِ المبْهُورِ

وذكر بعض العلماء أن يأجوج أمة ، ومأجوج أمة ، وكل أمة أربعة آلاف أمة ، لايموت الرجل منهم حتى ينظر ألف ذكر من صلبه ، كلهم قد حمل السلاح . لكن قالوا : إن أجسامهم صغيرة . وكذلك نقل الناس من أخبار العمالقة ، أنهم كانوا عظام الأجسام ، طوال الأعمار . وذكروا من المعمرين أسماء كثير من الأنبياء ؛ وأسماء جماعة من العرب ، منهم زهير بن جناب عاش ٢٥٠ سنة ، وقس بن ساعدة عاش ٧٠٠ سنة وأبو الطمحان القيني ٢٠٠ [ سنة ] وعامر بن الظرب ٣٠٠ [ سنة ] . وأبو العلاء لايقبل شيئاً من هذا النوع . ومنه قوله :

تَقولُ الغُواةُ الخِضرُ حيٌّ عَلَيهِمُ عَفاءٌ نعَم لَيلٌ مِنَ الفِتَنِ اخضَرّا[1]

ولَو صدَقوا ما انفكّ في شرّ حالَةٍ يُعاني بِها الأسفارَ أشعَثَ مُغبَرّا

الخضر : اختلف في اسمه ، فقيل : « بليا » وقيل : « خضرون » وقيل غير ذلك ، وكنيته : أبو العباس . قيل : إنه نبي أو رسول أو ولي أو ملك . ورجح جماعة الأول . وقيل : إنه حي باق إلى يوم القيامة وقيل : إنه توفي . وتفصيل ذلك في ( شرحي القسطلاني والأنصاري على البخاري ج ١ ص ٣٢٤ ) وفي ( حاشية الجمل على الجلالين ج ٣ ص ٣٧ ) وفي ( شرح العيني على البخاري ج ١ ص ٤٤٥ ) وأبو العلاء ذهب مذهب القائلين بوفاته .

---

(١) اللزوميات هـ ص ١٣٧ .

وقد قدمنا قوله في القمر ، وما يزعمه الزاعمون فيه :

. . . . . . . . حَتى لَظَنُّوا عَجُوزاً تَحْلِبُ القَمَرا[1]

ومنه قوله :

زَعَمَ الفَلاَسِفَةُ الذينَ تَنَطَّسُوا أَنَّ المَنِيَّةَ كَسْرُها لاَ يُجبرُ[2]
قَالوا وَآدَمُ مِثْلُ أَوْبَرَ والوَرَى كَبَنَاتِهِ جَهِلَ امْرؤٌ مَا أَوْبَرُ

وهو يخالفهم في ذلك ، لأنه يقول بعد هذا :

كُلُّ الذي تَحْكُونَ عَنْ مَوْلاكُمُ كَذِبٌ أتاكُمْ عَنْ يَهودٍ يُحبَّرُ
رَامَتْ بِهِ الأَحْبَارُ نَيْلَ مَعِيشَةٍ في الدَّهرِ والعَمَلُ القَبيحُ يُتَبَّرُ

ومنه قوله :

غَسَلَ المَلِيكُ بِلادَهُ مِنْ أَهْلِهَا بِالماءِ إذْ جَاؤُا بِسُوءِ شَنَارِ[3]
وَيُقَالُ إِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَوْماً يُطَهِّرُ أَرْضَهُ بِالنَّارِ
كَمْ مُسْلِمٍ عَبْدَ الهَوَى فَوَجَدْتَهُ فِيمَا يُحِلُّ كَعَاقِدِ الزُّنَّارِ

ولعله يريد بالماء الذي غسل المليكُ به بلاده طوفان نوح ، وبالنار النار التي تخرج من اليمن أو الحجاز ، فقد جاء في ( صحيح البخاري ) عن النبي ﷺ أنه قال : « أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق

---

(١) عجز بيت صدره : « لقد صدق الناس ما الألباب تبطله ... » انظر ما سبق ١٣٠٥.
(٢) اللزوميات « س ١٢٧ .
(٣) « « س ١٦٢ .

إلى المغرب[١] » . وجـاء فيه أيضاً : « لاتقوم السـاعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببُصْرى » . وقد خرجت نار بالحجاز شرقي المدينة سنة ٦٥٤ هـ رؤيت من مكة ومن جبال بصرى . وقد ذكر العيني تفصيلها في ( شرحه على البخاري ج ١١ ص ٣٦٦ ) وليس في هذه الأبيات مايوجب مؤاخذة ولا تكفيراً .

ومنه قوله في الإمام المنتظر :

رَجَوْا إمَاماً بِحَقٍّ أنْ يَقومَ لهَـمْ   هَيهَاتَ لاَ بَلْ حُلولٌ ثُمَّ مُرْتَحَلُ[٢]

وَلَـنْ يَزالُوا بِشَرٍّ فِي زَمَانِهِمُ   مَا دَامَ فَوْقَهُمُ المِرِّيخُ أوْ زُحَلُ

وقوله :

أرَادُوا الشَّرَّ وانْتَظَرُوا إمَاماً   يَقُومُ بِطيٍّ مَا نَشَرَ النَّبِيُّ[٣]

فَإنْ يَكُ مَا يُؤَمِّلُهُ رِجَالٌ   فَقَدْ يُبْدِي لَكَ العَجَبَ الخَبِيُّ

وقوله :

يَرْتَجِي النَّـاسُ أنْ يَقُومَ إمَامٌ   نَاطِقٌ فِي الكَتِيبَةِ الخَرْسَاءِ[٤]

كَذَبَ الظَّنُّ لاَ إمَامَ سِوَى العَقْـلِ مُشِيرٌ فِي صُبْحِهِ والمَسَاءِ

---

(١) قال ابن المنير : يريد انها تخرج من اليمن حتى تؤديهم الى بيت المقدس (ج) .

(٢) اللزوميات هـ ص ١٩٦ .

(٣) « « ص ٣٤٣ .

(٤) « « ص ٢٦ . وفيها : « ... العقل مغيراً ... » .

والكتيبة الخرساء : التي لا يسمع لها صوت ، وقال الأصمعي : قيل لها خرساء لقلة كلامهم .

يُقَالُ أَنْ سَوْفَ يَأْتِي بَعْدَنَا عُصُرٌ      يُرْضَى فَتَضْبِطُ أُسْدَ الغَابَةِ الخُطُمُ[1]

هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ هَذَا مَنْطِقٌ كَذِبٌ      فِي كُلِّ صَقْرٍ زَمَانٍ كَائِنٌ قَطَمُ

ونحو ذلك من الأبيات التي تتعلق بالإمام المنتظر ؛ وهو لايقر بذلك .

أما الحاكم بأمر الله[2] فقد تقدم قوله فيه :

مَضَى قَيْــلُ مِصْرَ إلى رَبِّهِ      وَخَلَّى السِّيَاسَةَ لِلْخَائِلِ[3]

ومثله قوله فيه :

يَعُودُ فَقِيدًا لِلْمُلْكِ إنْ عَادَ جَدُّهُ      مَعَدٌّ إِلَيْكُمْ أَوْ أَبُوهُ نِزَارُ[4]

وَمَا صَحَّ لِلْمَرْءِ الْمُحَصِّلِ أَنَّهُ      بِكُوفَانَ قَبْرٌ لِلإِمَامِ يُزَارُ

ومنه قوله في التشاؤم من العطاس :

تَشَاءَمَ بِالعَوَاطِسِ أَهْلُ جَهْلٍ      وَأَهْوِنْ إِنْ خَفَتْنَ وإِنْ عَطَسْنَه[5]

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٣٤ . والخطم : مفردها خطام وهو حبل يشد على أنف البعير . والقطم : شهوة اللحم .

(٢) هو أبو علي منصور بن نزار ( العزيز بالله ) ابن معد ( المعز لدين الله ) ابن اسماعيل بن محمد المهدي الفاطمي من خلفاء الدولة الفاطمية متأله ولد بالقاهرة سنة ٣٧٥ هـ وسلم عليه بالخلافة في مدينة بلبيس سنة ٣٨٦ هـ بعد وفاة أبيه ، وأعلنت الدعوة الى تأليهه سنة ٤٠٧ هـ وتحول الحبه إلى الحاكم بأمره ، ثم أصاب الناس منه شر شديد الى أن فقد في إحدى الليالي سنة ٤١١ هـ ، انظر الزركلي الأعلام ٨ / ٢٤٦ — ٧ .

(٣) اللزوميات هـ ص ٢٢٤ .

(٤) « « ص ١٢١ . وكوفان : الكوفة .

(٥) « « ص ٢٦٩ .

كان أهل الجاهلية يتشاءمون من العطاس ، وإذا عطس من يحبونه قالوا له : عمراً وشبابا . وإذا عطس من يبغضونه قالوا له : وريا وقحابا . فلما جاء الإسلام جعل مكان الدعاء على العاطس الدعاء له بالرحمة . وأمر العاطس أن يحمد الله .

وقالوا : الدعاء بالرحمة نعمة لايستحقها من لم يحمد الله ويشكره ، ويتأسى بأبيه آدم . فإنه لما نفخت فيه الروح إلى الخياشيم عطس فألهمه الله أن قال : الحمد لله ، فقال الله سبحانه : يرحمك الله ياآدم . فصارت تلك سنة العطاس (١) .

ومنه قوله فيه أيضاً :

خَرَصُوا فقالوا إنَّ عامَ آدمِ … قد كانَ يلفظُ أنفساً إذ يعطسُ (٢)

فلذاك صارَ الحمدُ عندَ عطاسِهِمْ … خُلقاً لهُمْ وأخو الحِجَى مُتَنَطِّسُ

ومنه قوله في الشيب :

ما أقبحَ المَيْنَ قُلتُمْ لَمْ يشبْ أحدٌ … حتَّى أتى الشَّيبُ إبراهيمَ عن أَمَمِ (٣)

كَذَبتُمُ ونجومُ اللَّيلِ شاهدةٌ … أنَّ المَشيبَ قديماً حلَّ في اللِّمَمِ

هذا البياضُ رسولُ المَوتِ يبعثُهُ … في كلِّ عصرٍ إلى الأجيالِ والأُمَمِ

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ج ٢ ص ٢٧٦ وزاد للشاد له . (ع) .

(٢) اللزوميات ٥ ص ٢٩٤ .

(٣) » » ص ٢٤٨ ، والأمم : القرب .

فهؤلاء يزعمون أن الشيب لم يعرف قبل إبراهيم . وأبو العلاء يجعله رسولا للموت إلى الناس ، فهو قديم مع الناس ويبقى رسولا مابقي الناس .

ومنه قوله في المشي فوق صفحة الماء ، والطيران في الهواء :

زَعَمَ النَّاسُ أنَّ قَوْماً مِنَ الأَبْـرَارِ عولوا في الجوِّ بالطَّيَرانِ[1]

وَمَشَوْا فَوْقَ صَفْحَةِ المَاءِ هذا الـ ـإفْكُ هَيْهَاتَ مَا جَرَى العَصْرانِ

مَا مَشَى فَوْقَ لُجَةِ المَاءِ لاَ السَّعْـ ـدانِ فِيمَا مَضَى وَلاَ العُمَرَانِ

وقد اختلفت كلمة العلماء في كرامات الأولياء . فالجمهور من الأشاعرة يقولون بجوازها ووقوعها . والمعتزلة ينكرونها ، ووافقهم الأستاذ أبو إسحاق ، كما ذكر ذلك الإمام الرازي في ( الأربعين ) وتجد ذلك مبسوطاً في ( شرح المواقف ) للسيد الشريف الجرجاني ( ج ٨ ص ٢٨٨ ) في المقصد التاسع . وأبو العلاء جرى في هذه الأبيات على مذهب المنكرين ، ولا يمكن الحكم عليه بالكفر بسبب ذلك لأنه لم ينكر أمراً مجمعاً عليه .

ومنه قوله في الغراب والديك الأفرق :

زُجِرَ الغُرَابُ تَطَيُّراً وَنَقِيضُهُ دِيكٌ لأَهْلِ الدَّارِ أَبْيَضُ أَفْرَقُ[2]

هَذَا السَّفَاهُ كَأَنَّنَا حَمْضِيَّةٌ أَوْ خِيطُ بَلْقَعَةٍ غَذَاهَا العِشْرِقُ

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢٨٢ .

(٢) » » ص ٣٠١ ، وفيها : « غذاه . . » . وحمضية : يقال : حمضت الإبل تحمض رعت الحمض ، وابل حمضية إذا كانت مقيمة في الحمض ترعاه ، والخيط : النعام . وبلقعة وبلقع : الأرض القفر ، والعشرق : نبت .

والعرب يتطيرون من الغراب ، ويزعمون أنه يخبر بالفراق ؛ وكانوا يسمونه حاتماً لأنه يحتم بالفراق على زعمهم أي يوجبه بنماقه . وقد أشار أبو العلاء إلى ذلك بقوله :

يَدْعُو الغُرَابَ أُنَاسٌ حَاتِماً سَفَهاً ... لِأَنَّهُ بِفِرَاقٍ عِنْدَهُمْ حَتَمَا[1]

هَذَا التَّكَذُّبُ مَا لِلجُونِ مَعْرِفَةٌ ... وَلاَ يُبَالِي أَنَالَ المَدْحَ أَمْ شُتِمَا

والديك الأفرق : قيل هو الأبيض ويقال : ديك أفرق بيّن الفرق ذو عرفين : للذي عرفه مفروق ؛ وذلك لانفراج مابينهما . وقيل : أفرق انفرقت فنزعته . وقد رووا أحاديث في الديك الأبيض الأفرق ، تفيد أنه صديق النبي ﷺ وصديق صديقه ، وعدو عدوه . . وأنه يحرس دار صاحبه وسبع دور ، ويروى تسع دور حولها ، ويروى ستة عشر بيتا . وأن من اتخذ ديكا أبيض حفظه من شر كل شيطـان وساحر وكاهن ؛ ورويت له مناقب كثيرة . ولكن في هذه الأحاديث ماهو منكر وماهو موضوع . وفي الجملة أخبار الديك كلهـا فيها ركة ، ولا رونق لها كما قال السخاوي .

وأبو العلاء أنكر التطير بالغراب ، والتيمن بالديك الأفرق ؛ وليس في إنكارهما مايوجب التكفير .

ومنه قوله :

تَوَرَّعُوا يَا بَنِي حَوَّاءَ عَنْ كَذِبٍ ... فَمَا لَكُمْ عِنْدَ رَبٍّ صَاغَكُمْ خَطَرُ[2]

لَمْ تَجْتَدُوا بِالقَبِيحِ مِنْ فَعَالِكُمُ ... وَلَمْ يَجِئْكُمْ لِحُسْنِ التَّوْبَةِ المَطَرُ

---

(١) اللزوميات ٥ ص ٢٤١ . والجون : بضم فسكون السود ، مفردها جون بفتح وسكون .

(٢) اللزوميات ٥ ص ١٢٢ .

وقوله المتقدم :

لمْ يَنفِكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ حُسْنِ فِعْلِكُمُ
وَلاَ حَمَاكُمْ غَمَـــاماً سُوءُ أَعْمَالِ[١]

وقوله المتقدم :

قَضَى اللهُ في وَقْتٍ مَضَى أنَّ عَامَكُمْ
يَقِلُّ حَيَاهُ أوْ يَزِيدُ بهِ السَّجْمُ[٢]

هذه الأبيات وأمثالها تفيد أن الناس أو بعضهم يزعمون أن الناس إذا حسنت أعمالهم أغاثهم الله بالمطر ، وإذا ساءت أعمالهم ابتلاهم الله بالجدب وقلة المطر . وقد أنكر هذا أبو العلاء ، وادعى أن المطر وعدمه أقدار مرتبة لمصلحة الكون ، لاعلاقة لها بإساءة العمل ولا حسنه . واستدل على ذلك بأن الحر التقيّ محتاج إلى مايسد به رمقه ، وغيره يملك القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، ويمكن أن يقال : إن الكفار والفجار أكثر خلق الله على وجه البسيطة ، وأكثر الأغنياء وأصحاب القرى والمزارع منهم ، وأكثر ماتجود السماء مايزرعه هؤلاء ، وهم يزيدون ثروة بقدر مايزيد الأحرار والنساك فاقة وفقرا .

فإذاً لانجد في هذه الأبيات وأشباهها مايوجب تكفير أبي العلاء .

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢١٥ .

(٢) « « ص ٢٢٨ . والحيا : الغيث . وسجم الدمع وغيره سجوماً وسجاماً : سال وأرض مسجومة أي ممطورة .

ومنه قوله :

وَقدْ يُشبِهُ الإنسانُ جاءَ لِرشْدَةٍ بَعيداً ويَعدُو شِبْهُهُ الخالَ والعمّا[1]

ولستُ أرَى في مَولِدٍ حُكمَ قائفٍ وكَمْ مِنْ نَواةٍ أنبَتَتْ سُحُقاً عُمّا

يقال : « ولد لرَشدة » إذا كان لنكاح صحيح ، وهو نقيض « زَنية » ويقال : « هو لرشدة ولزنية » ويعدو : يجاوز . والقائف : من يتتبع الآثار ويعرفها ، ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه ، وقد اختلف العلماء في العمل بقول القائف ، فأثبته الشافعي . والمشهور عن مالك إثباته في الإماء ونفيه في الحرائر . ونفاه أبو حنيفة مطلقاً ، كما ذكر ذلك العيني في ( شرحه على البخاري ج ٧ سنة ٥٢٣ ) . وأبو العلاء وافق القائلين بعدم إثباته الحكم ، وبيّنَ شاهداً لذلك أن النواة وهي صغيرة قصيرة يابسة تنبت سحقاً جمع « سَحوق » وهي النخلة الطويلة . عُمّا : جمع عميمة أي طويلة أو التامة في طولها والتفافها . يريد أبو العلاء أن الولد قد يخالف أباه في اللون ، والطول ، وأكثر الأعراض والصفات . ومن الصعب أن يجد الإنسان علائم وخصائص بينها توجب الجزم بأن هذا ابن ذاك ولذلك لايرى حكمه .

ومنه قوله :

ومَذهبي في البرايا كونُهمْ شِيَعاً كالثّلجِ والقارِ مِنهُ الجَونُ والحَلَكُ[2]

مااسوَدّ حامٌ لِذنبٍ كانَ أحدَثَهُ لَكِنْ غَريزةُ لَونٍ خَطّهُ المَلِكُ

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٣٩ .

(٢) انظر ما سبق ص ١٣٦٩ .

زعم بعضهم أن نوحاً — عليه السلام — ولد له ثلاثة أولاد ، كلهم بيض ؛ وأن حاماً اقترف ذنباً فاسود لذلك . وأبو العلاء ينفي ذلك ، ويعتقد أن اللون غريزي بتقدير الله ، اقتضته طبيعة الإقليم ؛ وأن الناس شيع ؛ منهم الأبيض كالثلج ومنهم الأسود كالحلك . وكما أن بياض الثلج وسواد الحلك أمران طبيعيان ، كذلك بياض الأبيض من الناس ، وسواد الأسود منهم أمر يرجع إلى ماتقتضيه الغريزة والبيئة .

# الكتب

تعرض أبو العلاء في كلامه إلى الكتب السماوية وغيرها؛ فذكر القرآن الكريم ، والتوراة ، والإنجيل ، والزبور .

### القرآن

أما القرآن فقد كان يعظمه ويجله ، ويقرأ آيات منه ويبكي كما تقدم . وقد وصفه في ( رسالة الغفران ) وصف عالم مؤمن ، وذلك حيث قال في ( ص ١٥٨ )[١] .

« وَأَجْمَعَ مُلْحِدٌ ومهتدٍ ، وناكِبٌ عَنِ المَحَجَّةِ ومُقْتَدٍ ، أن هذا الكتابَ الذي جاء به محمدٌ صلّى الله عليه . كتابٌ بَهَرَ بالإعجاز ، وَلَقِيَ عَدُوَّهُ بالارْجاز . ما حُذي عَلى مِثال ، وَلا أَشْبَهَ غَريبَ الأمْثَال ، ما هُوَ مِنَ القَصِيد المَوْزُون ، ولا الرَّجز من سَهْلٍ وَحُزون . ولا شَاكَلَ خِطابَةَ العَرَبِ ، ولا سَجْعَ الكَهَنَةِ ذوي الأرَب . وَجاء كالشَّمْس اللائحَة ، نوراً لِلمُسِرَّةِ والبائحَة . لو فهِمَهُ الهَضْبُ الراكِدُ لَتَصَدَّعَ ، أو الوُعُولُ المعصِمهُ لَرَاقَ

---

(١) الغفران ط أمين هندية وانظر الغفران تحقيق/بنت الشاطئ، ط ١ ص ١٤١٣ - ١٤ .

الفَادِرَةَ[١] وَالصَّدَع[٢] . ﴿ وتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٣] وإنَّ الآيَةَ مِنْهُ ، أوْ بعضَ الآيَة ، لتَعْتَرِضُ في أفصح كَلِم يَقدرُ عَلَيهِ المَخلوقون ، فيكُونُ فِيهِ كالشِّهابِ المَتلألئ في جُنحِ غَسَقٍ ، والزَّهرَة البَادِيَة في جُدُوبٍ ذَاتِ نَسَق . فتبارَكَ اللهُ أحسَنُ الخَالِقِين » .

وذكره في مواطن من ( لزوم مالا يلزم ) منها قوله :

بَنَتِ النَّصَارَى لِلمَسِيحِ كَنَائِساً     كَادَتْ تَعِيبُ الفِعْلَ مِنْ مُنْتَابِها[٤]

وَمَتَى ذَكَرْتُ مُحَمَّداً وَكِتَابَهُ     جَاءَتْ يَهُودُ بِجَحْدِهَا وَكِتَابِها

أَفَمِلَّةَ الإسْلامِ يُنْكِرُ مُنْكِرٌ     وَقَضَاهُ رَبُّكَ صَاغَهَا وأتَى بها

وقوله :

تَسَوَّقَ النَّاسُ بِفُرْقَانِهِمْ     وانْتَبَلُوا جَهْلاً فَلَمْ يَنْبُلُوا[٥]

وَلَيْسَ مَا يُنْقَلُ عَنْ عَاصِمٍ     كَمَا رَوَى عَنْ شَيْخِهِ قُنْبُلُ[٦]

---

(١) الفادر : الوعل الناقل في الجبل ، وهو المسن أو الشاب التام من الوعول والفادرة أيضاً : الصخرة الصماء في رأس الجبل .

(٢) الصدع من الظباء والوعول : الفتى القوي .

(٣) سورة الحشر من الآية (٢١)

(٤) اللزوميات هـ س ٥٢ .

(٥) اللزوميات هـ س ٢٠٠ وعاصم : هو عاصم بن أبي النجود الكوفي أحد القراء السبعة توفي سنة ١٢٧ .

(٦) قنبل : هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد المكي المخزومي أحد رواة ابن كثير وأحد القراء توفي سنة ٢٩١ هـ

وقوله :

وَكمْ مِنْ فَقِيهٍ خَابِطٍ فِي ضَلالَةٍ ... وَحُجَّتُهُ فِيهَا الكِتَابُ المُنَزَّلُ[1]

وَقَارِئُكُمْ يَرْجُو بِتَطْرِيبِهِ الغِنَى ... فَأَضْ كَمَا غَنَّى لِيكْسِبَ زُلْزُلُ

يَرَى الخُلْدَ عَيناً والزَّبَابَةَ مِسْمَعاً ... وَيَقْزِلُ فِي التَّنْمِيسِ والذِّئْبُ أَقْزَلُ

وقوله :

عُمْيانُكُمْ قَرَأَتْ عَلى أَجْدَاثِكُمْ ... وَأَتَوْا لَكُمْ بِالبِرِّ مَنْ آتَاكُمُ[2]

أَحْيَاؤُكُمْ بَخِلَتْ عَلَيْهِمْ بِالنَّدَى ... فَبَغَوْهُ بِالفُرْقَانِ مِنْ مَوْتَاكُمُ

والأبيات الأولى ليس فيها شيء يؤاخذ به . والبيتان اللذان بعدها ذمٌ للقراء ، لجعلهم القرآن سلعة يتجر بهـا ، وبيان لاختلاف الأئمة في وجوه القراءة ، والأبيات الثلاثة التي بعدهما بيان للواقع من الفقهاء والقراء والبيتان الأخيران ذم للعميان لقراءتهم على القبور ، وللناس الذين أحوجوهم إلى ذلك ، وكله أمر واقع مطابق للحقيقة .

ومنها قوله :

أُمُورٌ تَسْتَخِفُّ بِهَا حُلُومٌ ... وَمَا يَدْرِي الفَتَى لِمَنِ الثُّبُورُ[3]

---

(١) اللزوميات هـ ص ١٩٥ . والزلزل : كهدهد الطبال الحاذق ، والخلد : فأرة عمياء . والزبابة : فأرة صماء ، والقزل : أسوأ العرج ويوصف به مشي الذئب . والتنميس : التلبيس .

(٢) اللزوميات هـ ص ٢٣٢ .

(٣) اللزوميات هـ ص ١٢٥ .

كِتَابُ مُحَمَّدٍ وَكِتَابُ مُوسَى ... وَإِنْجِيلُ ابنِ مَرْيَمَ والزَّبُورُ
نَهَتْ أُمَماً فَمَا قَبِلَتْ وَبَارَتْ ... نَصِيحَتُهَا فَكُلُّ القَوْمِ بُورُ

وقد روى ياقوت[١] البيت الأول هكذا :

عُقُولٌ يَسْتَخِفُّ بِهَا سُطُورٌ ... وَلاَ يَدْرِي . . . . .

ومن الناس من كفره بهذه الأبيات . ولا يظهر عند التأمل أن فيها مايوجب التكفير ؛ لأنه يقول : إن هذه الكتب الأربعة نهت أمماً عن المنكرات ، ونصحتها لما قبلت نصيحتها ، وكسدت نصيحتها ، وكانت عاقبة تلك الأمم البوار . وهي حقيقة طابقت الواقع ، فلا يمكن تكذيبها وليس فيها شيء يوجب الطعن في أبي العلاء سواء أكانت الرواية « أمور تستخف بها حلوم » أم كانت : « عقول يستخف بها سطور » لأن الأمور على الرواية الأولى لم تعين ماهي . وعلى الرواية الثانية السطور هي التي تستخف بالعقول ؛ ولم يبين السبب الذي تستخف بها من أجله ولا نوع ذلك الاستخفاف . وربما استخفت السطور بالعقول ، لأنها لم تقبل مافيها أو لم تعمل بما تقتضيه ، وليس في ذلك ما يوجب المؤاخذة وقد كفره قوم ببعض الأبيات السابقة ، وآخرون بقوله :

بَيْنَ الغَرِيزَةِ والرَّشَادِ نِفَارُ ... وَعَلَى الزَّخَارِفِ ضُمَّتِ الأَسْفَارُ[٢]

---

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١١٥ عن إرشاد الأريب لياقوت .

(٢) اللزوميات هـ ص ١٣٠ .

وآخرون بقوله :

فَعَظِّمْ أَخَا النُّسْكِ التَّقِيَّ لِدِينِهِ وَنَفْسَكَ فَاحْقِرْ نَافِعٌ لَكَ حَقْرُهَا[١]

وَلَا تَقْرَأ الكُتُبَ المُضَلِّلَ دَرْسُهَا وَقَدْ وَضَحَتْ طُرُقُ الهِدَايَةِ فَاقْرُهَا

وليس فيه مايوجب التكفير ، لأنه لادليل على أنه يريد بالأسفار في البيت الأول القرآن أو غيره من الكتب السماوية ؛ ولأنه لم يبين لنا ما هو نوع الزخارف ، إذ منها ما لا يكفر . وفي البيت الثالث نهى عن قراءة الكتب التي يضلل درسها . وهـذا الوصف لا ينطبق على القرآن الكريم لأن درسه لا يضلل .

وكفره قوم بقوله :

دِينٌ وَكُفْرٌ وَأَنْبَاءٌ تُقَصُّ وَفُرْ قَانٌ يَنُصُّ وَتَوْرَاةٌ وَإِنْجِيلُ[٢]

فِي كُلِّ جِيلٍ أَبَاطِيلٌ يُدَانُ بِهَا فَهَلْ تَفَرَّدَ يَوْماً بِالهُدَى جِيلُ

وردّ عليه النواري أو النواوي أو النووي بقوله :

نَعَمْ أَبُو القَاسِمِ الهَادِي وَأُمَّتُهُ فَزَادَكَ اللهُ ذُلاً يَا دُجَيْجِيلُ[٣]

الجيل : الصنف من الناس ، فالترك جيل ، والصين جيل ، والعرب جيل وهكذا . وقيل : الجيل : الأمة . وإنما يريد أبو العلاء أن كل صنف من الناس أو أمة من الأمم لا يخلو من أباطيل يدين بها بعضهم ، ولو كانت لديهم

---

(١) اللزوميات ٥ ص ١٢١ ، اقرها : أي اتبعها .

(٢) اللزوميات ٥ ص ١٩٧ .

(٣) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٩٤ عن تاريخ الاسـلام للذهبي و ص ٣٤٣ عن معاهد التنصيص — للعباسي .

كتب منزلة . ثم يستفهم ، هل تفرد جيل كله بالهدى ، ولم يدن بعضه بأباطيل ؟ وليس في هذا ما يفضي الى كفر أو فسوق ؛ لأن التاريخ لم يحدثنا أن جيلا كله كان على هدى ؛ ففي كل من الروم والصين والفرس وغيرهم فريق يدين بالأباطيل . وفي العرب أيضاً فريق كذلك حتى في عهد النبوة . فقد كان فريق من المشركين وغيرهم يدينون بالأباطيل في عهد النبي (ﷺ) وبعده . ولا نستطيع أن نسمي كل ما يدينون به هدى ، لأن فيهم مشركين ،ومنافقين وصابئة ، ويهوداً ، ونصارى وغيرهم . وبهذا يتبين أن الاعتراض والرد على أبي العلاء في هذين البيتين ناشيء عن عدم فهم مراده ؛ وسبب ذلك التشدد بغير دليل ، ويمكن أن تقاس أبياته التي هي من هذا النوع بهذه الأبيات وتحتذى على مثالها في التأويل والرد إذا أمكن ذلك .

وقد زعم صاحب ( الذكرى ) في ( تجديده ص ٢٨٩ ) أن أبا العلاء كان منكراً للنبوات، جاحداً لصحتها . وقد نص على ذلك في ( اللزوميات )صراحة غير مرة ، فطوراً يثبت أنها زور ، وطوراً يجعلها مصدر الشرور ، وافتن في ذلك افتناناً عجيباً ، فلم يكتف بإنكار النبوات حتى أنكر الديانات عامة ، وزعم أنها للعقل مخالفة ، وعن شرعته صادفة . واستشهد على ذلك بأقواله :

إنَّ الشّرائِعَ ألْقَتْ . . . . . . . .[1]

. . .

هَفَتِ الحَنِيفَةُ والنَّصَارَى . . . . . . . .[2]

. . .

ولاَ تَحْسَبْ مَقَالَ الرُّسْلِ . . . . . . . .[3]

---

(١) تمامه : «... بيننا إحناً وأودعتنا أفانين العداوات » اللزوميات هـ ص ٦٧ .

(٢) « : « . . . ما اهتدت ويهود حارت والمجوس مضللة ». « هـ ص ٢٠٦ .

(٣) « : «... حقاً ولكن قول زور سطروه » .انظر ما سبق ص١٣٦٧

أَتى عِيسَى فأبطَلَ دِينَ مُوسَى . . . . . . . . (١)

. . .

إذَا رَجَعَ الحصيفُ إلى حِجَاهُ . . . . . . . . (٢)

وقال : انه يقول في التعريض بالإسلام خاصة :

تَلَوْا بَاطِــلاً وَجَلَوْا . . . . . . . . (٣)

وإنه يقول في التعريض بالنبي (ﷺ) خاصة :

وَلَسْتُ أَقُولُ إنِ الشُّهْبَ . . . . . . . . (٤)

وإنه يقول معرضاً بقصة خيبر :

وَمُحَمَّدٌ وَهُوَ المُنَبَّأُ يَشْتَكِي . . . . . . . . (٥)

وأورد أبياتاً قدمنا أكثرها ، وبينا المراد منها ؛ وكثير منها لا يصلح للاستشهاد لما أراده ، كقوله : « ولست أقول إن الشهب .. » . فليس في هذا تعريض بالنبي ( ﷺ ) ، وإنما هو نفي لأن تكون الشهب جعلت رجوماً لبعث النبي (ﷺ) ، وقد تقدم الكلام في ذلك . ولم نر سخرية في قوله :

أَفَمِلَّةَ الإِسْلَامِ يُنْكِرُ مُنْكِرٌ . . . . . . . . (٦)

وخلاصة قوله : إن روح الرجــل لم يكن روح مؤمن بالنبوات ، ولا مصدق للأنبياء ؛ وقد رأيت وسترى ما يبطل ذلك .

---

(١) تمامه : « ... وجاء محمد بصلاة خمس » . اللزوميات ه ص ٣٠١ .

(٢) » : « ... تهاون بالمذاهب وازدراها » . انظر ما سبق ص ١٣٧٠ .

(٣) » : « ... صارماً وقالوا صدقنا فقلتم نعم » . اللزوميات ه ص ٢٥٨ .

(٤) » : « . يوماً لبعث محمد جعلت رجوماً » انظر ما سبق ص ١٣٠٥ .

(٥) » : « ... لمكان أكلته انقطاع الأبهر » . اللزوميات ه ص ١٥٧ .

(٦) » : « . وقضاه ربك صاغها وأتى بها » انظر ما سبق ص ١٣٩٢ .

# الأديان

## أو الملل والنحل والمذاهب

لا شك أن أبا العلاء ألم بكثير من الشرائع ، والملل ، والمذاهب من طريق الكتب التي درسها ، وبما سمعه من الناس ؛ وليس لدينا دليل يدل على أنها قرأها في غير المعرة ، بل يدل قوله : «منذُ فارقت العشرين من العمر ما حدثت نفسي باجتداء شيء من العلم »(١) على أنه درس كل ما درسه في المعرة . وما زعمه بعض الأدباء من أنه قرأ شيئاً في أنطاكية ، أو اللاذقية ، أو العراق أو غيرهما لايخرج عن كونه ظناً لايغني من الحق شيئاً . ويجد الباحث المتأمل في كلامه مايدل على أنه درس تلك المذاهب درساً دقيقاً وافياً ، استطاع بسببه أن يعترض عليها ، وينتقد كثيراً من مزاعم أهلها . وهذه جملة من أقواله :

### المجوس :

هذه طائفة من أقواله تدل على أنه وقف على جملة من عاداتهم ، ومعتقداتهم ، ومواضعاتهم . قال في ( سقط الزند ) يجيب تلميذه :

وَقَدْ تَفَرَّسْتُ فِيكَ الفَهْمَ مُلْتَهِباً

مِنْ كُلِّ وَجْهٍ كَنَارِ الفُرْسِ فِي السَّذَقِ (٢)

---

(١) انظر ما سبق ص ١٨٣ .

(٢) من قصيدة أجاب بها بعض الشعراء أولها :

ارقد هنيئاً فاني دائم الأرق ولا تعقني وغيري سالياً فعق

شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٧٥ .

السذق : عيد للعجم يوقدون فيه النيران ، وهو اليوم العاشر من بهمن ماه .

وقال في ( اللزوم ) :

أقرُّوا بالإلهِ وأَثبتُوهُ ... وَقَالوا لا نَبيَّ ولاَ كِتَابُ[1]

وَوَطءُ بَنَاتِنَا حِلٌّ مُباحٌ ... رُوَيدَكُمُ فَقَدْ بَطَلَ العِتَابُ

• • •

بَنَاتُ العَمِّ تَأْبَاهَا النَّصَارَى ... وَبِالأَخَوَاتِ أعرَسَتِ المَجُوسُ[2]

ومن المجوس الزرادشتية صنف يقال لهم : السيسانية ، والبهافريدية ، ورئيسهم يقال له : خواق ، خرج أيام أبي مسلم . وكان زمزميا يعبد النيران ، ثم ترك ذلك ، ودعا المجوس إلى ترك الزمزمة ، ورفض عبادة النار ، ووضع لهم كتابا أمرهم فيه بإرسال الشعور ، وحرم الأمهات والبنات والأخوات والخمر ؛ وأمرهم باستقبال الشمس عند السجود على ركبة واحدة ، وهؤلاء يتبـاذلون الأموال ، ولا يأكلون الميتة ، ولا يذبحون الحيوان حتى يهرم ، ولعل أبا العلاء أشار إليهم بقوله :

سَأَلْنَا مَجُوساً عَنْ حَقِيقَةِ دِينِها ... فَقَالَتْ نَعَمْ لاَ نَنْكِحُ الأَخَواتِ[3]

وَذَلِكَ في أصْلِ التَّمَجُّسِ جائزٌ ... وَلَكِنْ عَدَدْنَاهُ مِنَ الهَفَوَاتِ

---

(١) اللزوميات هـ ص ٣٤ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٢٩٤ .

(٣) اللزوميات هـ ص ٦٥ ــ ٦٦ والآتن : جمع أتان من أتان وهي الحمارة .

وَنَأْبَى قَطِيعَاتِ الأُمُورِ وَنَبْتَغِي ... سُجُوداً لِنُورِ الشَّمْسِ في الغَدَوَاتِ

وَأَعْذَرُ مِنْ نِسْوَانِكُمْ في احْتِمَالِهَا ... فُضُوحَ الرَّزَايَا آتُنُ الفَلَوَاتِ

ومن المجوس فرقة يقال لهم : الكيومرثية أصحاب المقدم الأول كيومرث . وهؤلاء أثبتوا أصلين : يزدان وأهرمن وقالوا : يزدان أزلي قديم ، وأهْرُمنْ محدث مخلوق . وزعموا أن يزدان فكر في نفسه أنه لو كان لي منازع كيف يكون وهذه الفكرة رديئة غير مناسبة لطبيعة النور ؟ فحدث الظلام من هذه الفكرة ، وسمي أهرمن ، وكان مطبوعاً على الشر والفتنة والفساد والضرر والإضرار ، فخرج على النور وخالفه طبيعة وقولاً ، وجرت محاربة بين عسكر النور وعسكر الظلام . ثم إن الملائكة توسطوا ، فصالحوا على أن يكون العالم السفلي خالصاً لأهرمن سبعة آلاف سنة ثم يخلّي العالم ويسلمه إلى النور . والذين كانوا في الدنيا قبل الصلح أبادهم وأهلكهم ، ثم بدأ برجل يقال له : كيومرث وحيوان يقال له : ثور ، فقتلها فنبت من مسقط ذلك الرجل ريباس ، وخرج من أصل ريباس رجل يسمى ميشه ، وامرأة اسمها ميشانه ، وهما أبوا البشر . ونبت من مسقط الثور الأنعام وسائر الحيوان . وزعموا أن النّور خيّر الناس وهم أرواح بلا أجساد بين أن يرفعهم عن مواضع أهرمن ، وبين أن تلبسهم الأجساد فيحاربون أهرمن ؟ على أن تكون لهم النصرة من عند النور ، والظفر بجنود أهرمن وحسن العاقبة ، وعند الظفر به وإهلاك جنوده تكون القيامة . وقد أشار أبو العلاء إلى قول الكيومرثية بقوله :

قَالَ أُنَاسٌ بَاطِلٌ زَعْمُهُمْ فَرَاقِبُوا اللهَ وَلاَ تَزْعُمُنْ[1]
فَكَّرَ يَزْدَانُ عَلَى غِرَّةٍ فَصِيغَ مِنْ تَفْكِيرِهِ أَهْرُمُنْ

ولبعض الفرق الأخرى من المجوس أقوال في يزدان وأهرمن ، ذكر بعضها في ( الملل والنحل ص ١٣٨ ) فما بعدها . وأشار أبو العلاء إلى كثير من نحل المجوس وعقائدهم كقوله :

عَمَدْتُمْ لِرَأْيِ الْمَثْنَوِيَّةِ بَعْدَمَا جَرَتْ لَذَةُ التَّوْحِيدِ فِي اللَّهَوَاتِ[2]

## مذاهب الهند

يدل كلام أبي العلاء على اطلاعه على كثير من عقائد الهند ، ومزاعمهم ، وعاداتهم ، ومواضعاتهم . ومنشأ هذا الاطلاع أمران : أحدهما : السماع من أفواه الرجال ، والثاني : الدراسة ، فإن كتب الكلام تصدت لكثير من المذاهب . وقد ذكر في ( رسالة الغفران ص ١٥٣ )[3] أن رجلا من الهند من جند محمود بلغ امرأته أنه هلك ، فأوقدت ناراً وألقت بنفسها فيها ، وكان الخبر باطلا . فلما قدم الزوج وأخبر بأمر امرأته ، أوقد ناراً ورمى بنفسه فيها ... كما تقدم . وفي ( ص ١٩٤ )[4] إن الهند لا يملكون عليهم رجلا يشرب مسكراً ، ويقولون : يجوز أن يحدث في المملكة نبأ والملك سكران .

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٨٥

(٢) اللزوميات هـ ص ٦٥ .

(٣) الغفران ط أمين هندية وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٣٩٨-٩ .

(٤) وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٥١٩ .

وأشار في ( اللزوم ) إلى شيء من عقائدهم ، وارتضى منها حرق الميت ، وفضله على الكافور في قوله السابق :

فَاعْجَبْ لِتَحْرِيقِ أَهْلِ الْهِنْدِ مَيْتَهُمُ . . . . . . . . . .[1]

وقوله :

والنَّارُ أَطْيَبُ مِنْ كَافُورِ مَيِّتِنَا . . . . . . . . .[2]

أما تحريق الإنسان نفسه فيراه تكليفاً شاقاً يتجشمه ، كما يدل عليه قوله :

يُحَرِّقُ نَفْسَهُ الهِنْدِيُّ خَوْفاً وَيَقْصُرُ دُونَ مَا صَنَعَ الجِهَادُ[3]

وَمَا فَعَلَتْهُ عُبَّادُ النَّصَارَى وَلاَ شَرْعِيَّةٌ صَبَئُوا وَهَادُوا

يُقَرِّبُ جِسْمَهُ لِلنَّارِ عَمْداً وَذَلِكَ مِنْهُ دِينٌ واجْتِهَادُ

وهو تارة يرى في إحراق الميت إراحة من زورته في البكور والرواح ، واستراحة من ضغطة القبر ، وسؤال منكر ونكير ؛ كأنه جازم بذلك فيقول :

حَرَّقَ الهِنْدَ مَنْ يَمُوتُ فَمَا زَا رُوهُ فِي رَوْحَةٍ وَلاَ تَبْكِيرِ[4]

وَاسْتَرَاحُوا مِنْ ضَغْطَةِ القَبْرِ مَيْتاً وَسُؤَالٍ لِمُنْكَرٍ وَنَكِيرِ

---

(١) وتمام البيت : « وذاك أروح من طول التباريح » اللزوميات هـ ص ٨٥ .

(٢) صدر بيت عجزه : « غبّاً وأذهب للنكراء والريح » . للمصدر السابق .

(٣) اللزوميات هـ ص ٩٦ .

(٤) اللزوميات هـ ص ١٦٧ .

لاَ ذُكُورٌ وَلاَ إناث مِنَ العَا ... لَمِ يُهْدَى لِلرُّشْدِ بِالتذْكِيرِ

وتارة يستفهم عن سؤال الملكين ، وضغطة القبر ، سؤال شاك أو منكر فيقول :

إذَا حَرَّقَ الهِنْدِيُّ بالنَّارِ نَفْسَهُ ... فَلَمْ يَبْقَ نَحْضٌ للتُّرَابِ وَلاَ عَظْمُ[1]

فَهَلْ هُوَ خَاشٍ مِنْ نَكِيرٍ ومُنْكَرٍ ... وَضَغْطَةِ قَبْرٍ لاَ يَقُومُ لَهَا نَظْمُ

وذكر شيئاً من مزاعم الهند في آدم عليه السلام :

تَقُولُ الهِنْدُ آدَمُ كَانَ قِنًّا ... لَنَا فَسَرَى إلَيْهِ مُخَبَّبُوهُ[2]

وتقدم قوله :

. . . . . . . . والهِنْدُ بَعْدُ مُطِيلَةٌ أظْفَارَهَا[3]

وهو يدل على أن إطالة الأظفار من النسك عندهم .

* * *

---

(١) اللزوميات ٥ ص ٢٢٨ ، والنحض : اللحم المكتنز .

(٢) اللزوميات ص ٣٣٣ . والقن : العبد ، وخببه : خدعه وغشه وأفسده .

(٣) عجز بيت صدره : « وأعد قص الظفر شيمة ناسك » .

اللزوميات ٥ ص ١٤٣ .

# اليهودية واليهود

يمكن أن يلخص رأي أبي العلاء في اليهود بأنه يعتقد أن التوراة كتاب موسى ، وأن اليهود حرّفوها وبدّلوا منها ما شاؤا ؛ حتى صارت كلها كذباً من العلماء والأحبار . ولذلك لا يقبل حكماً منها ، وأن الأحبار افترت ما افترته لأمور تافهة ، منها : نيل المعيشة الطيبة ، وكسب الأموال ، وإصباء النساء . وهم لا يألون جهداً في الافتراء والتحيل لامتراء الأموال . وأن اليهود يعتقدون أن المسيح لم يأت بعد ، ولكنه لا بد أن يأتي . وأن فريقاً منهم اتخذوا من حليهم المصوغ عجلاً ، وفريقاً يقول : إن عيسى ليس مقرباً عند الله . وقد نقم أبو العلاء على اليهود أشد نقمة ، لكثرة تحيلهم في دينهم وتشددهم وادخالهم فيه ما ليس منه . وهذه جملة من كلماته تدل على اعتقاده في اليهود والتوراة والأحبار ؛ منها قوله :

تَقَدَّمَ صَاحِبُ التَّوْرَاةِ مُوسَى     وَأَوْقَعَ بِالْخَسارِ مَنِ اقْتَرَاهَا[1]

فَقَالَ رِجَالُهُ وَحْيٌ أَتَاهُ     وَقَالَ الآخَرُونَ بَلِ افْتَرَاهَا

وقوله :

وَلاَ تَقْبَلْ مِنَ التَّوْرَاةِ حُكْماً     فَإِنَّ الْحَقَّ عَنْهَا فِي تَوَارِ[2]

---

(١) انظر ما سبق ص ١٣٧٠ .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ١٥٦ .

وقوله :

ضَلَّتْ يَهُودُ وَإِنَّمَا تَوْرَاتُهَا كَذِبٌ مِنَ العُلَمَاءِ والأحْبَارِ [(١)]

وقوله :

ضَلُّوا بِعِجْلٍ مَصُوغٍ مِنْ شُنُوفِهِمُ فَاسْتَنْكَرُوا اسْمَعاً لِلشَّنْفِ مَثْقُوبَا [(٢)]

وَلَنْ يَقُومَ مَسِيحٌ يُجْمِعُونَ لَهُ وَخِلْتُ وَاعِدَهُمْ مِ الخُلْفِ عُرْقُوبَا

وقوله :

أَجَلَّتْ سَبْتَهَا أَشْيَاعُ مُوسَى أَسَبْتُ القَطْعِ ذَاكَ أَمِ السُّبَاتُ [(٣)]

وقوله :

وآلُ إِسْرَالَ غَادَوْا فِي مَدَارِسِهِمْ تِلَاوَةً وَمُحَالٌ كُلُّ مَا دَرَسُوا [(٤)]

وقوله :

تَرْجُو اليَهُودُ المَسِيحَ يَأْتِي وَتَأْمُلُ الدَّهْرَ أَنْ يَهُودَا [(٥)]

وَكَيْفَ تُرْعَى لَهُمْ عُهُودٌ مِنْ بَعْدِ مَا ضَيَّعُوا العُهُودَا

---

(١) اللزوميات هـ ص ١٦٣ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٤٠ والشنف : القرط يعلق بالأذن ، وعرقوب : رجل من العمالق يضرب به المثل في خلف الوعد .

(٣) اللزوميات هـ ص ٥٩ ، والسبت : مصدر سبت أي قطع العنق . والسبات : النوم .

(٤) اللزوميات هـ ص ٢٩٢ هـ .

(٥) اللزوميات هـ ص ١٠٣ ، وهاد يهود : يرجع ويتوب .

وقوله :

عَجِبْتُ لِرِقِّ ضُمِّنَ المَيْنَ بَعْدَمَا ... تَخَيَّرَهُ قَوْمٌ لِتَوْرَاتِهِمْ سِفْرَا[١]

وقوله :

وَلَيْسَ الذي قَالَ اليَهُودِيُّ ثَابِتاً ... سِوَى أَنَّهُ بِالخَطِّ أُثْبِتَ في السِّفْرِ[٢]

وقوله :

آلَيْتُ مَا تَوْرَاتُكُمْ بِمُنِيرَةٍ ... إنْ أُلْفِيَتْ فِيها الكُمَيْتُ مُحَالَةً[٣]

وقوله :

يَا آلَ يَعْقُوبَ خُذُوا حِذْرَكُمْ ... في الدَّهْرِ مِنْ حَبْرٍ وَدَيَّانِ[٤]

يَزْعُمُ نَارٌ مِنْ سَمَاهُ هَوَتْ ... تَأْكُلُ ذَا إفْكٍ وطُغْيَانِ

لَوْ كُنْتَ فِيما قُلْتَهُ صَادِقاً ... لَمْ تَغْدُ لِلشَّرِّ بِهِمْيَانِ

وقوله :

إنَّ اليَهُودِيَّ خَلَّى جَهْلُهُ امْرَأَةً ... كَانَتْ عَقِيماً وَخَيْرُ النِّسْوَةِ العُقُمُ[٥]

مَاذَا أَرَادَ لَحَاهُ اللهُ مِنْ وَلَدٍ ... يَلْقَى مِنَ الدَّهْرِ مَا يُرْدِي وَمَا يَقِمُ

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ١٣٧ . والمين : الكذب .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ١٤٧ .

(٣) اللزوميات ﻫ ص ٢٠٦ ، وآليت : أي حلفت ، والكميت : الخمر .

(٤) اللزوميات ﻫ ص ٢٨١ والهميان : ما يجعل فيه الدراهم .

(٥) اللزوميات ﻫ ص ٢٣٣ ، ويردي : يهلك . ويقم : من الوقم وهو الذل ، يقال : وقم الله العدو أي أذله .

وقوله :

وَقَالَ أُناسٌ لَيْسَ عِيسَى مُقَرَّباً فَقِيلَ وَلاَ مُوسَاكُمُ بِكَلِيمِ [١]

وقوله :

يَاآلَ إِسْرَالَ هَلْ يُرْجَى مَسِيحُكُمُ هَيْهَاتَ قَدْ مُيِّزَ الأَشْيَاءُ مَنْ خَلَبَا [٢]

قُلْنَا أَتَانَا وَلَمْ يُصْلَبْ وَقَوْلُكُمُ مَاجَاءَ بَعْدُ وَقَالَتْ أُمَّةٌ صُلِبَا

جَلَبْتُمُ بَاطِلَ التَّوْرَاةِ عَنْ شَحَطٍ وَرُبَّ شَرٍّ بَعِيدٍ لِلْفَتَى جُلِبَا

وقوله :

يَاآلَ يَعْقُوبَ مَا تَوْرَاتُكُمْ نَبَأٌ مِنْ وَرْيِ زَنْدٍ وَلَكِنْ وَرْيِ أَكْبَادِ [٣]

إِنْ كَانَ لَمْ يَبْدُ لِلأَغْمَارِ سِرُّكُمُ فَإِنَّهُ لِيَ فِي أَكْنَافِهِ بَادِ

لَقَدْ أَكَلْتُمْ بِأَمْرٍ كُلُّهُ كَذِبٌ عَلَى تَقَادُمِ أَزْمَانٍ وَآبَادِ

وقوله :

يُبْدِي التَّدَيُّنَ مُحْتَالاً ضَمَائِرُهُ غَيْرُ الْجَمِيلِ إِذَا مَاجِئْتَهُ ضَمَرَا [٤]

يَشْدُو مَزَامِيرَ دَاوُدٍ وَيَفْضُلُهُ فِي النُّسْكِ نَافِخُ مِزْمَارٍ لَهُ زَمَرَا

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٤٦ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٣٩ . والشحط : البعد .

(٣) اللزوميات هـ ص ١١٠ . وورى الزند : خروج شراره واضاءته ، وورى الأكباد : داء شديد يجاء منه القيح والدم .

(٤) اللزوميات هـ ص ١٣٩ .

وقوله :

كُلُّ الذي تَحْكُونَ عَنْ مَوْلاكُمُ كَذِبٌ أَتَاكُمْ عَنْ يَهُودَ يُحَبَّرُ[١]

رَامَتْ بِهِ الأَحْبَارُ نَيلَ مَعِيشَةٍ في الدَّهْرِ والعَمَلُ القَبِيحُ يُتَبَّرُ

وقوله :

يَتْلُونَ أَسْفَارَهُمْ والحَقُّ يُخْبِرُني بِأَنَّ آخِرَهَا مَيْنٌ وأَوَّلُهَا[٢]

صَدَقْتَ يَاعَقْلُ فَلْيَبْعَدْ أُخُوسَفَهٍ صَاغَ الأَحَادِيثَ إِفْكاً أَوْ تَأَوَّلَهَا

وَلَيْسَ حَبْرٌ بِبِدْعٍ في صَحَابَتِهِ إِنْ سَامَ نَفْعاً بِأَخْبَارٍ تَقَوَّلَهَا

وَإِنَّمَا رَامَ نِسْوَاناً تَزَوَّجَهَا بِمَا افْتَرَاهُ وأَمْوَالاً تَمَوَّلَهَا

وهذا القدر كافٍ في الدلالة على اطلاعه على اليهودية واليهود ، ومعرفته الكثير من معتقداتهم وعاداتهم ، واحتيال الأحبار على أمتهم ، وعبثهم بالتوراة ، ونحو ذلك مما تشعر به الأبيات المتقدم ذكرها . وقد بين كثيراً من أعمال الأحبار بقوله من قصيدة[٣] :

وَلِحَبْرِ اليَهُودِ في دَرْسِهِ التَّوْ رَاةَ فَنٌّ وَالهَمُّ في التَّذْبِيلِ[٤]

---

(١) اللزوميات هـ ص ١٢٧ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٢٠٤ والحبر : بفتح الحاء عالم اليهود .

(٣) من لزومية مطلعها :

سل سبيل الحياة عن سلسبيل لا تخبر عن غير ورد وبيل

اللزوميات هـ ص ٢٢٣ .

(٤) التذبيل : من ذبل الشفة أي كبرها .

رَبَلَتْهُ أَسْفَارُهَا وَحَتّتْهُ طُولَ أَسْفَارِهِ مِنَ التَّرْبِيلِ(١)
حَسَّنَ القَوْلَ يَبْتَغِي نَضْرَةَ العَيْشِ بِغِشِّ الإِدْوَاءِ والتَّذْبِيلِ(٢)

. . . . . . . . . . . . . . . .

قَدْ أَرَاكُمْ تَلَطُّفاً وَهُوَ فِي الغِلْظَةِ مِنْ جُرْهُمٍ وَآلِ عَبِيلِ(٣)
مُوعِدٌ بِالأَجْرَامِ يُوعِدُ أُمَّ النَّسْلِ فِيهِ بِالثُّكْلِ وَالتَّهْبِيلِ(٤)

. . . . . . . . . . . . . . . .

يُطْلِقُ الخَمْسَ فِي الحَرَامِ وَأَمَّا اللَّفْظُ مِنْهُ فَدَائِمُ التَّكْبِيلِ
كَذِبٌ لاَ يَزَالُ يُطْعِمُ خُبْزاً نُصَّ عَنْ آدَمٍ وَعَنْ قَابِيلِ

ومما تقدم يتضح أن أبا العلاء لا يثق بالتوراة ، ولا بالأحبار ، ولا الوعاظ ، والخطباء . من اليهود ؛ ولا يرى فيهم من يعمل عملا مخلصاً لله فيه ؛ وإنما كل أعمالهم قائمة على حب المنفعة العاجلة ، واللذة الشهوانية .

★ ★ ★

---

(١) ربل القوم : كثروا أو كثر أموالهم وأولادهم ، والأسفار : مفردها سفر وهو الكتاب. والأسفار الثانية : الترحل . وتربل فلان : تصيد .

(٢) التذبيل : جعل الشيء ذابلا أي ضامراً .

(٣) آل عبيل : قبيلة من العرب البائدة انقرضوا .

(٤) الثكل : فقدان الولد والتهبيل في معناه .

# النّصرانية والنصارى

درس أبو العلاء النصرانية في المعرة درساً دقيقاً ، واطلع من أحوال النصارى الذين كانوا فيها ، ومن الكتب التي قرأها على معتقداتهم وعاداتهم في ذلك العصر وما قبله . وقد أعجبه دأب الرهبـــان في اعتزالهم عن الناس وتقشفهم ؛ ولكن أنكر عليهم أمرين :

أحدهما : أكل الحيوان وما تولد منه ، وأكل أموال النـاس بغير عمل ، لأنه يريد أن لا يكون المرء كَلاًّ على غيره ، وهذا ما أراده بقــوله :

وَيُعْجِبُني دَأْبُ الذينَ تَرَهَّبُوا سِوى أَكْلِهِمْ كَدَّ النُّفُوسِ الشَّحَائِحِ (١)

وَأَطْيَبُ مِنْهُمْ مَطْعَماً في حَيَاتِهِ سُعَاةُ حلال بَيْنَ غَادٍ وَرَائِحِ

والثاني : سجنهم أنفسهم للتعبد ، لأن ذلك برأيه مخالف لما كان عليه عيسى ( ص ) :

فَمَا حَبَسَ النَّفْسَ المَسِيحُ تَعَبُّداً

وَلَكِنْ مَشَى في الأَرْضِ مَشْيَةَ سَائِحِ (١)

ويعتقد أن الراهب غير مخلص فيما يظهره من النسـك ، بل هو خداع كالذئب فيقول :

---

(١) اللزوميات ﻫ س ٨٤ .

أوَى دَيْرَ نَصْرَانِيَّةٍ مُتَظَاهِرٌ بِنُسْكٍ ألاَ إنَّ الذِّئَابَ أوَادِي[١]

وأنه موله في حب الدنيا متخرص بتألهه :

الرَّاهِبُ المَسْجُونُ فَرْطَ عِبَادَةٍ مِنْ حُبِّ دُنْيَاهُ الكَذُوبِ مُوَلَّهُ[٢]

أعَرَفْتُمُ أصْحَابَكُمْ بِحَقِيقَةٍ أمْ كُلُّكُمْ عَنْهُمْ غَبِيٌّ أبْلَهُ

ذُكِرَ التَّألُّهُ فَادَّعَوْهُ تَخَرُّصاً مَا هَذِهِ أفْعَالُ مَنْ يَتَألَّهُ

وليست هذه حال واحد منهم ، بل كلهم في ذلك سواء :

إذَا كَشَفْتَ عَنِ الرُّهْبَانِ حَالَهُمُ فَكُلُّهُمْ يَتَوَخَّى التِّبْرَ وَالوَرِقَا[٣]

وأبو العلاء يرى المتعبد الذي يعيش من كسب يده أفضل من المتعبد الذي يعيش من كسب غيره ، وأن الخشن من الثياب مع العفة وطهارة الذيل أفضل من اللباس الفاخر والأثاث الوثير ، وهذا مايرمي اليه في قوله :

صَلاَةُ الأمِيرِ الكَاسِيِّ[٤] بِمَسْجِدٍ أبَرُّ وَأزْكَى مِنْ صَلاَةِ البَطَارِقِ[٥]

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ١٠٧ ، وأواد : مفردها آدية أي خاتلة ويقال : أدا السبع للغزال يأدو ختله ليأكله .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ٣٣٤

(٣) اللزوميات ﻫ ص ٣٠٤ . والتبر : الذهب غير المضروب ، والورق : الفضة أوالدراهم .

(٤) هكذا في الديوان (ع) .

(٥) اللزوميات ﻫ ص ٣٠٦ والبطارق : مفردها بطريق وهو عظيم النصارى ، والنمار : مفردها نمرة وهي بردة من صوف يلبسها الأعراب . والنمارق : مفردها نمرقة ، وهي الوسادة الصغيرة .

مَخَارِيقُ تَبْدُو في الكَنَائسِ مِنْهُمُ  بِلَحْنٍ لَهُمْ يَحْكِي غِنَاءَ مُخَارِقِ

وَإنَّ حِجَازِيَّ النَّهَارِ وَلُبْسَهَا  لأشْرَفُ مِنْ دِيبَاجِهِمْ والنَّمَارِقِ

ولا فرق عنده بين أن يكون المتعبد معتزلاً عن الناس ، أم غير معتزل ، ما دام كل منهما يعيش من كد غيره ، وهذا ما أراده بقوله :

فَإنِّي أرَى البِطْرِيقَ والراهِبَ الذِي  بِقُلَّيتِهِ سَارَا مَعــاً بِطَرِيقِ[1]

وأنكر تعظيم الصليب في مثل قوله :

قَدَرٌ نَازِلٌ مِنَ الجَوِّ نَادَى  بِالنَّصَارَى حَتَّى أجَلُّوا الصَّلِيبَا[2]

• • •

وَمَا أرَى كُلَّ قَوْمٍ ضَلَّ رُشْدُهُمُ  إلاَّ نَظِيرَ النَّصَارَى عَظَّمُوا الصُّلُبَا[3]

كما أنكر السجود له وعدَّه عاراً في مثل قوله :

وَحَسْبُكَ مِنْ عَارٍ تَشِبُّ وَقُودَهُ  سُجُودُكَ لِلصُّلْبَانِ في كُلِّ شَارِقِ[4]

ولم يُرضه غدوُّ النساء إلى الكنائس والأديار ، واختلاطهن بالرجال ، خشية الفتنة ، كما يشير إلى ذلك قوله :

هَلْ قَبِلَتْ مِنْ نَاصِحٍ أُمَّةٌ  تَغْدُو إلى الفِصْحِ بِصُلْبَانِهَا[5]

---

(١) الزوميات هـ س ٣٠٦ ، والبطريق : القائد بلغة أهل الشام والروم وقيل عربي (ج)

(٢) اللزوميات هـ س ٤٣ .

(٣) الزوميات هـ س ٣٩ وفيها : « ... أعظموا الصلبا » .

(٤) اللزوميات هـ س ٣٠٦ وفيها : « ... يشب وقوده » .

(٥) الزوميات هـ س ٢٨٠ وفيها : « بجربانها » وجربّان القميص : جيبه .

كَنَائِسُ يَجْمَعُهَا وُصْلَةٌ بَيْنَ غَوَانِيهَا وَشُبَّانِهَا
مَا بَالُهَا عَذْرَاءُ أَو ثَيِّباً كَوَرْدَةِ الْجَانِي بِإِبَّانِهَا
رَاحَتْ إِلَى الْقِسِّ بِتَقْرِيبِهَا وَبَيْتُهَا أَوْلَى بِقُرْبَانِهَا
قَدْ جَرَّبَتْ مِنْ فِعْلِهِ سَيِّئاً وَالطِّيبُ جَارٍ فِي جُرُبَّانِهَا
وَرُبَّمَا تُسْخِطُ بَلْ زَوْجَهَا الْبَائِسَ فِي طَاعَةِ رُبَّانِهَا
وَزَارَتِ الدَّيْرَ وَأَثْوَابُهَا ضَامِنَةٌ فِتْنَةَ رُهْبَانِهَا

ويرى أن البيعة يجب أن تهجر إذا كانت تزار لغي :

إِذَا مَا بِيعَةٌ زِيرَتْ لِغَيٍّ فَأَعْطِ لِهَجْرِهَا أَيْمَانَ بَيْعَهْ[1]
وَلاَ تَجْعَلْكَ لِلأَيَّامِ كَلْباً ظِبَاءٌ مِنْ ذُؤَيْبَةَ أَوْ سُبَيْعَهْ

وقد انتقد في شعره ما يعتقده النصارى في عيسى (ص) من الربوبية أو أنه ابن الله ، وأمعن في هذا الموضوع ، وناقشه مناقشة عليم مدقق وحكيم موفق من ذلك قوله :

وَقَدْ شَهِدَ النَّصَارَى أَنَّ عِيسَى تَوَخَّتْهُ الْيَهُودُ لِيَصْلِبُوهُ[2]
وَمَا أَبِهُوا وَقَدْ جَعَلُوهُ رَبّاً لِئَلاَّ يُنْقِصُوهُ وَيَجْدِبُوهُ

وأورد في ( لزوم ما لا يلزم ) مناظرة رائعة في ترتيبها ، ساحرة بأسلوبها ، وذلك حيث يقول :

---

(١) اللزوميات ج ص ٢٨٦ وذؤيبة وسبيعة : قبيلتان .
(٢) انظر ما سبق ص ١٣٦٦ .

أَسْهَبَ النَّاسُ في المَقَالِ وَمَا يَظْـــفَرُ إلاَّ بِزَلَّـةٍ مُنْهِبُرُهُ[1]

عَجَباً لِلْمَسِيحِ بَيْنَ أُنَاسٍ وَإِلَى اللهِ والدٍ نَسَبُـــوهُ

أَسْلَمَتْهُ إلى اليَهُودِ النَّصَارَى وَأَقَرُّوا بِأَنَّهُمْ صَلَبُـــوهُ

يُشْفِقُ الحَازِمُ اللَّبِيبُ عَلى الطِّفْـــلِ إذَا مَا لِدَاتُهُ ضَرَبُوهُ

وَإِذَا كَانَ مَا يَقُولُونَ في عِيـــسَى صَحِيحاً فَأَيْنَ كَانَ أَبُوهُ

كَيفَ خَلَّى وَلِيدَهُ لِلأَعَادِي أَمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ غَلَبُوهُ

وَإِذَا مَا سَأَلْتَ أَصْحَابَ دِينٍ غَيَّرُوا بالقِيَاسِ مَا رَتَّبُوهُ

لاَ يَدِينُونَ بِالعُقُولِ وَلَـكِنْ بِأَبَاطِيلِ زُخْرفٍ كَذَبُوهُ

وقد رأيت في ( شرح لامية العجم للصفدي ) بعد قوله : « فأين كان أبوه » هذين البيتين :

وإذَا كَانَ رَاضِياً بِقَضَاهُمْ فَاشْكُرُوهُمْ لِأَجْلِ مَا عَذَّبُوهُ

وَإِذَا كَانَ سَاخِطاً بِأَذَاهُمْ فَاعْبُدُوهُمْ لِأَنَّهُمْ غَلَبُوهُ

وإذا صح أنها من هذه القصيدة ففي البيت الذي بعدها إيطاء بتكرار كلمة « غلبوه » وهو من عيوب القافية ، وبعيد من أبي العلاء أن يقع الإيطاء في كلامه . فلعل في الرواية تحريفاً ، أو البيتين ليسا لأبي العلاء .

(١) اللزوميات ٥ ص ٣٣٤ : ونبهاء وإلى خير والد نسبوه » .

وأبو العلاء – كما علمنا – يسير في آرائه واعتقاده على ماتقتضيه الحكمة والعقل ؛ ولا يطغى على عقله التعصب ، فهو يجل كل نبي مرسل ، وإن كان متبعاً لنبي واحد وهو محمد ( ﷺ ) ، ولا يرى في أحد من الأنبياء نقصاً ، وعلى هذا قوله :

لاَ تَبْدَأُونِي بِالعَدَاوَةِ مِنْكُمُ فَمَسِيحُكُمْ عِنْدِي نَظِيرُ مُحَمَّدِ[1]

ولا يمنعه من عمل البر وإسداء الجميل إلى إنسان أن يكون على غير دينه ، يدل على ذلك قوله :

أَكْرِمْ عَجُوزَكَ إِنْ كَانَتْ مُوَحِّدَةً عَلَى التَّحَنُّفِ أَوْ كَانَتْ بِزُنَّارِ[2]

والزنار كتفاح : شيء يشده النصراني على وسطه .

ثم إن هناك فرقاً مختلفة من أهل النحل ، منهم من يقول بقدم العالم وعدم فنائه ؛ ومنهم من ينكر الحشر ، ومنهم من يثبته للإنسان دون الحيوان ، ومنهم ومنهم . . .

وأبو العلاء تعرض في كلامه إلى بعض الأقوال ، فنقل بعضاً منها ، ولم يبين رأيه فيها ؛ ورد على بعض آخر ، ووافق ظاهر قوله شيئاً منها ، وهذه أمثلة مجملة من ذلك وهي :

قوله :

وَدَانَ أُنَاسٌ بِالجَزَاءِ وَكَوْنِهِ وَقَالَ رِجَالٌ إِنَّمَا أَنْتُمُ بَقْلُ[3]

وقوله :

تَلاَوَمَ النَّاسُ وَافْتَنَّتْ ظُنُونُهُمُ وَأَرْجَأَ النَّاشِىءُ البَاغِي أَوِ اعْتَزَلاَ[4]

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ١١٣ .
(٢) « « ص ١٥٢ .
(٣) « « ص ١٩٥ .
(٤) « « ص ٢٠٤ . ورمّ : بلي . وأزل : حبس .

وَقِيلَ لَا بَعْثَ يُرْجَى لِلثَّوَابِ وَمَا سَمِعْتَ فِي ذَاكَ دَعْوَى مُبْطِلٍ هَزَلَا
وَكَيْفَ لِلْجِسْمِ أَنْ يُدْعَى إِلَى رَغَدٍ مِنْ بَعْدِ مَا رُمَّ فِي الغَبْرَاءِ أَوْ أُزِلَا

وقوله :

وأقوالُ سُكَّانِ البِلَادِ ثَلَاثَةٌ تَوَالَى عَلَيْهَا عَائِدٌ وَمُلَائِمُ(١)
فَقَوْلٌ جَزَاءٌ مَا وَقَوْلٌ تَهَاوُنٌ وآخَرُ يُجْزَى إِنْسُهُ لَا البَهَائِمُ

وقوله :

إِذَا قِيلَ غَالَ الدَّهْرُ شَيْئاً فَإِنَّمَا يُرَادُ إِلَهُ الدَّهْرِ والدَّهْرُ خَادِمُ(٢)

وقوله في ( السقط ) :

ضَلَّ الَّذِي قَالَ البِلَادُ قَدِيمَةٌ بِالطَّبْعِ كَانَتْ والأَنَامُ كَنَبْتِهَا(٣)

وقوله في ( اللزوم ) :

إِنَّ العُقُولَ تَقُولُ مُؤْلِيَةً لَيْسَ الأَنَامُ كَنَابِتِ البَقْلِ(٤)

وهذا ردّ على الدهريين الذين يقولون : إن العالم قديم بالطبع ، لم يزل كذلك ولم يحدث بإحداث محدث ، والناس كالنبات ، ينبتون ويعودون بالموت هشيماً .

★ ★ ★

(١) اللزوميات هـ ص ٢٣٠ .
(٢) انظر ما سبق ص ١٢٧٩
(٣) شروح سقط الزند ، ق ٣ ص ١٠٣٤ .
(٤) اللزوميات هـ ص ٢٢٢ ، ومؤلية : أي حالفة من الألية وهي اليمين .

# الإسلام والمسلمون

لا شك أن أبا العلاء مسلم ، مؤمن ، متق ، ناسك ، زاهد ، يؤثر الإسلام على سائر الأديان ، ويعتقد بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله واليوم الآخر ما يعتقده المؤمن المخلص ، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك في مواطن مختلفة ، وكما سيأتي تتمة ذلك في المباحث الآتية .

وقد وقع في كلامه أمور ظاهرها أنه أنكرها ، إما لمخالفتها العقل في رأيه ، وإما لعدم إدراكه حكمة الشارع فيها ، وإما لخطأٍ منه في الاجتهاد والرأي ، وإما لسبب آخر . وقد سبقت الإشارة إلى شيء من ذلك . وهذا النوع ، إن كانت خصومه وضعته على لسانه أو حرفت كلماته إليه ، فهو بريء من تبعته ، وإن كان تعمّده فذلك لأن عقله لم يقبله . وكثيراً ما يقصر فهم المخلوق عن إدراك حكمة الخالق ، وقد يجوز أن يكون معتقداً للشيء عالماً بحكمته ، ولكنه يريد التعريض أو التهكم بخصومه أو غيرهم .

وقد تصدى في شعره إلى مناظرة أصحاب النحل من مجوس ، وفلاسفة ، ويهود ، ونصارى ، وصابئة وغيرهم ، وصرح بما لم يرتضه من عقائدهم ، وتلقى بعضها بالإنكار ، وبعضاً آخر بالاستخفاف والتهكم .

كما تصدى إلى كثير من الفرق التي تنتمي إلى الإسلام ، وبيّن ما في عقائدهم ، وتناول في كلامه ما لم يقبله عقله من عقائد أهل السنة . وقد ذكرنا طرفاً من أقواله في المجوس ، والصابئة ، واليهود ، والنصارى ، وشيئاً من شعره في البحث في علم الكلام . وهنا نذكر شيئاً من أقواله في الإسلام والفرق المسلمة ، ثم نتبعه بأقواله في السنة .

## أقواله وآراؤه في الإسلام

ما ذكر أبو العلاء الإسلام مرة في شعره إلا وقد قرنه بما يدل على تعظيمه وتفضيله على غيره ، والاعتصام بحبله . وله مواطن كثيرة يتبرأ فيها من مذاهب وآراء وأقوال تخالف أصل الإسلام ؛ كما ان له مواقف كثيرة يحض بها على التمسك بما أمر به الإسلام من قول وعمل ، وهذه طائفة من كلامه في هذا الباب :

تعجبه ممن ينكر الإسلام : تقدمت أبيات يقول فيها :

أفِملّةَ الإسْلامِ يُنْكِرُ مُنْكِرٌ ... وقَضَاءُ رَبِّكَ صَاغَهَا وأَتَى بِها [١]

قول المسلمين هو الثابت الذي يجب أن يعول عليه :

ثَلاثَةُ أيّامٍ لأهلِ تَنَافُرٍ ... ولَكِنّ قولَ المُسْلِمِينَ هو الثَّبْتُ [٢]

يَرَى الأحَدَ النَّصْرِيُّ عِيداً لأهْلِهِ ... وجُمْعَتُنَا عِيدٌ لَنَا ولَكَ السَّبْتُ

اتباع الشرع حزم :

وَجَدْنَا اتِّبَاعَ الشَّرْعِ حَزْماً لِذِي النُّهَى

وَمَنْ جَرَّبَ الأيّامَ لَمْ يُنْكِرِ النَّسْخَا [٣]

فَمَا بَالُ هَذَا العَصْرِ مَا فِيهِ آيَةٌ ... مِنَ المَسْخِ إنْ كَانَتْ يَهُودُ رَأَتْ مَسْخَا

---

(١) انظر ما سبق ص ١٣٩٢ .

(٢) اللزوميات ص ٥٨ .

(٣) « « ص ٨٧ .

**الشرع الإسلامي ثابت لا يُنسخ :**

أُحسِنْ بهذَا الشرْعِ مِنْ مِلَّةٍ يَثْبُتُ لا يُنْسَخُ فيما نُسِخْ (١)

**الاسلام ليس له مثل :**

وإنَّ لِحَقِّ الإسلامِ خَطبٌ يَغُضُّهُ فَمَا وَجَدَتْ مِثْلاً لَهُ نَفْسُ وَاجِدِ (٢)

**رأيه في النبي محمد ﷺ :**

ما أعلم أن أبا العلاء ذكر النبي محمداً ﷺ في نثر ولا في نظم بما يشعر بطعن ، أو غمز ، أو تنقص أو نحو ذلك ؛ بل لا يذكره في موضع إلا وقد قرن ذكره بالصلاة عليه أو نحوها ، مما يدل على تعظيمه . وقد ذكره في ( لزوم ما لا يلزم ) بقوله :

وَالمرْءُ يَغْشَاهُ الأذى مِنْ حَيْثُ لاَ
يَخْشَاهُ فَاعْجَبْ مِنْ صُرُوفِ الأَدْهُرِ (٣)
وَمُحَمَّدٌ وَهُوَ المُنَبَّأُ يَشْتَكِي لِمَكَانِ أُكْلَتِهِ انْقِطَاعَ الأَبْهَرِ

يشير إلى حادثة وقعت لما فتحت خيبر ، خلاصتها أن امرأة يهودية سألت : أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ فقيل لها : الذراع . فأخذت شاة فوضعت فيها سماً وأكثرت منه في الذراع ؛ ثم

---

(١) اللزوميات ج ٢ ص ٨٩ .
(٢) « « ص ١٠٥ .
(٣) انظر ما سبق ص ١٣٩٧ والأبهر : عرق متصل بالقلب فإذا انقطع لم تبق معه حياة .

أهدتها إلى النبي - ﷺ - فلما تناول الذراع لاكَ منها مضغة ولم يسغها ، وقال لأصحابه : أمسكوا فإنها مسمومة . وكان بشر بن البراء أكل منها وأساغ لقمته فمات منها . ثم ورد عنه - ﷺ - أنه قال : « ما زالت أكلة خيبر تعادّني في كل عام حتى كان هذا أوانَ قطع أبهري » . والحديث روي بروايات متعددة في ( البخاري ) و ( مسلم ) و ( النسائي ) وغيرهم . والقصة مطابقة للبيت الأول تمام المطابقة ؛ وليس في البيتين تعريض ، خلافاً لما ذكره صاحب ( الذكرى ) .

وذكره بقوله المتقدم :

وَمَتى ذَكَرْتُ مُحَمَّداً وَكِتَابَهُ . . . . . . . . (١)

وقوله السابق :

وَلَسْتُ أَقُولُ إِنَّ الشُّهْبَ يَوْماً لِبَعْثِ مُحَمَّدٍ جُعِلَتْ رُجُوماً (٢)

وذكره في أبيات امتدحه بها أولها :

دَعَاكُمْ إِلى خَيْرِ الأُمُورِ مُحَمَّدٌ وَلَيْسَ العَوَالي في القَنَا كَالسَّوَافِلِ (٣)

---

(١) تمامه : « جاءتْ يهودُ بجحدِها وكتابها » انظر ما سبق ص ١٣٩٢ .

(٢) انظر ما سبق ص ١٣٩٧ .

(٣) تمام الأبيات :

حداكم على تعظيم من خلق الضحى وشهب الدجى من طالعات وآفل
وألزمكم ما ليس يعجز حمله أخا الضعف من فرض له ونوافل
وحث على تطهير جسم وملبس وعاقب في قذف النساء الغوافل
وحرم خمراً خلت ألباب شربها من الطيش ألباب النعام الجوافل
يجرون ثوب الملك جراً وآنس لدى البدو أقيال النواقي الروافل

انظر اللزوميات هـ ص ٢١٢ .

وآخرها :

فَصَلى عَلَيْهِ اللهُ مَاذَرَّ شَارِقٌ     وَمَا فَتَّ مِسْكاً ذِكْرُهُ فِي المَحَافِلِ

## ما أنكر عليه من كلام ونسب بسببه إلى الكفر أو الإلحاد

في كلام أبي العلاء كثير من الأبيات التي توجب مؤاخذته ، إن صحت نسبتها إليه ، وقد قدمنا بعضاً منها . وفيه أبيات لاتوجب الحكم بكفره ؛ ولكن فريقاً من العلماء يستسهلون التكفير ولو بالشبهة ، وبعضهم خفي عليه مراد أبي العلاء فكفره على حسب ما فهم وأراد ، وبعضهم . وبعضهم ... وهذه طائفة من الأبيات التي كفر أو فسق بسببها .

منها قوله :

تَنَاقُضٌ مَالَنَا إلاَّ السُّكُوتُ لَهُ     وَأَنْ نَعُوذَ بِمَوْلاَنَا مِنَ النَّارِ [1]

يَدٌ بِخَمْسِ مِئِينٍ عَسْجَدٍ فُدِيَتْ     مَا بَالُهَا قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِينَارِ

وليس في البيت الأول شيء ، بل فيه إقرار بالإله وبالنار ، واستعاذة به منها ، وتسليم لأحكامه ، أما التناقض ففي البيت الثاني في رأي الشاعر ، لأنه خفي عليه حكمة هذا الحكم . وقد قدمنا الكلام في هذا ، ونقلنا عن التبريزي أنه سأله عن معنى قوله هذا ، فقال : هذا مثل قول الفقهاء : عبادة لايعقل معناها . وإذا فرضنا أنه اعترض على القطع بربع دينار ، فذلك لايوجب تكفيره ؛ لأنه لم يعترض على القطع فقط ، بل على كونه بربع دينار ، وهذا غير مجمع عليه ، لأن من الفقهاء من جعل القطع

(١) اللزوميات هـ ص ١٥٢ .

بعشرة دراهم . فنصاب القطع ثابت بطريق الآحاد ، وإنكاره أو الاعتراض عليه لايوجب الكفر ، كما سبق القول في ذلك .

ومنها قوله :

تِلْكَ اليَهُودُ فَهَلْ مِنْ هَائِدٍ لَهُمُ ... والصَّابِئُونَ وَكُلُّ جَاهِلٍ صَابِي (١)

وَالإِنْسُ مَا بَيْنَ إِكْثَارٍ إِلى عَدَمٍ ... كَالوَحْشِ مَا بَيْنَ إِمْحَالٍ وَإِخْصَابِ

لَمْ يُثْبِتُوا بِقِيَاسٍ أَصْلَ دِينِهِمُ ... فَيَحْكُمُوا بَيْنَ رَفَاضٍ وَنُصَّابِ

مَا الرُّكْنُ فِي قَوْلِ نَاسٍ لَسْتُ أَذْكُرُهُمْ ... إِلاَّ بَقِيَّةُ أَوْثَانٍ وَأَنْصَابِ

والبيت الأخير يحتمل أن يكون معناه : الركن بقية أوثان وأنصاب في قول أناس لست أذكرهم . فهو حكاية لقول أولئك الناس ولعله أرادبهم القرامطة، لأن بعضهم قال : إن القرمطي أخذ الركن ليعبده ويعظمه ، لأنه بلغه أنه يد الصنم الذي جعل على خلق زحل . وسيأتي ذلك في الكلام على القرامطة . وعلى هذا الاحتمال لايكون في كلامه شيء . ويحتمل أن يكون معناه : الركن الذي يعتقده ناس .. هو بقية أوثان . فيكون ذلك قوله . والظاهر أن المراد بالركن الحجر الأسود وقد وقع تسميته بالركن في مواطن متعددة من ( صحيح البخاري ) وغيره . منها مارواه البخاري أن عمر بن الخطاب — ض — قال للركن : أما والله إني لأعلم

---

(١) اللزوميات ﻫ س ٤٨ .

أنك حجر لاتضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت النبي - ﷺ - استلمك مااستلمتك فاستلمه . وقد فسر الركن بالحجر .

ومنها مارواه أيضاً : طاف النبي ﷺ في حجة الوداع على بعير يستلم الركن بمحجن . وقد روى الخمسة : ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ماقبلتك . وقد كان عمر — ض — يحب البحث عن الأشياء ، وعن معانيها ، وعن حكمتها ، فرأى أن الحجر يستلم ، ولا يظهر للحس فيه سبب يوجب ذلك ، ولا يتبين للعقل فيه رأي يوجب التعظيم فقال ماقال . ولكنه رأى أن في الاتباع حكمة وحزماً فاتبع واستلم أو قبل .

وأبو العلاء — على الاحتمال الثاني — رأى أن الحجر لايضر ولا ينفع ، وهو مع ذلك يعظم بالتقبيل والاستلام ؛ فرأى ذلك مشابهاً لما كان يفعله أهل الأوثان والأنصاب ، وقد خفيت عليه حكمة الشرع والاتباع . وأن كثيراً من الأمور المتعبد بها تخفى حكمتها على كثير من الناس . وكيفما تأولنا قول أبي العلاء لانستطيع أن نبرئه من إساءة الأدب وإساءة التعبير ، ولكننا لانستطيع أن نكفره ، لما في قوله من الاحتمال الأول الذي ذكرناه . على أنه اعترف بالتقليد في تقبيله واستلامه في قوله :

أيُنكِرُ التَّقْلِيدَ مُسْتَبْصِرٌ  قَبَّلَ رُكْنَ البَيْتِ ثُمَّ اسْتَلَمْ[1]

ونسب ذلك إلى الحظوة والسعادة حيث قال :

وَقَدْ تَغْشَى السَّعَادَةُ غَيْرَ نَدْبٍ  فَيَشْرُقُ بالسُّعودِ إذَا وَدَسْنَهْ[2]

---

(١) اللزوميات ﻫ س ٥٥٨ .

(٢) » » س ٢٦٩ . وفيها : « فيعرف » .

والندب : الخفيف في الحاجة النجيب الظريف . وودس الشيء : أخفاه وغطاه . —

وَتُقْسِمُ حُظْوَةً حتى صُخورٌ ... يُزُرْنَ فيستلمن ويلتمسنه

كَذَاتِ القُدْسِ أَوْ رُكْنَيْ قُرَيْشٍ ... وَأَمْرُ تُهِنَّ أحجارٌ لطسنه

يَحُجُّ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَفْدٌ ... وَكَمْ أَمْثَالِ مَوْقِفِهِ وَطِسْنَه

ومنها قوله :

قَالَ افْتِكَارٌ في الحَوَادِثِ صَادِقٌ ... جَعَلَ الصِّعَابَ مِنَ الأُمُورِ مُذَلَّلَه[1]

هَفَتِ الحَنِيفَةُ والنَّصَارَى مَا اهْتَدَتْ ... وَيَهُودُ حَارَتْ وَالمَجُوسُ مُضَلَّلَه

اثْنَانِ أَهْلُ الأَرْضِ ذو عَقْلٍ بِلاَ ... دِينٍ وَآخَرُ دَيِّنٌ لاَ عَقْلَ لَه

يقال : « هفا » إذا أسرع وخف ، و « هفا » إذا سقط وزل . والظاهر أنه في البيت من الثاني . والمراد بالحنيفة : المسلمون . والمراد بأهل الأرض : أهلها في عصره حتى يكون الحكم على موجود . والمراد بالعقل : العقل الكامل ، وما يلزمه من دهاء وحذق في أمور الدنيا ولعل أبا العلاء يريد أن الأمر الغالب في الناس ، إما أن يكون الإنسان عاقلاً فيصرف عقله في أمور دنياه ، ويهمل مايوجبه عليه الدين . وإما أن يكون ديِّناً فيصرف عقله في أمور دينه ويغفل عن غيرها . وهذا القول قول شاعر ينتقد المجتمع ، وليس بقول عالم يقرر حكماً شرعياً ، أو عقيدة دينية في كتاب فقه أو توحيد ، وإذا استقرينا أحوال أهل هذا العصر ، رأينا أكثر المتدينين تغلب عليهم الغفلة . وقلما رأينا متديناً

---

— و الطس : الضرب بالشيء العريض يقال : لطسه البعير بخفه .
والوطس : الضرب الشديد بالخف وقيل بغيره .

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢٠٦ وفيها : « ... جعل الصعاب من الحذار مذلله » .

غير غافل ؛ والنادر لاحكم له . وقد ورد في حديث « أكثر اهل الجنة البله » . فظن معظم المتدينين أنه صحيح ، فمن لم يكن منهم أبله حقيقة تباله ليري الناس أنه من أهل الجنة . وهذا أيضاً من البله . والحديث المذكور ضعفه جماعة ، وقال ابن عدي : إنه منكر . وقد قال الغزالي : « الأبله البليد في أمور الدنيا ، لأن قوة العقل لاتفي بعلوم الدنيا والآخرة جميعاً ؛ وهما علمان متنافيان . فمن صرف عنايته إلى أحدهما قصرت بصيرته عن الأخرى على الأكثر . . . ولذلك ترى الأكياس في علم الدنيا ، وفي علم الطب ، والهندسة ، والحساب ، والفلسفة ، جهالا في أمور الآخرة . والأكياس في دقائق علوم الآخرة جهالا بعلوم الدنيا غالباً لعدم وفاء قوة العقل . فيكون أحدهما مانعاً من الكمال في الثاني . ولذلك قال الحسن : أدركنا أقواماً لو رأيتموهم لقلتم : مجانين ، ولو رأوكم لقالوا : شياطين . فمهما سمعت أمراً غريباً من أمور الدين جحده أهل الكياسة ، أو في سائر العلوم فلا ينفرنك جحودهم عن قبولها إذ من المحال أن يظفر سالك طريق الشرق بما يوجد في الغرب . فكذا يجرى أمر الآخرة . فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لايكاد يتيسر إلا لمن سخره الله لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم ، وهم الأنبياء المؤيدون بروح القدس ، أما قلوب غيرهم فإذا اشتغلت بأمر الدنيا انصرفت عن الآخرة وعكسه » اهـ .

وأبو العلاء في هذه الأبيات نسب الهفوة إلى الحنيفة ؛ وقسم أهل الأرض إلى قسمين . أما نسبة الهفوة فلا توجب التكفير ، لأنه لم يبين أنها في أي شيء ليعلم حكمه . وأما تقسيم الناس على ما ذكرنا ، فلا يوجب التكفير أيضا ؛ لأنه لا دليل لدينا يدل على أنه يريد بالورى ما يشمل الماضي والحاضر حتى يدخل الأنبياء فيهم . وقد قلنا : إن المراد بالورى أغلبهم ، والنادر لا حكم له . وفي هذه من روعة التقسيم ، وجمال الأسلوب ، وطلاوة

الديباجة ما لا يعرفه إلا الراسخون في علم الأدب . وفيها من مطابقة الواقع ما لا يستطيع إنكاره إلا مكابر . وأظن أن أبا العلاء لو كان حياً ورأى طائفة من أبناء هذا العصر لزاد قسماً ثالثاً ، وهو الذي لا دين فيه ولا عقل له .

ومنها قوله :

طَأْ بِالحَوَافِرِ قَتْلَى فِي مَصَارِعِهَا  فَالجِسْمُ بَعْدَ فِرَاقِ الرُّوحِ كَالْمَدَرِ[1]

وقوله :

لَوْ شُكَّ بِالطَّعْنِ مَيْتٌ لَمْ يَجِدْ أَلَمَاً
فَالرُّمْحُ فِيهِ كَإِشْفَى الخَرْزِ فِي الأَدَمِ[2]

إلى آخر الأبيات المتقدمة ، وأشباهها من الأبيات الدالة على أن الجسم يفقد الحس بعد مفارقة الروح . وقد استدل بعض المتشددين بهذه الأبيات وأشباهها على أن أبا العلاء ينكر سؤال الملكين ، وما يكون في القبر من لذة وألم ونعيم وعذاب . وهذا الاستدلال باطل لأمرين .

الأول : أن أبا العلاء صرح بسؤال الملكين في مواضع من شعره كقوله في ( اللزوم ) :

خَلِّصِينِي مِنْ ضَنْكِ مَا أَنَا فِيهِ  وَاطْرَحِينِي لِمُنْكَرٍ وَنَكِيرِ[3]

وقوله :

وَاسْتَرَاحُوا مِنْ ضَغْطَةِ القَبْرِ مَيْتاً  وَسُؤَالٍ لِمُنْكَرٍ وَنَكِيرِ[4]

وغيرهما مما تقدم ذكره ومما لم يذكر .

---

(١) انظر ما تقدم ص ١٣٣٢ .
(٢) انظر ما تقدم ص ١٣٣٠ .
(٣) اللزوميات هـ ص ١٦٦ .
(٤) انظر ما سبق ص ١٤٠٢ .

الثاني : أن كلمة الجمهور من المسلمين متفقة على فناء الجسم إلا بعضاً منه منصوصاً عليه . وأن الروح تفارق الجسم ، والحياة عرض يلازم وجوده في البدن تعلق الروح به . فإذا فارقته الروح فارقته الحياة ، ولا يخفى أن اللذة والألم فرع الحياة ؛ ولذلك أنكر سؤال القبر وعذابه ونعيمه جماعة من المعتزلة وغيرهم . قالوا : لأن ذلك يقتضي إعادة الحياة إلى البدن ، لفهم الخطاب ،والجواب ، وإدراك اللذة والألم ، وهذا منتف بالمشاهدة .

وأجاب بعض أهل السنة أنه يقتضي إعادة الحياة إلى الجزء الذي به فهم الخطاب ، ورد الجواب ؛ وهذه المسألة فيها اختلاف مبسوط في كتب التوحيد . وكلها ظنية ليس فيها دليل قاطع . وأبو العلاء قال بفناء الأجسام وذهاب الحس منها بعد مفارقة الروح ، ولم يتعرض إلى ما بعد ذلك . ولا يلزمه أن لا تعود الروح عند الحاجة للخطاب أو غيره إلى البدن كله أو بعضه ، لأنها لو عادت لا تكون مفارقته فيسعه ما يسع المتنبي في قوله :

. . . . . . . . مَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيلَامُ[1]

ومنها قوله :

وَأَعْطِ أَبَاكَ النِّصْفَ حَيًّا وَمَيِّتاً وَفَضِّلْ عَلَيْهِ مِنْ كَرَامَتِهَا الأُمَّا[2]

ونحوه من الأبيات المتعلقة ببر الوالدين ، وتفضيل الوالدة على الوالد ، فقد زعم فريق أنه اعترض على الشريعة في أحكام الميراث من وجهين : إعطاء النصف ، وتفضيل الأم على الأب . ومن البديهي أن أبا العلاء في هذه الأبيات لا يريد سن قانون للميراث ، وإنما يريد أن يبين للولد ما يجب عليه من الحقوق

---

(١) صدره : « من يهن يسهل الهوان عليه ... » ديوانه ص ١٦٤ من طبعة بيروت .

(٢) اللزوميات ٥ ص ٢٣٨ .

لوالديه في حياته وبعد مماته . وأنه يجب عليه أن لا يقتصر في البر على القدر الذي خصصه الشارع لكل منهما بعد وفاة الولد ، ولا يريد مناقضة الشرع ، ولو أراد ذلك لحصر القول في الميراث بعد الموت . وأما سبب تفضيل الأم فقد بينه بقوله بعد البيت المتقدم :

أَقَلَّكَ خِفًّا إذْ أَقَلَّتْكَ مُثْقِلاً وَأَرْضَعَتِ الحَوْلَيْنِ وَاحْتَمَلَتْ تِمَّا[1]

وَأَلْقَتْكَ عَنْ جَهْدٍ وَأَلْقَاكَ لَذَّةً وَضَمَّتْ وَشَمَّتْ مِثْلَمَا ضَمَّ أَوْ شَمَّا

وبقوله من قصيدة أخرى .

العَيْشُ مَاضٍ فَأَكْرِمْ وَالِدَيْكَ بِهِ وَالأُمُّ أَوْلَى بِإِكْرَامٍ وَإِحْسَانِ[2]

وَحَسْبُهَا الحَمْلُ وَالإِرْضَاعُ تُدْمِنُهُ أَمْرَانِ بِالفَضْلِ نَالاَ كُلَّ إِنْسَانِ

وقد جاءت الشريعة الإسلامية بالحض على بر الوالدين ، وإيثار الأم على الأب . من ذلك قوله ﷺ : « لايجزي ولد والداً إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه ويعتقه » . وهذا الحديث صحيح ، رواه البخاري في الأدب ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي . ومنه قوله ﷺ لرجل قال له : يارسول الله من أبرُّ ؟ فقال : أمك ، ثم أمك ، ثم أمك ، ثم أباك ، ثم الأقرب فالأقرب . وهذا حديث صحيح رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، والحاكم ، وابن ماجة . وقد قال بعض العلماء : كرره للتأكيد وإشعاراً بأن لها ثلاثة أمثال ما للأب من البر لما تكابده من المشاق والمتاعب في الحمل والفصال في تلك المدة المتطاولة ، فهو إيجاب للتوصية بالوالدة خصوصاً ، وتذكير لحقها العظيم مفرداً . إذ لها من الحقوق مالا يقام به كيف ، وبطنها له

---

(١) اللزوميات ﻫ س ٢٣٨ .

(٢) « « س ٢٧٦ .

وعاء ، وحجرها له حواء ، وثديها له سقاء . وورد في حديث آخر : « الجنة تحت أقدام الأمهات » ، وهذا الحديث أخرجه النسائي ، وابن ماجة ، وأحمد ، والحاكم ، وصححه . وكتب السنة طافحة بمثل هذا الحض والإيثار . وأبو العلاء طبع على غرار السنّة في قوله ؛ ولم يُرد مناقضة للشرع ولا اعتراضاً عليه .

ومنها قوله :

حَيْرَانُ أَنْتَ فَأَيَّ النَّاسِ تَتَّبِعُ
تَجْرِي الحُظُوظُ وَكُلُّ حَادِثٍ طَبَعُ[1]

وَالأُمُّ بِالسُّدْسِ عَادَتْ وَهْيَ أَرْأَفُ مِنْ
بِنْتٍ لَهَا النِّصْفُ أَوْ عِرْسٍ لَهَا الرُّبُعُ

الأم ترث السدس مع الولد أو ولده ؛ أو مع أخوين أو أختين فصاعدا . والبنت تأخذ النصف إذا لم يكن لها أخ أو أخت فأكثر . والزوجة تأخذ الربع عند عدم الولد أو ولد الابن . وأبو العلاء علم ماتقاسيه الأم من العناء في حمل الطفل وتربيته إلى أن يبلغ أشدّه ، وعلم أن الزوجة والبنت لاتقاسيان معشار ماتحتمله الأم ، وهي مع ذلك أرأف به منهما ، وأحرص على سلامته وراحته منهما . ورأى الميراث لايجري على قدر التعب والرأفة ولم يفطن إلى حكمة الشارع في ذلك فأضافه إلى الحظ . وكثيراً مايضيف الرفعة والسعادة إلى الحظ . وليس في ذلك مايوجب الكفر ، وإن كان

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٨٢ وفيها : « ... وكل جاهل طبع » ورجل طبع : ذو خلق دنيء

ظاهره اعتراضاً على الشرع ، لأنه إخبار بالواقع ، ولكنه لم يفقه الحكمة فيه .

ومنها قوله :

كَمْ صَرَفَ المَوْلُودُ عَنْ وَالِدٍ خَيْراً وَكَمْ أُمٍّ لَهُ لَمْ يَمُنْ[1]
الرُّبعُ للزَّوْجَةِ إنْ لَمْ يَكُنْ نَسْلٌ فَإنْ كَانَ غَدَتْ بالثُّمُنْ
والزَّوْجُ يَزْوِي النِّصْفَ أبْنَاؤهُ عَنْهُ وفي الدَّهْرِ خُطُوبٌ كُمُنْ

وهذا ليس فيه شيء ، بل هو مطابق للحقيقة والواقع . وقد أراد أبو العلاء أن يستنبط منها أن الولد يصرف الخير عن أبيه ، ليؤيد بذلك مذهبه في كراهة النسل والتنفير منه .

ومنها قوله :

صَرْف الزَّمَانِ مُفَرِّقُ الإلْفَيْنِ فَاحْكُمْ إلٰهي بَيْنَ ذَاكَ وَبَيْني
أنَهَيْتَ عَنْ قَتْلِ النفُوسِ تَعَمُّداً وَبَعَثْتَ تَقْبِضُهَا مَعَ المَلَكَيْنِ
وَزَعَمْتَ أنَّ لَهَا مَعَاداً ثَانِياً مَا كَانَ أغْنَاهَا عَنِ الحَالَيْنِ

وهذه الأبيات ليست في شيء من كتبه التي وصلت إلينا ، وإنما نقلها العلماء بروايات مختلفة . فرواها الصفدي في ( الوافي ) على هذا الوجه . وفي ( نكت الهميان ) . « وَبَعَثْتَ تَأخُذُهَا .. » وفي الذهبي ، والقفطي ، والعيني : « وبعثت أنتَ لقبْضِها .. » . وفي

---

(١) اللزوميات ٥ ص ٢٨٢ . ولم يمن : من مانه يمونه موناً إذا احتمل مؤونته وقام بكفايته . وزوى الشيء يزويه : إذا قبضه ومنعه ، وكمن : أي مستترة .

( مرآة الزمان ) و ( البداية والنهاية ) : « وبعثت تقبضها . . » وفي ياقوت : « وبعثت أنت اقتلها . . » وفي ( المنتظم ) : « وبعثت أنت لأهلها . . »[1] ورواها غيرهم على مثل هذه الوجوه ، واستدلوا بها على كفره وإنكاره الحشر ، وإذا تأملت الأبيات على رواية « وبعثت تقبضها » ، أو « اقبضها » أو « تأخذها » لاتجد فيها شيئاً يوجب الكفر ، لأن فيها اعترافاً بالإله ، وطلباً لحكمه ، ورضى به ، وإثباتاً للملك والمعاد ، لأنه أحد الحالين . وإنما فيها إساءة تعبير بقوله : « أنهيت . وزعمت » وتزيد على رواية : « وبعثت أنت لقتلها » الإساءة بالتعبير بلفظ القتل ، هذا إذا صحت نسبة الأبيات إليه . وإذا استشهدنا أسلوب الأبيات يشهد بأن أبا العلاء لاعلم له بها . وسيأتي القول فيها في الحشر .

* * *

---

(١) انظر تعريف القدماء بأبي العلاء الصفحات : ٢٨٣ و ٢٩١ و ١٩٣ و ٥٦ ـ ٥٧ و ٣٢٥ و ١٤٥ و ٣٠٦ و ١١٨ و ٢٥ . عن الوافي بالوفيات ـ للصفدي ونكت الهميان ـ له ، وتاريخ الإسلام ـ للذهبي ، وإنباه الرواة على أنباه النحاة ـ للقفطي ، وعقد الجمان ـ للعيني ، ومرآة الزمان ـ لسبط ابن الجوزي ، والبداية والنهاية ـ لابن كثير ، وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ـ لياقوت ، والمنتظم ـ لابن الجوزي .

# الفرق المسلمة

بعد أن افترقت كلمة المسلمين في السياسة تشعبت آراؤهم في الدين ، وتعددت بذلك الفرق ؛ وصدق قول النبي ﷺ في حديث صحيح رواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، والحاكم وهو : « افترقتِ اليهودُ على إحدى وسبعينَ فرقةً ، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة » وجاء في رواية : « كلها في النار إلا واحدة هي ما أنا عليه اليوم وأصحابي » وقد اختلف في أصول هذه الفرق . وليس من غرضنا إيضاح الأصول والفروع ؛ واستيفاء الكلام فيها ، وإنما غرضنا أن نذكر الفرق التي تصدى أبو العلاء في كلامه إلى ذكرها ، أو انتقدها في بعض آرائه . من هذه الفرق :

**المعتزلة :**

هم أصحاب واصل بن عطاء ، اعتزل عن مجلس الحسن البصري ؛ وأخذ يقرر على جماعة أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ؛ ويثبت له المنزلة بين المنزلتين . فقال الحسن : اعتزل عنا واصل . فلذلك سمي هو وأصحابه « معتزلة » ، وقد لقبوا أنفسهم بأصحاب العدل والتوحيد . وقد اتفقوا على أشياء ، وخالف بعضهم بعضاً في أشياء ؛ فتعددت فرقهم . وقد ذكرها الشهرستاني في ( الملل والنحل ) والقاضي عضد الدين الإيجي في كتاب ( المواقف ج ٧ ص ٣٧٧ ) .

وقد اشتهرت عنهم أمور ، منها : أنهم يقولون : إن للفعل في نفسه حُسْناً وقُبْحاً ذاتيين ، أي تقتضيها ذات الفعل . وإن العقل قد يستقل

بدركها ، فيعلم حكم الله فيه باعتبارهما . وقد لايستقل ، فلا يحكم بشيء حتى يرد الشرع فيكشف عن ذلك الحسن والقبح . وبنوا على إثبات الحُسْنِ والقُبْح للفعل أشياء أوجبوها على الله ، منها وجوب الأصلح ، ووجوب الرزق ، ووجوب الثواب على الطاعة ، والعقاب على المعصية ، ووجوب العوض في إيلام الأطفال والبهائم . وتفرع على ذلك إيجابهم على الله أن يقتص لبعض الحيوان من بعض . واختلفوا في وجه ذلك ، فقيل : إن الله يحشرها يوم القيامة ، ويجازيها إما في الموقف أو في الجنة ، أو في جنة تخصها . ولهم أشياء أخر مبسوطة في كتب الكلام . وقد خالفتهم الأشاعرة في كل ذلك . ولبعض فرق المعتزلة آراء سخيفة ، منهم الحائطية من أصحاب النظّام ، فإنهم قالوا : للعالم إلهان : قديم ومحدث . ومنهم الحدثية ، وافقوا الحائطية ، وزادوا عليهم التناسخ ، وأن كل حيوان مكلف .

## أبو العلاء والمعتزلة

يخالف أبو العلاء المعتزلة في كثير من آرائهم ، وإن كان يوافقهم في التعويل على العقل ، وبسط آرائه في ذلك يحتاج إلى إطالة ، فنجتزىء بإيراد أقواله الدالة على رأيه فيهم وفي اعتقادهم تصريحاً أو تلميحاً . قال في ( رسالة الغفران ص ١٥٥ )[1] : « كم متظاهر باعتزال ، وهو مع المخالف في نزال ، يزعم أن ربه على الذرة يُخلد في النار ، بلهَ الدرهم ... والدينار ، وما ينفك يُحتقب من المآثم عظائم .. ينهمك على العهار والفِسق ... يقنت على رهط الإجبار ، ويُسنِد إلى عبد الجبار ...

(١) انظر الغفران ط أمين هندية ص ١٥٥ — ١٥٦ وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٤٠٥ — ٤٠٦ .

ويضمر أن شيخ المعتزلة غير طاهر الرُّدن ولا الذيل ، قد صير الجدل مصيدة . . . وحدثت عن شيخ لهم يوقر ويتبع ، كان إذا جلس في الشراب ... وجاءه القدح شربه فاستوفاه وأشهد من حضره على التوبة مما اقتفاه ... » .

وقال في ( لزوم مالا يلزم ) :

وَمُعْتَزِلِيٍّ لَمْ أُوَافِقْهُ سَاعَةً أَقُولُ لَهُ فِي اللَّفْظِ دِينُكَ أَجْزَلُ[1]

أُرِيدُ بِهِ مِنْ جُزْلَةِ الظَّهْرِ لَمْ أُرِدْ مِنَ الْجَزْلِ فِي الأَقْوَالِ تُلْوَى وَتُجْزَلُ

وقال :

إِلَـهٌ قَادِرٌ وَعَبِيـدُ سُوءٍ وَجَبْرٌ فِي الْمَذَاهِبِ وَاعْتِزَالُ[2]

وقال :

أَرْجُوا أَوِ اعْتَزِلُوا فَإِنِّـي عَنْ مُقَامِكُمْ بِمَعْزِلْ[3]

ومثل قوله :

فَإِنَّ جَنَّةَ عَدْنٍ لاَ يُجَادُ بِهَا إِلاَّ لِصَاحِبِ دِينٍ فِي أَذَى عَدَنَا[4]

يشعر ظاهره أنه يقول بوجوب الثواب والعقاب ، كما هو مذهب المعتزلة .

---

(١) اللزوميات هـ ص ١٩٥ . جزلة الظهر : الجزل محركة أن ينقطع القتب غارب البعير . والجزل : بسكون الزاي خلاف الركيك من الألفاظ .

(٢) اللزوميات هـ ص ١٩٨ .

(٣) تتمة القول في هذا ، وترجمة هؤلاء الرجال في الكلام على اعتراضه على أهل الكلام والعقائد وما رآه فيهم (ج) وانظر ما سبق ص ١٣١٩ .

(٤) اللزوميات هـ ص ٢٦٥ ، وعدن بالمكان : أقام .

الشيعة

هم طائفة من المسلمين شايعوا علياً ـ رض ـ على الخصوص ، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصاية . واعتقدوا أن الإمامة لاتخرج من أولاده . وإن خرجت فبظلم يكون من غيره ، أو بتَقيّةٍ من عنده . وهم فرق : يميل بعضهم في الأصول إلى الاعتزال ، وبعضهم إلى السنة ، وبعضهم الى التشبيه . على ماقاله في ( الملل والنحل ) . فمنهم : الكيسانية ، والإمامية والإسماعيلية ، وهم الباطنية ، ولهم ألقاب كثيرة . فبالعراق يسمـون الباطنية ، والقرامطة ، والمزدكية . وبخراسان : التعليمية ، والملحدة ؛ وهم يقولون : نحن إسماعيلية . ( الملل والنحل ج ٢ ص ٢٩ ) .

وقد ذكر أبو العلاء طائفة منهم ، وروى طرفاً من أخبارهم وعقائدهم في ( رسالة الغفران ) و ( لزوم ما لا يلزم ) .

منها في ( رسالة الغفران ص ١٤٠ )[١] قصة رجل دعا أصدقاء له من المتشيعة ، فجاء صديق له زنديق وأنشده هذا البيت :

أَصْبَحْتُ جَمَّ بَلابِلِ الصَّدْرِ مُتَقَسَّمَ الأَشْجَانِ وَالفِكَرِ[١]

وفي ( ص ١٤٩ ) ادعاء من يدعي أن علياً ـ ض ـ قال : تهلك البصرة بالزنج ، فصحفها أهل الحديث[٢] بالريح . ومنها قوله في ( ص١٥٢ ) عند كلامه في الحلاج ومذهب الحلولية ... : « وتؤدي هذه النحلة إلى التناسخ ، وهو مذهب عتيق يقول به أهل الهند . وقد كثر في جماعة من الشيعة »[٣]

---

(١) الغفران ط أمين هندية وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٣٦٧ .

(٢) وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٣٨٧ .

(٣) « « « « « ط ١ ص ٣٩٧ .

ثم إنشاده أبياتاً للنصيرية في التناسخ . وقوله ( ص ١٥٥ ) : « ... والإمامية تقربوا بالتعفير فعده بعض المتدينة ذنباً ليس بغفير »[١] ، والإمامية هم القائلون بإمامة علي ـ ض ـ بعد النبي ﷺ ، ولم يثبتوا بعد الحسن والحسين وعلي بن الحسين على رأي واحد . بل كان اختلافهم أكثر من اختلاف الفرق كلها ، حتى قال بعضهم : إن نيفاً وسبعين فرقة من الفرق المذكورة في الخبر هو في الشيعة خاصة . ومن عداهم فهم خارجون عن الأمة .

وقوله في ( ص ١٥٦ ) : « والشيعة يزعمون أن عبد الله بن ميمون القداح ، وهو من باهلة ، كان من علية أصحاب جعفر بن محمد ثم ارتد بعد ذلك »[٢] وروى له أبياتا ...

وقوله ( ص ١٦٧ )[٣] : « أما الذين يدعون في علي ـ ض ـ مايدعون فتلك ضلالة قديمة ، ودية من الغواية تتصل بها دية . وقد روي أنه حرق عبد الله بن سبأ ، لما جاهر بذلك النبأ » .

---

(١) وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٤٠٤ .

(٢) « « « « « ط ص ٤٠٧ ـ ٨ .

والأبيات :

هات اسقني الخمرة يا سنبر فليس عندي أنني أنشر

أما ترى الشيعة في فتنة يغرها من دينها جعفر

قد كنت مغروراً به برهة ثم بدا لي خبر يستر

ومما نسب اليه :

مشيت إلى جعفر حقبة فألفيته خادعاً يخلب

يجر العلاء إلى شخصه وكل إلى حبله يجذب

فلو كان أمركم صادقاً لما ظل مقتولكم يسحب

ولا فض منكم عتيق ولا عما عمر فوقكم يخطب

(٣) وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٤٣٩ .

وقال في ( ص ١٦٨ )[١] : « واعتقاد الكيسانية في محمد بن الحنفية عجيب ، لايصدق بمثله نجيب . . وعليّ له سابقة ، ومحاسن كثيرة رائقة ، وكذلك جعفر بن محمد ، ليس شرفه بالثمد » .

والكيسانية أصحاب كيسان مولى علي ـ ض ـ وقيل تلميذ محمد ابن الحنفية ، يعتقدون فيه الإحاطة بالعلوم ، والاقتباس من السيدين الأسرار بجملتها .

وقوله في ( ص ١٦٩ )[٢] : « وبعض الشيعة يحدث أن سلمان الفارسي في نفر معه جاءوا يطلبون علي بن أبي طالب ـ سلام الله عليه ـ فلم يجدوه في منزله ؛ فبينا هم كذلك جاءت بارقة تتبعها راعدة ، وإذا علي قد نزل على إجّار البيت ، في يده سيف مخضوب بالدم . فقال : وقع بين فئتين من الملائكة فصعدتُ الى السماء لأصلح بينهما . والذين يقولون هذه المقالة يعتقدون أن الحسن والحسين ليسا من ولده ، فحاق بهم العذاب الأليم . أفلا يرى الى هذه الأمة كيف افتنّت في الضلالة كافتنان الربيع في إخراج الأكلاء ، والوحش الراتعة في تربيب الأطلاء . والكذب سوق ليست للصدق ، تجعل الأسد من أبناء الفِرْق . . . »

وفي ( لزوم ما لا يلزم ) كثير من الأبيات التي تتعلق بمذاهب الشيعة وآرائها ، وهو يبين رأيه في كثير من متنازعها ، فهو ينكر أن يكون قبر الامام بكوفان أي الكوفة حيث يقول :

وَمَا صَحَّ لِلْمَرْءِ المُحَصَّلِ أنهُ  بِكُوفَانَ قَبْرٌ لِلإمَامِ يُزَارُ[٣]

---

(١) وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطئ ص ٤٤٠ .

(٢) « « « « « « ص ٤٤٥ ـ ٨ .

(٣) اللزوميات هـ ص ١٢١ .

ولا ينكر الجفر وما زعموه فيه ، فيقول :

لَقَدْ عَجِبُوا لِأَهْلِ البَيْتِ لَمَّا أَتَاهُمْ عِلْمُهُمْ في مَسْكِ جَفْرِ[١]

وَمِرْآةُ المُنَجِّمِ وَهْيَ صُغْرَى أَرَتْهُ كُلَّ عَامِرَةٍ وَقَفْرِ

ويقول مرة أخرى :

يَقُولُونَ مَسْكُ الجَفْرِ أَوْدِعَ حِكْمَةً

إِذَا كُتِبَتْ أَطْرَاسُهَا مَلأَتْ جَفْرَا[٢]

ولا يميل مع من يتعصب لأبي بكر أو لعلي — ض — فيقول :

ضَمِنْتُ فُؤادي لِلْمَعَاشِرِ كُلِّهِمْ

وَأَمْسَكْتُ لَمَّا عَظَّمُوا الغَارَ أَوْ خُمَّا[٣]

---

(١) المسك : الجلد . والجفر : ولد المعزى إذا بلغ أربعة أشهر وفصل عن أمه وأخذ في الرعي . وقد تقدم معنى الجفر في الكلام على دينه . (ج)
وانظر اللزوميات هـ ص ١٥٤ .

(٢) اللزوميات هـ ص ١٣٦

(٣) المراد بالغار هنا : غار في جبل ثور بمكة أوى اليه النبي صلى الله عليه وسلم إذ أخرجه قومه فخرج هو وأبو بكر — ض — وقد جاء في القرآن الكريم في الآية ٤٣ من سورة براءة : « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم » . وخم : موضع فيه غدير وعين وبينهما مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم خطب فيه النبي صلى الله عليه وسلم وقال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، أي وليه —

ويقول أيضاً :

شِيَعٌ أَجَلَّتْ يَوْمَ خُمٍّ وَانْثَنَتْ  أُخْرَى تُعَارِضُهَا بِيَوْمِ الغَارِ [١]

وهذا يدل على أنه غير راض عن تفرق الكلمة والأهواء ، وأدل من هذا على عدم رضاه بالتفرقة بين المسلمين قوله :

لَعَمْرُكَ مَا أُسَرُّ بِيَوْمِ فِطْرٍ  وَلاَ أَضْحَى وَلاَ بِغَدِيرِ خُمِّ

وَكَمْ أَبْدَى تَشَيُّعَهُ غَوِيٌّ  لِأَجْلِ تَنَسُّبٍ بِبِلَادِ قُمِّ [٢]

فالشيعة تحتج لتفضيل عليّ على أبي بكر بيوم خم . وأهل السنة يحتجون لتفضيل أبي بكر على عليّ بيوم الغار ؛ لأن المشركين طلعوا فوق الغار فأشفق أبو بكر على النبي ﷺ فقال له : ماظنك باثنين الله ثالثهما ؟

وأبو العلاء ضمن قلبه للفريقين ، وأمسك عن القول لمّا تعارض الفريقان ، ولم يفرح بيوم خم الذي اتخذه الشيعة عيداً ، كما لم يفرح بيومي الفطر والأضحى اللذين اتخذهما المسلمون عيدين ، لأن الحياة كلها تعب ، وأيامها كلها بؤس وحزن باعتبار مايقع فيها من المحزنات ، وما يعقبها من الأكدار والأهوال المخيفة . وظاهر قوله أنه لايتعصب لفريق دون آخر .

---

ـ وناصره . وهذا الحديث رواه الإمام أحمد وابن ماجة والترمذي والنسائي والضياء المقدسي . قال الهيثمي : رجال أحمد ثقات ، وقال في موضع آخر : رجله رجال الصحيح ( ع ) . وانظر اللزوميات هـ ص٢٣٩ .

(١) اللزوميات هـ ص ١٦٤ .

(٢) قم : بلدة بين ساوة وقاشان افتتحها أبو موسى الأشعري بعد انصرافه من نهاوند إلى الأهواز سنة ٢٣هـ وبدأ تمصيرها في أيام الحجاج سنة ٨٣ هـ وكان عبد الله بن سعد ابن مالك بن عامر الأشعري امامياً ربي بالكوفة فانتقل إلى قم ونقل التشيع إلى أهلها فليس فيها سني فلعل أبا العلاء أراد هذا (ج) . انظر اللزوميات هـ ص ٢٥١ .

وينكر مجيء الإمام المنتظر، كما تقدم في الأبيات التي يقول فيها :

يَرْتَجِي النَّاسُ أنْ يَقُومَ إمَامٌ  نَاطِقٌ في الكَتِيبَةِ الخَرساء[1]

إلى آخر الأبيات . وكما يدل عليه قوله :

رَجَوْا إمَاماً بِحَقٍّ أنْ يَقُومَ لَهُمْ

هَيْهَاتَ لاَ بَلْ حُلُولٌ ثم مُرْتَحَلُ[2]

وَلَنْ يَزَالُوا بِشَرٍّ في زَمَانِهِمُ  مَا دَامَ فَوْقَهُمُ المرِّيخُ أوْ زُحَلُ

ويعتقد فريق من الإثني عشرية أن الإمام القائم المنتظر غاب وسيجيء فلما طال الأمد قالوا : إن الغيبة امتدت مائتين ونيفاً وخمسين سنة . وصاحبنا قال : إن خرج القائم وقد طعن في الأربعين فليس بصاحبكم ، ولسنا ندري كيف تنقضي مائتان وخمسون سنة في أربعين ؟ وإذا سئل القوم عن مدة الغيبة كيف تتصور قالوا : أليس الخضر وإلياس يعيشان في الدنيا من آلاف سنة . لا يحتاجان إلى طعام وشراب . فَلِمَ لا يجوز

---

(١) تمامها :

كذب الظن لا إمام سوى العقـــل مشيراً في صبحه والمساء

فإذا ما أطعته جلب الرحـــمة عند المسير والإرساء

إنما هذه المذاهب أسبا ب لجذب الدنيا إلى الرؤساء

غرض القوم متعة لا يرقو ن لدمع الشماء والخنساء

كالذي قام يجمع الزنج بالبصـــرة والقرمطي بالأحساء

فانفرد ما استطعت فالقائل الصا دق يضحي ثقلاً على الجلساء

انظر اللزوميات ج ص ٢٦ .

(٢) اللزوميات ج ص ١٩٦ .

ذلك في أحد من أهل البيت ؟ وقد رد عليهم أهل السنة . راجع تفصيل ذلك في ( الملل والنحل ج ٢ ص ٩ ) . وقد أشار أبو العلاء إلى هذا بأبيات يقول فيها :

أَلاَ تَتَّقُونَ اللهَ رَهْطَ مُسَلَّمٍ ... فَقَدْ جُرْتُمُ في طَاعَةِ الشَّهَوَاتِ[1]

. . . . . . . . . . . . . . . . . .

عَمَدْتُمْ لِرَأْيِ الْمَثْنَوِيَّةِ بَعْدَ مَا ... جَرَتْ لَذَّةُ التَّوْحِيدِ في اللَّهَوَاتِ

. . . . . . . . . . . . . . . . . .

جَعَلْتُمْ عَلِيّاً جُنةً وَهْوَ لَمْ يَزَلْ ... يُعَاقِبُ مِنْ خَمْرٍ عَلَى حُسُوَاتِ

. . . . . . . . . . . . . . . . . .

وَأَعْذَرُ مِنْ نِسْوَانِكُمْ في احْتِمالِهَا ... فُضُوحَ الرَّزَايَا آتُنُ الفَلَوَاتِ

. . . . . . . . . . . . . . . . . .

تَهَاوَنْتُمْ بالذِّكْرِ لَمَّا أَتَاكُمُ ... وَلَمْ تَحْفِلُوا بالصَّوْمِ والصَّلَوَاتِ

رَجَوْتُمْ إِمَاماً في القِرانِ مُضَلَّلاً ... فَلَمَّا مَضَى قُلْتُمْ إلى سَنَوَاتِ

كَذَاكَ بَنُو حَوَّاءَ بَرٌّ وَفَاجِرٌ ... وَلاَ بُدَّ لِلأَيْتَامِ مِنْ هَنَوَاتِ

## صاحب الزنج

هو رجل أصله من عبد القيس ، جاء البحرين سنة ٢٤٩ هـ ، وزعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه .

ودعا الناس إلى طاعته ، فتبعه قوم دون آخرين . وحدثت فتنة بسبب ذلك ؛ فانتقل إلى حي من تميم ، وعظم أمره ، وجبوا له الخراج . ثم تحوّل إلى البادية ، ومعه جماعة من أهل البحرين ، منهم مولى لبني حنظلة أسود

(١) اللزوميات ٥ ص ٦٥ ـ ٦٦ .

يقال له : سليمان بن جامع وهو قائد جيشه . ثم أقام حولاً في بغـــداد يستميل الناس . ثم رحل إلى البصرة سنة ٢٥٥ هـ وأغوى العبيد الذين يعملون في تلك النواحي ، ووعدهم إن ساعدوه أن يجعل منهم القواد والرؤساء ، ويملكهم الأموال والمنازل ، وأخذ يعيث في تلك الجهات . ثم أحرق مدينة الأُبُلّة ، واستولى على عبادان والأهواز . ثم أوقع بالبصرة سنة ٢٥٧ هـ ، فقتل كثيراً من أهلها ، وخرب أكثرها ؛ وحاربه الخليفة غير مرة ثم قتله سنة ٢٧٠ هـ . وكان يقول : أوتيتُ في تلك الأيام بالبادية آيات من آيات إمامتي ظاهرة للناس . منها أني لقنت سوراً من القرآن ، فجرى بها لساني في ساعة ، وحفظتها في دفعة واحدة منها « سبحان » و« الكهف » و « ص » ، ومنها أني فكرت في الموضع الذي أقصده حيث نبت بي البلاد ، فأظلتني غمامة ، وخوطبت منها فقيل لي : اقصد البصرة .

وزعم وهو في بغداد أنه ظهرت له آيات عرف بها ما في ضمائر أصحابه ، وما يفعل كل واحد منهم . وقد ذكره أبو العلاء في ( رسالة الغفران ص ١٤٧ )[١] وذكر أن اسمه كان أحمد ، فلما خرج تسمى علياً . وروى له أبياتاً ، وأشار إليه في ( لزوم ما لا يلزم ) بأبيات تقدمت ، منها قوله :

كَالذي قَامَ يَجمَعُ الزِّنجَ بِالبَصْـــرَةِ والقِرمِطِيُّ بالأحسَاء[٢]

★ ★ ★

(١) الغفران ط أمين هندية ؛ وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٣٨٥ .
(٢) انظر ما تقدم ص ١٤٤٠ .

# القرامطة[1]

في سنة ٢٧٨ هـ ظهر في سواد الكوفة قوم يعرفون بالقرامطة . وكان أول رجل منهم قدم من ناحية خوزستان إلى سواد الكوفة ، فكان في موضع يقال له « النهرين » يظهر الزهد والتقشف ، ويكثر الصلاة ؛ فإذا قعد إليه رجل ذكّره أمر الدين ، وزهّده في الدنيا ففشا أمره . وقال : إنه يدعو إلى إمام من آل بيت الرسول ، فاستجاب له جمع كثير . ثم مرض فحمله إلى منزله رجـــل من أهل القرية ، أحمر العينين يقال له « كرميتة » لحمرة عينيه ، وهو بالنبطية أحمر العين ، فأقام عنده حتى برىء ، ودعا أهل تلك الناحية إلى مذهبه فأجابوه . وكان يأخذ من كل رجل أجابه ديناراً يزعم أنه للإمام ، واتخذ منهم اثني عشر نقيباً ، أمرهم أن يدعوا الناس إلى مذهبهم ؛ فاشتغل أهل الناحية عن أعمالهم بما رسم لهم من الصلوات . وكان لرجل يقال له « الهيصم » ضياع في تلك الناحية ، فرأى تقصير الأكرة في عمارتها ، فبحث عن السبب فأخبر بخبر الرجل فحبسه في بيت وأغلق بابه ، وجعل المفتاح تحت رأسه ، فأشفقت عليه جارية للهيصم ، ففتحت له الباب وأخرجته وأعادت المفتاح إلى محله فلما أصبح الهيصم لم يجده ، وشاع ذلك فافتتن الناس به وقالوا : رفع . ثم ظهر في ناحية أخرى وقال للناس : لا يمكن لأحد من الناس أن ينالني بسوء . ثم خرج إلى الشام فلم يوقف له على خبر .

وسمي باسم الرجل الذي كان في داره « كرميتة » ثم خفف فقيل : « قرمط » .

---

(١) ملخص عن ابن الأثير وأبي الفداء ( ج ) .

## اجتماع قرمط بصاحب الزنج

سار قرمط إلى صاحب الزنج ، وقال له : إني على مذهب ورأي ، ومعي مائة ألف ضارب بسيف ، فتناظرني فإن اتفقنا على المذهب ملت إليك بمن معي . وإن تكن الأخرى انصرفتُ عنك ، فتناظرا فاختلفت آراؤهما فانصرف قرمط عنه .

ويحكى عن القرامطة أنهم جاؤا بكتاب فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، يقول الفرج بن عثمان ، وهو من قرية يقال لها نصرانة : إنه داعية المسيح ، وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهدي ، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية ، وهو جبريل ، وأن المسيح تصور له في جسم إنسان ، وقال له : إنك الداعية ، وإنك الحجة ، وإنك الناقة ، وإنك الدابة ، وإنك يحيى بن زكريا ، وإنك روح القدس . وعرّفه أن الصلاة أربع ركعات ، ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان بعد غروبها ، وأن الأذان في كل صلاة أن يقول المؤذن :

الله أكبر الله أكبر الله أكبر . أشهد أن لا إله إلا الله ، مرتين . أشهد أن آدم رسول الله . أشهد أن نوحاً رسول الله . أشهد أن ابراهيم رسول الله . أشهد أن موسى رسول الله . أشهد أن عيسى رسول الله . أشهد أن محمداً رسول الله . أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله .

وأن يقرأ في كل ركعة الاستفتاح ؛ وهي من المنزل على أحمد بن الحنفية . والقبلة إلى بيت المقدس . وأن الجمعة يوم الاثنين ، لا يعمل فيه شيء . والسورة : « الحمد لله بكلمته ، وتعالى باسمه ، المتجد لأوليائه ، قل إن الأهلة مواقيت للناس ، ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيام ، وباطنها لأوليائي الذين عرّفوا عبادي سبيلي . واتقوني يا أولي الألباب . وأنا الذي لا أسأل عما أفعل . وأنا العليم الحكيم . وانا الذي أبلو

عبادي . وامتحن خلقي . فمن صبر على بلائي ، ومحنتي واختباري ، ألقيته في جنتي ، وأخلدته في نعيمي . ومن زال عن أمري ، وكذب رسلي ، أخلدته مهاناً في عذابي ، وأتممت أجلي ، وأظهرت أمري على ألسنة رسلي . وأنا الذي لم يعلُ عليّ جبار إلا وضعته ، ولا عزيز إلا أذللته . وبئس الذي أصرّ على أمره ، ودام على جهالته . وقال : لن نبرح عليه عاكفين وبه موقنين . أولئك هم الكافرون . ثم يركع ويقول في ركوعه : سبحان ربي رب العزة ، وتعالى عما يصف الظالمون . يقولها مرتين . فإذا سجد قال : الله أعلى ، الله أعلى ، الله أعظم ، الله أعظم .

ومن شريعته أن يصوم يومين في السنة ، وهما المهرجان والنيروز . وأن النبيذ حرام ، والخمر حلال . ولا غسل من جنابة ، لكن الوضوء كوضوء الصلاة . وأن من حاربه وجب قتله . ومن لم يحاربه ممن يخالفه أخذ منه الجزية . ولا يؤكل كل ذي ناب ، ولا كل ذي مخلب .

## ابتداء أمر القرامطة

كان ابتداء أمر القرامطة في ناحية البحرين أن رجلاً يعرف بيحيى ابن المهدي قصد القطيف ، فنزل على رجل يعرف بعلي بن المعلى بن حمدان مولى الزياديين ، وكان يغالي في التشيّع ، فأظهر له يحيى أنه رسول المهدي ، وكان ذلك سنة ٢٨١ هـ . وذكر أنه خرج الى شيعته في البلاد يدعوهم إلى أمره ، وأن ظهوره قد قرب . فوجه علي بن المعلى إلى الشيعة من أهل القطيف فجمعهم وأقرأهم الكتاب الذي مع يحيى بن المهدي ، فأجابوه أنهم خارجون معه إذا ظهر أمره . ووجه إلى سائر قرى البحرين بمثل ذلك فأجابوه ، وكان فيمن أجابه أبو سعيد الجنابي[1]

(١) وهو الحسن بن بهرام من أهل جنابة قرية بفارس (ج) .

وكان يحيى يتردد على القبائل ، وجاءهم بكتاب يزعم أنه من المهدي ، يأمرهم فيه بأن يدفع كل واحد ستة دنانير وثلثين ، فدفعوا . ثم جاء بكتاب آخر يأمرهم بدفع الخمس إليه ، ففعلوا

ثم عظم أمر أبي سعيد الجنابي في البحرين ، فقتل من حوله من أهل القرى ، وسار إلى القطيف ، فقتل بها خلقاً كثيراً . ثم أغار على نواحي هجر ، وتغلب على جيش الخليفة ، ثم دخل هجر وذلك نحو سنة ٢٨٧ هـ .

وقد قتل أبو سعيد الجنابي سنة ٣٠١ هـ بعد أن استولى على هجر والأحسا والقطيف وسائر بلاد البحرين ، قتله خادم له صقلبي . وعهد إلى ابنه الأكبر سعيد ، فعجز عن الأمر ، وغلبه أخوه الأصغر أبو طاهر سليمان .

وأبو طاهر هذا دهم الحُجّاج في مكة يوم التروية[(١)] سنة ٣١٧ هـ فنهب أموالهم وقتلهم في المسجد الحرام ، وطرح قسماً من القتلى في زمزم ، ودفن الباقين في المسجد ، وقلع الحجر الأسود وأنفذه إلى هجر ، وقسم كسوة الكعبة بين أصحابه ، ونهب دور مكة ، ومات بالجدري سنة ٣٣٢ هـ. وأعاد القرامطة الحجر إلى مكة سنة ٣٣٩ هـ .

وقد أكثر هؤلاء من القتل والسلب والنهب ، وملأوا الأرض فساداً وطغيانا ، واستطار شرهم من العراق الى الشام ومصر ، حتى ان صاحب الشامة ، أحد رؤسائهم ، سار إلى معرة النعمان ، وحماة ، وسلمية ، وبعلبك ، فقتل الرجال والنساء والصبيان . فحاربهم الخليفة المكتفي وظفر بهم في بعض قرى المعرة ، فقتل خلقاً كثيراً منهم . ثم قتل صاحب الشامة ثم تناولتهم السيوف في كل مكان ، حتى خضدت شوكتهم .

---

(١) يوم التروية : هو اليوم الثامن من ذي الحجة ، وفيه يتوجه الحاج الى منى ، وسمي بذلك لأن الحجاج يرتوون فيه من الماء لما بعد، أو لأن الإمام يروي للناس مناسكهم فيه ، أو لأن ابراهيم عليه السلام كان يتروى ويتفكر في رؤياه فيه .

## أبو العلاء والقرامطة

تصدى أبو العلاء إلى القرامطة في مواطن من نثره ونظمه ، منها قوله في ( رسالة الغفران في ص ١٤٥ )[١] : « وحُكي لي أنَّ للقَرامِطَةِ بالأحْساءِ بيتاً يزعمونَ أنَّ إمامَهُمْ يَخْرُجُ منه ، ويُقيمونَ على بابِ ذلكَ البيتِ فرساً بِسَرْجٍ ولجام . ويقولون لِلْهَمَجِ والطَّغَامِ : هذا الفَرسُ لِرِكابِ المَهْدي ، يركبُـه متى ظهرَ بِحَقٍ بَدِيٍّ . وإنما غَرَضُهُمْ بذلكَ خَدْعٌ وتَعْليل ، وتَوَصُّل الى المَلَكَةِ وتضليل .

ومِنْ أعجَبِ ما سَمِعْتُ أن بعضَ رؤساءِ القَرَامطة في الدَّهْرِ القديم ؛ لما حضرتهُ المنيَّةُ جمعَ أصْحابَه ، وجعل يقول لهم لما أحسَّ بالموت : إني قد عَزَمْتُ على النُّقْلَةِ ، وقد كنتُ بعثتُ موسى وعيسى ومحمداً ولا بدَّ لي أنْ أبعثَ غيرَ هؤلاء . فعليهِ اللَّعْنَةُ ، لقد كفرَ أعظَمَ الكُفْرِ في الساعة التي يجبُ أن يؤمنَ فيها الكافرُ ، ويؤوب إلى آخرته المسافر » .

وقوله في ( ص ١٤٧ )[٢] : « وأما الجنَّابي فلو عوقب بلدٌ بمن يَسكنُه ، جازَ أن تؤخذ به جَنَّابَة ، ولا تقبلَ لها إنابَة . ولكنَّ حكمَ الكتابِ المنزَلِ أجدر وأحرى أنْ لا تَزِر وازرة وِزْرَ أخرى .

وقد اختُلِفَ في حديث الرُّكنِ ... ، فزعم من يدعي الخِبرَةَ [به] أنه أخذه ليعبُدَه ويُعظِّمَه . لأنه بَلغَهُ أنَّهُ يدُ الصنم الذي جُعِلَ على خَلْق زُحَل . وقيل : جعَلَه موطئاً في مُرْتَفَق ، وهذا تناقض في الحديث . وأيّ ذلك كان فعليه اللعنة ما رَسَا ثَبير وَهَمى صَبير » .

ومنها قوله في ( لزوم ما لا يلزم ) :

---

(١) وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطىء ط ١ ص ٣٧٨ .

(٢) « « « « « ط ١ ص ٣٨٤ . وفيها : « .. لجاز أن تؤخذ » . و « ... ولا يقبل ... » .

تَمَنَّتْ شِيعَةَ الهَجَرِيِّ نَصْراً ... لَعَلَّ الدَّهْرَ يَسْهُلُ فِيهِ حَزْنُ [1]

وَقَدْ أَضْحَتْ جَمَاعَتُهُمْ شَرِيداً ... فَلاَ يَفْنَى لَهُمْ أَسَفٌ وحُزْنُ

وَقَالُوا : إِنَّهَا سَتَعُودُ يَوْماً ... فَتَثْبتِ مَا سَقَى الآفَاقَ مُزْنُ

وَبَيْتُ الشِّعْرِ قُصِّعَ لاَ لِعَيْبٍ ... وَلَـكِنْ عَنْ تَصْحِيحٍ وَوَزْنُ

وقوله فيه :

وَدِينُ مَكَّةَ طَاوَعْنَا أَئِمَّتَهُ . ... عَصْراً فَمَا بَالُ دِينٍ جَاءَ مِنْ هَجَرَا [2]

وقوله فيه :

مَا لِلْمَذَاهِبِ قَدْ أَمْسَتْ مُغَيَّرَةً ... لَهَا انْتِسَابٌ إِلَى القَدَّاحِ أَوْ هَجَرِ [3]

قَالُوا: البَرِيَّةُ فَوْضَى لاَ حِسَابَ لَهَا ... وَإِنَّمَا هِيَ مِثْلُ النَّبْتِ والشَّجَرِ

فَالجَاهِلِيَّةُ خَيْرٌ مِنْ إِبَاحَتِهِمْ ... سَجِيَّةَ الحَارِثِ الحَرَّابِ أَوْ حُجَرِ [4]

فَمَا أَفَادُوا سِوَى إِحْلاَلِ نِسْوَتِهِمْ ... مُعَرَّضَاتٍ لأَهْلِ البَاطِلِ الفُجُرِ

وإِنَّ أَحْسَنَ مِنْ تَعْظِيمِهِمْ رَجُلاً ... صِفْراً مِنَ الحُكْمِ التَّعْظِيمُ لِلْحَجَرِ

وَهَلْ ثَعَالِبُ طَيٍّ فِي مَنَازِلِهَا ... إِلاَّ ثَعَالِبُ وَحْشٍ بِتْنَ فِي الوُجُرِ

---

(١) الهجري : نسبة إلى هجر قاعدة بلاد البحرين ، ومقر القرامطة . (ج) وانظر اللزوميات ‍ه ص ٢٦٢ .

(٢) اللزوميات ‍ه ص ١٤٠ .

(٣) في رسالة الغفران ص ١٥٦ أن القداح عبد الله بن ميمون من باهلة ، كان من أصحاب جعفر بن محمد ثم ارتد بعد ذلك (ج) وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطيء ط ١ ص ٤٠٧ — ٨ واللزوميات ‍ه ص ١٥١ .

(٤) الحارث الحراب بن معاوية بن ثور ملك كندة . وحجر : والد امرىء القيس وجده الأعلى . وحجر أيضاً ابن النعمان بن الحارث بن أبي شمر الغساني وحجر ابن ربيعة بن وائل الحضرمي الكندي والد وائل ملك حضرموت (ج) .

وقوله فيه :

عُكِسَ الأنامُ بحِكْمَةٍ مِن رَبِّهِ فَتَحَكَّمَ الهَجَرِيُّ فِيهِ وَسَنْبَرْ [١]

وقوله فيه :

ومَخَرِ الغَادِرِ الهَجَرِيِّ أرْضاً لِهَتْكِ أوَانِسٍ كَبَنَاتِ مَخْرِ [٢]

وقوله :

وَكَمْ مَضَى هَجَرِيٌّ أو مُشَاكِلُهُ مِنَ المَقَاوِلِ سَرُّوا النَّاسَ أمْ سَاءُوا [٣]

تَتْوَى المُلُوكُ وَمِصْرٌ في تَغَيُّرِهِمْ مِصْرٌ عَلَى العَهْدِ والأَحْسَاءُ أَحْسَاءُ

★ ★ ★

---

(١) قالوا : ابن سنبر : من خواص أبي سعيد الجنّابي المطلعين على سره . كان له عدو من القرامطة اسمه أبو حفص الشريك ، فعمد ابن سنبر الى رجل من أصبهان وقال له : إذا ملكتك أمر القرامطة أريد منك أن تقتل عدوي أبا حفص . فأجابه إلى ذلك ، وعاهده عليه ، فأطلعه على أسرار أبي سعيد وعلامات كان يذكر أنها في صاحبهم الذي يدعون إليه . فحضر عند أولاد أبي سعيد وذكر لهم ذلك فقال أبو طاهر : هذا هو الذي يدعو إليه . فأطاعوه حتى كان يأمر الرجل بقتل أخيه فيقتله . وكان إذا كره رجلاً يقول : إنه مريض ، يعني أنه قد شك في دينه ويأمر بقتله ، وبلغ أبا طاهر أن الأصبهاني يريد قتله لينفرد بالملك ، فقال لإخوته : لقد أخطأنا في هذا الرجل ، وسأكشف حاله . فقال له : إن لنا مريضاً فانظر إليه ليبرأ . فحضروا وأضجعوا والدته وغطوها بإزار فلما رآها قال : ان هذا المريض لا يبرأ فاقتلوه فقالوا له : كذبت هذه والدته ثم قتلوه . وكان قد قتل خلقاً كثيراً من عظمائهم . وكان هذا سبب تمسكهم بهجر ، وترك قصد البلاد والإفساد فيها (ج) وانظر اللزوميات ص ١٢٧ .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ١٥٤ ، ومخرت السفينة مخراً ومخوراً : إذا استقبلت الريح ، ويقال : المواخر السفن المقبلة والمدبرة بريح واحدة . وبنات مخر : سحائب يكنّ في أوائل الصيف .

(٣) اللزوميات ﻫ ص ٢١ ، وتتوي كرضي : هلك .

# المرجئة

المرجئة طائفة من المسلمين ، قيل : إنهم كانوا يقولون : الإيمان قول بلا عمل ، كأنهم قدموا القول وأرجئوا العمل أي أخروه . وقيل : إنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد . وقيل : إنهم كانوا يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة . وقيل : الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة ، فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار . وقيل غير ذلك .

وهم أصناف أربعة : مرجئة الخوارج . ومرجئة القدرية . ومرجئة الجبرية . والمرجئة الخالصة . والكلام فيهم مبسوط في كتاب ( الملل والنحل ص ٧٨ )

وقد ذكرهم أبو العلاء وأشار إلى مذهبهم في مواطن من ( لزوم ما لا يلزم ) كقوله :

أَرْجُوا أَوْ اعْتَزِلُوا فَإِنِّي عَنْ مُقَامِكُمْ بِمَعْزِلْ [١]

وقوله :

تَلاَوَمَ النَّاس وافْتَنَّتْ ظُنُونُهُمُ ... وأَرْجَأَ النَّاشِئُ البَاغِي أَوِ اعْتَزَلاَ [٢]

وقوله :

وَجَدْتُ النَّاسَ فِي هَرْجٍ وَمَرْجِ ... غُوَاةً بَيْنَ مُعْتَزِلٍ وَمُرْجِ [٣]

★ ★ ★

---

(١) انظر ما سبق ص ١٣١٩ .

(٢) « « « ص ١٤١٥ .

(٣) اللزوميات « ص ٧٨ .

# الرافضة

فرقة من شيعة الكوفة بايعوا زيد بن علي ، وهو ممن يقول بجواز إمامة المفضول مع قيام الفاضل . ثم قالوا له : تبرأ من الشيخين فأبى وقال : كانا وزيري جدي . فتركوه ورفضوه وارفضوا عنه . وقد ذكرهم أبو العلاء بقوله :

لَمْ يُثْبِتُوا بِقِيَاسٍ أَصْلَ دِينِهِمُ ... فَيَحْكُمُوا بينَ رُفاضٍ ونُصّابِ[1]

# النواصب والناصبية وأهل النصب

المتدينون ببغضة علي بن أبي طالب — ض — . وهم طائفة من الخوارج ، سموا بذلك لأنهم نصبوا له أي عادوه وأظهروا له الخلاف . فالنصب يقال لمذهب هو بغض علي — ض — ، وهو طرف النقيض من الرفض .

# الشراة

الشراة هم الخوارج . سموا بذلك لأنهم غضبوا ولجوا فهو من شري : كرضي إذا غضب . وقيل : لأنهم قالوا : إنا شرينا أنفسنا في الطاعة ، أي بعناها بالجنة ، حين فارقنا الأمة الجائرة .

والخوارج قوم خرجوا على علي بن أبي طالب — ض — ممن كانوا معه في حرب صِفّين ؛ وهم فرق ذكرهم في ( الملل والنحل ١ ص ٦٦ ) .

وقد أشار أبو العلاء إلى الفرقتين بما يدل على اعتقاده بها حيث يقول :

وَالنّاسُ في ضِدِّ الهُدَى مُتَشَيِّعٌ ... لَزِمَ الغُلُوَّ وَنَاصِبِيٌّ شَارِ[2]

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٤٨ .

(٢) » » ص ١٦٢ .

# النشر والحشر

النشر : إحياء الخلق بعد موتهم . والحشر : سوقهم إلى موقف الحساب ، ثم إلى الجنة أو النار .

والفلاسفة الإلهية من اليونان ينكرون نشر الأجسام ، ويثبتون خلود الروح وانتقالها بعد الموت إلى العالم العقلي ، فتشقى أو تسعد بتذكر ما صنعته في الحياة ، وتعود إلى صفائها بعد المحنة .

والمسلمون متفقون على وجوب وقوعها . ولكن اختلفوا في السبب الموجب . فالمعتزلة يقولون : يجب وقوعها عقلاً ؛ بناء على اعتقادهم أن الله يجب عليه إثابة المطيع ، ومعاقبة العاصي . وأهل السنة يقولون : يجب وقوعها ، لأن الله تعالى أخبر بها في كتبه على ألسنة رسله لا لإيجاب العقل وقوعها . واختلفوا أيضاً في كيفية الاعادة ، فقال بعض الكرامية [١] : إن الأجزاء التي يتألف منها البدن لا تعدم ، بل تتفرق وتختلط بغيرها ، ثم يجمعها الله ويؤلفها على الصفة التي كانت عليها . وقال المحققون من أهل السنة : تعدم كلها إلا عَجْب الذنب للنص عليه ، والإعادة إحداث كالإبداع الأول . واختلفوا أيضاً في الشيء المعاد ، فقيل : إنه الجسم فقط . وإلى هذا ذهب القائلون : إن الروح جسم لطيف سار في البدن كالنار في الفحم . وهذا مذهب أكثر المتكلمين كما تقدم . وقيل : إنه الجسم والروح معاً ؛ وإليه ذهب من يقول : إن الروح جوهر مجرد ليس بجسم ، لا يفنى بفناء

(١) أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام ، وهم طوائف منهم : العابدية ، والنونية ، والزرينية ، والاسحاقية ، والواحدية ، والهيصمية ، راجع الملل والنحل ج ١ ص ٦١ . (ج)

البدن ، فيرجع إلى التعلق به كما كان . وهـذا رأي كثير من الصوفية والشيعة ، وليس هذا من التناسخ ، لأن أهل التناسخ يقولون : إن الأرواح قديمة ؛ وترد إلى الأبدان في الدنيا . وينكرون الآخرة والجنة والنار . والإمام الغزالي [١] ، وأبو منصور الماتريدي [٢] وغيرهما ، يرون الرأي الثاني أي إن المعاد روحاني وجسماني . وهذه المسألة ظنية ليس فيها دليل قاطع .

## أبو العلاء والنشر والحشر :

يرى أبو العلاء أن المعاد أمر واقع لا بد منه ، وأنه روحاني جسماني . وقد ذكره في مواطن شتى في جميع أطوار حياته . وذكر مـا فيه من حساب ، وجنة ، ونار وصراط ، وشفاعة . وذكر ما في القبر من سؤال وغيره . وليس في كلامه كله ما يدل دلالة قاطعة على شك فيه أو إنكار له . وقد زعم بعض المتقدمين والمتأخرين أنه كان يشك في المعاد وينكره ، واستدلوا على ذلك بقوله :

ضَحِكْنَا وَكَانَ الضَّحْكُ مِنَّا سَفَاهَةً ... وَحُقَّ لِسُكَّانِ البَسِيطَةِ أَنْ يَبْكُوا
يُحَطِّمُنَا رَيْبُ الزَّمَانِ كَأَنَّنَا ... زُجَاجٌ وَلَكِنْ لَا يُعَادُ لَنَا سَبْكُ [٣]

(١) هو زين الدين حجة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي حكيم متكلم فقيه أصولي صوفي ، ولد بالطابران سنة ٤٥٠ هـ وتوفي بها سنة ٥٠٥ هـ ، ومن أشهر كتبه احياء علوم الدين ، وتهافت الفلاسفة .

(٢) هو محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي ، متكلم أصولي توفي بسمرقند سنة ٣٣٣ هـ .

(٣) في ياقوت : « يحطمنا صرف الزمان . . . » وفي المنتظم :

« تحطمنا الأيام حتى كأننا ... زجاج ولكن لا يعاد لنا السبك »

وفي القفطي وياقوت « لا يعاد لنا سبك » وفي الديوان ومرآة الزمان « لا يعاد له سبك » وفي الذهبي « لا يعاد له السبك . . . » ( ع ) انظر اللزوميات ٢ ص ١٨٢ وتعريف القدماء بأبي العلاء الصفحات : ٧٨ ، ٢٣ ، ٥٨ ، ١٤٧ ، ١٩٣ ، عن إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت ، والمنتظم لابن الجوزي ، وإنباه الرواة للقفطي ، ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ، وتاريخ الإسلام للذهبي .

وقوله من أبيات تقدمت :

وَزَعَمْتَ أَنَّ لَهَا مَعَاداً ثَانِياً     مَا كَانَ أَغْنَاهَا عَنِ الْحَالَيْنِ [(١)]

وهذه الأبيات الأخيرة المتقدمة نسبها له القفطي ، وصاحب ( نكت الهميان ) ، وذكر ياقوت البيتين الأخيرين : « أنهيت عن قتل النفوس ... » « وزعمت أن لها معاداً ... » وطبع على غرارهم صاحب ( الذكرى ) وزاد بيتاً آخر للاستدلال على الشك وهو قوله :

يَا مَرْحَباً بِالْمَوْتِ مِنْ مُتَنَظَّرٍ     إِنْ كَانَ ثَمَّ تَعَارُفٌ وَتَلَاقِ [(٢)]

وجعله تارة يشك وتارة بجزم ، وتارة يشايع أفلاطون ، وتارة وتارة . وإذا تأمل المنصف العاقل البيت الأول : « يحطمنا ريبُ الزمان ... » وحكّم العقلَ والعلم ، لا يرى له علاقة بالحشر والنشر ، ولا فيه دلالة على إثباتهما أو إنكارهما . وإنما جرت عادة البلغاء من العرب أن يجعلوا الزجاج مثلاً أعلى في الضعف وسرعة التكسر وفي عدم الجبر .

ومن الأول الحديث الشريف : « رويدكَ رِفْقاً بالقوارير » . أراد النساء ، وشبههن بالقوارير من الزجاج لأنها يسرع إليها الكسر . ومن الثاني قول حسان :

وَأَمَانَةُ الْمُرِّيِّ حَيْثُ لَقِيتَهُ     مِثْلُ الزُّجَاجَةِ صَدْعُهَا لَا يُجْبَرُ [(٣)]

---

(١) وروي : « وزعمت أن لنا معاداً . . . » (ج) . انظر تعريف القدماء بأبي العلاء الصفحات : ٢٥ ، ٥٦ ، ١١٦ ، ١٤٥ ، ١٩٣ ، ٢٨٣ ، ٢٩١ ، ٣٠٦ ، ٣٢٥ . عن المنتظم لابن الجوزي ، وإنباه الرواة للقفطي ، وإرشاد الأريب لياقوت ، ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي . وتاريخ الإسلام للذهبي . والوافي بالوفيات للصفدي ، ونكت الهميان له ، والبداية والنهاية لابن كثير ، وعقد الجمان للعيني .

(٢) ذكرى أبي العلاء لطه حسين ط ٢ ص ٣٦٨ وانظر اللزوميات هـ ص ٣٠٨ .

(٣) ديوانه بشرح البرقوقي ط التجارية القاهرة سنة ١٩٢٩ ، ص ٢١١ وفيه : لم يجبر ، والبيت من مقطعة مكسورة الراء يهجو حسان بها الحارث بن عوف المري .

وقد جرى ابو العلاء على هذه الطريقة . فشبه الناس بالزجاج في سرعة التحطم ، والعجز عن المقاومة والجلد . ثم ذكر أن بيننا وبين الزجاج فرقا ، وهو أن الزجاج يمكن أن يسبك في هذه الدنيا فيعود إلى حالته الأولى ، والإنسان لا يمكن أن يجبر فيها إذا حطمه الموت . هذا ما يدل عليه لفظ البيت المحكم والأسلوب البليغ . ومن الواضح أن الزجاج لا يسبك في الآخرة ، وأن أبا العلاء لا يريد هذا المعنى الذي فرضوه على كلامه فرضا . وليس في الكلام ما يدل على الآخرة أو يتعلق بها ، وإنما هو تحذير من الدنيا . فتعين أن يكون المراد : أن ليس لنا سبك في الدنيا يعيدنا إلى حالتنا الأولى ، وهذا حق لا ريب فيه . ونظير قول أبي العلاء هذا قول علي ابن أبي طالب ( ض ) : « فبادروا العمل وخافوا بغتة الأجل ، فإنه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق . . . » . وقوله : « أو لم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون . . . » . فإن المراد الرجعة في هذه الدنيا ، وإلا كان علي ( ض ) منكراً للحشر . وقد استعمل أبو العلاء سبك الزجاج في مواطن من شعره منها قوله :

وَلِلسَّبْكِ رُدَّ كَسِيرُ الزُّجَاجِ    وَلاَ يُسْبَكُ الدُّرُّ إنْ يَنْكَسِرْ [1]

وقوله :

إنَّ الزُّجَاجَةَ لَمَّا حُطِّمَتْ سُبِكَتْ    وَكَمْ تَكَسَّرَ مِنْ دُرٍّ فَمَا سُبِكَا [2]

وقوله :

يَسْبُكُ الصَّائِغُ الزُّجَاجَ وَلاَ يَسْـ    ـتَطِيعُ سَبْكاً للدُّرِّ أنْ يَتَشَظَّى [3]

---

(١) اللزوميات هـ س ١٧١ .

(٢) » » س ١٨٦ .

(٣) » » س ١٨١ .

وهو في هذه الأبيات وأشباهها يشير إلى أن النفس إذا كسر لا يجبر بخلاف غيره . زمن البين أنه لا يريد كسراً ولا جبراً في الآخرة .

وأما الأبيات النونية التي يقول فيها . « وزعمت أن لهَا مَعَاداً ثانيا .. » فإن سخافة تأليفها تدل على أنهـــا مصنوعة على لسانه ، إذ من البعيد عن أدب أبي العلاء أن يقول : « فاحكم إلهي .. » ثم يقول له : « أنهيت .. وبعثت .. وزعمت » وإذا قيست إلى أبيـــاته في هذا الغرض ، تبين أنها ليست من سنخ شعره . وإذا سلمنا أنها منه ، فإنها تدل على اثبات الحشر لا على نفيه . لأن قوله : « ما كان أغناها عن الحالين » صريح في أنه يثبت لها الحالين ، وأحدهما المعاد الثاني وهو الحشر ، وقد سبق القول في هذا .

وأما قوله :

يَا مَرْحباً بِالَموْتِ مِنْ مُتَنَظَّرٍ[1] . . . . . . . .

فإنه من قصيدة يقول فيها :

أمَّا الحَقِيقَةُ فَهْيَ أنِّي ذَاهِبٌ ... وَاللهُ يَعْلَمُ بِالذِي أنَا لاَقِ

ثم أشار إلى نفر عهدهم بالكرخ ثم قال :

سَيَمُوتُ مَحْمُودٌ وَيَهْلِكُ آلِكٌ ... وَيَدُومُ وَجْهُ الوَاحِدِ الخَلاَّقِ
يَا مَرْحَباً بِالَموْتِ مِنْ مُتَنَظَّرٍ ... إنْ كَانَ ثَمَّ تَعَارُفٌ وَتَلاَقِ

وليس في البيت أو في أبيات القصيدة تصريح بإنكار الحشر أو الشك فيه . وإنما الشك في التعارف والتلاقي وهما غير الحشر ، بل مترتبان عليه . ولا يلزم من الشك فيهما الشك فيه . الا ترى قول النابغة :

---

(١) انظر ما سبق ص ١٤٥٤ .

لاَ مَرْحَباً بِغَدٍ وَلاَ أَهْلاً بِهِ     إِنْ كَانَ تَفْرِيقُ الاحِبَّةِ في غَدِ

فإنه يفيد الشك في تفريق الأحبة لا في غيره .. وبعد هذا فإن بيت أبي العلاء مسوق للترحيب بالموت ، إن كان هناك تعارف وتلاق . ومفهوم هذا أنه إذا لم يكن تعارف وتلاقٍ فإنه لا يرحب به . وهذا لا يستلزم الشك في البعث ولا في غيره ، بل يستلزم إثباته ، فهو من جنس قول الشاعر :

تَقَدَّمَ النَّاسُ فَيَا شَوْقَنَا     إلى اتِّبَاعِ الأَهْلِ وَالأَصْدِقَاءْ

مَا أَطْيَبَ الْمَوْتَ لِشُرَّابِهِ     إِنْ صَحَّ لِلأَمْوَاتِ وَشْكُ التِقَاءْ

وإذا أمعنت النظر في قوله : « أما الحَقِيقَةُ فهي أني ذاهِبٌ ... » تبين لك أنه يصرح فيه بأنه سيلقى شيئاً بعد ذهابه أي موته . وهذا الشيء لا يعلمه إلا الله . ولا يكون لقاؤه إلا بعد البعث لأن المعدوم لا يلقى شيئا . وبهذا يتبين أن ليس في جميع الأبيات ما يفيد الشك في البعث أو الإنكار له ، وأن جميع ما تكلفه صاحب ( الذكرى ) لجعل أبي العلاء منكراً للحشر أو شاكًّا فيه ، لا تساعده عليه الأدلة التي أوردها .

على أنه جنح إلى الصواب في قوله بعد : « ومهما يكنْ مِنْ شكّ أبي العلاء ، أو انتحاله الشكَّ في البعث ؟ فإنه لا يرتاب في قدرة الله عليه »[1] وقد تكلف بعضهم فجعل « أن » في قوله : « إن كان ثم تعارف . . » بمعنى « إذ » ليسلم البيت من الشك . ولا حاجة إلى ذلك لأن البيت سالم من الشك بدون هذا التكلف .

---

(١) ذكرى أبي العلاء ط ٢ ص ٣٦٩ .

ولقد فتشت في شعر أبي العلاء الذي اطلعت عليه في جميع أطوار حياته ، فلم أر فيه ما يدل دلالة صريحة على شك في النشر والحشر ، أو إنكار للمعاد . وإنما رأيت له مئات من الأبيات يصرح فيها بالبعث ، والحشر ، والقيامة ، وما يكون فيها من حساب وجنة ونار ، وما يتعلق بذلك . وإليك طائفة من كلامه في كل كتاب :

## سقط الزند

قال في مرثية أبيه ( ج ١ ص ١٩٤ ) [١] :

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَخِفُّ وَقَارُهُ ... إِذَا صَارَ أُحْدٌ فِي القِيَامَةِ كَالعِهْنِ

وَهَلْ يَرِدُ الحَوْضَ الرَّوِيَّ مُبَادِرًا ... مَعَ النَّاسِ أَمْ يَأْبَى الزِّحَامَ فَيَسْتَأْنِي

. . . . . . . .

وَمَا اسْتَعْذَبَتْهُ رُوحُ مُوسَى وَآدَمٍ ... وَقَدْ وُعِدَا مِنْ بَعْدِهِ جَنَّتَيْ عَدْنِ

وقال في مرثية الشريف محمد ( ج ١ ص ٢٠٨ ) [٢] :

وَلَا تَنْسَنِي فِي الحَشْرِ وَالحَوْضُ حَوْلَهُ ... عَصَائِبُ شَتَّى بَيْنَ غُرٍّ إِلَى بُهْمِ

. . . . .

لَعَلَّكَ فِي يَوْمِ القِيَامَةِ ذَاكِرِي ... فَتَسْأَلَ رَبِّي أَنْ يُخَفِّفَ مِنْ إِثْمِي

---

(١) شرح التنوير على سقط الزند ط دار السعادة بالقاهرة سنة ١٢٨٦ هـ وانظر شروح سقط الزند ، ق ٢ ص ٩١١ — ٩٢٢ .

(٢) التنوير على السقط ، وانظر شروح سقط الزند ، ق ٣ ص ٩٧٠ والشريف محمد : هو أبو ابراهيم العلوي ، وقال أبو العلاء قصيدته هذه يرثيه ويخاطب بها أولاده .

وقال في مرثية أبي حمزة [ الفقيه ] ( ج ١ ص ١٥٨ ) (١) :

خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ أُمَّـةٌ يَحْسَبُونَهُمْ لِلنَّفَـادِ
إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَـا لٍ إِلَى دَارِ شِقْوَةٍ أَوْ رَشَادِ

وقد ذكر في هذه القصيدة قوله :

وَالَّذِي حَارَتِ الْبَرِيَّةُ فِيـهِ حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادِ (١)

وهذا البيت يستشهد به علماء البيان والبلاغة على تقديم المسند إليه على المسند ، ليتمكن الخبر في ذهن السامع ؛ لأن في المبتدأ تشويقاً إليه ، أي إلى الخبر .

وقد اختلف العلماء في المراد « بالحيوان المستحدث » . فقيل : الإنسان . والحيرة الواقعة به من قبيل اتصال النفس بالجسم إذ النفس جوهرية ، والجسم عرضي . فلذلك يعدم الجسم الحياة إذا فارقته النفس ، والحيرة الواقعة في نياطها به .

وقيل : المراد باستحداث الحيوان من الجماد « البعث والمعاد » للأجسام الحيوانية يوم القيامة ، ويدل على أن المراد هذا قوله :

بانَ أمرُ الإلهِ (٢) . . . . .

مع ما تقدم وتأخر عنه . وقيل : المراد بالحيوان المذكور ثعبان موسى . وقيل : ناقة صالح . وقيل : آدم عليه السلام . لأنه خلق من التراب وهو

---

(١) التنوير على سقط الزند . وانظر شروح سقط الزند ، ق ٣ ص ٩٧٨ ـ ١٠٠٤ .
(٢) تمامه : « . . . . واختلف النا س فداعٍ إلى ضلال وهاد » .

جاد . وقيل : طائر بالهند يعيش طويلا ، فإذا انتهى أجله دخل عشاً ونفخ فيه فتحدث في العش أصوات مطربة ، فيحترق العش بنـــار تحدث حينئذ ، ويحترق ذلك الطائر في العش حتى يصير رماداً ، ثم يخلق الله تعالى من ذلك الرماد ذلك الطائر مرة أخرى ، ثم اذا انتهى أجـــله فعل مثل ما فعل أولاً وهلم جرا .

وهذا الطائر يقال له : « الققنس[1] » يضرب به المثل في البياض ، له منقار طويل فيه ثلثمائة وستون ثقبة على عدد أيام السنة ، يخرج من كل واحدة منها صوت حسن يعيش ألف سنة . . . وتجد خبر هذا الطائر في ( حيـــاة الحيوان للدميري ) وفي ( تاج العروس ج ٤ ص ٢١٠ ) وفي ( حاشية الدسوقي على مختصر السعد ج ١ ص ٢٩٣ ) و ( مواهب الفتـــاح لابن يعقوب ج ١ ص ٢٩٢ ) .

وذهب جمهور من المحققين إلى أن المراد بالحيوان المذكور أي المستحدث من جماد بنو آدم ، بدليل أن البيت من قصيدة يرثي بها فقيهاً حنفياً توفي . ومن البعيد أن يكون المراد بالحيوان غير الآدميين . وهذا يعيّن أن يكون الذي وقعت فيه الحيرة معاده ونشوره .

والمراد بقوله « حارت » : اختلفت فيه البرية ، فأطلق الملزوم وأراد اللازم ، لأن الحيرة في الشيء يلزمها الاختلاف .

وقد رجح ابن يعقوب هذا الوجه ، أي كون المراد بالحيوان بني آدم ، وقال : إن الاحتمالات غيره ضعيفة .

---

(١) لعل الـكلمة محرفة عن « القنقس » بتقديم النون على القاف . والقنقس Phoinix عند اليونان القدامى طائر خرافي جميل الريش والصوت يعيش قروناً متطاولة في بلاد ذكروها منها الهند ومصر وجزيرة العرب . . وتشبه أوصافه بعض ما ينسبه العرب للرخ والعنقاء والسندل والنول . ويذكرون أن النار إذا اضرمت حول القنقس هلك فيها ثم خرج حياً تارة أخرى من رمادها . . .

وقال في مرثية أخرى ( ج ٢ ص ١٢ )[١] :

جَازَاكَ رَبُّكَ بِالجِنَانِ فَهٰذِهِ دَارٌ وَإِنْ حَسُنَتْ تَغُرُّ بِسُحْتِهَا
وأَمَامَنَا يَوْمٌ تَقُومُ هُجُودُهُ مِنْ بَعْدِ إِبْلاءِ العِظَامِ وَرَفْتِهَا

وقال من قصيدة يهنىء فيها رجلا ببرئه ( ج ١ ص ١٤٠ )[٢] :

فَلَوْ زَارَ أَهْلَ الخُلْدِ عَتْبُكَ زَوْرَةً لَأَوْهَمَهُمْ أَنَّ الجِنَانَ جَحِيمُ

وقال في مرثية الشريف أبي أحمد الموسوي ( ج ٢ ص ٦٠ )[٣] :

نُبِذَتْ مَفَاتِيحُ الجِنَانِ وَإِنَّمَا رِضْوَانُ بَيْنَ يَدَيْهِ لِلإِتْحَافِ

وقال في قصيدة قالها في بغداد ( ج ٢ ص ٥٤ )[٤] :

فَيَا وَطَنِي إِنْ فَاتَنِي بِكَ سَابِقٌ مِنَ الدَّهْرِ فَلْيَنْعَمْ لِسَاكِنِكَ البَالُ
فَإِنْ أَسْتَطِعْ فِي الحَشْرِ آتِكَ زَائِراً وَهَيْهَاتَ لِي يَوْمَ القِيَامَةِ أَشْغَالُ

وقال في مرثية أمه ( ج ٢ ص ٨٩ )[٥] :

سَأَلْتُ مَتَى اللِّقَاءُ فَقِيلَ حَتَّى يَقُومَ الهَامِدُونَ مِنَ الرِّجَامِ

. . . . . . . . . . . . . . .

فَلَيْتَ أَذِينَ يَوْمِ الحَشْرِ نَادَى فَأَجْهَشَتِ الرِّمَامُ إِلَى الرِّمَامِ

وقال في قصيدة أرسلها إلى القاضي التنوخي ( ج ٢ ص ١٢٠ )[٦] :

فَإِنْ لَقِيتُ وَلِيداً وَالنَّوَى قُذُفٌ يَوْمَ القِيَامَةِ لَمْ أَعْدِمْهُ تَبْكِيتَا

---

(١) التنوير على سقط الزند . وانظر شروح سقط الزند ، ق ٣ ص ١٠٣٤ . وجاء فيها : قال يخاطب بعض إخوانه وكان أصيب ببعض أهله فتأخر عن تعزيته ثم اعتذر إليه بهذا الشعر .
(٢) التنوير على السقط وانظر شروح سقط الزند ، ق ٢ ص ٦٦٦ .
(٣) التنوير على السقط وانظر شروح سقط الزند ، ق ٣ ص ١٢٨٩ .
(٤) التنوير على السقط وانظر شروح سقط الزند ، ق ٣ ص ١٢٥٨ .
(٥) التنوير على السقط وانظر شروح سقط الزند ، ق ٤ ص ١٤٦٨ — ١٤٧١ .
(٦) التنوير على السقط وانظر شروح سقط الزند ، ق ٤ ص ١٦١٢ .

وقال في قصيدة :

يَكَادُ مُحَيَّنٌ لاَقَى المَنَايَا ... بِسَيْفِكَ لاَ يَكُونُ لَهُ مَعَادُ [١]

وقال في قصيدة :

وَلَوْ أَنِّي حُبِيتُ الخُلْدَ فَرْداً ... لَمَا أَحْبَبْتُ بِالخُلْدِ انْفِرَادَا [٢]

## لزوم مالا يلزم :

يزعم جل الناس ، إن لم يكن كلهم ، أن ( لزوم مالا يلزم ) جامع كفر أبي العلاء ، ومجمع إلحاده ، وعش زندقته ، ومعدن شكه وإنكاره ، وخزانة فسوقه ومروقه . وهو — مع مازعموا — طافح بالأدلة الناصعة ، والحجج القاطعة ، الدالة على أن صاحبه مؤمن بالآخرة ، موقن بالنشر وما يتعلق به من بعد موت الإنسان ، إلى أن يصل إلى دار القرار ، إما في الجنة وإما في النار ، على وفق ماجاء به الإسلام الصحيح حذوَ القُذَّةِ بالقذة [٣] . وهذه جملة من كلامه في ذلك :

### قدرة الله على البعث والحشر :

وَقُدْرَةُ اللهِ حَقٌّ لَيْسَ يُعْجِزُهَا ... حَشْرٌ لِجِسْمٍ وَلاَ بَعْثٌ لأَمْوَاتِ [٤]

• • •

(١) من قصيدة قالها يمدح بعض الأمراء وكان قد تشكى من علة ، انظر شروح سقط الزند ق ١ ص ٣٢٦ والمحيَّن : الذي حان حينه أي حتفه .

(٢) شروح سقط الزند ، ق ٢ ص ٥٦٤ .

(٣) القذة : بالضم ريش السهم جمعها : قذذ .

(٤) اللزوميات هـ ص ٦٧ وفيها : « حشر لخلق ... » .

إذَا مَا أعظُمِي كَانَتْ هَبَاءً ... فَإنّ اللهَ لاَ يُعْيِيهِ جَمْعِي [١]

• • •

بِحِكْمَةِ خَالِقِي طَيِّي وَنَشْرِي ... وَلَيْسَ بِمُعْجِزِ الخَلاّقِ حَشْرِي [٢]

القبر وما فيه :

خَلِّصِيني مِنْ ضَنْكِ مَا أنَا فِيه ... وَاطْرَحِيني لِمُنْكَرٍ وَنَكِيرِ [٣]

• • •

فَهَلْ هُوَ خَاشٍ مِنْ نَكِيرٍ وَمُنْكَرٍ ... وَضَغْطَةِ قَبْرٍ لاَ يَقُومُ لَهَا نَظْمُ [٤]

البعث والنشر :

إنْ شَاءَ مَنْ خَلَقَ السَّمَا ... كَ أعَاشَنِي فَنَهَضْتُ أغْبَرْ [٥]

عَجْلانَ أنْفُضُ لِمَّتِي ... لِتَحُدَّ أعْمَالِي وَتُسْبَرْ

• • •

وَمَتَى شَاءَ الذي صَوَّرَنَا ... أشْعَرَ المَيْتَ نُشُوراً فَنُشِرْ [٦]

فَافْعَلِ الخَيْرَ وَأمِّلْ غِبَّهُ ... فَهُوَ الذُّخْرُ إذَا اللهُ حَشَرْ

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٨٨ .

(٢) اللزوميات هـ ص ١٥٥ .

(٣) اللزوميات هـ ص ١٦٦ . وانظر ما سبق ص ١٤٢٦

(٤) انظر ما سبق ص ١٣٥٢ .

(٥) اللزوميات هـ ص ١٦٨ .

(٦) المصدر السابق .

**الصور والنداء :**

مَضَتْ قُرُونٌ وتَمْضِي بَعْدَنا أُمَمٌ ... والسِّرُّ خافٍ إلى أنْ يُنْفَخَ الصُّورُ[(١)]

• • •

وَأعْجَبُ مَا تَخْشَاهُ دَعْوَةُ هَاتِفٍ ... أُتِيتُمْ فَهُبُّوا يا نِيَامُ مِنَ الحَشْرِ[(٢)]

**الصحائف :**

فَيَالَيْتَنِي هَامِدٌ لاَ أقُومُ ... إذَا نَهَضُوا يَنْفُضُونَ اللِّمَمْ[(٣)]

وَنَادَى المُنَادِي على غَفْلَةٍ ... فَلَمْ يَبْقَ في أُذُنٍ [مِنْ] صَمَمْ

وَجَاءَتْ صَحَائِفُ قَدْ ضُمِّنَتْ ... كَبَائِرَ آثَامِهِمْ وَاللَّمَمْ

**الجزاء :**

لَا يَيْأسَنَّ مِنَ الثَوَابِ مُرَاقِبٌ ... لِلّهِ في الإيرَادِ والإصْدَارِ[(٤)]

فَتَرَى بَدَائِعَ أنْبأتْ مُتَحَسِّساً ... أنَّ الجَزَاءَ بِغَيْرِ هٰذي الدَّارِ

• • •

وَالبَخْتُ في الاولىٰ أنَالَ العُلَى ... وَلَيْسَ في آخِرَةٍ بَخْتُ[(٥)]

---

(١) اللزوميات هـ ص ١٢٣ .

(٢) اللزوميات هـ ص ١٣٢ .

(٣) اللزوميات هـ ص ٢٥٩ .

(٤) اللزوميات هـ ص ١٦٤ .

(٥) اللزوميات هـ ص ٦٢ .

**الحساب :**

وَرَاعَني لِلحِسَابِ ذِكْرٌ وَغَرَّني أَنَّهُ بَعيدُ[1]

• • •

لَوْلا حِذَارِي أَنَّ اللهَ يَسأَلُني عَمَّا فَعَلْتُ لَقَامَتْ عِنْدِيَ الكُلَفُ[2]

• • •

وَاحْذَرْ مَجِيئَكَ فِي الحِسَابِ بِزَائِفٍ فَاللهُ رَبُّكَ أَنقَدُ النُّقَّادِ[3]

**شهادة الجوارح :**

يَقُومُ الفَتَى مِن قَبْرِهِ إِنْ دَعَوْتَهُ وَمَا جَرَّ مَخْطُوطٌ لَهُ فِي الرَّوَاجِبِ[4]

**الصراط :**

وَكَأَنَّ هَذَا الخَلْقَ أَهْلُ جَهَنَّمٍ وَلَهُمْ مِنَ المَوْتِ الزُّؤَامِ سِرَاطُ[5]

**الميزان :**

أَكَذَّبَ القَوْمُ بِالمِيزَانِ أَنْ سَمِعُوا أَنَّ القِيَامَةَ فِيهَا عَادِلٌ يَزِنُ[6]

---

(١) اللزوميات هـ ص ٩٦ .

(٢) » » ص ٢٩١ .

(٣) » » ص ١١٤ .

(٤) » » ص ٤٥ وجر : من الجريرة وهو مايجر الإنسان لل نفسه من الأعمال القبيحة التي يطالب عليها . وما : هاهنا اسم موصول . والرواجب : مفاصل أصول الأصابع أو بواطن مفاصلها .

(٥) اللزوميات هـ ص ١٧٧ .

(٦) » » ص ٢٦١ .

وَقَدْ وَجَدْنَا مَقَالَ النَّاسِ ذَا زِنَةٍ      فَكَيْفَ يُنْكَرُ أَنَّ الفِعْلَ يَتَّزِنُ

ورد في القرآن الكريم ، والأحاديث الشريفة وزنُ الأعمال وموازينها في يوم القيامة ، ووصفها بالثقل والخفة . فلا يخفى أن الأعمال التي يعملها الناس أعراض تعدم ولا تدوم ، وأن الثقل والخفة من صفات الأجسام والجواهر . وبهذا السبب اختلفت كلمة العلماء في كيفية الموزون والميزان .

فأنكر فريق الوزن ، وقالوا : المراد من الميزان القضاء بالعدل على سبيل الكناية ، بأن يقال : ذكر وزن الأعمال وأريد به القضاء بالعدل في أمر المجازاة ؛ وعبّر عن القضاء بالعدل بالميزان ، لكون الميزان طريقاً لظهور العدل .

أو على سبيل الاستعارة بأن يقال : شبه ذلك الموصوف بالخفة والثقل بمعنى القلة والكثرة . وقد ذهب إلى ذلك جماعة من المتقدمين ، منهم مجاهد (١) والضحاك (٢) والأعمش (٣) .

وأنكر ذلك أيضاً المعتزلة جميعاً ؛ وانقسموا إلى قسمين : قسم أحاله عقلا ، وقسم جوّزه ، ولم يثبته ، كالعلاف (٤) وابن المعتمر (٥) وقالوا :

---

(١) هو مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المكي ، تابعي مفسر من أهل مكة أخذ عن ابن عباس . مولده سنة ٢١ هـ وتوفي سنة ١٠٤ هـ .

(٢) هو الضحاك بن مزاحم البلخي الهلالي الخراساني أبو القاسم ، مفسّر محدث ، توفي سنة ١٥٠ هـ وله كتاب في التفسير .

(٣) هو سليمان بن مهران الأسدي أبو محمد الملقب بالأعمش ، تابعي مشهور أصله من بلاد الري ، كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض توفي بالكوفة سنة ١٤٨ هـ الاعلام ١٩٨/٣ .

(٤) هو محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي - أبو الهذيل العلاف - من أئمة المعتزلة ولد في البصرة سنة ١٣٥ هـ واشتهر بالكلام وتوفي بسامرا سنة ٢٣٥ هـ الأعلام ٣٥٥/٧ هـ .

(٥) بشر بن المعتمر البغدادي ، أبو سهل ، فقيه معتزلي من أهل الكوفة توفي سنة ٢١٠ هـ انظر الأعلام ٢٨/٢ .

يجب حمل ماورد في القرآن من الوزن والميزان على رعاية العدل والإنصاف لا على آلة الوزن الحقيقي .

وأما أهل السنة فقد أثبت الجمهور منهم الميزان وقالوا : إنه حقيقة بمعناه المعروف ، وأن له لساناً وكفتين وعموداً ، ومكانه بين الجنة والنار .

وقد اختلفت كلمتهم في الموزون ، فقال فريق : إن الأعمال نفسها تجسم وتجسد وتوزن .

وقال فريق آخر : توزن صحائف الأعمال التي كتبت فيها الحسنات والسيئات ، فيحدث الله فيها ثقلا وخفة .

وقال فريق آخر : إن الموزون هو الأشخاص العاملون أنفسهم ، فيخف بعضهم ويثقل آخر باعتبار عمله . وروي عن ابن عباس أنه قال : « يؤتى بالأعمال الحسنة على صور حسنة ، وبالأعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان » . فعلى قوله هذا تصور الأعمال صوراً ، وتوضع تلك الصور في الميزان ، ويخلق الله تعالى فيها ثقلا وخفة .

وقال الحكيم المجريطي[1] في ( الرسالة الجامعة ج ٢ ص ٥١ ) : « إن كثيراً من الناس إذا سمع بذكر الوزن يوم القيامة ونصب الموازين يظن أن الأعمال تصير في ذلك اليوم أشياء تجتمع فتصير أجساما ، وتوضع في الميزان ، وتجعل بين يديها مثاقيل توزن بها . . . كما يشاهدون من أمور الدنيا ، ووزن الذهب ، والفضة ، والأمتعة . . . وغير ذلك .

---

(١) هو مسلمة بن أحمد بن قاسم بن عبد الله المجريطي ، أبو القاسم ، فيلسوف رياضي فلكي ، ولد بمجريط ( مدريد ) وتوفي فيها سنة ٣٩٨ هـ .
وألف بعض الكتب في الحكمة والرياضيات ، وإليه تنسب ( الرسالة الجامعة ) وقد عني بنشرها .وتحقيقها جميل صليبا ونشرها المجمع العلمي العربي في جزئين ( دمشق ١٩٤٨ — ١٩٥١ ) .

وهذا يتخيله الصبيان والنساء ، ومن لا عقول لهم من الرجال ، مثل البله ، والمجانين ، والمتخلفين عن اتباع الرسل والأئمة . . . .

وأما أهل العلم والحكمة الذين وقفوا على أسرار كتب الأنبياء الصادقين ، والحكماء الراشدين ، فيعلمون أن الموازين المنصوبة ليوم القيامة التي توزن بها أعمال العباد من الخير والشر ، إنما هي صور نفسانية صافية شفافة ، تتراءى فيها الأعمال لأصحابها . فينظر العاقل فيها إلى عمله إنْ خيراً فخير وإن شراً فشر . . وهذه الكتب هي التي بأيدي الملائكة الحفظة الذين يكتبون أعمال بني آدم وهم أصحاب الوزن يوم القيامة . . . .

وأما أمثال هذه الموازين في الدنيا فهي التي توزن بها الأشكال والمقادير التي لا تجتمع كاجتماع الأجزاء في الموازين المركبة ، وهي كالاسطرلاب وأمثاله من الآلات التي يعرف بها الزمان بالنظر والعيان ، وكم مضى من الليل والنهار ، والباقي منهما بالزيادة والنقصان ، والمسطرة في الاستواء والاعوجاج ، والذراع الذي يعرف به الطول والعرض . . . . » .

وهذا البحث مبسوط في كتب العقائد والتفسير [١] .

أما أبو العلاء فقد ذكر في ( لزوم ما لا يلزم ) هذين البيتين [٢] :

أَكَذَّبَ القومُ بالمِيزَانِ أنْ سَمِعُوا . . . . . . . . . . . . . .

---

(١) منها ( المواقف ) للعضد وشرحه للسيد الجرجاني ج ٨ ص ٣٢١ . ومنها التفسير المسمى ( بالبحر المحيط ) لأبي حيان ج ٤ ص ٢٧٠ . والتفسير المسمى ( بالجامع لأحكام القرآن ) للقرطبي ج ٧ ص ١٦٥ . و ( تفسير فخر الدين الرازي ) ج ٤ ص ١٨٠ و ( حاشية الخفاجي على تفسير البيضاوي ) ج ٤ ص ١٥١ . و ( حاشية شيخ زادة على البيضاوي ) تكملة ج ١ ص ٢٢٠ . و ( حاشية الجمل على الجلالين ) ج ٢ ص ١٢٨ . و ( تفسير ابن جرير الطبري ) ( ج ) .

(٢) راجعها فيما سبق ص ١٤٦٥ — ١٤٦٦ .

فأثبت فيها الوزن للأفعال كما أثبته للأقوال ، ولكنه لم يصرح بكيفية الوزن التي يعتقدها ؛ ولا بنوع الميزان الذي يريده . وقال في ( اللزوم ) أيضا :

لَا تَعْرِفُ الوَزْنَ كَفِّي بَلْ غَدَتْ أُذُنِي ... وَزَّانَةً وَلِبَعْضِ القَوْلِ مِيزَانُ[1]

وقال فيه أيضا :

سَتُرْعَى إذَا أُلْفِيتَ لِلَّفْظِ خَازِناً ... وَتَدْهَى إِذَا أَحْسَنْتَ لِلذَّهَبِ الخَزْنَا[2]

فَأَنْفِقْ بِمِيزَانٍ مَقَالَكَ وَابْتَعِثْ ... يَدَيْكَ بِمَا أُوتِيتَ وَزْناً وَلَاوَزْنَا

وقد أراد بقوله : « فانفق بميزان مقالك . . » تكلم بالحق والصدق ، ولا ترد عليه ولا تنقص ، كأنك تزنه بميزان . وأما يداك فلا تقيدهما في الإعطاء بشيء ؛ بل أعط بوزن أو بغير وزن .

وظاهر كلامه في هذا الموضوع ، أنه يثبت للأقوال في الدنيا وزناً وميزاناً ويثبت للأفعال في الآخرة وزناً وميزاناً ، قياساً على الأقوال ؛ ولكنه لم يصرح بكيفية الوزن ولا الميزان .

ونحن إذا تأملنا الأقوال ، وجدناها أقساماً كثيرة ولها موازين مختلفة ؛ منها ما يوزن بمقابلة الحركات والسكنات لمطابقة الوزن ، كالعروض للشعر . . ومنها ما يوزن بمطابقته لقواعد العلم ، كعلوم اللسان من نحو وصرف وبلاغة ونحوها .

ومنها ما يوزن بالذوق كالنظم والنثر فإن الجيد والرديء منها يعرف بالذوق . ومنها ما يوزن بمطابقة الحقيقة والواقع كالأخبار وما أشبهها .

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٦٢ .

(٢) » » ص ٢٦٥ .

وهناك أقسام كثيرة غير ما ذكر ، ولكل منها ميزان تعارف الناس على الوزن به .

وقد تجتمع في النص الواحد وجوه متعددة ؛ ويكون لكل وجه منها ميزان خاص يوزن به ذلك النص إذا نظر إليه من ذلك الوجه . وذلك كالأبيات من الشعر ، توزن بميزان العروض لمعرفة صحة وزنها أو عدمها . وتوزن بقواعد النحو والصرف والبلاغة لمعرفة صحة تأليفها مفردة ومركبة ، ومطابقتها لمقتضى الحال وعدمها . ويوزن بالذوق جمال انسجامها ، ورشاقة أسلوبها ، وروعة خيالها . ويوزن ما فيها من الأخبار والأحكام بمطابقتها الحقيقة وعدمها .

فهذا نص واحد اجتمعت فيه وجوه متعددة ، ولكل وجه ميزان يوزن به هذا القول كما ذكر .

ثم إن الأقوال توصف بالقلة والكثرة ، واللين والشدة ، والصحة والبطلان ؛ ونحو ذلك من صفات الأعراض . وكذلك الأفعال تتصف بمثل هذه الصفات .

وأبو العلاء أجاز في الأفعال كل ما يجوز في الأقوال ؛ واثبت الوزن للأذن لأنها تزن ما تسمعه وتقضي عليه بالعدل أنه حق أو باطل . وهو لم يبين ما يعتقده في الوزن والميزان . والمعروف من مذهبه أنه يحكم العقل في كل شيء ، والعقل يجوز في أكثر المواطن أن يجعل وزن الأعمال كناية عن القضاء بالعدل . ولذلك رأينا أن نحمل وزن الأقوال والأفعال في كلامه على القضاء بالعدل ، كما حمل وزن الأعمال عليه في كلام غيره . ويكون بذلك موافقاً للأعمش ومجاهد والضحاك والمعتزلة [1] .

**رضوان :**

وَإِنْ كَفَتْنِي عَذَابَ اللهِ مَغْفِرَةٌ     فَمَا أُحَاوِلُ مِنْهَا فَوْزَ رِضْوَانِ [2]

---

(١) انظر ما سبق ص ١٤٦٦ .

(٢) اللزوميات ٥ ص ٢٧٦ وفيها : « ... عذاب الله آخرة ... » .

**مالك :**

يَا رِضْوَ لَا أَرْجُو لِقَا ءَكَ بَلْ أَخَافُ لِقَاءَ مَالِكْ[١]

**طوبى :**

فَإِنْ خَرَجْتُ إِلَى بُؤْسَى فَوَاحَرَجِي وَإِنْ نُقِلْتُ إِلَى نُعْمَى فَطُوبَى لِي[٢]

**جنة الخلد :**

وَمَا أَظُنُّ جِنَانَ الْخُلْدِ يُدْرِكُهَا إِلَّا مَعَاشِرُ كَانُوا فِي التُّقَى جُهُدَا[٣]

**جنة عدن :**

فَإِنَّ جَنَّةَ عَدْنٍ لَا يُجَادُ بِهَا إِلَّا لِصَاحِبِ دِينٍ فِي أَذًى عَدَنَا[٤]

**جنة النعيم :**

وَمَا سَرَّنِي أَنِّي أَصَبْتُ مَعَاشِراً بِظُلْمٍ وَأَنِّي فِي النَّعِيمِ مُخَلَّدُ[٥]

**النار :**

وَهِيَ الْحَيَاةُ فَعِفَّةٌ أَوْ فِتْنَةٌ ثُمَّ الْمَمَاتُ فَجَنَّةٌ أَوْ نَارُ[٦]

---

(١) انظر ما سبق ص ١٣١٦ .

(٢) اللزوميات ٥ ص ٢١٦ .

(٣) اللزوميات ٥ ص ١٠٢ .

(٤) اللزوميات ٥ ص ٢٦٥ ، وعدن بالمكان : أقام .

(٥) اللزوميات ٥ ص ٨٩ .

(٦) اللزوميات ٥ ص ١٣٢ .

**سقر :**

إنْ عُوِّضُوا عَنْ ذُنُوبٍ أُسْلِفَتْ سَقَراً　　فَلَمْ تَرِمْهُمْ عَلى عِلاَّتِها سَقَرُ(١)

**السعير :**

أَتُرَجِّينَ مِن إلهِكِ عَفْواً　　وَتَخافِينَ في الحِسَابِ السَّعِيرا(٢)

**جهنم :**

تَغْشَى جَهَنَّمَ دَمْعَةٌ مِنْ تَائِبٍ　　فَتَبُوخُ وَهْيَ شَدِيدَةُ الإِيقَادِ(٣)

**الهاوية :**

هَاوِيَةٌ نَفْسُكَ مَا سَاءَها　　فَلْتَخْشَ أَنْ تُلْقَى إلى الهَاوِيَهْ(٤)

**الغسلين والحميم :**

إنْ أَدْخُلِ النَّارَ فَلِي خَالِقٌ　　يَحْمِلُ عَنِّي مُثْقِلاتِ العَذَابْ(٥)

يَقْدِرُ أَنْ يُسْكِنَنِي رَوْضَةً　　فِيها تَرَامَى بالمِيَاهِ العِذَابْ

لاَ أُطْعَمُ الغِسلِينَ في قَعْرِها　　وَلاَ أُغَادَى بِالحَمِيمِ المُذَابْ

---

(١) اللزوميات ٥ ص ١٢٢ . وفيها « ان عوضوا بذنوب ... » .

(٢) اللزوميات ٥ ص ١٤٥ .

(٣) اللزوميات ٥ ص ١١٤ .

(٤) اللزوميات ٥ ص ٣٤٦ .

(٥) اللزوميات ٥ ص ٥٦ .

لَقَدْ فُزْتَ إِنْ كُنْتَ تُعْطَى الجِنَانَ    بِمَكَّةَ إِذْ زُرْتَهَا أَوْ مِنَى[١]

وَإِنْ أُعْفَ بَعْدَ المَوْتِ مِمَّا يَرِيبُنِي    فَمَا حَظِّيَ الأَذْنَى وَلَا يَدِيَ الخُسْرَى[٢]

نُفُوسٌ لِلقِيَامَةِ تَشْرَئِبُّ    وَغَيٌّ فِي البَطَالَةِ مُتْلَئِبُّ[٣]

وَإِنْ غَيَّرَ الإِثْمُ الوُجُوهَ فَمَا تَرَى    لَدَى الحَشْرِ إِلَّا كُلَّ أَسْوَدَ شَاحِبِ[٤]

وَمَا يُدْرِيكِ بَاكِيَتِي لَعَلِّي    لِسُكْنَى الفَوْزِ فِي الأُخْرَى انْتُقِيتُ[٥]

كَيْفَ لِي أَنْ أَكُونَ فِي دَارِيَ الأُخْـ    ـرَى مُعَافًى مِنْ شِقْوَةٍ مُسْتَرِيحَا[٦]

عُودِي يَخَافُ مِنَ الإِحْرَاقِ صَاحِبُهُ    إِنْ قَالَ رَبِّي لِأَجْسَامِ البِلَى عُودِي[٧]

---

(١) اللزوميات هـ ص ٣٠ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) اللزوميات هـ ص ٣٣ . واشرأب العي اشرئباباً : مد عنقه لينظر بشوق ، واتلأب الأمر : استقام وانتصب .

(٤) اللزوميات هـ ص ٤٥ .

(٥) اللزوميات هـ ص ٦١ .

(٦) اللزوميات هـ ص ٨٤ .

(٧) اللزوميات هـ ص ١١٠ ، وعودي في أول البيت : جسمي ، وفي آخره : ارجعي .

تَخشَى السَّعِيرَ وَدُنيا نَاوإِنْ عُشِقَتْ ... مِثْلُ الوَطِيسِ تَلَظَّى مِلْؤهُ سُعُرُ[١]

. . .

نَفسٌ تُحِسُّ بِأَمرِ أُخرَى هَذِهِ ... جِسْرٌ إِلَيهَا بِالمَخَاوِفِ يُعبَرُ[٢]

. . .

قَالُوا جَهَنَّمُ قُلتُ إِنَّ شَرَارَهَا ... وَلَهِيبَهَا يَصلاهُمَا المُتَشَرِّرُ[٣]

. . .

يَكُرُّ مَوْتَانَا إِلَى الحَشْرِ إِنْ ... قَالَ لَهُمْ بَارِئُهُمْ كُرُّوا[٤]

. . .

فَيَا لَيتَنِي لاَ أَشْهَدُ الحَشْرَ فِيهِمُ ... إِذَا بُعِثُوا شُعْثاً رُؤُوسُهُم غُبْرَا[٥]

. . .

بَينِي وَبَيْنَ البَعْثِ طُولُ البِلَى ... وَمَنْ لِهَذِي النَّفْسِ أَنْ تَطفِرَهْ[٦]

. . .

مَتَى أَلْقَ مِنْ بَعْدِ المَنِيَّةِ أُسرَتِي ... أُخَبِّرْهُمُ أَنِّي خَلَصتُ مِنَ الأَسْرِ[٧]

. . .

---

(١) الزوميات ﻫ س ١٢٢ .

(٢) الزوميات ﻫ س ١٢٦ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) الزوميات ﻫ س ١٣٤ .

(٥) الزوميات ﻫ س ١٣٦ .

(٦) الزوميات ﻫ س ١٤٤ ، وطفر : وثب .

(٧) اللزوميات ﻫ س ١٤٦ .

فَيَا لَيْتَنَا عِشْنَا حَيَاةً بِلاَ رَدًى ... مَدَى الدَّهْرِ أَوْ مُتْنَا مَمَاتاً بِلاَ نَشْرِ [(١)]

. . .

وَاللهُ يَنْشُرُ أَرْوَاحاً بِقُدْرَتِهِ ... وَيَبْعَثُ الغَيْثَ فِي أَرْوَاحِهِ النُّشُرُ [(٢)]

. . .

وَمَا أَلُومُ أَخَا الإِلْحَادِ بَلْ رَجُلاً ... يَخْشَى السَّعِيرَ وَمَا يَنْفَكُّ فِي سُعُرِ [(٣)]

. . .

جَنَوْا كَبَائِرَ آثَامٍ وَقَدْ زَعَمُوا ... أَنَّ الصَّغَائِرَ تُجْنِي الخُلْدَ فِي النَّارِ [(٤)]

. . .

تَنَاقُضٌ مَا لَنَا إِلاَّ السُّكُوتُ لَهُ ... وَأَنْ نَعُوذَ بِمَوْلاَنَا مِنَ النَّارِ [(٥)]

. . .

أُؤَمِّلُ جَنَّةً رَحُبَتْ وَرَاحَتْ ... وَتَعْجِزُ قُدْرَتِي عَنْ نَيْلِ فِتْرِ [(٦)]

. .

تَخَالَسُوا لَذَّةً مِنْهَا مُعَجَّلَةً ... وَلَمْ يُبَالُوا بِمَا يَلْقَوْنَ مِنْ سَقَرِ [(٧)]

. . .

---

(١) اللزوميات هـ ص ١٤٧ . وفيها : « ... يد الدهر .. » .

(٢) اللزوميات هـ ص ١٥٠ .

(٣) اللزوميات هـ ص ١٥١ ، وفيها : « ولا ألوم ... » .

(٤) اللزوميات هـ ص ١٥٢ .

(٥) انظر ما سبق ص ١٤٢١ .

(٦) اللزوميات هـ ص ١٥٣ .

(٧) اللزوميات هـ ص ١٤٩ .

وَمَوْتٌ لا تُؤَخِّرُ عَنْهُ نَفْسٌ     تُهَدِّدُ بَعْدَهُ بِصَلاةِ جَمْرِ [(١)]

. . .

شَرَّفَني اللهُ وَلاَ آمُـلُ الـــجَنَّةَ بَلْ عِتْقًا مِنَ النَّـارِ [(٢)]

. .

تَرَكَ الآجِلَ لَمْ يَحْفِلْ بِهِ     وَمِنَ العَاجِلِ لَمْ يَقْضِ الوَطَرْ [(٣)]

. . .

إنْ تَعُدْ في الجِسْمِ يَوْماً رُوحُهُ     فَهْوَ كَالرَّبعِ خَلاَ ثُمَّ عَمَرْ [(٤)]

. . .

وَلَيْتَهَا لَمْ يَكُ مِنْ بَعْدِهَا     خَوْفُ حِسَابٍ وَعِقَابٌ بِنَارْ [(٥)]

. . .

فَيَا لَيْتَني في الثَّرى لا أقُومُ     إنِ اللهُ نَادَاكُمْ أوْ حَشَرْ [(٦)]

. . .

يا رَبِّ أخْرِجْني إلى دَارِ الرِّضَى     عَجِلاً فَهَذَا عَالَمٌ مَنْكُوسُ [(٧)]

. . .

---

(١) اللزوميات هـ ص ١٥٣ .

(٢) اللزوميات هـ ص ١٦٥ .

(٣) اللزوميات هـ ص ١٦٨ .

(٤) اللزوميات هـ ص ١٦٨ .

(٥) اللزوميات هـ ص ١٦٩ .

(٦) اللزوميات هـ ص ١٧٠ .

(٧) اللزوميات هـ ص ٢٥٥ .

إنْ شاءَ رَبُّكَ جازَاهُمْ بفعلِهِمُ ... وَاللّفَظِينَ تُثَارُ الأقْبُرُ اللُّفُظُ[1]

. . .

أضاعَ دَارَيْكَ مِنْ دُنْيا وآخِرَةٍ ... لاَ الحيَّ أغنى ولاَ في هالِكٍ شَفَعَا[2]

. . .

وَاذخرْ جميلاً لِأدنَى القُوتِ تُدْرِكُهُ ... وَلِلقِيامَةِ تَعرِفْ ذَاكَ أجمَعَهُ[3]

. . .

لاَ خيرَ لِلمَرْءِ إلاَّ خيرُ آخِرَةٍ ... يَبقَى عَلَيْهِ فَذَاكَ العِزُّ والشَّرَفُ[4]

. . .

نَرْجُو السَّلاَمَةَ في العُقْبَى وَمَا حَسُنَتْ ... أعمالُنَا فَيُرَجَّى الفَوْزُ والغُرَفُ[5]

. . .

إذَا كُنْتَ في دَارِ الشَّقَاءِ مُصَلِّياً ... فَإنَّكَ في دَارِ السَّعَادَةِ سَابِقُ[6]

. . .

اعْمَلْ لأُخْرَاكَ شَرْوَى مَنْ يَمُوتُ غَداً ... وَاذأَبْ لِدُنْيَاكَ فِعْلَ الغَابِرِ البَاقِي[7]

. . .

---

(١) اللزوميات هـ ص ١٨٠ . واللُّفُظ : مفردها لافظ وهو الذي يلفظ ما فيه أي يلقيه ويطرحه .

(٢) اللزوميات هـ ص ٢٨٥ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) اللزوميات هـ ص ٢٩١ .

(٥) المصدر السابق .

(٦) اللزوميات هـ ص ٢٩٨ . وأراد بالمصلي : القائم بفرض الصلاة ، والنز بقوله : « سابق » كأنه يريد المصلي من الخيل وهو الذي يلي السابق .

(٧) اللزوميات هـ ص ٣٠٦ . وشروى الشيء : مثله .

وَتَعْجِزُ دُنْيَاكَ القَوِيَّ يَرُومُهَا     وَيَطْلُبُ أُخْرَاهُ الضَّعِيفُ فَيُدْرِكُ[١]

. . .

لِلهِ دَارَانِ فَالأُولى وثانِيَةٌ     أُخْرَى مَتى شاءَ في سُلْطَانِهِ نَقَلَكْ[٢]

. . .

نَحْنُ في هذهِ البَسِيطَةِ أَضْيَا     فٌ لَنَا في ذَرَا المَلِيكِ نُزُولُ[٣]

. . .

وَيَكُونُ غَيْرَ مُصَدِّقٍ بِقِيَامَةٍ     أَمْسى يُمَثِّلُ في النُّفُوسِ ذُهُولَها[٤]

. . .

أَوْجَالُ نَفْسِيَ في الدُّنْيَا مُضَاعَفَةٌ     وَلا أَزَالُ مِن الأُخْرى عَلى وَجَلِ[٥]

. . . . . . . . . . . . . . . .

إِنْ كَانَ نَقْلِي عَنِ الدُّنْيَا يَكُونُ إِلى     خَيْرٍ وأَرْحَبَ فَانْقُلْنِي عَلى عَجَلِ

وَإِنْ عَلِمْتَ مَآلِي عِنْدَ آخِرَتِي     شَرًّا وأَضْيَقَ فَانْسَأْ رَبِّ في الأَجَلِ

. . .

فَأَمِّلُوا اللهَ وارْجُوا مِنْهُ عَاقِبَةً     فَلَيْسَ دُنْيَاكُمُ أَهْلاً لِآمَالِ[٦]

. . .

---

(١) اللزوميات « ص ١٨٣ .

(٢) « « ص ١٩١ .

(٣) « « ص ٢٠١ .

(٤) « « ص ٢٠٧ .

(٥) « « ص ٢١٤ . وانسأ : اخر .

(٦) « « ص ٢١٥ .

وَاللهُ يَغْفِرُ في الحِسَابِ لِنِسْوَةٍ  جَاهَدْنَ إِذْ فُقِدَ الحَيَا بِمَغَازِلِ[١]

. . .

خَيرَ الذِي بَاعَ الخُلُودَ وَعَيْشَهُ  بِنَعِيمِ أَيَّامٍ تُعَدُّ قَلاَئِلِ[٢]

. . .

دُنْيَاكَ أَرْزَاقٌ تُذَكِّرُ بَعْدَهَا  أُخْرَى تُنَالُ بِصَالِحِ الأَعْمَالِ[٣]

. . .

فَهَلْ تَرِدَنْ حَوْضَ الحَيَاةِ مُبَادِراً  إِذَا حُلِّئَتْ عَنْهُ النُّفُوسُ الحَوَائِمُ[٤]

وَتَرْتَعُ مَا بَيْنَ النَّبِيِّينَ نَاعِماً  بِعِيشَةِ خُلْدٍ لَمْ تَنَلْهَا السَّمَائِمُ

. . .

وَكَأَنَّمَا الأُخْرَى تَيَقُّظُ نَائِمٍ  وَكَأَنَّمَا الأُولَى مَنَامٌ يُحْلَمُ[٥]

. . .

جِنَانٌ وَرِضْوَانُ الذِي هُوَ مَالِكٌ  لَهَا عَنْكَ يَنْفِي مَالِكاً وَجَهَنَّمَا[٦]

. . .

---

(١) الزوميات ﻫ ص ٢٢٠ .

(٢) « « ص ٢٢١ .

(٣) « « ص ٢٢٢ .

(٤) الزوميات ﻫ ص ٢٣٠ ، وحلأه عن الماء : طرده ومنعه . والسائم : مفردها سموم وهي الريح الحارة تكون غالباً بالنهار .

(٥) الزوميات ﻫ ص ٢٣٥ .

(٦) الزوميات ﻫ ص ٢٤٠ .

النـاسُ إنْ لَمْ تُنَبِّهْهُمْ قِيامَتُهُمْ　　أوْ نُبِّهُوا فَتُرَابٌ مَالَهُمْ قِيَمُ [١]

. . .

قَالَ المُنَجِّمُ والطَّبِيبُ كِلاَهُمَا　　لاَ تُحْشَرُ الأجْسَادُ قُلْتُ إلَيْكُمَا [٢]

إنْ صَحَّ قَوْلُكُمَا فَلَسْتُ بِخَاسِرٍ　　أوْ صَحَّ قَوْلِي فَالخَسَارُ عَلَيْكُمَا

وهذان البيتان من أبيات لأبي العلاء المعري في ( لزوم مـا لا يلزم ) وقد زعم بعضهم أنها من نظم علي بن أبي طالب — ض — ، وزعم بعضهم أن لعلي — ض — كلاماً يشبه معنى البيتين على سبيل التقريب . قال الخفاجي في ( حاشيته على البيضاوي ج ٤ ص ٤٧ ) : قال ابن السيد في شرحه : هذا منظوم مما روي عن علي — ض — أنه قال لبعض من تشكك في البعث والآخرة : إن كان الأمر كما تقول من أنه لا قيامة ، فقد تخلصنا جميعا ؛ وإن لم يكن الأمر كما تقول فقد تخلصنا وهلكت . فذكروا أنه ألزمه فرجع عن اعتقاده . وهذا الكلام ، وإن خرج مخرج الشك ، فإنما هو تقرير للمخاطب على خطابه وقلة أخذه بالنظر والاحتياط لنفسه مع أن المناظر على ثقة من أمره ، وهو نوع من أنواع الجدل . وقوله : « إليكما » كلمة يراد بها الردع والزجر ، ومعناها : كفّا عما تقولان . وحقيقته قولكما مصروف لكما لا حاجة لي به .

ثم قال : هذا النوع يسمى استدراجاً . قال في ( المثل السائر [٣] ) : الاستدراج نوع من البلاغـــة ، استخرجته من كتاب الله تعالى وهو من مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأعمال ، يستدرج الخصم حتى

---

(١) الروميات هـ ص ٢٣٤ .

(٢) الزوميات هـ ص ٢٤٣ .

(٣) لابن الأثير الجزري ص ١٩٠ .

ينقاد ويذعن ، وهو قريب من المغالطة وليس منها ، كقوله تعالى : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وقد جَاءَكُمْ بالبيناتِ من ربِّكُمْ وإن يكُ كاذباً فعليهِ كَذِبُهُ وإن يكُ صادقاً يُصِبْكم بعض الذي يَعِدُكُمْ إنّ الله لايهدي من هو مُسرف كذّاب[1] ﴾ . ألا ترى لطف احتجاجه على طريقة التقسيم ، بقوله : إن يك كاذباً فكذبه عائد عليه ، وإن يصدق يصبكم بعض ماوعدكم به . ففيه من الإنصاف والأدب مالا يخفى فإنه نبي صادق . فلا بد أن يصيبهم كل ماوعد به لا بعضه . لكنه أتى بما هو أذعن لتسليمهم وتصديقهم لما فيه من الملاطفة في النصح بكلام منصف غير مشتط ولا مشدّد . أراهم أنه لم يعطه حقه ، ولم يتعصب له ولم يحام عنه حتى لاينفروا عنه . ولذا قدم قوله : « كاذباً » ثم ختم بقوله : « إن الله لايهدي » الخ . . يعني أنه نبي على الهدى ولو لم يكن كذلك ماآتاه الله النبوة وعضده . وفيه من خداع الخصم واستدراجه مالا يخفى .

وقد نقل قول صاحب ( المثل السائر ) بالمعنى ، واختصره واقتصر على مثال واحد مما أورده فإن شئت الرجوع إلى المثل فقد ذكر هذا في ( ص ١٩٠ ) .

. . .

وَنَخْشَى عَذَاباً في المَمَاتِ وَإِنَّنَا ... لَأَهْلُ عَذَابٍ في الحَيَاةِ أَلِيمِ[2] .

. . .

مَتَى أَنَا لِلدَّارِ المُرِيحَةِ ظَاعِنٌ ... فَقَدْ طَالَ في دَارِ العَنَاءِ مُقَامِي[3]

. . .

(١) سورة المؤمن ٤٠ الآية ٢٨ .

(٢) اللزوميات ھ ص ٢٤٦ . وفيها : « ويخشى ... » .

(٣) « « « ص ٢٤٧ وظاعن : مرتحل .

وَيْحٌ لِجِيلِيَ وَالأجيالِ إنْ بُعِثُوا … إلى حِسَابِ قَديمِ اللُّطْفِ عَلاَّمِ [١]

. . .

رَبِّ اكْفِنِي حَسْرَةَ النَّدَامَةِ فِي الْـ … ـعُقْبَى فَإِنِّي مُحَالِفُ النَّدَمِ [٢]

. . .

إنْ تَثْوِ في دَارِ الجِنَانِ فَإِنَّمَا … فَارَقْتَ مِنْ دُنْيَاكَ نَاراً تَحْتَدِمْ [٣]

. . .

قَدْ يُمْكِنُ البَعْثُ إنْ نَادَى المَلِيكُ بِهِ … وَلَيْسَ مِنَّا لِدَفْعِ الشَّرِّ إمْكَانُ [٤]

. . .

وَأَسْأَلُ الخَالِقَ مِنْ عِزِّهِ … مَا لَمْ يَكُنْ إلاَّ لَهُ يُمْكِنْ
سَيْراً إلى المَوْتِ وَعَفْواً إذا … مُتُّ فَفِي الآخِرَةِ المَوْكِنْ [٥]

. . .

حَيَاةٌ وَمَوْتٌ وَانْتِظَارُ قِيَامَةٍ … ثَلاَثٌ أَفَادَتْنَا ثَلاَثَ مَعَانِ [٦]

. . .

---

(١) اللزوميات ٥ ص ٢٥٠ .
(٢) « « ص ٢٥٥ .
(٣) « « ص ٢٥٦ .
(٤) « « ص ٢٦١ .
(٥) « « ص ٢٦٣ . والموكن : عش الطائر .
(٦) اللزوميات ٥ ص ٢٧٤ .. ونيها : « ... ثلاث أفادتنا ألوف معان » .

حَسْبِي مِنَ الْجَهْلِ عِلْمِي أَنَّ آخِرَتِي ... هِيَ الْمَآلُ وأَنِّي لا أُرَاعِيها[1]
وأَنَّ دُنْيَايَ دَارٌ لاَ قَرَارَ بِهَا ... وَمَا أَزَالُ مُعَنًّى في مَسَاعِيهَا

. . .

سَعَوْا لِدُنْيَاهُمْ بِآخِرَةٍ ... فَبِئْسَ مَا حَاوَلُوا غَدَاةَ سَعَوْا[2]

فهذه مائة بيت من ( لزوم مالا يلزم ) وحده ، وهي كلها ، كما ترى ، صريحة بذكر الآخرة ، والقيامة ، والبعث والنشر ، وغيرهـا مما يتعلق بالحياة الثانية . وكلها صادرة عن اعتقاد جازم ويقين لايخامره شك . وفي ( اللزوم ) كثير لم نذكره مما يدل على ذلك بطريق التصريح أو الإشارة . ولكننا اجتزأنا بهذا القدر ومما تقدم من أقواله . وغايتنا أن نبين أن بعض العلماء عمُوا أو تعاموا عن أكثر من مائة بيت صريح في إثبات الحشر أو مافيه ؛ وتشبثوا ببيت واحد ، وقد قدمنا بطلانه .

★ ★ ★

---

(١) اللزوميات ٥ ص ٣٣٦ .

(٢) اللزوميات ٥ ص ٣٤٢ .

# الحشر في نثر أبي العلاء

وأما نثر أبي العلاء فقلما خلا كتاب أو رسالة مطوّلة له من ذكر الآخرة ، أو ماله اتصال بالآخرة . من ذلك :

## رسالة الغفران :

وهذه الرسالة قائمة على إثبات الحشر والآخرة ؛ وكلها براهين وأدلة على إثباتها ، وعلى إقراره بالبعث ، والجنة والنار وغيرهما مما يكون في الآخرة .

## رسالة الملائكة :

وأما ( رسالة الملائكة ) فقد تصدى فيها لذكر القبر والملائكة ، والجنة والنار ، وما يكون فيها . من ذلك قوله ( ص ٧ ) : « أم تراني أداريه منكراً ونكيراً ... » [١] وقوله ( ص ١٦ ) : « قصرت أعمالهم عَنْ دُخول الجنة » [٢] وقوله ( ص ١٧ ) : « فيقول رضوان ... » [٣]

وذكر ماء الحيوان ، والنعيم المقيم ، والفردوس ، والغسلين ، وجهنم ، وسقر وما يأكل منه أهل الجنة ، وما يلبسونه ، والحور العين ، والولدان المخلدين .

## رسالة المنيح :

قال فيها في ( ص ٩ ) : « فَبلْدَتْنا جنان .. أم نشروا بعدما قبروا . أم جزوا الغرفة بما صبروا .. » [٤] .

---

(١) رسالة الملائكة تحقيق عبد العزيز الميمني . وانظر الرسالة تحقيق المؤلف ـ ر ح ـ طبعة المجمع العلمي العربي ص ٩ وقد حققها المؤلف ونشرها بعد أن فرغ ، فيما يظهر ، من تأليف الجامع أو من هذا الفصل منه على الأقل ، بدليل استشهاده بطبعة الميمني السابقة وهي أوجز وأقصر .

(٢) وانظر رسالة الملائكة تحقيق المؤلف ص ٢٥ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٦ ـ ٣٤ .

(٤) رسائل أبي العلاء المعري شرح شاهين عطية .

رسالته إلى خاله :

قال فيها في ( ص ٦٧ )[١] : « وترجج في الحشر وزنا .. » . وقال في الرسالة الثانية( ص٦٩ )[١] : « وحزني لفقدها كنعيم أهل الجنة كلما نفد تجدد » .

رسالته إلى أبي عثمان النكي :

قال فيها في ( ص ١٥٢ )[١] : « فقد ورد مع الحور العين كأساً كان مزاجها كافورا ... جاور ربه في دار الحيوان تلك الدار الآخرة » .

رسالته إلى داعي الدعاة بمصر :

في ياقوت [٢] : « وهو يستحي من حضرة تاج الأمراء أن ينظر إليه بعين من رغب في العاجلة بعد ماذهب . وهو رضي أن يلقى الله - جلت قدرته - وهو لايطالب إلا بما فعل من اجتناب اللحم .. وتعوذ بالله وتبرأ من قول صاحب أبيات أنكر صاحبها القيامة » . ولعن الوليدَ بن يزيد لقوله أبياتا ينكر فيها البعث والجنة . وهـــذه الابيات في ( معجم الأدباء لياقوت ج ١ ص ٢٠٠ ) .

ملقى السبيل :

وهذا الكتاب على صغر حجمه فيه كثير من ذكر الآخرة ، والحشر والجزاء ، والأجر ، في النظم والنثر من ذلك قوله :

نِمتَ عَنِ الأُخرَى فَلَم تَنْتَبِهْ ... وَفي سِوَى الدِّينِ هَجَرْتَ الكَرَى[٣]

وقوله : « والعين للحذر تدمع ، والسحب بالأقضية همّع ، وفي الآخرة يكون المجمع »[٤] .

---

(١) انظر مظان هذه النقول في رسائل أبي العلاء المعري شرح شاهين عطية .

(٢) معجم الأدباء . ج ١ ص ٢٠٨ . ( ج ) .

(٣) ملقى السبيل ط. كامل كيلاني ص ٣٢٨ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٤٣ .

وقوله : « والمرءُ بالعارفة يُملك ، والنهجُ للآخرة يُسلك » .[١]

وقوله :

لِتَقْرَعِ السِّنَّ غَداً نَادِماً إنْ كُنْتَ ضَيَّعْتَ جَمِيلَ السُّنَنْ[٢]

وقوله : « طوامُ القدر فانطوَوا ، ولاقتهمُ الآخرة بما نوَوا[٣] » .

وقوله :

فَلْتَحْسُنِ النِّيَّةُ مِنْ بَعْدِهِمْ فَالنَّاسُ يُجْزَوْنَ عَلَى مَا نَوَوْا[٤]

## الفصول والغايات :

وهذا الكتاب طافح بما يدل على الآخرة وما فيها كقوله : « لله الغلب وإليه المنقلب ، لايعجزه الطلب ، بيده السالب والسلب » .

وقوله : « ولله نظر في العالم دقيق ، لايمتنع أن يكون جسد الصالح إذا قبر في نعيم ، وجسد الكافر في عذاب أليم » .

وقوله : « وتارك الصلاة من صلاة السعير » .

وقوله : « كفيتني رب شقاء الدنيا ، فاكفني شقاء الآخرة » .

وقوله : « والشقي مَن حضر عرصات القيامة ... والسعيد من ورد كالخيري يستشفع بما في الكتاب » .

وقوله : « واجد ثوباً للآخرة تكتسبه » .

---

(١) ملقى السبيل ط كامل كيلاني ص ٣٤٥ .

(٢) « « « ص ٣٤٧ .

(٣) « « « ص ٣٤٨ .

(٤) « « « ص ٣٤٩ .

وقد أطلت القول في هذا الغرض ، ومن الحق أن أطيل فيه ، لأني رأيت كثيراً ممن نسب إنكار الحشر إلى أبي العلاء وليس له مستند إلا الأبيات التي بيّنا أنها تدل على إثبات الحشر لا على نفيه . وقد عمي هؤلاء كلهم عما في كلامه من التصريح بالحشر وما يتصل به ؛ وكانوا كالعمي يتبع بعضهم بعضاً على غير هدى . وسيمر بك شيء آخر من أقواله المتعلقة بهذا الغرض .

* * *

# الفلسفة العملية

طرق أبو العلاء في شعره ونثره كثيراً من الأنواع التي ترجع إلى هذا الأصل . وصرح برأيه في كثير منها ؛ ووقف موقف الشاك في بعض المواطن . وهذه أعظم الأنواع التي تناولها :

## أصل الانسان ، آدم :

قلنا غير مرة : إن أبا العلاء كان يعرض كل شيء على محك العقل فما ارتضاه قبله ، وما لا فلا . ولذلك نراه يشك في كثير من الأخبار التي كانت تتصل به من طريق الرواية أو الكتب ، لأنه يعتقد أن أكثر الكتب جمع لاكتساب منزلة أو اجتذاب منفعة كما سيتضح ذلك .

وقد ذكر علماء المسلمين وغيرهم أن البشر يرجع إلى أب واحد وهو آدم . وأبو العلاء جوّز أن يكون آدم هذا مسبوقاً بأوادم كثيرة ، حيث يقول :

جَائِزٌ أنْ يكُونَ آدم هَذا قَبْلَهُ آدَمٌ عَلى إثْرِ آدَمْ[1]

ثم جزم بالتعدد فقال :

وَمَا آدَمٌ في مَذْهَبِ العَقْلِ وَاحِداً وَلَـكِنَّهُ عِنْدَ القِيَاسِ أوَادِمُ[2]

وقال :

وأوَادِمُ الزَمَنِ الطَّوِيلِ كَثِيرَةٌ وَأوَادِمُ الطَّعْمِ الشَّهِيِّ أوَادِي[3]

(١) اللزوميات ه ص ٢٥٨ .

(٢) اللزوميات ه ص ٢٣١ .

(٣) يقال أدم الخبز : خلطه بالإدام ، وأدم القوم : أدم لهم خبزهم . وأدا يأدو : ختل ، وقيل : من آده إذا اثقله فهو مقلوب (ج) . وانظر اللزوميات ه ص ١١٤ .

ولم يبيّن لنا السببَ الذي حمله على هذا الحكم . ولعله نظر إلى مانقل عن بعض الكتب السماوية من أن بدء الإنسان منذ سبعة آلاف سنة تقريباً ، فاستكثر أن يكون جميع هذا النسل من شخص واحد في هذه المدة ؛ واعتقد أن هناك أوادم قبله . ومن مجموعها تألف هذا البشر الذي عمر الأرض منذ ألوف السنين . فقد دلت الآثار التي عثر عليها المنقبون في هذا العصر ، والحوادث الطبيعية في الأرض أن مبدأ البشر قبل ذلك التاريخ بألوف السنين .

أو لعله رأى مابين الناس من اختلاف في اللغات ، والعادات ، والأخلاق والأشكال ؛ فاستبعد أن يكونوا من أصل واحد على مافيهم من التباين ؛ أو لعله علم أن الفرس الأولى كانوا يعتقدون أن جيومرت كلشاه هو أبو البشر أو أصل النسل . أو لعله فهم من قوله تعالى : ﴿ إني جاعلٌ في الأرْضِ خَلِيفَةً ﴾[1] أن الخالف يكون من جنس المخلوف في الغالب ، فيكون آدم مسبوقاً بمثله أو أمثاله . وللمفسرين أقوال في قوله تعالى : ﴿ وإذ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إنِّي جَاعِلٌ في الأرْضِ خَلِيفة ... ﴾ وقوله : ﴿ وقلنا يا آدمُ اسْكُنْ أنْتَ وزَوْجُكَ الجَنَّةَ .. ﴾[2] وغيرهما من الآيات الدالة على أن آدم وزوجه كانا في الجنة ، ثم أخرجا منها لأكلهما الشجرة . فقد ذكر بعضهم أن هذه الجنة ليست جنة الخلد ، وإنما هي جنة كانت بأرض الهند أي بستان[3] . وقد نقل أبو العلاء عن الهند أنهم يزعمون أن آدم كان قِنّاً لَهُمْ ، فربّه جماعة من بلادهم كما يدل عليه قوله :

تَقُولُ الهِنْدُ آدَمُ كَانَ قِنّاً لَنَا فَسَرَى إلَيْهِ مُخَبِّبُوهُ[4]

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٠ .

(٢) سورة البقرة الآية ٣٥ .

(٣) راجع مفتاح السعادة لابن القيم ( ج ١ ص ١٤ ) . (ج) .

(٤) التخبيب : افساد الرجل عبداً أو أمة لغيره (ج) . وانظر ما سبق ص ١٤٠٣ .

وهذه كلها احتمالات لاتستند إلى دليل يفيد اليقين . ومهما يكن من أقوال أبي العلاء في اعتقاد تعدد آدم أو الشك فيه فإنه يُثبت وجود آدم ولا ينكره . لقد رد على من أنكر وجوده ، وادعى أنه اسم لا حقيقة له ، وأن نسبة البشر إليه كنسبة بنات عرس إلى عرس ، وبنات أوبر إلى أوبر وليس في الحقيقة كائن يسمى عرساً أو أوبر . وذلك حيث يقول في الأول:

قَالَ قَوْمٌ وَلاَ أَدِينُ بِمَا قَا لوهُ إنَّ ابْنَ آدَمَ كَابْنِ عِرْسِ[1]
جَهِلَ النَّاسُ مَا أَبُوهُ عَلى الدَّهْـ ـرِ وَلَكِنَّهُ مُسَمًّى بِحَرْسِ
فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ قَوْمٌ لِقَوْمٍ وَهْنَ طِرْسٍ مُسْتَنْسَخٍ بَعْدَ طِرْسِ

ويقول في الثاني :

زَعَمَ الفَلاَسِفَةُ الذينَ تَنَطَّسُوا أَنَّ المَنِيَّةَ كَسْرُهَا لا يُجْبَرُ[2]
قَالُوا وَآدَمُ مِثْلُ أَوْبَرَ والوَرَى كَبَنَاتِهِ جَهِلَ امْرُؤٌ مَا أَوْبَرُ

فهو يصرح بالتبرؤ من القول الأول ، ويجعل القول الثاني زعماً . وبهذا يتبين بُطلان ماذكره صاحب ( الذكرى ) من جعل الأبيات الأُوَل دليلاً على شك أبي العلاء ، وظنه أن آدم شخص من أشخاص الأساطير ، وزعمه أن التقيّة أنطقت أبا العلاء بقوله : « ولا أدينُ بما قالوه » . وكيف يتأتّى أن ينسب إليه الشك في آدم ، وكتبه طافحة بذكره وأخباره .

فقد ذكره في رسالته التي عزّى بها خاله بأخيه فقال في ( ص ١٦٠ ) :

---

(١) اللزوميات ٥ ص ٣٢٥ .

(٢) اللزوميات ٥ ص ١٢٧ . وبنات اوبر : كمأة صغار مزغبة على لون التراب .

« توفي آدم — ص — بعد ما رأى الجنة وسكنها »[١] . وفي ( ص ١٩٦ )[٢].
و ( ص ١٥٨ )[٣] .

وذكره في مرثية أبيه مرتين . بقوله :

رآهَا سَلِيلُ الطِّينِ والشَّيْبُ شَامِلٌ . . . . . . . . . .[٤]

وقوله :

وَمَا اسْتَعْذَبَتْهُ رُوحُ مُوسَى وَآدَمٍ . . . . . . . . . .

وذكره في ( اللزوم ) في مواطن كثيرة منها :

قوله :

دَعْ آدَماً لا شَفَاه اللهُ مِنْ هَبَلٍ . . . . . . . . .[٥]

وقوله :

أَكَانَ أَبُوكُمْ آدَمٌ في الذي أتى نجيبا . . . . . . . .[٦]

---

(١) انظر رسائل أبي العلاء شرح شاهين عطية .

(٢) حيث يقول في ص ( ١٩٦ ) : « فهو آدم وعرسه حواء ... » .

(٣) يقول فيها : « ... كل من عليها فان ، وإنما ابن آدم شبح مقتول .. » .

(٤) صدر بيت عجزه : « ... لها بالثريا والسماكين والوزن » وسليل الطين : آدم عليه السلام ، والوزن : من النجوم ، ويجوز أن يكون يعني به الميزان . وعجز البيت الثاني : « ... وقد وعدا من بعده جنتي عدن » . انظر شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٩١٣ و ٩٢٢ .

(٥) عجزه : « .. يبكي على نجله المقتول هابيلا » انظر ما سبق ص١٣٥٥ .

(٦) تمامه : « . فترجون النجابة للنسل » انظر ما سبق ص ١٣٥٦ .

وقوله :

أَنْتَ يا آدَ آدَمُ السِّرْبِ .. . . . . . . . . . [1]

وقوله :

واللهُ حَق وابنُ آدمَ جاهِلٌ . . . . . . . . . [2]

وقوله :

وَمَا أعجَبَتْنِي لابنِ آدمَ شِيمَةٌ . . . . . . . . . [3]

وقوله :

فَنَلْ أبو عالَمِنَا آدَمٌ . . . . . . . . . [4]

وقوله :

تَواصَلَ حَبْلُ النَّسْلِ مَا بَيْنَ آدَمِ . . . . . . . . . [5]

وقوله :

يُنَافِي ابنُ آدَمَ حالَ الغُصُونِ . . . . . . . . . [6]

---

(١) تمامه : « .. حوّا ۏك فيه حواء أو أدماء » اللزوميات ـ ص ٢٤ ، وآد : منادى مرخم . وآدم : من أدمت الظباء أشرب لونها بياضاً . والسرب : القطيع . وحواء : من خالط بياضها سواد . وأدماء : من خالط سوادها بياض .

(٢) عجزه : « .. من شأنه التفريط والتكذيب» اللزوميات ـ ص ٣٦ .

(٣) عجزه : « .. على كل حال من مسود وسائد » اللزوميات ـ ص ١٠٥ .

(٤) عجزه : « .. ونحن من والدنا أنسلُ » انظر ما سبق ص ١٣٥٦ .

(٥) عجزه : « وبيني ولم يوصل بلامي باء » اللزوميات ـ ص ٢٠ .

(٦) عجزه : « فهاتيك إجنت وهذا جنى » اللزوميات ـ ص ٣٠

وقوله :

فَمِلْ عَنْ بَنِي حَوَّاءَ مِنْ نَسْلِ آدَمٍ . . . . . . . . . (١)

وقوله :

رأسُ ابنِ آدَمَ أصلُهُ وَفُرُوعُهُ . . . . . . . . . (٢)

ومن العجب أن ينسب إليه إنكار لآدم أو شك فيه بعد ما صرح باسمه في مواضع كثيرة ، ودعا عليه وأثبت له أحكاماً إيجابية . والقاعدة العامة أن ثبوت شيء لشيء فرع عن وجود المثبت له .

## غرائز الإنسان

كان أبو العلاء — كما أسلفنا — حصيف العقل ، سليم الذوق ، دقيق الحس ، كثير النزوع إلى البحث والاستقصاء ؛ وكان لايذهب عن نفسه شيء مر بها .

فنظر في القرآن الكريم إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ (٣) وإلى قول الحكماء : الحيوان جنس تحته أنواع ، منها الإنسان . وقد ذكروا له فصلاً يميزه من بقية الأنواع فقالوا : إنه حيوان ناطق . فلم يكتف بهذا الفصل وحده ، وأراد أن يتخذ له من حياته العملية مايميزه من أنواع الحيوان ، ويبين وجه تكريمه ؛ فبحث في صفاته وأحواله الباطنة ، فرآه يشارك الحيوان في كثير منها . وربما كان بعضها في الحيوان أكمل منه في الإنسان قبل أن يستحصف عقله . وإليك مثلاً يوضح هذا :

(١) عجزه : « لتنزل بين الحو والأدم والعفر » . والحو : السمر مفردها أحوى وحواء . والأدم : ظباء بيض البطون سمر الظهور . والعفر : ظباء يعلو بياضها حمرة . انظر اللزوميات ١ ص ١٤٧ .

(٢) عجزه : « . . قدماه ضد النبت والاشجار » انظر اللزوميات ١ ص ١٦٠

(٣) سورة الإسراء الآية ٧٠ .

وهو أنك إذا تأملت كل فرد من أفراد الحيوان ، إنساناً كان أم غيره ، وجدته مفطوراً على حب الحياة ، حريصاً على وقايتها ، جاهداً لإبقائها ، وإعداد الوسائل التي تدعو إلى صيانتها من كل عادية ، متهافتاً على ملاذه وشهواته . وإذا نظرت إلى كل من الإنسان والحيوان في عنفوان حياته وجدت هذه الأمور في الإنسان أقل منها في غيره من أنواع الحيوان . فإنّ فرخ الدجاج متى خرج من بيضته أخذ يسعى لكسب القوت ، وإذا دُلّ عليه مرة بعد أخرى التمسه بنفسه من غير دليل . ولا ترى مثل ذلك في طفل الإنسان . والهر الصغير متى خرج من بطن أمه التمس أطْبَاءَها للرضاع ، وطفل الإنسان يبلغ الشهور من عمره ، ولا يعرف كيف يتناول ثدي أمه حتى تدخل حلمته في فيه . وأدلّ من هذا على ماذكرنا أن الهر الصغير إذا رأى حية تنفّج وابتعد عنها . وإذا رأى ناراً أو هوة تأخر عنها . أما طفل الإنسان فربما وضع يده في فم الحية ، وألقى نفسه في الهوة أو الهاوية . وهذا وأشباهه يدل على أن الشعور الفطري بحب الحياة وما يتعلق بها يكون في الحيوان أتم منه في الإنسان قبل أن ينمو إدراكه بالكسب . ولذلك لم يفرق أبو العلاء بين البرغوث وبين الجون ملك كندة كما سيأتي .

وإذا كان الإنسان وبقية أنواع الحيوان متساويين بهذا الشعور الباطني أو كان الإنسان أقل نصيباً من غيره فيه ، فالعقل يقضي بالتماس صفات أخرى تميزه من أفراد جنسه .

وقد نقب أبو العلاء في صفات الإنسان الظاهرة ، فرآه أيضاً يشارك غيره في كثير منها ، ثم أرشده البحث إلى أنّ في الإنسان خاصة ليست في غيره ، وهي العقل الذي يفرق به بين النفع والضر ، ويميز الخبيث

من الطبيب . وقد جهزه الله بهذه العدة ، وزاد عليها بأن أرسل له رسلا توضح له المنهاج . ثم أطلعه على مافي الطبيعة من أسرار ، وسخر له مافيها من قوى . وأرشده إلى طرق التصرف بها ، ومهد له السبيل . ولم يجعل لبقية أفراد الحيوان شيئاً من هذا وبذلك كرّمه على بقية خلقه .

وهذه النعم الجسام توجب على الإنسان شكر المنعم بها ، وأن يكون إنسانا كاملاً في أقواله وأعماله وأخلاقه ؛ وأن يسخر تلك القوى فيما وضعت لأجله من المثل العليا ، ويسلك السبيل الذي دلت عليه الرسل .

وقد بحث أبو العلاء في غرائز الإنسان ، وصرف عنايته إلى مايتصل بالأخلاق منها ؛ فدرسها درساً عميقاً دقيقاً لم يبلغه غيره ، وقضى شطراً عظيماً من حياته يتقرى فيه أحوال الناس في عصره ، وينقب عن الإنسان الكامل . فرأى ماهاله من فساد الطوية ، وسوء السيرة ، والانهماك في الغدر والخيانة والكذب والنفاق وما شاكل ذلك من الأخلاق الذميمة ، ومن الابتعاد عن مكارم الأخلاق . وكان يتخذ من كل حادث عظة ، ومن كل واقع عبرة ؛ وكلما ازداد استقراء وإمعانا في البحث ازداد اطلاعاً على المساوىء الكامنة في الصدور ، والمخازي المخبوءة تحت حنايا الضلوع .

فلما أيس من الحصول على ذلك الإنسان في عصره ، انتقل إلى البحث عنه في الأجيال الغابرة ، والأمم الخالية ؛ فانتهى به البحث إلى أن الناس متساوون في السجايا السيئة ، وأن الطبع في كل جيل طبع ملأمة ؛ إلا ماندر ، والنادر لاحكم له .

وإذا تتبعت أقواله في هذا الباب خيل إليك أن أبا العلاء صنف الناس أصنافاً بحسب أعمالهم وخصائصهم ، ثم اعترضهم صنفاً صنفاً ، وطبقة طبقة ، كما يعترض القائد الجند . ثم أخذ أعمال كل صنف ، فوضعها في مخبر كما يفعل الطبيب إذا أراد أن يفحص دم المريض ، ثم عرض أعمال كل على محك العقل ؛ ثم سجل خلاصة مارآه .

غير أن الطبيب قد يعثر في فحصه على شيء يسر المريض ، ولكن أبا العلاء لم تتفق له نتيجة ترضي أحداً من الناس ، ولذلك قل شاكروه وكثر شاكوه ؛ وتناولته الألسن والأقلام كما سيأتي . وهذه صور يخبرنا فيها عما دله عليه الفحص ، وأيدته التجربة في كل صنف .

الملوك والأمراء والوزراء والولاة والرؤساء ومن لف لفهم :

مُلُوكُنَا الصَّالِحُونَ كُلُّهُمُ      زِيرُ نِساءٍ يَهَشُّ لِلزِّيَرَهْ (١)

• • •

هَلِ الأُمَرَاءُ إلاَّ في خَسَارٍ      أوِ الوُزَرَاءُ إلاَّ أهْلُ وِزْرِ (٢)

وُلاةُ العَالَمِينَ ذِئَابُ خَتْلٍ      تَكُونُ مِنَ الشَّقَاءِ رُعَاةَ فِزْرِ (٣)

• • •

بِكُلِّ أرْضٍ أمِيرُ سُوءٍ      يَضْرِبُ للنَّاسِ شَرَّ سِكَّهْ (٤)

وقد تقدم قوله :

ظَلَمُوا الرَّعِيَّةَ واسْتَجَازُوا كَيْدَهَا      . . . . . (٥)

---

(١) زير نساء : يحب زيارتهن ومحادثتهن ومجالستهن والزيرة : جمع زير . ( ج ) . وانظر اللزوميات هـ ص ١٤٤ .

(٢) اللزوميات هـ ص ١٥٤ .

(٣) الفِزْر : القطيع من الغنم ، والجدي ( ج ) .

(٤) اللزوميات هـ ص ١٨٧ .

(٥) عجزه : « فعدوا مصالحها وهم أجراؤها » اللزوميات هـ ص ٢٣ .

وقوله :

سَاسَ البِلادَ شَيَاطِينٌ مُسلَّطَةٌ . . . . . . (١)

وقوله :

يَسُوسُونَ الأُمورَ بِغَيْرِ عَقْلٍ . . . . . . (٢)

وقوله :

وَأَرَى مُلُوكاً لا تَحُوطُ رَعِيَّةً . . . . . . (٣)

وغير ذلك مما ذكر في بحث السياسة .

وخلاصة مايراه فيهم أنهم غواة ، طغاة ، ظلاّم ، لاهمّ لهم إلا نهب مال حرام ، واستحلال فرج . وأنهم يسوسون الأمور بغير عقل .

**القضاة والعدول :**

وَأَيُّ امْرِىءٍ فِي النَّاسِ أُلْفِيَ قَاضِياً ... فَلَمْ يُمْضِ أَحْكَاماً لِحُكْمِ سَدُومِ (٤)

. . .

وَرُبَّ شَهَادَةٍ وَرَدَتْ بِزُورٍ ... أَقَامَ لِنَصِّهَا القَاضِي عُدُولَهْ (٥)

وَمِنْ شَرِّ البَرِيَّةِ رَبُّ مُلْكٍ ... يُرِيدُ رَعِيَّةً أَنْ يَسْجُدُوا لَهْ

(١) عجزه : « في كل مصر من الوالين شيطان » انظر ما سبق ص ٤١٣ .

(٢) عجزه : « فينفذ أمرهم ويقال ساسه » اللزوميات ﻫ ص ٢٩٦

(٣) عجزه : « فلام تؤخذ جزية ومكوس » اللزوميات ﻫ ص ٢٩٥

(٤) قيل : سذوم بالذال المعجمة أيضاً : وهي مدينة من مدائن قوم لوط ، وقيل : مدينة بحمص . وقيل : هي سرمين من أعمال حلب ، ويضرب المثل بقاضيها فيقال : أجور من قاضي سدوم . وقيل : سدوم هو القاضي . وقيل : ملك من بقايا اليونانية غشوم كان في سرمين (ج) . وانظر اللزوميات ﻫ ص ٢٤٥ .

(٥) اللزوميات ﻫ ص ٢٠٦ .

وَكُلُّ مَنْ فَوْقَ الثَّرَى خَائِنٌ   حَتَّى عُدُولُ المِصْرِ مِثْلُ اللُّصُوص[١]

• • •

عُدُولٌ لَهُمْ ظُلْمُ الضَّعِيفِ سَجِيَّةٌ   يُسَمُّونَ أَعْرَابَ القُرَى والجَوَامِعِ[٢]

• • •

حَكَمَ النَّاسَ غُوَاةٌ مِثْلَمَا   حَكَمَتْ قَبْلُ حَصَاةٌ وَزُلَمْ[٣]

• • •

---

(١) اللزوميات ﻫ س ٢٨٨ .

(٢) اللزوميات ﻫ س ٢٨٧ .

(٣) الحصاة : الحجر الصغير . وكانت عند العرب حصاة القسم ، ويسمونها « المقلة » : فكانوا إذا قل الماء في السفر يضعون هذه الحصاة في الإناء ، ثم يصبون عليها من الماء ما يغمرها ، فيعطونها كل رجل منهم حتى لا يزيد أحد على آخر في الماء . وكان عندهم نوع من البيع يسمى بيع الحصاة ، وذلك أن يقول المشتري أو البائع : إذا نبذت إليك الحصاة فقد وجب البيع . وأن يقول : بعتك من السلع ما تقع عليه حصاتك إذا رميت بها . وأن يقول : بعتك من الأرض إلى حيث تنتهي حصاتك . وهذه الأنواع من بيوع الجاهلية ، وقد أبطلها الاسلام لما فيها من الجهالة .

والزلم : بضم الزاي وفتحها مع فتح اللام ، السهم والقِدْح ، وجمعه أزلام . وكانت الأزلام لقريش في الجاهلية يضعونها في الكعبة . وقد كتب على أحدها : « افعل » وعلى الثاني « لا تفعل » والثالث غفل . فاذا أراد رجل سفراً ، أو نكاحاً ، أو حاجة أتى السادن فقال : أخرج زلماً ، فيخرجه ، فان خرج سهم الأمر مضى فيما عزم عليه ، وان خرج سهم النهي قعد عما أراده . فالحصاة في القسم والبيع والزلم كلاهما حكم الناس وكان حكمه ماضيا وهو لا يفقه شيئا ولا يعرف عدلاً ولا جورا (ج) . وانظر اللزوميات ﻫ س ٢٥٦ .

أَمَا وَاللهِ لَوْ أَنِّي تَقِــيٌّ ... لَمَا آخَيْتُ مِثْلَكَ وَهْوَ قَاضٍ[1]

وَلَكِنْ بِتُّ شَرّاً مِنْكَ فِعْلاً ... فَأَغْنَيْتُ الوِدَادَ عَنِ التَّقَاضِي

وخلاصة مايراه فيهم أن القضاة أجور من سدوم ، وأجهل من حصاة وزلم بمعرفة الحق والشعور بالعدل ، وأن العدول شرّ أداة يتذرع بهـا لجعل الحق باطلا والباطل حقاً .

## القصّاص

أَلاَ يَكْثُرُ القُصَّاصُ وَالِي فَإِنَّهُمْ ... أَتَوْا بِيَقِينٍ فَلْيَقُصُّوا لِيَنْفَعُوا[2]

وَإِنْ خَرَصُوا مَيْناً بِغَيْرِ تَحَرُّجٍ ... فَأَوْجَبُ شَيْءٍ أَنْ يُهَانُوا وَيُصْفَعُوا

وَمَنْ جَاءَ مِنْهُمْ وَاثِقاً بِشَفَاعَةٍ ... فَكَمْ شَافِعٍ فِي هَيِّنٍ لاَ يُشَفَّعُ

سَعَوْا لِفَسَادِ الدِّينِ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ ... فَمَا بَالُهُمْ لَمْ يُسْتَضَامُوا وَيُدْفَعُوا

وغاية ما رآه في هذه الطائفة أنها تتجر بالكذب لتستميل الناس ، أو ترضي الرؤساء ، وأنها تسعى لفســاد الدين فحقها أن تصفع ، وتدفع عن المساجد .

## المنجمون وأشباههم ممن يدعي علم الغيب

درس أبو العلاء أحوال هذه الفئة ، وكشف كثيراً من دخائلهـا ، فتبين له أنها تتجر بالكذب ، وتحتال على النســاء ومن في حكمهن من

---

(١) اللزوميات هـ س ٢٨٩ .

(٢) اللزوميات هـ س ٢٨١ .

الرجال . وهي على منازع مختلفة ، وأهواء متعددة ؛ ففريق منها همه كسب المال ، وآخر همه صاحبة الجمال ، وثالث يسعى لكلا الأمرين ، فيفتنون في الكذب ، وينسبون مزاعمهم إلى الكواكب تارة ، وإلى الجن أخرى. ويشاركهم في ذلك العرّافون ، والمعزمون ، والكهان ، وكتّاب الأحراز والحزاة ومن لف لفهم . ولما كانت هذه الشراذم متقاربة في المبادىء والغايات ، متشابهة في بعض الطرق ؛ ذكر أحوالهم ، تارة على انفراد كل واحدة على حدة ، وتارة جمع بين متعددين منهم ؛ وذلك حيث يقول من أبيات :

لَوْ كَانَ لِي أَمْرٌ يُطَاوَعُ لَمْ يَشِنْ ... ظَهْرَ الطَّرِيقِ يَدَ الحَيَاةِ مُنَجِّمُ[1]

. . . . . . . . . . . . . . . .

يَغْدُو بِزُخْرُفِهِ يُحَاوِلُ مَكْسَبًا ... فَيُدِيرُ أَسْطُرَلاَبَهُ وَيُرَجِّمُ

. . . . . . . . . . . . . . . .

يُولِي بِأَنَّ الجِنَّ تَطْرُقُ بَيْتَهُ ... وَلَهُ يَدِينُ فَصِيحُهَا وَالأَعْجَمُ

وَالمَرْءُ يَكْدَحُ فِي البِلاَدِ وَعِرْسُهُ ... فِي المِصْرِ تَأْكُلُ مِنْ طَعَامٍ يُؤْجَمُ

. . .

لَقَدْ بَكَرَتْ فِي خُفِّهَا وَإِزَارِهَا ... لِتَسْأَلَ بِالأَمْرِ الضَّرِيرَ المُنَجِّمَا[2]

وَمَا عِنْدَهُ عِلْمٌ فَيُخْبِرَهَا بِهِ ... وَلاَ هُوَ مِنْ أَهْلِ الحِجَى فَيُرَجِّمَا

---

(١) اللزوميات ه س ٢٣٥ ويؤجم : من أجم الطعام يأجمه ، كرهه .

(٢) اللزوميات ه س ٢٤٠ ، ويرجم : يظن ويحدس . والديمة : المطر الدائم مع سكون ليس فيه رعد . وسجم المطر والدمع : صبّا وتابعا سيلانهما . وأرم : أمسك عن الكلام . وجمجم في الكلام : لم يبن أو يفصح .

يَقُولُ غَداً أوْ بَعْدَهُ وَقْعُ دِيمَةٍ يَكُونُ غِياثاً أنْ تَجُودَ وَتَسْجُمَا

. . . . . . . . . . . . . . . .

وَلَوْ سَألُوهُ بِالذي فَوْقَ صَدْرِهِ لَجاءَ بِمَيْنٍ أوْ أرَمَّ وَجَمْجَمَا

. . . .

أمَا لِأمِيرِ هَـذَا المِصْرِ عَقْلٌ يُقِيمُ عَنِ الطَّرِيقِ ذَوِي النُّجُومِ[1]

فَكَمْ قَطَعُوا السَّبِيلَ عَلى ضَعِيفٍ وَلَمْ يَعْفُوا النِّسَاءَ مِنَ الهُجُومِ

. . . . . . . . . . . . . . . .

إذا افْتَكَرَ اللَّبِيبُ رَأى أُموراً تَرُدُّ الضَّاحِكَاتِ إلى الوُجُومِ

. . . .

قَطَعَ الطَّرِيقَ بِمَهْمَهٍ وَنَظِيرُهُ في المِصْرِ فِعْلُ مُنَجِّمٍ وَمُعَزِّمِ[2]

. . . .

مُتَكَهِّنٌ وَمُنَجِّمٌ وَمُعَـزِّمٌ وَجَمِيعُ ذَاكَ تَحَيُّلٌ لِمَعَاشِ[3]

. . . .

لاَ تُصْغِيَنَّ إلى حَازٍ لِتَسْمَعَهُ فَمَا يُطِيقُ لِمَا أخْفَيْتَ إبْرَازَا[4]

أرَادَ إحْرَازَ قُوتٍ كَيْفَ أمْكَنَهُ فَظَلَّ يَكْتُبُ لِلنِّسْوَانِ أحْرَازَا

. . . .

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٥٢ ، والوجوم : الحزن والغم .

(٢) المصدر السابق ، والمهمه : المفازة البعيدة أو البلد القفر . والمعزم : هو الذي يقرأ العزائم أو الرقى أو هي آيات من القرآن تقرأ على ذوي الآفات رجاء البرء .

(٣) اللزوميات هـ ص ٣٢٨ .

(٤) اللزوميات هـ ص ١٧٣ ، والحازي : الكاهن .

كَمْ غَرَّ صَاحِبَـةَ الجَمَا لِ مُنَجِّمٌ بِحِسَابِ جُمَّـلْ[١]

• • •

يُنَجِّمُونَ وَمَا يَدْرُونَ لَوْ سُئِلُوا عَنِ البَعُوضَةِ أَنَّى مِنْهُمُ تَقِفُ[٢]

• • •

أَسطُرٌ لاَبَ حَوْلَهُنَّ جَهُولٌ فَهْوَ يَرْجُو هَذْياً بِاسْطُرْلاَبِ[٣]

ولقد أكثر القول فيهم ، فترى في ( اللزوم ) أبياتاً كثيرة ، منها في ( ج ١ ص ٢٧٨ و ص ٣٩٩ ) وفي ( ج ٢ ص ٣٦ و ص ٤٨ و ص ٢٨٩ و ص ٣٣٠ )[٤] وذكر كثيراً من مزاعمهم واحتيالهم لأخذ الأموال وإغواء النساء ، وأن في النساء من تشوق العراف إلى أن يراها ونحو ذلك .

## الصوفية

تغلغل أبو العلاء في أعماق قلوب هذه الفئة ؛ وأماط النقاب عن كثير من دخائل نفوسهم ، فقال يصف ماسمع وما علم :

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٢٤ . وحساب الجُمّل :طريقة رياضية عرفها المتقدمون من العرب وغيرهم وتقوم الحروف فيها مقام الأرقام ويعطى كل حرف من حروف الأبجدية قيمة عددية ( فالألف واحد والباء اثنان ... والياء عشرة . والغين ألف ) ومن حساب قيم حروف الكلمة يستخرج بعض العلماء والصوفيين معاني لهذه الكلمة تعبر عنها كلمات أخرى تساوي حروفها قيم حروف هذه الكلمة ويعدون النسب بين هذه المعاني ويضمنون اللفظة الواحدة دلالات ألفاظ أخرى لا تحملها ولا يربطها بها إلا تساوي قيمة الحروف فيها جميعا .

(٢) اللزوميات هـ ص ٢٩٠ .

(٣) اللزوميات هـ ص ٥٤ ، ولاب : طاف .

(٤) انظر اللزوميات طبعة عزيز زند ويقابلها في اللزوميات هـ الصفحات : ١٠٥ و ١١٥ و ٢٠١ و ٢٢٧ و ٢٤٢ و ٢٥٦ .

صُوفِيَّةٌ مَا رَضُوا لِلصُّوفِ نِسْبَتَهُمْ ... حَتَّى ادَّعَوْا أَنَّهُمْ مِنْ طَاعَةٍ صُوفُوا[1]
تَبَارَكَ اللهُ دَهْرٌ حَشْوُهُ كَذِبٌ ... فَالْمَرْءُ مِنَّا بِغَيْرِ الْحَقِّ مَوْصُوفُ

• • •

رُوَيْدَكِ يَا سَحَابَةُ لَا تَجُودِي ... عَلَى السَّبَخَاتِ مِنْ جَهْلٍ هَمَيْتِ[2]
طَلَبْتِ دِيَانَةً بَيْنَ الْبَرَايَا ... لَقَدْ أَشْوَتْ سِهَامُكِ إِذْ رَمَيْتِ
تَزَيَّوْا بِالتَّصَوُّفِ عَنْ خِدَاعٍ ... فَهَلْ زُرْتِ[3] الرِّجَالَ أَوِ اعْتَمَيْتِ
وَقَامُوا فِي تَوَاجُدِهِمْ فَدَارُوا ... كَأَنَّهُمُ ثِمَالٌ مِنْ كُمَيْتِ
وَمَا رَقَصُوا حِذَاراً مِنْ إِلٰهٍ ... وَمَا[4] يَبْغُونَ إِلَّا مَا حَمَيْتِ

• • •

آلَيْتُ أُثْنِي عَلَى قَوْمٍ بِنُسْكِهِمُ ... وَقَدْ تَكَشَّفَ سَهْلُ الْأَرْضِ عَنْ غَدَرِ[5]
إِنْ قُلْتُ صُفُّوا بِأَلْغَازٍ فَمُعْتَمَدِي ... صُفُّوا مِنَ الصَّفِّ لَا صُفُّوا مِنَ الْكَدَرِ

• • •

لَوْ كُنْتُمُ أَهْلَ صَفْوٍ قَالَ نَاسِبُكُمْ ... صَفْوِيَّةٌ فَأَتَى بِاللَّفْظِ مَا قُلِبَا[6]
جُنْدٌ لِإِبْلِيسَ فِي بِدْلِيسَ آوِنَةً ... وَتَارَةً يَحْلُبُونَ الْعَيْشَ فِي حَلَبَا
طَلَبْتُمُ الزَّادَ فِي الْآفَاقِ مِنْ طَمَعٍ ... وَاللهُ يُوجَدُ حَقّاً أَيْنَمَا طُلِبَا

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٩٢ .
(٢) اللزوميات هـ ص ٧٠ ، وهمى الماء والدمع : اذا سال . وأشوى : رمى فأخطأ .
واعتميت الشيء : أي اخترته . والثمال من ثمل فلان : اذا سكر وأخذ فيه الشراب .
والكميت من أسماء الخمر
(٣) كذا في الديوان ولعل الصواب : «رزت» من راز الرجل اذا اختبره وجربه ما عنده (ج).
(٤) في اللزوميات هـ « ولا يبغون » .
(٥) اللزوميات هـ ص ١٤٩ . والغدر : موضع يصعب للمشي فيه لكثرة الحجارة وشقوق الأرض .
(٦) اللزوميات هـ ص ٣٩ .

وَلَسْتُ أَعْنِي بِهَذَا غَيْرَ فَاجِرِكُمْ إِنَّ التَّقِيَّ إِذَا زَاحَمْتَهُ غَلَبَا

. . .

نَحْنُ قُطْنِيَّةٌ وَصُوفِيَّةٌ أَنْـتُمْ فَقَطْنِي مِنَ التَّجَمُّلِ قُطْنِي[1]

تَقْطَعُونَ البِلَادَ بَطْنًا لِظَهْرٍ إِنَّمَا سَعْيُكُمْ لِفَرْجٍ وَبَطْنِ

. . .

صُوفِيَّةٌ شَهِدَتْ لِلعَقْلِ نِسْبَتُهُمْ بِأَنَّهُمْ ضَأْنُ صُوفٍ نَطْحُهَا يَقِصُ[2]

. . . . . . . . . . . . .

تَوَاجَدَ القَوْمُ مِنْ نُسْكٍ بِزَعْمِهِمُ وَاللهُ يَشْهَدُ مَا زَادُوا وَلَا نَقَصُوا

. . .

رَأَيْتُ بَنِي الدَّهْرِ فِي غَفْلَةٍ وَلَيْسَتْ جَهَالَتُهُمْ بِالأَمَمْ[3]

فَنُسْكُ أُنَاسٍ لِضَعْفِ العُقُولِ وَنُسْكُ أُنَاسٍ لِبُعْدِ الهِمَمْ

وخلاصة ما تبين له من اختبارهم ، والبحث عن أسرارهم ، أنهم يتزيون بالتصوف خداعاً ومكراً ، وأنهم في الحقيقة يسعون لقضاء شهوتي البطن والفرج . ويرقصون ويتواجدون للتوصل إلى ذلك ، فهم بعيدون عن الصفاء والإخلاص .

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢٨١ وفيها : « ... بطناً وظهراً .. » .وقطني الأولى مفتوحة القاف : اسم فعل مع نون الوقاية ، بمعنى حسبي .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ٢٨٦ وفي الأصل : « ... ضأن صوف عنتها يقص » .

ورواية اللزوميات ﻫ : ما زادوا كما نقصوا » . والوقص : دق العنق .

(٣) اللزوميات ﻫ ص ٢٥٩ .

## الزّهاد

وهؤلاء غير مخاصين في زهدهم ، وإنما اتخذوا الزهد وسيلة للربح ، فلا يجدر بالعاقل أن ينخدع بهم :

رَغِبُوا فَأَزْهَدُ مَنْ تَرَى فَوْقَ الثَّرَى يَبْغُونَ عِنْدَ اللهِ رِبْحَ تِجَارِ (١)

وقد كشف له البحث ، فتبين أن ليس في الناس زاهد حقيقة من أي صنف كان :

لَعَمْرُكَ مَا فِي عَالَمِ الأَرْضِ زَاهِدٌ يَقِيناً وَلَا الرُّهْبَانُ أَهْلُ الصَّوَامِعِ (٢)

## الوعّاظ

نقّب عن أحوال هؤلاء ، فتكشفوا له عن مخاز تندي الجبين ؛ لأنهم يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم ، ويحضون على المعروف ولا يفعلون ، وينهون عن المنكر ولا ينتهون عنه . وإنما غرضهم من أعمالهم تنفير الناس من الدنيا حتى تخلص لهم ، ويستقلوا بمتعها ونعيمها . وهذا من قوله فيهم :

بِخِيفَةِ اللهِ تَعَبَّدْتَنَا وَأَنْتَ عَيْنُ الظَّالِمِ اللَّاهِي (٣)

تَأْمُرُنَا بِالزُّهْدِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَمَا هَمُّكَ إِلَّا هِي

• • •

(١) اللزوميات هـ س ١٦٠ .

(٢) اللزوميات هـ س ٢٨٧ .

(٣) اللزوميات هـ س ٣٤١ .

رُوَيْدَكَ قد غُرِرْتَ وأنتَ حُرٌّ[1] بِصَاحِبِ حِيلَةٍ يَعِظُ النِّسَاءَ

يُحَرِّمُ فيكُمُ الصَّهْبَاءَ صُبْحاً وَيَشْرَبُهَـــا على عَمْدٍ مَسَاءَ

. . . . . . . . . . . . . . . . .

يَقُولُ لَكُمْ غَدَوْتُ بِلاَ كِسَاءٍ وَفي لَذَّاتِهَا رَهَنَ الكِسَاءَ

إِذَا فَعَلَ الفَتَى مَا عَنْهُ يَنْهَى فَمِنْ جِهَتَيْنِ لا جِهَةٍ أَسَاءَ

وارجع إلى الأبيات التي يقول فيها :

يُمَاحِلُ في الدُّنيَا الخَؤونِ وإنَّما يُؤَمِّلُ نَزْراً فَانِياً بِمُحَالِهِ[2]

الفـــالم

أممن في البحث عن هؤلاء ، وتقرّى أحوالهم وأخبارهم ، فرآهم فريقين : الفريق الأول منهم عباد لله في الظاهر ، عبيد للشهوات في الباطن . لا يتماسك أحد منهم عن مطمع يعرض له ؛ ولا يبالي به سواء كان حلالاً

---

(١) هكذا روي في ديوانه ، ورواه العريشي :

« رويدك قد خدعت وأنت كهل » (ج)

انظر اللزوميات هـ ص ٢٥ .

(٢) الأبيات :

تق الله واحذر أن يغرك ناسك عما هو فيـــه من تغيير حاله

فما أخس الأقوام إلا توابع لقائل زور مفرط في محاله

نهينا الذي في صومه وصلاته كذاك الذي في حله وارتحاله

فكذّب زعماً قال لذي دين فما دينــه إلا ضعيف انتحاله

يماحل . . . . . . . . . . . . . . .

ومن يكتحل بالسهد في طلب العلا يجز أن يرى منهاجها باكتحاله

اللزوميات هـ ص ٢١٢ .

أم حراماً . والفريق الثاني تنسك ليقال إنه ناسك فيأتي بالمندوب ويترك الواجب إذا كان في الأول شهرة وسمعة . وإذا عرضت له فريسة خفية لايتورع عنها ، وإن خشي الفضيحة أمسك عنها . وإليك شيئاً من قوله فيهم :

سَبِّحْ وَصَلِّ وطُفْ بِمكّةَ زَائِراً ... سَبْعِينَ لا سَبْعاً فَلَسْتَ بِنَاسِكِ[1]

جَهِلَ الدّيانَةَ مَنْ إذا عَرَضَتْ لَهُ ... أَطْمَاعُهُ لَمْ يُلْفَ بالمُتَماسِكِ

• • •

قَدِ ادّعَى النّسْكَ أقوامٌ بِزَعْمِهِمُ ... وَكَيْفَ نُسْكُ غَوِيٍّ رُمْحُهُ وَرِسُ[2]

وَقَدْ جَنَى الإِثْمَ تَغْشَاهُ صَحَابَتُهُ ... والنّبْلُ والسّيْفُ والخَطّيُّ والفَرَسُ

وقد قدمنا الأبيات التي يقول فيها :

مَا دَامَتِ الوَحْشُ والأنعامُ خَائِفَةً ... فَرْساً فَمَا صَحّ أمْرُ النُّسْكِ لِلأسَدِ[3]

• • •

وَمِنَ الرّزِيّةِ عَاهِرٌ مُتَوَهِّمٌ ... في النّاسِكِينَ وَنَاسِكٌ في العُهّرِ[4]

• • •

يَبْغِي الطّهَارَةَ نَاسِكٌ وَمَحَلُّهُ ... في مُومِسٍ بَرِئَتْ مِنَ الإطْهَارِ[5]

• • •

---

(١) اللزوميات هـ س ١٨٩ .

(٢) اللزوميات هـ س ٣٩٢ . ورمح ورس : أي مصفر بلون الورس من أثر الدم .

(٣) اللزوميات هـ س ١٠٩ . والفرس : مصدر فرسه يفرسه إذا دق عنقه .

(٤) « « س ١٥٧ .

(٥) « « س ١٠٦ .

تَقِ اللهَ واحذَرْ أنْ يَغُرَّكَ نَاسِكٌ   بِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ تَغَيُّرِ حَالِهِ[(١)]

• • •

تَوَهَّمتَ يا مَغْرُورُ أنكَ دَيِّنٌ   عَلَيَّ يَمِينُ اللهِ مَالَكَ دِينُ[(٢)]

تَسِيرُ إلى البَيْتِ الحَرَامِ تَنَسُّكاً   وَيَشْكُوكَ جَارٌ بائِسٌ وخَدِينُ

وقد تبين له بعد البحث الطويل أن النسك الحقيقي مفقود في الناس وإنما هو كالعنقاء اسم بلا مسمى :

والنُّسْكُ لا نُسْكَ مَوْجُودٌ فتبْغِيَهُ   فَعَدِّ عَنْ فُقَهَاءِ اللَّفْظِ مُرَّاقِ[(٣)]

## القرّاء

سبر أغوار القراء ، وتقصّى أخبارهم ؟ فلم يجد فيهم من يقرأ القرآن للتدبر أو التذكر أو التقرب لله . وإنما رأى فريقاً منهم يتسوق بالقرآن ، وآخر يقامر به ، وثالثا يكاثر به ويفاخر . وهكذا كل قارىء محترف يلتمس بالقرآن حظوة ورزقا . ورأى اختلافاً بين القراء في الروايات ، وهذه طائفة من كلامه فيهم :

تَسَوَّقَ النَّـــاسُ بِفُرْقَانِهِمْ   وَانْتَبَلُوا جَهْلاً فَلَمْ يَنْبُلُوا[(٤)]

وَلَيْسَ مَا يُنْقَلُ عَنْ عَاصِمٍ   كَمَا روى عَنْ شَيْخِهِ قُنْبُلُ

• • •

(١) انظر ما سبق ص ١٥٠٦ .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ٢٦١ .

(٣) » » ص ٣٠٧ .

(٤) انظر ما سبق ص ١٣٩٢ .

تلاوتُكم ليستْ لرُشدٍ ولا هُدًى ... ولكنْ لكمْ فيها التكاثُرُ والكِبْرُ[(١)]
بعشرِ رواياتٍ قرأتُ وصاحبي ... بعشرينَ ما فيها ادّغامٌ ولا نَبْرُ

• • •

فلا يغُرَّنكَ مِنْ قُرَّائنا زُمَرٌ ... يتلونَ في الظُّلَمِ الفرقانَ والزُّمَرا[(٢)]
يُقامِرُونَ بما أُوتُوهُ مِنْ حِكَمٍ ... وصاحِبُ الظُّلْمِ مقمورٌ إذا قَمَرا

• • •

وقارِئُكمْ يرجُو بتطريبهِ الغِنَى ... فآضَ كما غَنَّى ليكسِبَ زُلْزُلُ[(٣)]

• • •

صارَ الكتابُ مزاميرَ الغُواةِ لهُمْ ... بهِ أغانيُّ في حم والزُّمَرِ[(٤)]
صَلَّوا بهِ ثُمَّ صَلُّوا في مَظالِمهمْ ... مِثلَ السُّيُوفِ على المُستأنِسِ القَمِرِ

وإذا أعجز أحدهم التكسب بالقرآن من الأحياء التمسه من الأموات :

عُميانُكمْ قرأتْ على أجدائِكمْ ... وأتوا لكمْ بالبِرِّ مِنْ آتاكُمْ[(٥)]
أحياؤُكمْ بخِلُوا عليهِم بالنَّدَى ... فبغَوهُ بالفرقانِ مِنْ موتاكُمْ

وقد عجب من تأخر العذاب عن قوم يتكسبون بالقرآن فقال :

فما لِلعذابِ فوقَكمْ لا يعُمُّكُمْ ... وما بالُ أرضٍ تحتَكمْ لا تَزَلْزَلُ[(٦)]

---

(١) اللزوميات هـ ص ١١٨ .

(٢) اللزوميات هـ ص ١٣٩ ، والزمر الأولى : مفردها زمرة وهي الجماعة . والثانية احدى سور القرآن . وقمر : راهن ولعب في القمار . وقمره : غلبه في القمار .

(٣) انظر ما سبق ص ١٣٩٣ .

(٤) اللزوميات هـ ص ١٥٠ .

(٥) انظر ما سبق ص ١٣٩٣ .

(٦) اللزوميات هـ ص ١٩٥ .

ولم يقصر أقواله على قراء المسلمين بل رأى في غيرهم كثيراً ممن :

يُبْدِي التَّدَيُّنَ مُخْتَالاً ضَمَائِرُهُ غَيْرُ الجَمِيلِ إِذَا مَا جِسْمُهُ ضَمَرَا[1]
يَشْدُو مَزَامِيرَ دَاوُدٍ وَيَفْضُلُهُ في النُّسْكِ نَافِخُ مِزْمَارٍ لَهُ زَمَرَا

## الخطباء :

فقلب هذه الطائفة ظهراً لبطن ؛ ودرس أحوالها درس العالم الخبير فتبين له أن الخطباء يتخذون الدين وسيلة الدنيا ، فيمدحون الملوك في المساجد التي خصصت لذكر الله وما والاه على المنابر التي خصصت لإرشاد الناس إلى سبل الهدى . وليتهم كانوا يمدحونهم بما هو فيهم ، ولكنهم يفترون لهم أعمالاً لاحقيقة لها ، ويسكتون عن مساوىء لهم تقشعر منها الجلود ؛ ويعظمون الصغير من أمرهم تزلفاً لهم . واسمع قوله فيهم :

مَا أَجْهَلَ الأُمَمَ الذِينَ عَرَفْتُهُمْ وَلَعَلَّ سَالِفَهُمْ أَضَلُّ وَأَتْبَرُ[2]

وذلك لأنهم :

يَدْعُونَ في جُمُعَاتِهِمْ بِسَفَاهَةٍ لِمَلِيكِهِمْ فَيَكَادُ يَبْكِي المِنْبَرُ[3]

مع أن كل :

مَا قِيلَ في عِظَمِ المَلِيكِ وَعِزِّهِ فَاللهُ أَعْظَمُ في القِيَاسِ وَأَكْبَرُ

---

(١) انظر ما سبق ص ١٤٠٧ .
(٢) اللزوميات حـ ص ١٢٦ .
(٣) في اللزوميات حـ : « لأميرهم . . . » .

وقد عجب كيف لاتخسف بهم الأرض ، ولا تميد المنابر لكثرة مايفترون عليها :

كَذِبٌ يُقَالُ على المَنَابِرِ دَائِماً أَفَلاَ يَمِيدُ لِمَا يُقَالُ المِنْبَرُ[١]

وقد حذر الناس من أن يخدعهم الخطباء بالخطب المحبّرة ، والعظات المزوّرة ؛ لأنها خارجة من قلب ليس للإخلاص فيه أثر . وإنما هي حيلة أو أحبولة :

لاَ يَخْدَعَنَّكَ دَاعٍ قَامَ فِي مَلإٍ بِخُطْبَةٍ زَانَ مَعْنَاهَا وَطَوَّلَهَا[٢]

فَمَا العِظَاتُ وإنْ رَاعَتْ سِوَى حِيَلٍ مِنْ ذِي مَقَالٍ عَلَى نَاسٍ تَقَوَّلَها

وحذر الخطباء أن لايخدعهم مايرونه من إصغاء الناس إلى أقوالهم ، فانهم يعظون أسداً لاتبالي ماتصنع إذا عرضت لها أطماعها ، أو حمراً تتبلد إذا دعيت لعمل صالح :

يوفي عَلَى المِنْبَرِ العَالِي خَطِيبُهُمُ وَإِنَّمَا يَعِظُ الآسَادَ والنُّمُرا[٣]

هُمَ السِّبَاعُ إذَا عَنَّتْ فَرَائِسُها وَإِنْ دَعَوْتَ لِخَيْرٍ حُوِّلُوا حُمُرا

• • •

أَرَى عَالِماً يَشْكُو إلى اللهِ جَهْلَهُ وَكَمْ مِنْ بَرًى يَعْلُو فَيَخْطُبُ مِنْبَرَا[٤]

---

(١) اللزوميات هـ ص ١٢٧ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٢٠٤ .

(٣) اللزوميات هـ ص ١٣٩ .

(٤) اللزوميات هـ ص ١٣٧ ، والبرى : التراب .

ولعله خص خطباء المسلمين بما ذكره ، أما غيرهم فقد قال فيهم :

يَتلُونَ أسفَارَهُمْ والحَقُّ يُخبِرُني بأنَّ آخِرَهَا مَيْنٌ وَأوَّلَهَا[1]

صَدَقتَ يا عَقلُ فَليَبْعَدْ أخو سَفَه صَاغَ الأحَادِيثَ إفكاً أو تَأوَّلَهَا

وَلَيسَ حَبْرٌ بِبِدْعٍ في صَحَابَتِهِ إنْ سَامَ نَفْعاً بِأخْبَارٍ تَقَوَّلَهَا

وَإنَّمَا رَامَ نِسْوَاناً تَزَوَّجَهَا بِمَا افْتَرَاهُ وَأموالاً تَمَوَّلَهَا

طَالَ العَنَاءُ بِكَوْنِ الشَّخْصِ في أُمَمٍ تَعُدُّ فِرْيَةَ غَاوِيهَا مُعَوَّلَهَا

العلماء :

دلّه البحث أن ليس في أيامه علماء حقيقيون ؟ وإنما هم غفلة إمعة ، يتبع اللاحق السابق منهم من غير تمحيص ولا تثبت ، ولا ينفعهم علمهم شيئاً . وهذه جملة من أقواله فيهم :

فُقِدَتْ في أَيَّامِكَ العُلَمَاءُ وَادْلَهَمَّتْ عَلَيْهِمُ الظَّلْمَاءُ[2]

وتَغَشَّى دَهْمَاءَنا الغَيُّ لَمَّا عُطِّلَتْ مِنْ وُضُوحِهَا الدَّهْمَاءُ

. . .

أفِيقُوا أفِيقُوا يَاغُوَاةُ فَإنَّمَا دِيَانَاتُكُمْ مَكْرٌ مِنَ القُدَمَاءِ[3]

أرَادُوا بِهَا جَمْعَ الحُطَامِ فأدْرَكُوا وَبَادُوا وَمَاتَتْ سُنَّةُ اللُّؤَمَاءِ

. . .

---

(١) انظر ماسبق ص ١٤٠٨ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٢٣ .

(٣) اللزوميات هـ ص ٢٦ .

إذا كَانَ عِلْمُ المَرْءِ لَيْسَ بِنَافِعٍ    وَلاَ دَافِعٍ فَالخُسْرُ لِلْعُلَمَاءِ[١]

## الفقهاء :

وراءه من الفقهاء خاصة أنّ فريقاً يجيز مالا يجيزه آخر . وفريقاً يخبط في ضلاله ويحتج بالقرآن على تصويب أعماله . وإليك جملة من كلامه تفصح عما أظهره له الاختبار :

أَجازَ الشّافِعِيُّ فَعَالَ شَيْءٍ    وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ لا يَجُوزُ[٢]

. . . . . . . . . . . . . . . .

لَقَدْ نَزَلَ الفَقِيهُ بِدَارِ قَوْمٍ    فَكَانَ لأَمْرِهِ فِيهِمْ نُجُوزُ

وَلَمْ آمَنْ عَلَى الفُقَهَاءِ حَبْساً    إذَا مَا قِيلَ للأُمَنَاءِ جُوزُوا

. . .

وَكَمْ مِنْ فَقِيهٍ خَابِطٍ في ضَلاَلَةٍ    وَحُجَّتُهُ فِيهَا الكِتَابُ المُنَزَّلُ[٣]

وزعم أن الفقهاء لم تختلف إلا لأجل الدنيا . كما أن القراء لم تتقرأ إلا لأجلها :

وَتَجَادَلَتْ مِنْ حُبِّهَا فُقَهَاؤُهَا    وَتَقَرَّأَتْ لِتَنَالَهَا قُرَّاؤُهَا[٤]

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢٥ .

(٢) « « ص ١٧٣ .

(٣) « « ص ١٩٥ .

(٤) اللزوميات ﻫ ص ٢٣ وفيها : « وتجادلت فقهاؤها من حبها .. » وتقرأ : تنقه .

وقد أنكر عليه تصديه إلى الفقهاء بمثل قوله :

زَكُّوا عَلى مَذْهَبِ الكُوفِيِّ أرْضَكُمُ ... وَخَالِفُوا رَأيَهُ في مُسْكِرٍ طُبِخَا[1]

• • •

تَطَهَّرَتْ بِنَبِيذِ التَّمْرِ طَائِفَةٌ ... وَقَدْ أجَازُوا طَهُوراً بِالدَّمِ الجَسِدِ[2]

• • •

وَيَنْفِرُ عَقْلي مُغْضَباً إنْ تَرَكْتُهُ ... سُدًى واتَّبَعْتُ الشَّافِعِيَّ وَمَالِكَا[3]

• • •

وَقَالُوا فَقِيهٌ والفَقِيهُ مُمَوِّهٌ ... وَحِلْفُ جِدَالٍ والكَلامُ كُلُومُ[4]

أتَوْكَ بِأصْنَافِ المُحَالِ وَإنَّمَا ... لَهُمْ غَرَضٌ في أنْ يُقَالَ عُلُومُ

• • •

تَفَقَّهْتَ في الدُّنْيَا فَلَمْ تُلْفَ طَائِلاً ... وَلا خَيْرَ في كَسْبٍ أتَاكَ مِنَ الفِقْهِ[5]

## أهل الكلام والعقائد :

بحث طويلاً عن أخبارهم ، ودرس كثيراً من آثارهم ؛ فاتضح له أنهم إنما يعملون للتنافس ، ويهزلون بأصحابهم ، ويقودون عمياً إلى أهوائهم . وهذه جملة من كلامه فيهم :

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٨٧ وفيها : « وجانبوا رأيه .. » .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ١٠٩ والدم الجسد : ما يبس منه .

(٣) انظر ما سبق ص ١٢٦٥ .

(٤) اللزوميات ﻫ ص ٢٣٢ .

(٥) « « ص ٣٣٩ .

لَوْلاَ التَّنَافُسُ فِي الدُّنْيَا لَمَا وُضِعَتْ ... كُتْبُ التَّنَاظُرِ لاَ الْمُغْنِي ولا العُمَدُ[1]

قَدْ بَالَغُوا فِي كَلاَمٍ بَانَ زُخْرُفُهُ ... يُوهِي العُيُونَ وَلَمْ تَثْبُتْ لَهُ عُمُدُ

وَمَا يَزَالُونَ فِي شَامٍ وفِي يَمَنٍ ... يَسْتَنْبِطُونَ قِيَاساً مَا لَهُ أَمَدُ

فَذَرْهُمُ وَدَنَايَاهُمْ فَقَدْ شُغِلُوا ... بِهَا وَيَكْفِيكَ فِيهَا القَادِرُ الصَّمَدُ

• • •

جَهِلْتُ أَقَاضِي الرَّيِّ أَكْثَرُ مَا أَمَا ... بِمَا نَصَّهُ أَمْ شَاعِرٌ يَتَغَزَّلُ[2]

وَأَعْلَمُ أَنَّ ابْنَ المُعَلِّمِ هَازِلٌ ... بِأَصْحَابِهِ والبَاقِلاَنِيَّ أَهْزَلُ[3]

• • •

اِسْتَغْفِرِ اللهَ وَاتْرُكْ مَا حَكَى لَهُمُ ... أَبُو الْهُذَيْلِ وَمَا قَالَ ابْنُ كُلاَّبِ[4]

• • •

(١) المغني : اسم لكتاب قيل انه لعبد الجبار . والعمد : اسم الكتاب وضعه أبو الحسن الأشعري (ج) . وانظر ما سبق ص ٥٨٥ .

(٢) قاضي الري : هو علي بن عبد العزيز أبو الحسن الجرجاني المتوفى سنة ٣٦٦ هـ ، وفي النجوم الزاهرة سنة ٣٩٢ هـ وله ( الوساطة بين المتنبي وخصومه ) (ج) . وانظر ما سبق ص ١٣٢٠ .

(٣) ابن المعلم : محمد بن محمد بن النعمان ، إليه انتهت رياسة أصحابه من الشيعة الإمامية في الفقه والكلام والآثار ، ولد سنة ٣٣٨ هـ ، فهرست ٢٥٢ ، ٢٧٩ . والباقلاني : محمد بن الطيب من أئمة علم الكلام إليه انتهت الرياسة في مذهب الأشاعرة ، ولد في البصرة وتوفي ببغداد سنة ٤٠٣ هـ وفيات وشذرات . (ج) .

(٤) أبو الهذيل : محمد بن الهذيل المعروف بالعلاف ، شيخ البصريين في الاعتزال . له مقالات ومناظرات في مجالس . توفي سنة ٢٣٥ هـ ، وفيات ، فهرست .
وابن كلاب : هو عبد الله بن محمد بن كُلاّب القطان من باية الحشوية ، له مناظرات مع عباد بن سليمان وله كتاب خلق الأفعال وغيرهما . فهرست ٢٥٥ (ج) . وانظر اللزوميات هـ ص ٤٨ .

وأصحابُ الشريفِ ولا تساوٍ ... كأصحابِ ابنِ زُرْعَةَ وابنِ سَمْحِ [(١)]

• • •

ما لِلأنامِ وجدتُهم مِن جهلِهِم ... بالدّينِ أشباهَ النّعامِ أوِ النَّعَمْ [(٢)]

فمُجادِلٌ وَصَلَ الجِدالَ وقد دَرَى ... أنَّ الحقيقةَ فيهِ ليسَ كما زَعَمْ

عَلِمَ الفتى النُّظّارُ أنَّ بصائراً ... عَمِيَتْ فكم يخفى اليقينُ وكم يَعِمْ

لو قالَ سيدُ غضاً بُعِثْتُ بملّةٍ ... مِن عندِ ربّي قالَ بعضُهُمُ نَعَمْ

**الأدباء :**

نقم أبو العلاء على الأدباء ، ويريد بهم الشعراء غالباً ؛ لأن كل مارآه فيهم أنهم دعاة إلى الكذب ، تجار بأقوالهم ، سرّاق للأموال والأقوال . وقد رأى الشعراء شر فريق من الناس ، لأنهم يبذلون ماء وجوههم ، ويمتهنون قرائحهم بامتداح من لايستحق المدح ، لينالوا خبساً من المال . ولو ترفعوا عن التكسب بأشعارهم لصانوا كرامة الشعر وكرامة أنفسهم . وإليك طرفاً مما قاله فيهم :

(١) الشريف : لعله أبو القاسم علي بن الحسن العلوي الشريف المعروف بابن الأعلم كان يجرى علم الكلام في العراق توفي سنة ٣٧٥ هـ .
ابن زرعة : عيسى بن اسحاق بن زرعة أحد المتقدمين في المنطق والفلسفة والنقلة المجودين مولده ببغداد سنة ٣٣١ هـ أخبار الحكماء ص ١٥٧ .
وأبو علي بن السمح : المنطقي العراقي كان فاضلاً في صناعة المنطق توفي سنة ٤١٨هـ أخبار الحكماء ص ٢٦٨ (ج) . وانظر اللزوميات هـ ص ٨٥ .

(٢) انظر ما سبق ص ١٣٤٦ .

وَمَا أدَبَ الأقْوَامَ في كُلِّ بَلْدَةٍ ... إلى المَيْنِ إلا مَعْشَرٌ أدَبَاءُ[١]

• • •

بَنِي الآدَابِ غرَّتكُمْ قَدِيماً ... زَخَارِفُ مِثْلُ زَمْزَمَةِ الذُّبَابِ

وَمَا شُعَرَاؤُكُمْ إلاَّ ذِئَابٌ ... تَلَصَّصُ في المَدَائِحِ والسِّبَابِ

أضَرُّ لِمَنْ تَوَدُّ مِنَ الأعَادِي ... وأسْرَقُ لِلمَقَالِ مِنَ الزَّبَابِ[٢]

• • •

فِرَقاً شَعَرْتُ بِأنَّها لا تَقْتَني ... خَيْراً وَأنَّ شِرَارَهَا شُعَرَاؤُهَا[٣]

• • •

تَكَسَّبَ النَّاسُ بِالأجْسَامِ فَامْتَهَنُوا ... أرْوَاحَهُمْ بِالرَّزَايا في الصِّنَاعَاتِ[٤]

وَحَاوَلُوا الرِّزْقَ بِالأفْوَاهِ فَاجْتَهَدُوا ... في جَذْبِ نَفْعٍ بِنَظْمٍ أوْ سِجَاعَاتِ

• • •

عُفَاةُ القَوَافِي كَالَّذِي وَلُمَاتِهَا ... إذَا هُنَّ لَمْ يُوصَلْنَ فَاللَّفْظُ فَاسِدُ[٥]

• • •

وَمُغْرَمٌ بِالمَخَازِي طَالِبٌ صِلَةً ... مُغْرىً بِتَنْفِيقِ أشْعَارٍ لَهُ كُسُدِ[٦]

---

(١) اللزوميات ه ص ٢٠ .

(٢) جمع زبابة : وهي فأرة عظيمة حمراء ، أو فأرة صماء يضرب بها المثل فيقال : أسرق من زبابة . (ج) . وانظر اللزوميات ه ص ٥١ .

(٣) اللزوميات ه ص ٢٣ .

(٤) « « « ٦٦ .

(٥) لماتها : جمع لُمَة وهي الجماعة من الناس ، والمثل والشكل ، والمتوافقون من الرجال ؛ والمراد هنا . أمثال الذي من أسماء الموصول التي تحتاج إلى صلة وعائد . (ج) . وانظر اللزوميات ه ص ٨٩ .

(٦) اللزوميات ه ص ١٠٨ .

**النحاة واللغويون :**

قدمنا في الكلام على ثقافته في النحو والصرف أنه كان ينظر إلى بعض مسائل هذا العلم ورجاله نظر ازدراء ومقت . وهنا نبين أنه ظهر له بعد الإمعان والتحقيق أن النحاة أجهدوا نفوسهم في أمور لم تعد عليهم بغير الخسيس ، ولم تدفع عنهم عاديات الدهر ، فكأنهم لم يصنعوا شيئاً غير التنازع في الأباطيل . وإليك شيئاً من قوله :

أَصابَ الأَخفَشَينِ بَصيرُ خَطْبٍ ... أَعادَ الأَعْشَيَيْنِ بِلا جِوَارِ[1]

وَغِيلَ المَازِنيُّ مِنَ اللَّيالي ... بِزَنْدٍ مِنْ خُطُوبِ الدَّهْرِ وَارِ[2]

وَلِلْجَرْمِيِّ مَا اجْتَرَمَتْ يَدَاهُ ... وَحَسْبُكَ مِنْ فَلاحٍ أَوْ بَوَارِ[3]

(١) الأخانش : أحد عشر شخصاً ، أشهرهم ثلاثة : الأخفش الأكبر : عبد الحميد مولى قيس بن ثعلبة ، وهو أول من فسر الشعر تحت كل بيت ، وكان الناس قبله يفسرون القصيدة اذا فرغوا منها ، توفي سنة ١٧٧ هـ . والأوسط : سعيد بن مسعدة المجاشعي أخذ عن سيبويه ، وصنف كتباً كثيرة ؛ وزاد على الخليل بحر المتدارك ، توفي سنة ٢١٥ هـ . والأصغر : علي بن سليمان له شرح سيبويه وغيره ، وكان ابن الرومي يهجوه سنة ٣١٥ هـ ولعل المراد الآخران منهم ، والأعشى : سبعة عشر رجلاً ، أربعة منهم جاهليون ، والباقون مسلمون ، أشهرهم أعشى قيس ميمون بن قيس (ج) . وانظر اللزوميات هـ ص ١٥٧ .

(٢) المازني : أبو عثمان بكر بن محمد من مازن إمام في النحو وله كتب توفي سنة ٢٤٩ هـ (ج)

(٣) الجرمي : أبو عمرو صالح بن اسحق الجرمي ، كان فقيهاً عالماً بالنحو واللغة . له كتاب جيد في النحو يقال له الفرخ ، ومعناه : فرخ كتاب سيبويه ، وله غيره ، ولم يلق سيبويه ؛ وكان أثبت الناس في كتابه ، توفي سنة ٢٢٥ هـ (ج)

فَأَمَّا فَرْخُهُ فَبِلاَ جَنَاحٍ يَطِيرُ بِحَمْلِ أَقْلاَمٍ جَوَارِ

وَمَا نَقَعَ الْمُبَرِّدُ مِنْ حَمِيمٍ وَصَادَتْ ثَعْلَباً نُوَبٌ ضَوَارِ [١]

. . .

حَبِسْتَ كِتَابَ الْعَيْنِ فِي كُلِّ وُجْهَةٍ فَخُذْ حَذَراً مِنْ تَرْجُمَانِ الْمُفَجَّعِ [٢]

. . .

تَوَلَّى سِيبَوَيْهِ وَجَاشَ شَيْبٌ مِنَ الأَيَّامِ فَاخْتَلَّ الْخَلِيلُ [٣]

وَيُونُسُ أَوْحَشَتْ مِنْهُ الْمَغَانِي وَغَيَّرُ مُصَابِهِ النَّبَأُ الْجَلِيلُ [٤]

أَتَتْ عِلَلُ الْمَنُونِ فَمَا بَكَاهُمْ مِنَ اللَّفْظِ الصَّحِيحُ وَلاَ الْعَلِيلُ

. . .

---

(١) المبرد : محمد بن يزيد الثمالي الأزدي ، إمام العربية له كتب كثيرة ، منها ( الكامل ) و ( المقتضب ) توفي سنة ٢٨٦ هـ . وثعلب : هو أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني ، إمام الكوفيين في النحو واللغة له كتب كثيرة ، منها ( الفصيح ) و ( معاني القرآن ) و ( معاني الشعر ) وغيرها . توفي سنة ٢٩١ هـ (ج)

(٢) العين : كتاب في اللغة للخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٥ هـ ، وهو أصل الكتب في اللغة ؛ وللناس فيه كلام كثير . والترجمان : كتاب صنفه محمد ابن أحمد البصري النحوي سماه ( كتاب الترجمان في الشعر ومعانيه ) توفي سنة ٣٢٠ هـ (ج) انظر اللزوميات هـ ص ٢٨٧ .

(٣) سيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان ، إمام النحاة . وله ( الكتاب ) المشهور في النحو توفي سنة ١٨٠ هـ . والخليل هو ابن أحمد الفراهيدي ، تقدم ذكره (ج) .

(٤) يونس بن حبيب الضبي : إمام نحاة البصرة أخذ عن سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم ، وله كتب منها : ( معاني القرآن ) و ( واللغات والنوادر ) و ( الأمثال ) توفي سنة ١٨٢ هـ (ج) وانظر اللزوميات هـ ص ١٩٨ .

أرَى ابنَ أبي إسحقَ أسحقَهُ الرَّدَى | وَأدرَكَ عُمْرُ الدَّهرِ نَفسَ أبي عَمْرِو (١)
تَباهَوْا بِأمرٍ صَيَّرُوهُ مَكاسِبًا | فَعادَ عَلَيهِمْ بِالخَسيسِ مِنَ الأمرِ
بِكُسْوَةِ بُرْدٍ أوْ بِإعْطاءِ بُلْغَةٍ | مِنَ العَيْشِ لا جَمِّ العَطاءِ وَلا غَمْرِ
وَلَمْ يَصنَعُوا شَيْئًا وَلكِنْ تَنازَعُوا | أباطِيلَ تُضْحِي مِثْلَ هامِدَةِ الجَمْرِ
فَلا يُضِعِ اللهُ المَساعِيَ في التُّقَى | فَمَنْ يَسْعَ فِيها لا يُخَفْ غَبَنَ القَمْرِ
أمَا قالَهُ الكُوفِيُّ في الزُّهدِ مِثْلُ ما | تَغَنَّى بِهِ البِصْرِيُّ في صِفَةِ الخَمْرِ (٢)

. . .

تَوَخَّ نَقلَ أبي زَيْدٍ وَكُتْبَ أبي | عَمْرٍو وَخَلِّ كَلامًا في أبي عُمَرِ (٣)

---

(١) ابن أبي اسحق : هو عبد الله بن زيد بن الحارث الحضرمي البصري ، أحد الأئمة في القراءة والعربية ؛ وهو أول من علل النحو توفي سنة ١١٧ هـ وقيل سنة ١٢٧ هـ .
وأبو عمرو بن العلاء المازني النحوي : أحد القراء السبعة المشهورين ، وأعلم الناس بالقراءات، والعربية وأيام العرب ، توفي سنة ١٥٤ هـ وعنه أخذ يونس ، والخليل ، وعلي بن المبارك ، وأبو عبيدة والأصمعي وغيرهم (ج) . وانظر اللزوميات هـ ص ١٤٦ -

(٢) الكوفي هنا : أبو العتاهية ، إسماعيل بن القاسم العنزي الشاعر المشهور ، نشأ في الكوفة وأكثر في شعره من الزهد توفي سنة ٢١١ هـ . والبصري هنا : أبو نواس ، الحسن بن هانئ الحكمي ، نشأ بالبصرة واشتهر بشعره في صفة الخمر وهو من الشعراء الفحول توفي سنة ١٩٨ هـ (ج)

(٣) أبو زيد : هو سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري البصري ، أحد أئمة اللغة والأدب وثقات اللغويين . كان سيبويه إذا قال : « سمعت الثقة » عنى أبا زيد . له كتاب ( النوادر ) ، ( والهمز ) ، ( والمطر ) وغيرها . توفي سنة ٢١٥ هـ
وأبو عمر : هو محمد بن عبد الواحد الزاهد المطرز اللغوي ، صحب ثعلب حتى قيل له غلام ثعلب . كان كثير الحفظ . ولسعة حفظه نسب إلى الكذب ، وأهل اللغة يطعنون عليه ويقولون : لو طار طائر في الجو قال : حدثنا ثعلب عن ابن الأنباري ، ويذكر في ذلك شيئاً ، وله كتب كثيرة منها ( اليواقيت ) و ( شرح الفصيح ) و ( فائت الفصيح ) و ( فائت العين ) و ( فائت الجمهرة ) وغيرها . توفي سنة ٣٤٥ هـ ، (ج) وانظر اللزوميات هـ ص ١٥٢ .

## رؤساء الأمم غير المسلمين :

### رؤساء النصارى :

بيّن له البحث عن أحوالهم ودخائل نفوسهم أنهم كغيرهم لا يتورعون في سبيل شهواتهم ، وقد أشار إلى ذلك في أبيات تقدمت ، منها قوله :

رَاحَتْ إلى القَسِّ بتقريبها وَبَيْنُها أولى بقُرْبَانِهَا [١]
قَدْ جَرَّبَتْ مِنْ فِعْلِهِ سَيِّئاً والطِّيبُ جَار في جُرُبَّانِهَا

وأبيات أخر ، منها قوله :

الرَّاهِبُ المَسْجُونُ فَرْطَ عِبَادَةٍ مِنْ حُبِّ دُنْيَاهُ الكَذُوبِ مُوَلَّهُ [٢]

وغير ذلك من الأبيات التي سبق ذكر بعضها .

### رؤساء اليهود :

وهؤلاء كشف له التنقيب عن أحوالهم ، فظهر له أنهم يأكلون بأمر كله كذب ، ويفترون للناس مزاعم يغوونهم بها ؛ وقد أشار إلى ما رآه فيهم ، في أبيات منها قوله :

لَقَدْ أكَلْتُمْ بِأمْرٍ كُلُّهُ كَذِبٌ عَلى تَقَادُمِ أزْمَانٍ وَآبَادِ [٣]
وَرَابَنِي أنَّ أحْبَاراً لَكُمْ رَسَخُوا في العِلْمِ لَيْسُوا عَلَى حَالٍ بِعُبَّادِ

---

(١) انظر ما سبق ص ١٤١٣ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٣٣٤ .

(٣) الأبيات :

يا آل يعقوب ما توراتكم نبأ من وري زند ولكن وري أكباد
ان كان لم يبد للأغمار سركم فإنه لي في أكنانه باد
لقد أكلتم . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

وانظر ما سبق ص ١٤٠٧ .

وأبيات أخر منها قوله :

يَا آلَ يَعْقُوبَ خُذُوا حِذْرَكُمْ — فِي الدَّهْرِ مِنْ حَبْرٍ وَدَيَّانِ [(١)]

وغير ذلك من الأبيات التي تقدم بعضها .

**رؤساء المجوس وغيرهم من أرباب النحل :**

عرض هؤلاء على الخبر أولاً ، ثم على الحك ثانيا ؛ فرآهم ينكرون النبوات ، ويبيحون وطء البنات ، ويسجدون للشمس ، ويقترفون ما تأباه الشرائع والعقول من الترهات ، فوصف ما علم وما رأى منهم في أبيات تقدم بعضها منها قوله :

أَقَرُّوا بِالإِلَٰهِ وَأَثْبَتُوهُ — وَقَالُوا لاَ نَبِيَّ وَلاَ كِتَابُ [(٢)]

وَوَطْءُ بَنَاتِنَا حِلٌّ مُبَاحٌ — رُوَيْدَكُمُ فَقَدْ بَطَلَ العِتَابُ

. . .

---

(١) انظر ماسبق ص ١٤٠٦ .

(٢) تمامها : تمادوا في الضلال ولم يتوبوا — ولو سمعوا صليل السيف تابوا
وقد ذهب طه حسين والأبياري في الجزء الأول من شرحهما اللزوميات إلى أن أبا العلاء يشير بهذين البيتين إلى ما عليه غلاة الخوارج من انكار النبوات والكتب السماوية ...الخ
وذهب الدكتور عبد الوهاب عزام إلى أن المعري يشير بها إلى الباطنية ووجه كلام طه حسين والأبياري إلى أنهما يريدان بالخوارج الخارجين على الدين لا الفرقة المعروفة . أما المؤلف فقد ترجح لديه أن المعري يعني المجوس ( انظر ما جاء أعلاه وما سبق ص ١٣٩٩ ) .
وللاستاذ محمد أحمد دهمان رأي وجيه في هذين البيتين ( مجلة المجمع العلمي العربي ج ٢ المجلد ٣١ ص ٣٤١ سنة ١٩٥٦ ) خلاصته أن المعري يريد أن يقول في البيت الأول إن هؤلاء يقرون بالإله ويعتقدون أن « لا نبي بعد نبينا ولا كتاب مع قرآننا » ولكنهم يجيزون مع ذلك وطء البنت إذا ولدت من سفاح لأنها في هذه الحالة غريبة عن أبيها فيحل له التزوج بها ، على خلاف فقهاء آخرين كثيرين يرون أن وطء الأمهات يحرم البنات مهما يكن شكل الوطء حلالاً أو حراما .
وأشار الأستاذ دهمان إلى أن الزمخشري يعني في قصيدة له أن الذين يأخذون بهذا الرأي هم فريق من الشافعية حيث يقول :

وإن شافعياً قلت قالوا بأنني — أبيح نكاح البنت والبنت تحرم

سَأَلْنَا مَجُوساً عَنْ حَقِيقَةِ دِينِهَا فَقَالوا نَعَمْ لا نَنْكِحُ الأَخَواتِ[١]

إلى غير ذلك مما قدمنا بعضاً منه ، وأغفلنا بعضاً آخر .

التجار :

وتقصّى أحوال التجار ، وجرب ما جُرب من أعمالهم ؟ وأضاف إلى ذلك ما سمع ، فاتضح له أنهم قطاع طريق يسلبون الناس أموالهم في الأسواق ، ويشاركهم في ذلك العدول الذين يسلبون أموال الناس في المساجد فقال :

يَا تَاجِرَ الِمصْرِ مَا أَنْصَفْتَ سَائِمَةً كَذَبْتَ بِهَا فِي حَدِيثٍ مِنْكَ مَنْسُوقِ[٢]

إنْ تَشْكُ قَطْعَ طَرِيقٍ بِالفَلاَةِ فَكَمْ قَطَعْتَ مِنْ قَبْلُ طُرْقَ النَّاسِ فِي السُّوقِ

. . .

فِي البَدْوِ خُرَّابُ أَذْوَادٍ مُسَوَّمَةٍ وَفِي الجَوَامِعِ والأَسْوَاقِ خُرَّابُ[٣]

فَهَؤُلاءِ تَسَمَّوْا بِالعُدُولِ أَوِ التُّـ ـجَّارِ وَاسْمُ أُولاَكَ القَوْمِ أَعْرَابُ

ثم ما زال يعترض الناس صنفاً صنفا ، حتى انتهى وخرج من ذلك وهو مملوء الوطاب من معرفة الناس وما تكنه صدورهم من شر وغش ومكر وغل وما شاكل ذلك من النقص .

وكان خلال عمله هذا ينقش عن صفات الكمال والسجايا الفاضلة لعله يجد لها أثرا . وظاهر كلامه يدل على أنه لم يعثر لها على أثر ، فحكم

---

(١) انظر ماسبق ص ١٣٩٩ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٣٠٧ .

(٣) اللزوميات هـ ص ٣٣ .

على الناس أحكاماً عامة ، لم يختص بها صنفاً واحداً ولا طبقة معينة . ويمكن أن نستنبط منها أن السجايا الفاضلة والخلال الكاملة ليس في الناس منها إلا الاسم . وإليك شيئاً مما قاله :

## الأحكام العامة على الناس :

أجهد أبو العلاء نفسه كثيراً ليرى في الناس من يتصف بصفة يستحق أن يحمد عليها فلم يجد ، ولكنه رأى من أضداد ذلك كثيرا .

**بحث ونقب وفتش وتلو فلم يجد وليًّا لله :**

لاَ يَكْذِبَنَّ امْرُؤٌ جَهُولٌ    مَا فِيكَ لِلهِ أَوْلِيَاءُ[1]

**ولا تقيا :**

فَصَمْتاً إِنْ أَرَدْتُمْ أَوْ مَقَالاً    فَمَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا تَقِيُّ[2]

**بل كلهم أشقياء :**

إِذَا قَضَى اللهُ بِالْمَخَازِي    فَكُلُّ أَهْلِيكِ أَشْقِيَاءُ[3]

**ولا زاهدا :**

لَعَمْرُكَ مَا فِي عَالَمِ الأَرْضِ زَاهِدٌ    يَقِيناً وَلا الرُّهْبَانُ أَهْلُ الصَّوَامِعِ[4]

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٢ .

(٢) » » ص ٣٤٣ .

(٣) » » ص ٢٢ .

(٤) » » ص ٢٨٧ .

ولا غنيا بل كلهم فقراء :

مَا فِي بَنِي آدَمٍ غَنِــيٌّ   بَلْ كُلُّهُمْ مُعْدِمٌ فَقِــيرُ(١)

. . . .

وَجدْتُ النَّاسَ كُلُّهُمُ فَقِيرٌ   وَيُعْدَمُ فِي الأنَامِ الأغْنِيَاءُ(٢)

ولا كريماً :

وَيُقَالُ الكِرَامُ قَوْلاً وَمَا فِي الـــدَّهْرِ إلاَّ الشُّخُوصُ والأسْمَاءُ(٣)

وإنما هم بخلاء :

عِشْ بَخِيلاً كَأَهْلِ عَصْرِكَ هَذَا   وَتَبَالَهْ فَإنَّ دَهْرَكَ أبْلَهْ(٤)

ولا وفياً :

والغَــدْرُ فِي الآدَمِيِّ طَبْعٌ   فَاحْتَرِزِي قَبْلَ أنْ تَنَامِي(٥)

ولا يكون الإنسان وفياً فكل :

مَنِ ادَّعَى أنَّهُ وَفِيٌّ   فَلْيَنْتَسِبْ فِي سِوَى الأنَامِ(٦)

وكلهم ظالم :

وَكُلُّ حَيٍّ فَوْقَهَا ظَالِمٌ   وَمَا بِهَا أظْلَمُ مِنْ نَاسِهَا(٧)

---

(١) لم نعثر على هذا البيت في الراء المضمومة مع القاف . وقد ورد في الميم مع الدال وروايته : « . . . بل كلهم مقتر عديم » انظر اللزوميات ص ١٣٤ .

(٢) انظر ما سبق ص ١٢٠٤ .

(٣) « « ص ١٢٠٤ .

(٤) اللزوميات ص ٢٠٩ .

(٥) « « ص ٢٥١ .

(٦) المصدر السابق .

(٧) اللزوميات ص ٣٢٤ .

وليس فيهم طاهر :

وَكَذَاكَ يُدْعَى طَاهِراً مَنْ كُلُّهُ نَجَسٌ وَيُفْقَدُ فِي الأَنَامِ الطَّاهِرُ[(١)]

ولا حر وإنما :

نُطَالِبُ الدَّهْرَ بِالأَحْرَارِ وَهْوَ لَنَا مُبِينُ عُذْرَيْنِ إِفْلاَسٍ وَتَفْلِيسِ[(٢)]

ولا صادق وإنما :

جَرَى المَيْنُ فِيهِمْ كَابِراً بَعْدَ كَابِرٍ عَنِ الخُبْرِ يَحْكِي لاَ عَنِ السَّلَفِ الحِبْرُ[(٣)]

. . .

غَلَبَ المَيْنُ مُنْذُ كَانَ عَلَى الخَلْـــقِ وَمَاتَتْ بِغَيْظِهَا الحُكَمَاءُ[(٤)]

. . .

وَمِنَ البَلِيَّةِ أَنْ يُسَمَّى صَادِقاً مَنْ وَصْفُهُ الأَوْلَى كَذُوبٌ فَارِ[(٥)]

. . .

وشأنهم النفاق :

أُنَافِقُ فِي الحَيَاةِ كَفِعْلِ غَيْرِي وَكُلُّ النَّاسِ شَأْنُهُمُ النِّفَاقُ[(٦)]

. . .

إِنَّمَا عِشْرَةُ الأَنَامِ نِفَــاقٌ وَتَبَاهٍ فِي بَاطِلٍ وَتَجَــازِ[(٧)]

---

(١) اللزوميات ٥ ص ١٢٧ .

(٢) « « ص ٣٠٠ .

(٣) « « ص ١١٨ .

(٤) « « ص ٢٤ .

(٥) « « ص ١٦٢ ، وفار : اسم فاعل من فرق الكذب أي اختلقه .

(٦) « « ص ٣٠٠ .

(٧) « « ص ١٧٥ .

ودينهم رياء :

أُرَائِيكَ فَلْيَغْفِرْ لِيَ اللهُ زَلَّتي ... بِذَاكَ وَدِينُ العَالَمِينَ رِيَاءُ[1]

وليس فيهم بر :

وَمِنْ شِيَمِ الإِنْسِ العُقُوقُ وجَاهِلٌ ... مُحَاوِلُ بِرٍّ عِنْدَ مَنْ أَكَلَ البُرَّا[2]

ولا فاضل :

وأَعْوَزَتِ الفَضِيلَةُ كُلَّ حَيٍّ ... فَمَا هُوَ غَيْرُ دَعْوَى وانْتِحَالِ[3]

. . .

وَخِلُّكَ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ ... وَمَا في الوَرَى كُلِّهِمْ فَاضِلُ[4]

. . .

ولا جيِّد :

قَالُوا فُلانٌ جَيِّدٌ فَأَجَبْتُهُمْ ... لا يَكْذِبُوا مَا في البَرِيَّةِ جَيِّدُ[5]

فَأَمِيرُهُمْ نَالَ الإِمَارَةَ بِالخَنَا ... وَتَقِيُّهُمْ بِصَلاتِهِ يَتَصَيَّدُ

ولا ناصح وإنما هم :

يَجُرُّونَ الذُّيولَ على المَخَازِي ... وَقَدْ مُلِئَتْ مِنَ الغِشِّ الجُيُوبُ[6]

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢١ .
(٢) « « ص ١٣٢ . والبر : بضم الباء الحنطة .
(٣) « « ص ٢١٧ .
(٤) « « ص ٢٠٣ .
(٥) « « ص ٩٧ وفيها : « متصيد » .
(٦) « « ص ٣٥ .

ولا محسن عادل مصلح :

جُرْ يا غُرابُ وأَفْسِدْ لن تَرى أحداً     إلاَّ مُسِيئاً وأيُّ الخلقِ لمْ يَجُرِ [1]

ولا مهتد :

لَقَدْ ضَلَّ حِلْمُ النّاسِ مِنْ عَهْدِ آدَمٍ     فَهَلْ هُوَ مِنْ ذاكَ الضَّلالِ نَشِيدُ [2]

ولا من يختار لخير :

آلَيْتُ مَا في جِيلِنَا أَحَدٌ     يُخْتَارُ لا زَيْدٌ ولاَ عَمْرُو [3]

ولا جاز على الحسنى ولا شكور على النعمى :

وَمَا فِيكُمْ عَلى الإِحْسَانِ جَازٍ     وَلاَ مِنْكُمْ عَلى النُّعْمَى شَكُورُ [4]

ولا خليل صادق في خلته وقد :

ضَلَّ امْرُؤٌ قَالَ خِلِّي أَسْتَعِينُ بِهِ     وَأَيُّ خِلٍّ نَأَى عَنْ وُدِّهِ خَلَلُ [5]

• • •

وَمَا عَاشَرْتَ في الدُّنْيَا خَلِيلاً     يُرِيكَ مَوَدَّةً إلاَّ لِقَمْرِ [6]

ولا نقي العرض :

نَقَاءُ لِبَاسِنَا فِيهَا كَثِيرٌ     وَلَيْسَ لأَهْلِهَا عِرْضٌ نَقِيُّ [7]

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ١٠٢ .
(٢) « « ص ٩١ .
(٣) « « ص ١٣٢.
(٤) « « ص ١٢٥ .
(٥) « « ص ١٩٦ ، والخلل : الفساد .
(٦) « « ص ١٥٣ ، والقمر : الغلبة في المراهنة واللعب بالقمار .
(٧) « « ص ٢١٣ .

ولا من يستحق المدح :

وَسَكْنُ الأرْضِ كُلُّهُمُ ذَمِيمٌ  صَرِيحُهُمُ الْمُهَذَّبُ والسَّبِيُّ[١]

ولا ماجد :

وَالمَجْدُ لِلّهِ لاَ خَلْقٌ يُشَارِكُهُ  وَآلُ حَوَّاءَ مَا طَابُوا وَلاَ مَجُدُوا[٢]

. . .

فَلاَ تُقِرَّ بِمَجْدٍ لامْرِىءٍ أبَداً  إنْ كُنْتَ بِاللّهِ رَبِّ النَّيِّرَاتِ تُقِرُّ[٣]

ولا مؤمن حقا :

تَعَلَّمَ الكُفْرَ أوَّلُهُمْ وآخِرُهُمْ  فَكُلُّ أرْضٍ بِهَا جَمْعٌ وَمِدْرَاسُ[٤]

ولا أهل تأنس :

أنَا جَاهِلٌ إلاَّ بِأمْرٍ وَاحِدٍ  مَا عَالَمِي هَذَا بِأهْلِ تَأنُّسِ[٥]

ولا خليل موافق :

فُؤَادُكَ خَفَّاقٌ وَبَرْقُكَ خَافِقٌ  وَأعْيَاكَ فِي الدُّنْيَا خَلِيلٌ مُوَافِقُ[٦]

بل لا يمكن أن يظفر بخليل موافق :

وَمَا تُحْسِنُ الأيَّامُ أنْ تَرْزُقَ الفَتَى  وَإنْ كَانَ ذَا حَظٍّ صَدِيقاً يُوَافِقُهْ[٧]

---

(١) اللزوميات ه ص ٣٤٣ ، والسكن : بسكون الكاف ، السكان .
(٢) « « ص ٩٣ .
(٣) « « ص ١٦٧ .
(٤) « « ص ٢٩٤ ، وجمع : المزدلفة من مناسك الحج . للدراس : للوضع يقرأ فيه القرآن ومنه مدراس اليهود .
(٥) « « ص ٣٠٣ .
(٦) « « ص ٢٩٩ .
(٧) المصدر السابق .

وكلهم خسيس :

وَمَا حَمْدِي لِآدَمَ أَوْ بَنِيهِ    وَأَشْهَدُ أَنَّ كُلَّهُمُ خَسِيسُ(١)

وحقود ماكر :

عَرَفْتُكُمُ بَنِي حَوَّاءَ قِدْماً    فَكُلُّكُمُ أَخُو ضِغْنٍ مَكُورُ(٢)

وسفيه :

نُضْحِي وَنُمْسِي كَبَنِي آدَمٍ    وَمَا عَلَى الغَبْرَاءِ إِلاَّ سَفِيهْ(٣)

وخائن :

وَكُلُّ مَنْ فَوْقَ الثَّرَى خَائِنٌ    حَتَّى عُدُولُ المِصْرِ مِثْلُ اللُّصُوصْ(٤)

وليس فيهم رابح :

مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ إِلا خَاسِرٌ    فَإِلَيْهِمُ رَجَعَ القَبِيحُ وَحَاقَا(٥)

ولا خير :

فَمَا فِيكُمُ مِنْ خَيِّرٍ يُدَّعَى بِهِ    يُفَرِّجُ عَنِّي بِالمَضِيقِ المَسَالِكَا(٦)

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٩٤.
(٢) « « ص ١٢٥ .
(٣) « « ص ٣٤١ .
(٤) « « ص ٢٨٨ .
(٥) « « ص ٣٠٥ . وحاق به : أحاط .
(٦) اللزوميات هـ ص ١٨٥ .

ولا رشيد :

إلى اللهِ أشكو مُهْجَةً لا تُطِيعُني وعَالَمَ سوءٍ لَيْسَ فِيهِ رَشِيدُ[١]

وقد لخص ما رآه من أحوالهم بعد الاختبار بأبيات منها قوله :

لَوْ نَطَقَ الدَّهْرُ في تَصَرُّفِهِ لَعَدَّنا كُلَّنَا مِنَ التَّفَثِ[٢]

وقوله :

لَوْ غُرْبِلَ النَّاسُ كَيْما يَعْدَمُوا سَقَطاً لَمَا تَحَصَّلَ شَيْءٌ في الغَرَابِيلِ[٣]

ولما يئس من الظفر بالإنسان الكامل في الأحياء بعد الجهد والتنقيب، التمسه في الأموات، وعرض أعمالهم على الاختبار كما فعل بالأحياء. فرأى الناس متساوين في الشيم، وإن كانوا متفاوتين في الزمن. وفي كلامه أبيات تدل على أن جبلة البشر واحدة، وخلائقهم متقاربة أو متحدة، منها قوله :

مَا كَانَ في هَذِهِ الدُّنْيا أخو رَشَدٍ وَلاَ يَكُونُ وَلاَ في الدَّهْرِ إحْسَانُ[٤]

. . .

مَا كَانَ في الأرْضِ مِنْ خَيْرٍ ولا كَرَمٍ فَضَلَّ مَنْ قَالَ إنَّ الأكْرَمِينَ فَنُوا[٥]

. . .

---

(١) اللزوميات هـ ص ٩١ .

(٢) الأبيات :

لو نطق . . .

قال لنا إنني أحج إلى الـــله وأتم من البح الرفث

هنئكم مرة على غلط مني فهل تعذرون في النفث

والتفث : ما كان من نحو قص الأظفار والشارب وحلق الرأس وغير ذلك من المناسك . اللزوميات هـ ص ٧٢ .

(٣) اللزوميات هـ ص ٢١٦ .

(٤) « « ص ٢٦١ .

(٥) المصدر السابق .

وَأَحْلِفُ مَا الدُّنْيَا بِدَارِ كَرَامَةٍ     وَلاَ عَمَرَتْ مِنْ أَهْلِهَا بِكَرِيمِ [١]

. . .

بَنِي الأَرْضِ مَا فَوْقَ التُّرَابِ مُوَفَّقٌ     لِرُشْدٍ وَلاَ تَحْتَ التُّرَابِ سِوَى فَسْلِ [٢]

. . .

نُحُسُ الحَيَاةِ عَلَى الأَحياءِ مُشْتَمِلٌ     وَسَاكِنُو الأَرْضِ مِنْ لُؤْمٍ بِلاَ كَرَمِ [٣]

. . .

وَلَمْ يَأْتِ فِي الدُّنْيَا القَدِيمَةِ مُنْصِفٌ     وَلاَ هُوَ آتٍ بَلْ تَظَالَمُ المُنَاجِزُمُ [٤]

. . .

هَلْ سَارَ فِي النَّاسِ أَوَّلٌ بِتُقًى     فَيَتْبَعَ النَّاسُ بَعْدَهُ سِيرَهُ [٥]

. . .

## محاولة إصلاح الناس وإخفاقه فيها :

لما عجز عن العثور على ذلك الإنسان المفقود في الأموات ، ويئس من الظفر به في الأحياء ، فكر هل يمكن أن يعالج هذا الإنسان الموجود فيقوّم أوده ، ويصلح فاسده ، حتى يكون إنساناً كاملاً حسبما تقتضيه الإنسانية ؟ ثم حاول ذلك كما قال :

---

(١) اللزوميات ه ص ٢٤٦ .

(٢) « « ص ٢١٠ وفيها :

« بني الأرض ما تحت التراب موفق     لرشد ولا فوق التراب سوى فسل »

(٣) اللزوميات ه ص ٢٤٧ .

(٤) اللزوميات ه ص ٢٢٨ .

(٥) « « ص ١٤٤ .

أُحَاوِلُ مِنْ بَنِي الدُّنيَا صَلاَحاً ‏ ‏ ‏ ‏ وَتَأْبَى أَنْ تُجِيبَ نُفُوسُ غُثْرِ (١)

ثم تذكر أن الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ لم يألوا جهداً في النصح والإرشاد والتهذيب ؛ فتمرد عليهم فريق من الناس ، وناهضهم فريق آخر ، واتبعتهم طائفة من أممهم في حياتهم . فلما لحقوا بالرفيق الأعلى ، فرق أتباعهم دينهم ، وصاروا شيعاً ، وغيروا وبدلوا وتأولوا ؛ ثم تنازعوا واقتتلوا ، حتى آل أمرهم إلى الدمار والبوار . وهذا ما أراده بقوله :

أُمُورٌ تَسْتَخِفُّ بِهَا حُلُومٌ ‏ ‏ ‏ ‏ وَمَا يَدْرِي الفَتَى لِمَنِ الثُّبُورُ (٢)

كِتَابُ مُحَمَّدٍ وكِتَابُ مُوسَى ‏ ‏ ‏ ‏ وَإِنْجِيلُ ابْنِ مَرْيَمَ والزَّبُورُ

نَهَتْ أُمَماً فَمَا قَبِلَتْ وَبَارَتْ ‏ ‏ ‏ ‏ نَصِيحَتُهَا فَكُلُّ القَوْمِ بُورُ

### أسباب اخفاقه في محاولته :

فلما بلغ إلى هذا الحد من العجز والقنوط ، أخذ يبحث عن الأسباب التي حملت الإنسان على اجتناب كل خير ، واقتراف كل شر ، ومخالفة الناصح الصادق ، واتباع الغاش الكاذب . فأرشده البحث إلى أن الإنسان مصوغ من طينة سيئة ؛ وأن جبلته فاسدة في أصل التركيب ، وليس الفساد فيه أمراً طارئاً ؛ ومن فطر على شيء تعسر أو تعذر انسلاخه عنه . وكانت محاولة إصلاحه نوعاً من الضلال وطلباً للمحال . وإذا أصلح يوماً عاد إلى طبيعته ، لأن كل إنسان راجع إلى شيمته ، وإن تخلق بغيرها حيناً من الدهر . وإليك جملة من كلامه في ذلك :

---

(١) اللزوميات ح ص ١٥٤ وغثر : جمع أغثر ، الأحمق والجاهل وسفلة الناس (ج)

(٢) « « ص ١٢٥ ، وبور : أي هلكى .

وَنَحْنُ فِي عَالَمٍ صِيغَتْ أَوَائِلُهُ عَلَى الفَسَادِ فَفِي قَوْلُنَا فَسَدُوا[١]

. . .

وَأَرَى المَعَاشِرَ فِي غَرَائِزِهِمْ سُوءُ الطِّبَاعِ الخَتْلُ وَالقَمْرُ[٢]

. . .

سَجَايَا كُلُّهَا غَدْرٌ وَخُبْثٌ تَوَارَثَهَا أُنَاسٌ عَنْ أُنَاسِ[٣]

. . .

فِي طَبْعِنَا الزَّيْغُ وَالفَسَادُ وَهَـذَا اللَّيْلُ طَبْعٌ لِجُنْحِهِ الخَدَرُ[٤]

. . .

جِبِلَّةٌ بِالفَسَادِ وَاشِجَـةٌ إِنْ لَامَهَا المَرْءُ لَامَ جَابِلَهَا[٥]

. . .

وَجِبِلَّةُ النَّاسِ الفَسَادُ فَضَلَّ مَنْ يَسْعَى بِحِكْمَتِهِ إِلَى تَهْذِيبِهَا[٦]

. . .

وَمِنَ الرَّزِيَّةِ أَنْ تَبِيتَ مُكَلَّفاً إِصْلَاحَ مَنْ صَحِبَ الغَرِيزَةَ فَاسِدَا[٧]

. . .

---

(١) اللزوميات هـ ص ٩٢ .

(٢) « « ص ١٣٢ .

(٣) « « ص ٣٠٢ .

(٤) « « ص ١٣٥ وقبلها : « لو أصلانا الزيغ . . . » . والجنح من الليل : الطائفة . والخدر : ظلمة الليل .

(٥) اللزوميات هـ ص ٢٠٩ .

(٦) « « ص ٥١ وقبلها : « . . . فضل من يسمو بحكمته . . . » .

(٧) « « ص ١٠٤ .

وكيفَ يَطلُبُ عدلاً من غريزتُهُ   تولّدُ الظُّلمِ تثميراً وتفريعا [1]

. . .

لم يَقدرِ اللهُ تهذيباً لِعالَمِنا   فلا تَرومَنَّ لِلأقوامِ تهذيبا [2]

. . .

والنّاسُ لا يَصلُحونَ ما طلعتْ   شمسٌ وما أرسلَ الدُّجى سُدَلَه [3]

. . .

وَغضِبنَا مِنْ قولِ زاعمِ حقٍّ   أنّنـا في أُصولِنا لُؤَماءُ [4]

. . .

حُكمٌ جرَى للمَليكِ فِينا   ونحنُ في الأصلِ أغبياءُ [5]

## تفاوت الناس وتساويهم

في كلام أبي العلاء صور مختلفة ، تدل بمجموعها على أنه لا يعتقد أن البشر متساوون في كل شيء ، ولا متفاوتون في كل شيء . وقد توهم بعض الأدباء أن في كلامه شيئاً من التناقض . والذي يظهر لمن أمعن النظر فيه ، أنه حكم عليهم بالتساوي في مواطن يرجع أكثرها إلى سوء الغريزة ، ومساوىء الأخلاق ، والصفات الدنيئة ، والأعمال الذميمة . كما حكم عليهم بذلك بالنسبة إلى جريان القضاء عليهم ، وبالنسبة إلى ما يؤول إليه أمر

(١) اللزوميات ح ٢ ص ٢٨٦ .
(٢) « « ص ٤١ .
(٣) « « ص ٢٠٨ .
(٤) « « ص ٢٤ .
(٥) « « ص ٢٢ .

كل منهم بعد الحياة ، ونحو ذلك . وحكم عليهم بالتفاوت في مواطن أخرى ؟ وأنه نظر إلى الغالب من أحوالهم فحكم عليهم جميعاً بما حكم .

وأما المواطن التي حكم عليهم فيها بالتفاوت ففي مثل قوله :

مُلَّ الْمُقَامُ فَكَمْ أُعَاشِرُ أُمَّةً أَمَرَتْ بِغَيْرِ صَلاَحِهَا أُمَرَاؤُهَا[١]

وقوله :

رُئِسَ النَّاسُ بِالدَّهَاءِ فَمَا يَنْـ ـفَكُّ جِيلٌ يَنْقَادُ طَوْعَ دُهَاتِهْ[٢]

وقوله :

مِنْ أَنْكَرِ النُّكْرِ سُودَانٌ شَرَاحِيَةٌ يَكُونُ أَبْنَاؤُهَا بِيضاً تَنَابِيلا[٣]

وقوله :

أَفْضَلُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ صَخْرَةٌ لاَ تَظْلِمُ النَّاسَ وَلاَ تَكْذِبُ[٤]

وقوله :

وَقَدْ يُرْزَقُ الْمَجْدُودُ أَقْوَاتَ أُمَّةٍ وَيُحْرَمُ قُوتاً وَاحِدٌ وَهْوَ أَحْوَجُ[٥]

---

(١) اللزوميات ٥ ص ٢٣ .

(٢) » » ص ٧٠ .

(٣) » » ص ٢٠٥ ، وفيها : « تكون . . . » والشرحي والشرحي : الطويل ، والتنابل : مفردها تنبال وهو القصير .

(٤) اللزوميات ١ ص ٣٦ .

(٥) » » ص ٧٣ .

وقوله :

اِثْنَانِ أَهْلُ الأَرْضِ ذُو عَقْلٍ بِلاَ ... دِينٍ وآخَرُ دَيِّنٌ لاَ عَقْلَ لَهْ (١)

وقوله :

فَأَوْدِعَنْ فَاتِكاً حَصَاةً ... وَأَوْدِعَنْ نَاسِكاً جُمَانَهْ (٢)

وقوله :

وَعَالَمٌ فِيهِ أَضْدَادٌ مُقَابِلَةٌ ... غِنًى وَفَقْرٌ وَمَكْرُوبٌ وَمَقْرُورُ (٣)

فقد جعل الناس في هذه الأبيات أصنافاً متفاوتة بين رعاة ورعية ، ورؤساء ومرؤوسين ، وسود وبيض ، وطوال وتنابيل ، وأفضل ومفضول ، وظالم ومظلوم ، ومجدود ومحدود ، وعاقل ومجنون ، وفاتك وناسك ، وغني وفقير . . . وهكذا سبيله فيما يشبه هذه الأبيات .

وأما المواطن التي حكم عليهم فيها بالتساوي ففي مثل قوله :

لاَ يَفْخَرَنَّ الهَاشِمِيُّ عَلَى امْرِئٍ مِنْ آلِ بَرْبَرْ (٤)

فَالحَقُّ يَحْلِفُ مَا عَلِيٌّ عِنْدَهُ إلاَّ كَقَنْبَرْ

وقوله :

وَلَقَدْ تَشَابَهَ فِي الظَّوَاهِرِ مَوْلِدٌ ... حِلُّ النِّكَاحِ وَمَوْلِدٌ بِعِهَارِ (٥)

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢٠٦ .

(٢) « « ص ٢٦٧ .

(٣) « « ص ١٢٣ .

(٤) « « ص ١٦٨ وعلي : هو علي بن أبي طالب ـ رض ـ . وقنبر : مولى علي بن أبي طالب ـ رض ـ .

(٥) اللزوميات ﻫ ص ١٦٠ .

وقوله :

فَلاَ تَعذُلِينَا كُلُّنَا ابنُ لَئِيمَةٍ وَهَل تَعذُبُ الأثمارُ إن لُؤمَ الغَرسُ[١]

وقوله :

تَفَرَّعَ النَّاسُ عن أصلٍ بهِ دَرَنٌ فالعالَمُونَ إذا مَيَّزتَهُم شَرَعُ[٢]

وَالجَدُّ آدَمُ وَالمَثوَى أدِيمُ ثَرًى وَإن تَخالَفَتِ الأهوَاءُ والشِّرَعُ

وقوله :

والنَّاسُ ضَأنٌ تَساوَت في غَرائِزِهَا يُلقَونَ بِالأرضِ كَفًّا كُلُّهَا افتَرَعُوا[٣]

وقوله :

إن مَازَتِ النَّاسَ أخلاقٌ يُعاشُ بِها فإنَّهُم عِندَ سُوءِ الطَّبعِ أسواءُ[٤]

وقوله :

وَيَا بِلاداً مَشَى عَلَيهَا أولُو افتِقَارٍ وأغنِيَاءُ[٥]

إذَا قَضَى اللهُ بِالمَخَازِي فَكُلُّ أهلِيكِ أشقِيَاءُ

وقوله :

مَا بَينَ مُوسَى ولاَ فِرعَونَ تَفرِقَةٌ عِندَ المَنُونِ بِإكبَارٍ وَإصغَارِ[٦]

---

(١) اللزوميات ٥ ص ٣٠٩ .

(٢) » » ص ٢٨٣ . وشرع في البيت الأول : محركة : أي سواء . والشرع في الثاني : طرقها شرعة وهي المستقيم من المذاهب .

(٣) اللزوميات ٥ ص ٢٨٢ .

(٤) » » ص ٢١ ، وأسواء : جمع سواء .

(٥) » » ص ٢٢ .

(٦) » » ص ١٥٢ .

وقوله :

إذَا كَانَ هَذَا التُّرْبُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ... فَأَهْلُ الرَّزَايَا مِثْلُ أَهْلِ المَمَالِكِ[1]

فقد جعل في هذه الأبيات الفاضل والمفضول سواء عند الحق ، ومولد الحل مشابهاً لمولد العهر في الظاهر ، لأن الطبيعة لم تجعل فرقاً بين المولدين . وجعل الناس متساوين في لؤم الأم ، ودرن الجد ، وفي الغريزة ، وسوء الطبع ، وفي الشقاء ، وإن تفاوتوا في الفقر والغنى ، وجعل البَرّ التقي مساوياً للكافر في أمر الموت . كما جعل أهل الرزايا مساوين لأهل الممالك في المصير إلى التراب . وعلى هذا النمط يتمشى من أقواله ما يشبه هذه .

وصفوة القول انه لم يجعل الناس متساوين في كل شيء ، ولا متباينين في كل شيء . وإنما جعل لكل واحد منها موضعاً بحسب اجتهاده واعتقاده .

وهذه طائفة لطيفة من أقواله ، بيّن فيها بعض المواطن التي يتساوى فيها الناس ، أو يشبه بعضهم بعضاً فيها أو يقاربه :

وَسَاوِ لَدَيْكَ أَتْرَابَ النَّصَارَى ... وَعِيناً مِنْ يَهُودَ وَمُسْلِمَاتِ[2]

وَمَنْ جَاوَرْتَ مِنْ حُنُفٍ وَسِرْبٍ ... صَوَابِيءِ فَلْيَبِتْنَ مُكَرَّمَاتِ

فَإِنَّ النَّاسَ كُلَّهُمُ سَوَاءٌ ... وَإِنْ ذَكَتِ الحُرُوبُ مُضَرَّمَاتِ

. . .

(١) اللزوميات ﻫ ص ١٨٨ .

(٢) « « ص ٦٩ وفيها : « . . . صوابيء فليبنَّ مكرمات » .

لا أستقيلُ زَماني عثرةً أبداً — ماشاءَ فليأتِ إنّ الشهدَ كالصابِ [١]

. . .

وَما العلماءُ والجهالُ إلاّ — قريبٌ حينَ تنظرُ مِن قريبِ [٢]

. . .

لاَ تبدأوني بالعَداوةِ منكمُ — فمسيحُكمْ عندي نظيرُ محمّدِ [٣]

. . .

قدْ ترامتْ إلى الفسادِ البرايا — واستوتْ في الضّلالةِ الأديانُ [٤]

. . .

وَسِيّانِ مَلْكا مَعشرٍ في سَناهُما — وَعِلْجانِ في الشّعراءِ والعَلَجانِ [٥]

. . .

وَالندبُ في حُكمِ الهِدانِ وَذو الصِّبا — كأخي النهى والذِّمرُ كالعوّارِ [٦]

. . .

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٤٨ .

(٢) « « ص ٥٥ .

(٣) انظر ما سبق ص ١٤١٥ .

(٤) « « « ص ١٣٦٧ .

(٥) اللزوميات ﻫ ص ٢٧٥ ، وعلجان : مفردها العلج وهو العير وحمار الوحش . والشعراء : الشجر الكثير . والعلجان : بفتح العين واللام نبت .

(٦) اللزوميات ﻫ ص ١٥٩ ، والندب من الرجال : الخفيف الماضي في الحاجة . والهدان : الرجل الضعيف . والذمر : الشجاع . والعوار : الجبان .

لاَ ذُكُورٌ وَلاَ إِنَاثٌ مِنَ العَا ... لَمِ يُهْدَى لِلرُّشْدِ بِالتَّذْكِيرِ (١)

. . .

مَسَاجِدُكُمْ وَمَوَاخِيرُكُمْ ... سَوَاءٌ فَبُعْداً لَكُمْ مِنْ بَشَرْ (٢)

وَمَا أَنْتُمُ بِالنَّبَاتِ الحَمِيدِ ... وَلاَ بِالنَّخِيلِ وَلاَ بِالعُشَرْ

. . .

ظُلْمُ الحَمَامَةِ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ حُسِبَتْ ... فِي الصَّالِحَاتِ كَظُلْمِ الصَّقْرِ وَالبَازِي (٣)

. . .

كُنْ مِنَ التُّرْكِ أَوْ مِنَ الرُّومِ أَوْ سَا ... بِحَ أَوْ فَارِسٍ أَوِ الإِنْجَازِ (٤)

صُورَةٌ خُبِّرَتْ بِأَنَّكَ تَجْنُبُو ... لٌ عَلَى الشَّرِّ وَالْمُهَيْمِنُ خَازِ

وَاخْتِلاَفٌ مِنْ مَنْصِبٍ وَبِلاَدٍ ... وَاتِّفَاقٌ عَلَى رِضًى بِالمَخَازِي

## ماذا كانت النتيجة بعد اليأس من الإصلاح :

لما انتهى به البحث إلى اليأس من إصلاح الناس ، والقنوط من صلاحهم لما أسلفنا ذكره من الأسباب والعلل ، انهال عليهم بضروب من اللوم ، ونعتهم بنعوت مختلفة من الخسة واللؤم ، وأتى في أضعاف كلامه بصورة رائعة ، فتارة يشك في وجود الطاهر فيهم ، وتارة يجزم بعدمه ، وأحياناً يعدّهم من الأدناس والتفث ، وأحياناً من الأقذار . ويتمثل ذلك في قوله :

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ١٦٧ .

(٢) « « ص ١٧٠ . والعشر : شجر له صمغ وهو من العضاه .

(٣) « « ص ١٧٤ .

(٤) « « ص ١٧٥ . وفيها : « ... من الروم أو من الترك ... » .

أَيُوجَدُ في الوَرَى نَفَرٌ طَهَارَى أَمِ الأَقوَامُ كُلُّهُمُ رُجُوسُ[1]

. . .

نَبغِي الطَّهَارَةَ في الحَيَاةِ وإنَّمَا أَجسَادُنَا جُمَلٌ مِنَ الأَدْنَاسِ[2]

. . .

إِنَّا بِعِلْمِ إِلَهِي كُلُّنَا دَنَسٌ فَكَيفَ نَخلُو مِنَ الأَقذَارِ والدَّنَسِ[3]

وفي أشباه ذلك من كلامه . ولقد كوّن هذا الإخفاق واليأس في نفسه أمرين : أحدهما يتعلق بالماضي . والثاني يتعلق بالحاضر والمستقبل .

أما الأوّل : فهو أنه تمنّى لآدم أن لم يخلق هو ولا بنوه ، لأن ذلك خير له ولهم :

خَيرٌ لآدَمَ وَالخَلْقِ الذي خَرَجُوا مِنْ ظَهْرِهِ أَنْ يَكُونُوا قَبْلُ مَا خُلِقُوا[4]

وتمنّى لحواء أن تكون عقيما ، كما تمنّى لآدم ولشيث ولأعقابه أن يثكلوا بنيهم :

فَلَيْتَ حَوّاءَ عَقِيمٌ غَدَتْ لاَ تَلِدُ النَّاسَ وَلاَ تَحْبَلُ[5]
وَلَيْتَ شِيثاً وَأَبَانَا الَّذِي جَاءَ بِنَا أَهْبَلَهُ المُهْبَلُ

---

(١) اللزوميات « ص ٢٩٤ .
(٢) « « ص ٣٠٣ .
(٣) « « ص ٣٠٠ .
(٤) « « ص ٣٠٠ .
(٥) انظر ما سبق ص ١٣٥٦ .

وتمنى أن يكون آدم طلّق حواء ، أو ظاهر منها ، لئلا تلد هؤلاء :

يَا لَيْتَ آدَمَ كَانَ طَلَّقَ أُمَّهُمْ     أَوْ كَانَ حَرَّمَهَا عَلَيْهِ ظِهَارُ[١]

وَلَدَتْهُمُ فِي غَيْرِ طُهْرٍ عَارِكاً     فَلِذَاكَ تُفْقَدُ فِيهِمُ الأَطْهَارُ

وتمنّى أن يأتي طوفان يغسل الأرض ويطهرها من البشر :

هَلْ يَغْسِلُ النَّاسَ عَنْ وَجْهِ الثَّرَى مَطَرٌ .

فَمَا بَقُوا لَمْ يُفَارِقْ وَجْهَهَا دَنَسٌ[٢]

وَالأَرْضُ لَيْسَ بِمَرْجُوٍّ طَهَارَتُهَا     إِلاَّ إِذَا زَالَ عَنْ آفَاقِهَا الأَنَسُ

. . . .

وَالأَرْضُ لِلطُّوفَانِ مُشْتَاقَةٌ[٣]     لَعَلَّهَا مِنْ دَرَنٍ تُغْسَلُ

وعلى هذا النحو تحمل أبياته الباقية التي تشتمل على مثل ما تشتمل عليه هذه الأبيات .

وأما الثاني : فهو ما يتعلق بالزواج والمرأة والنسل .

كان أبو العلاء شديد الحرص على تقويم الإنسان وتهذيبه كما ذكرنا . ولكنه رأى في سبيل ذلك عقباتٍ لا يمكن ارتقاؤها ، وصعاباً يستحيل تذليلها ؛ أقلها مغالبة الطبيعة ، ومحاربة الفطرة . ففكر ملياً فيما يصنع ، فرأى خير وسيلة لإصلاح هذا البشر إبادته ، واستئصال شأفته ، وتطهير الأرض من أدناسه . وهذا لا يتأتّى إلا بأحد أمرين : إمـا قوة تفوق

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ١٣١ ، وعركت المرأة تعرك : حاضت (ج) . والظهار : أن يقول الرجل لامرأته أنتِ عليّ كظهر أمي ، فتحرم عليه .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ٢٩٢ وفيها : « . . . فما بقوا لم يبارح وجهه دنس » .

(٣) « « ص ٢٠١ .

قوة البشر وتتغلب عليهم ؛ وهذا لا سبيل إليه ، لأنه ضعيف عاجز . وإما قطع النسل المؤدي إلى انقراض البشر ومحوه من صحيفة الوجود . وهذا أيضاً ليس بالسهل ، وإن ظن أنه سهل ؛ لأنه يتوقف على كره المرأة والنسل ، وكلاهما جبلت النفوس على حبه ؛ لأن المرأة أفضل متعة للنفوس الحيوانية وزهرة الحياة . والولد ثمرة الحياة وفلذة الكبد ، وقلما يجد الإنسان نفساً تزهد في أحدهما أو في كليهما .

ولكن أبا العلاء حاول الوصول إلى غايته هذه ، وسلك إليها سبلاً مختلفة ؛ أبان فيها عن براعة فائقة ، وعبقرية فذة ، وقدرة على التصرف في فنون القول ، وفي أساليبه الساحرة .

المرأة :

وأول ما عمد إليه من ذلك ، التحذير من المرأة ، والتنفير منها ، وتعداد مثالبها ومصائبها ، والتحذير من كيدها وفتنتها . ولقد أسرف في سوء الظن بها إلى أبعد غاية ، وافتنّ في تشبيهها بما ينفر منها ؛ فجعلها مرة أفعى في مثل قوله :

عَرُوسُكَ أَفْعَى فَهَبْ قُرْبَهَا     وَخَفْ مِنْ سَلِيلِكَ فَهْوَ الحَنَشْ [1]

. . .

وَإِنَّمَا الخَوْدُ فِي مَسَارِبِهَا     كَرُبَّةِ السُّمِّ فِي تَسَرُّبِهَا [2]

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٣٢٩ . وهب : فعل أمر من هابه أي خافه .

(٢) » » ص ٥٣ . والخود : المرأة الناعمة ، وربة السم : الأفعى .

وجعلها ثانية أسداً فاتكاً في مثل قوله :

تَوَقَّوا سَبِيلَ الغَانِيَاتِ فَإِنَّها  كَلَيْثِ الشَّرَى والطِّيبُ فِيها فُرَانِق[١]

• • •

خِدْرُ العَرُوسِ وَإِنْ كَانَتْ مُحَبَّبَةً  أَدْهَى وأَفْتَكُ مِنْ عِرِّيسَةِ الأَسَدِ[٢]

وجعلها ثالثة مضيعة للشرف في مثل قوله :

أَلاَ إِنَّ النِّسَاءَ حِبَالُ غَيٍّ  بِهِنَّ يُضَيَّعُ الشَّرَفُ التَّلِيدُ[٣]

وجعلها رابعة علم ضلال ، وفارس فتنة في مثل قوله :

فَوَارِسُ فِتْنَةٍ أَعْلاَمُ غَيٍّ  لَقِينَكَ بِالأَسَاوِرِ مُعْلَمَاتِ[٤]

وهكذا نعتها بنعوت من شأنها أن تنفر منهـا ، وتحمل على الخوف عليها ومنها .

## افراطه في الغيرة على المرأة ، سبب افراطه في سوء الظن بها :

كان أبو العلاء مفرطاً في الغيرة على المرأة ، بقدر ما كان مفرطاً في سوء الظن بها والريبة في أمرها ، لما كان يسمعه ويعلمه من حالها وحال الرجل في عصره ؛ حتى حمله ذلك على أن يعتقد أن بعض الفروض الدينية لا تجب عليها ،

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٩٩ وفيها « ... الثانيات فـكلها .. » . والفرانق : سبع يصحبه ابن آوى يقال له الوعوع يصيح بين يدي الأسد كأنه ينذر الناس به (ج)

(٢) اللزوميات هـ ص ١٠٩ . وعريسة الأسد : مأواه .

(٣) « « ص ٩٧ .

(٤) « « ص ٦٨ .

وبعض السنن لا تطلب منها ، لما يترتب على ذلك من الفتن . فهو لا يرى الحج فرضاً عليها ، حذراً من أشرار مكة فيقول :

أَقِيمِي لاَ أُعدُّ الحَجَّ فَرْضاً     عَلَى عُجُزِ النِّسَاءِ وَلاَ العَذَارَى[1]

فَفِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ شَرُّ قَوْمٍ     وَلَيْسُوا بِالحُمَاةِ وَلاَ الغَيَارَى

ويقول :

وَلَكِنْ جَاءَتِ الجَمَرَاتِ تَرْمِي     وَأَبْصَارُ الغُوَاةِ إِلَى يَدَيْهَا[2]

وَلَيْسَ مُحَمَّدٌ فِيمَا أَتَتْهُ     وَلاَ اللهُ القَدِيرُ بِمُحْمِدَيْهَا

ويرى صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد ، لخلوه من الريبة والتعرض لأهل الريبة ، فيقول :

إِذَا مَا رَامَتِ الصَّلَوَاتِ خَوْدٌ     فَكِنُّ البَيْتِ أَفْضَلُ مَسْجِدَيْهَا[2]

وليس الرجل في اعتقاده أحسن حالاً من المرأة ؛ بل هما غصنا شجرة ، وجناحا طائر ، وفرسا رهان يتباريان في الفتنة والشر ؛ فهو يخاف من الرجل على المرأة ، بقدر ما يخاف على الرجل منها ؛ لأن الطينة واحدة ، والطبع واحد ، فهي تغويه كما يغويها ، كما يشعر بذلك قوله :

إِذَا أَمِنْتَ عَلَى مَالٍ أَخاً ثِقَةٍ     فَاحْذَرْ أَخَاكَ وَلاَ تَأْمَنْ عَلَى الحُرَمِ[3]

فَالطَّبْعُ فِي كُلِّ جِيلٍ طَبْعُ مَلاَمَةٍ     وَلَيْسَ فِي الطَّبْعِ مَجْبُولٌ عَلَى الكَرَمِ

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢٨ .

(٢) » » ص ٣٣٩ .

(٣) » » ص ٢٤٩

وقوله :

إذَا بَلَغَ الوَلِيدُ لَدَيْكَ عَشْراً فَلاَ يَدْخُلْ عَلَى الحُرَمِ الوَلِيدُ[١]

فَإنْ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ نُصْحِي فَأَنْتَ وَإنْ رُزِقْتَ غِنًى بَلِيدُ

أَلاَ إنَّ النِّسَاءَ حِبَالُ غَيٍّ بِهِنَّ يُضَيَّعُ الشَّرَفُ التَّلِيدُ

وعلى هذه القاعدة نهى عن ذهابها إلى الحمام ، لأنها ربما استأذنت في الخروج إليها :

وَهَمُّهَا فِي أُمُورٍ لَوْ يُطَاوِعُهَا كِسْرَى عَلَيْهَا لَشِينَ المُلْكُ وَالتَّاجُ[٢]

وأمر بضربها إذا خرجت إلى العرّاف أو المنجم ، وأبدت زينتها حيث قال :

إذَا ابْتَكَرَتْ إلَى العَرَّافِ فَاعْرِفْ مَكَانَ عَصاً تَصُكُّ بِهَا قَرَاهَا[٣]

وَسَاوِرْهَا إذَا أَبْدَتْ سِوَاراً وَبَارِئْهَا مَتَى كَشَفَتْ بُرَاهَا

وَحَذِّرْهَا المُنَجِّمَ فَهْوَ ذِئْبٌ تُشَوِّقُهُ الضَّوَائِنُ أَنْ يَرَاهَا

فَإنْ هِيَ لَمْ تُجِبْهُ إلَى قَبِيحٍ تَحَلَّبَهَا المَنَافِعَ وَامْتَرَاهَا

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٩٧ وفيها : « فإن خالفتني وأضعت نصحي . . . »

(٢) » » ص ٧٤ .

(٣) اللزوميات ﻫ ص ٣٣٧ . ، وفي الأصل : « .. تصك به » .. وصك : ضرب ضرباً شديداً . القرى : الظهر . ساوره : واثبه . وبارأ المرأة : فارقها . والبرى : مفردها بُرَة وهو الخلخال . والضوائن : الغنم ، وامترى : الناقة : احلبها .

وآثر تعليمها الغزل والنسج ، على تعليمها القراءة والكتابة :

عَلِّمُوهُنَّ الغَزْلَ والنسْجَ والرَّدْ ... نَ وَخَلُّوا كِتَابَةً وَقِرَاءَه[1]

فَصَلاةُ الفَتَاةِ بِالحَمْدِ والإِخْـ ... ـلاصِ تُغْنِي عَنْ يُونُسٍ وَبَرَاءَه

والسبب في ذلك التشدد فيما يراه أن المرأة بطبيعتها كالسهم القاتل ، والتعليم كالسم لها ، لأنه يبصّرها بما لم تكن تراه ؛ ويدلها على ما لم تكن تعلمه من طرق الشر وأبواب الفتن . كما يشير إليه قوله :

وَلاَ تَحْمَدْ حِسَانَكَ إِنْ تَوَافَتْ ... بِأَيْدٍ لِلسُّطُورِ مُقَوِّمَاتِ[2]

فَحَمْلُ مَغَازِلِ النِّسْوَانِ أَوْلَى ... بِهِنَّ مِنَ اليَرَاعِ مُقَلَّمَاتِ

سِهَامٌ إِنْ عَرَفْنَ كِتَابَ لِسْنٍ ... رَجَعْنَ بِمَا يَسُوءُ مُسَمَّمَاتِ

وإذا لم يكن بد من تعليم الفتاة التلاوة ، فليكن تعليمها من عجوز هرمة تقية ، لا من فتاة فتنتها فتية ، ولا من رجل شاب ، أو كهل أو شيخ فيه بقية تخشى معرتها وإن كان أعمى ، لأن الطبيعة بصيرة ؛ إلا إذا بلغ من الكبر عتيًا . وهذا ما أشار إليه بقوله :

لِيَأْخُذْنَ التِّلاَوَةَ عَنْ عَجُوزٍ ... مِنَ اللاَّئِي فَغَرْنَ مُهَتَّمَاتِ[3]

يُسَبِّحْنَ المَلِيكَ بِكُلِّ جُنْحٍ ... وَيَرْكَعْنَ الضُّحَى مُتَأَثِّمَاتِ

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢٥ . والردن بسكون ثانيه : نضد المتاع ، وردنت المرأة : غزلت على المردن وهو المغزل .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ٦٩ واللسن بكسر فسكون : الكلام واللغة .

(٣) المصدر السابق . ومهتمات : من هتم فاه أي ألقى مقدم أسنانه .

فَمَا عَيْبٌ عَلَى الفَتَيَاتِ لَحْنٌ ... إِذَا قُلْنَ المُرَادَ مُتَرْجِمَاتِ

وَلاَ يُدْنَيْنَ مِنْ رَجُلٍ ضَرِيرٍ ... يُلَقِّنُهُنَّ آياً مُحْكَمَاتِ

سِوَى مَنْ كَانَ مُرْتَعِشاً يَدَاه ... وَلِمَّتُــهُ مِنَ المُتَثَغِّمَاتِ[1]

وقد أتى في هذه القصيدة التي منها هذه الأبيات بما لم يأت به غيره . ووصف حال المرأة وصفاً وافيا ، واستشف ما كن في نفسها من الأهواء والنزعات ، وبيّن المواطن التي يخاف منها أن تنفصم عرى العفاف ، وتكون المرأة عرضة للخطر ؛ وذكر أثر التسليم عليها وتزينها ، وأثر الخمرة ، والجارات ، والذهاب إلى المصلى ، وإتيان المنجم ، والمزمّم ، وشهود الأعراس ، وأثر الشباب والغنى في نفسها . وبيّن ضرورة تزويجها ، وما يترتب على تعدد الزوجات ، وزواج الشيخ المقل بالشابة . ونحو ذلك مما يدل على أنه درس أحوال المرأة في عصره درساً متقنا ، واستقرى من أخلاقها وطباعها شيئاً كثيراً كما قال فيها :

فَهَذَا قَوْلُ مُخْتَبِرٍ شَفِيقٍ ... وَنُصْحٌ لِلْحَيَــاةِ وِلِلْمَمَاتِ[2]

ويمكن أن يلخص رأيه في المرأة بهذه الأبيات :

بَدْءُ السَّعَادَةِ أَنْ لَمْ تُخْلَقِ امْرَأَةً ... فَهَلْ تَوَدُّ جُمَادَى أَنَّهَا رَجَبُ[3]

• • •

(١) متثغمات : من الثغام وهو نبت أبيض يشبه به الشيب .

(٢) اللزوميات هـ ص ٦٩ .

(٣) » » ص ٣٢ . وقريب من قول المعري مايقوله اليهودي الاشكنازي في صلاة الصباح كل يوم : حمداً لك أيها الرب . . الذي لم يخلقني امرأة . أما اليهودية فتقول : حمداً لك أيها الرب . . . . . . . . الذي خلقني وفق مشيئته .

وَمَا الغَوَانِي الغَوَادِي في مَلاعِبِها إلاّ خَيالاتُ وَقتٍ أشْبَهَتْ لُعَبَا[١]

. . .

إنْ صَحّ عَقلُكَ فالتّفرّدُ نِعمَةٌ وَنوى الأوَانِسِ غَايَةُ الإيناسِ[٢]

## النسل

كُره أبي العلاء المرأةَ والنسل ، وافتنانه في ذمها والتنفير منها ، أظهر لنا صوراً رائعة ، ومعانيَ مبتكرة ، سد بها ثلمة في الأدب العربي لم يستطع المتقدمون قبله أن يسدوها ، ولا عرف للحكماء والأدباء مثلها .

فهو يعتقد أن الانسان يقدم على الزواج بدافع طبيعي ، تزينه له العادة ، ولم يسقه إليه العقل ، كما يتثاءب الإنسان من غير قصد ولا اختيار إذا رأى غيره يتثاءب . أما هو فقد استطاع أن يغلب عقله على طبيعته ، فلم يتأثر بتلك العدوى كما يشعر بذلك قوله :

تَوَاصَلَ حَبْلُ النّسْلِ مَا بَيْنَ آدَمٍ وَبَيْني وَلَمْ يُوصَلْ بِلامِي بَاءُ[٣]

تَثَاءَبَ عَمْرٌو إذْ تَثَاءَبَ خَالِدٌ بِعَدْوَى فَمَا أعْدَتْنِيَ الثُوَبَاءُ

ويعتقد أن الناس لو نظروا إلى الدنيا بعين العقل كما نظر إليها ، لأعرضوا عما فيها من زينة البنين والنساء وغيرهما .

لَوَ انّ كُلّ نُفُوسِ النّاسِ رَائِيَةٌ كَرَأيِ نَفسِي تَنَاءَتْ عَنْ خَزَايَاهَا

وَعَطّلُوا هَذِهِ الدّنيَا فَمَا وَلَدُوا وَلاَ اقْتَنَوْا وَاسْتَرَاحُوا مِنْ رَزَايَاهَا[٤]

---

(١) اللزوميات ﻫ س ٢٩ .

(٢) « « س ٣٠٢ ، والنوى : البعد .

(٣) « « س ٢٠ .

(٤) « « س ٣٣٧ .

والعاقل يفكر قبل الإقدام على الشيء فيما يجلبه من خير وشر ، وفيما يترتب عليه من نفع وضر .

والأب لو فكر قبل النسل فيما يحتوش وليده من خطوب وأوصاب تلازمه من المهد إلى اللحد ، ولا يردها عنه العرافون ولا النذور ، ولا يدفعها الأطباء ولا الراقون ؛ وهو لا يستطيع أن يجلب له نفعا ، ولا أن يدفع عنه ضرا ، لأمسك عن النسل ، وكفى نفسه مؤونة السهر ، وعناء التربية والمداواة ، ومضض الألم إذا شكا ولده . ثم هو بعد ذلك كله ينشئه للأسقام والآلام ، ويربيه للموت ، وإلى هذا يشير قوله :

أَلاَ تَفَكَّرْتَ قَبْلَ النَّسْلِ فِي زَمَنٍ ... بِهِ حَلَلْتَ فَتَدْرِي أَيْنَ تُلْقِيهِ[1]

تَرْجُو لَهُ مِنْ نَعِيمِ الدَّهْرِ مُمْتَنِعاً ... وَمَا عَلِمْتَ بِأَنَّ العَيْشَ يُشْقِيهِ

شَكَا الأَذَى فَسَهِرْتَ اللَّيْلَ وَابْتَكَرَتْ ... بِهِ الفَتَاةُ إِلَى شَمْطَاءَ تَرْقِيهِ

وَأُمُّهُ تَسْأَلُ العَرَّافَ قَاضِيَةً ... عَنْهُ النُّذُورَ لَعَلَّ اللهَ يُبْقِيهِ

وَأَنْتَ أَرْشَدُ مِنْهَا حِينَ تَحْمِلُهُ ... إِلَى الطَّبِيبِ يُدَاوِيهِ وَيَسْقِيهِ

وَلَوْ رَقَى الطِّفْلَ عِيسَى أَوْ أُعِيدَ لَهُ ... بُقْرَاطُ مَا كَانَ مِنْ مَوْتٍ يُوَقِّيهِ

ولو تفكر العاقل فيما يجلبه الأبناء لآبائهم من الشر ، وما يضمرونه لهم من الخديعة والحسد ، هان عليه بنوه ورغب عن النسل ؛ إذ يتبين له

---

(١) اللزوميات ه ص ٣٤٠ .

أن الولد حَنْتَش يفتك بوالديه ، ونار تحرق العود الذي خرجت منه ، وعبء ثقيل على أبيه ، وأعدى عدو له ، ومجلبة للحزن والبخل والعار ، وليس الذكر خيراً من الأنثى في شيء من هذا كله . وهذه جملة من كلامه تشير إلى بعض ما ذكرناه ، وسيأتي ما يشير إلى الباقي :

أَرَى وَلَدَ الفَتَى عِبْئاً عَلَيْهِ ... لَقَدْ سَعِدَ الذي أمْسَى عَقِيماً[1]

أَمَا شَاهَدْتَ كُلَّ أبي وَلِيدٍ ... يَؤُمُّ طَرِيقَ حَتْفٍ مُسْتَقِيماً

فَإِمَّا أنْ يُرَبِّيَهُ عَـدُوّاً ... وَإِمَّا أنْ يُخَلِّفَهُ سَقِيماً

• • •

أَعْدَى عَدُوٍّ لابْنِ آدَمَ نَفْسُهُ ... ثُمَّ ابْنُهُ وافَاهُ يَهْدِمُ مَا بَنَى[2]

هَاتِيكَ تَأمُرُهُ بِكُلِّ قَبِيحَةٍ ... وَدَعَاهُ ذَاكَ لأَنْ يَضِنَّ وَيَجْبُنَا

يشير إلى الحديث الشريف : « الولد ثمرة القلب ، وانه مجبنة مبخلة محزنة [3] » وقد جاء في القرآن الكريم : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾[4] وجاء فيه أيضا : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[5] وجاء في الحديث الشريف : « ليس عدوك الذي إن قتلته كانَ لك نوراً وإن قتلكَ دخلتَ

---

(١) اللزوميات ج ٢ ص ٢٤٢ — ٣ وفي الأصل : « . . . وإما أن يربيه سقيما » .

(٢) « « ص ٢٦٩ .

(٣) رواه عبد الرزاق والبزار وأحد رواته ضعيف (ج) .

(٤) سورة التغابن ٦٤ آية ١٤ (ج) .

(٥) سورة التغابن ٦٤ آية ١٥ (ج) .

الجنّة ، ولكن أعدى عدوٍّ لك ولدك الذي خرج من صُلْبك ثم أعدى عدوٍّ لك مالك الذي ملكت يمينك »[١] . وفي هذا يقول أبو العلاء :

أَعدَى عَدُوٍّ لابنِ آدَمَ خِلْتُهُ     وَلَدٌ يكُونُ خُرُوجُهُ مِنْ ظَهْرِهِ[٢]

## تكريم الأولاد

إذا أعمل الإنسان فكره ، وأمعن في استقراء أحوال الإنسان في هذه الدنيا ، تبين له أن الإنسان يصاحب في حياته كلها أنواعاً من البلاء والشقاء ، وأصنافاً من المحن والمهانة والعناء ؛ فلا يكاد يخلص من واحدة منها حتى يلم به مثلها أو أشد منها . والعاقل يعلم أن بنيه يكابدون من تلك المحن ما يكابده غيرهم . فإذا أراد كرامة أبنائه وإراحتهم من هذا العناء المنتهي بالفناء ، فعليه أن لا يخرجهم إلى هذا الوجود المحفوف بالشقاء والمكاره . وهذا ما يريده أبو العلاء بقوله :

وَإِذَا أَرَدْتُمْ لِلْبَنِينَ كَرَامَةً     فَالحَزْمُ أَجْمَعُ تَرْكُهُمْ فِي الأَظْهُرِ[٣]

## حض على النسل

وأبو العلاء على تشدده في منع النسل والابتعاد عن أسبابه ، لا يرى به بأساً إذا كان الإنسان يحرص على أن يخلد ذكراً من بعده ، أو يريد أن

---

(١) رواه الطبراني وأحد رواته ضعيف (ج) .
(٢) اللزوميات ج ص ١٥٨ .
(٣) « « ص ١٥٧ .

يستعين بأحدهم على قضاء حقوقه . بل يرى النسل أولى بذلك من غيره ، بشرط أن يسلك في تحصيله سبيل العقل . وهذا ما يريده بقوله :

دُنْيَاكَ دَارٌ كُلُّ سَاكِنِهَا مُتَوَقِّعٌ سَبَباً مِنَ النَّقْلِ [١]

والنَّسْلُ أفضَلُ مَا فعلْتَ بهَا فَإِذَا سَعَيْتَ لَهُ فَعَنْ عقْلِ

وليس هذا من باب المناقضة لأقواله وآرائه في النسل ، وإنما هو من باب : « الضرورات تبيح المحظورات » أو من باب : « تداوي شارب السم بالسم » .

## رأيه في الزواج

كره أبو العلاء المرأة ، وكرّهها إلى الناس . وزهد في النسل وزهّد فيه كما رأينا ، وكما سنرى في أقواله . ومن كانت هذه سبيله ، فمن الطبيعي أن يكره الزواج ، لأنه قائم على المرأة لا يكون إلا بها . وقد يكون مُفْضياً إلى النسل ، فهو حلقة واصلة بين مكروهين . ولذلك كرهه أبو العلاء ، وفضل الخصاء على زواج الحرة فضلاً عن غيرها . وجعل صحيفة المهر مثل صحيفة المتلمّس في شؤمها . وذلك حيث يقول :

خِصَاؤُكَ خَيْرٌ مِنْ زَوَاجِكَ حُرَّةً فَكَيْفَ إِذَا أَصْبَحْتَ زَوْجاً لِمُومِسِ [٢]

وَإِنَّ كِتَابَ المَهْرِ فِيمَا تَمَسْتُهُ نَظِيرُ كِتَابِ الشَّاعِرِ المُتَلَمِّسِ [٣]

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢٢٢ وفي الأصل : « والنسل أفضل ما فعلت به . . . » .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ٢٩٨ . والموس : الفاجرة (ج) .

(٣) المتلمس : جرير بن عبد الله من ضبيعة بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، شاعر جاهلي مقل مفلق . كان هو وابن أخته طرفة بن العبد ينادمان عمرو بن هند ملك الحيرة ، ثم هجواه فكتب لهما كتابين إلى عامل البحرين يأمره بقتلهما ، وقال —

فَلاَ تُشْهِدَنْ فِيهِ الشُّهُودَ وأَلْـقِهِ    إِلَـيْهِمْ وَعُدْ كَالعَاثِرِ المُتَشَمِّسِ

ويعتقد أن الرجل أو المرأة لو كانا موفقين لم يجمع بينهما الزواج :

لَوْ وُفِّقَ المَرْءُ لَمْ يَبْهَشْ إِلى امْرَأَةٍ    أوِ الغَرِيرَةُ لَمْ تُزْفَفْ إِلى رَجُلِ[1]

وقد تفنن في التنفير من العروس ، ونعتها بنعوت مختلفة ، فجعلها مرة أفعى كما تقدم ، ومرة جعلها مساوية للسعلاة :

سَعَى لِي والِدَايَ بِغَيْرِ لُبٍّ    وَسِيَّانِ العَرَائِسُ والسَّعالِي[2]

ولا فرق عنده بين البكر والأيم :

تَوَقَّ النِّسَاءَ عَلَى عِفَّـةٍ    لِيَجْزِيَكَ الوَاحِـدُ القَيِّمُ[3]

فَأَبْكَارُهُنَّ ابْتِكَارُ البَلاَ    وَأَيِّمُهُـنَّ هِيَ الأَيِّمُ

---

— لهما : إني كتبت لكما بصلة فاذهبا لتقبضاها . فلما كانا ببعض الطريق ، رأى المتلمس غلاما ، فدفع صحيفته إليه وقال له : اقرأها فقرأها ، فإذا فيها يأمر عامله بقطع يدي المتلمس ورجليه ودفنه حيا ، فقال لطرفة : إن لي صحيفتك مثلما في صحيفتي ، فأبى أن يقرئها وذهب الى العامل فقتله . أما المتلمس فقد هرب إلى بني جفنة ملوك الشام ، وهجا عمرو بن هند ، وصارت صحيفته مثلاً لمن يحصل له الضرر من جهة النفع قال الفرزدق :

ألقِ الصحيفةَ يافرزدقُ لا تكن    نكداءَ مثلَ صحيفةِ المتلمس (ج)

(١) اللزوميات هـ ص ٢١٤ ، وبهش إليه : ارتاح وخف . والغر والغرير : الشاب الذي لم يجرب الأمور .

(٢) اللزوميات هـ ص ٢١٧ ، والسعالي : مفردها السعلاة والسعلاء بكسر أولهما : الغول أو ساحرة الجن .

(٣) اللزوميات هـ ص ٢٣٧ .

الأيم في الأصل : التي لا زوج لها ، بكراً كانت أو ثيبا . والمراد هنا الثيب ، كما في الحديث الشريف « الأيم أحق بنفسها » والأيم الثانية : هي الحية الأبيض أو كل حية ، ولذلك ينهى عن الزواج مطلقاً وعن الإيلام له :

وَلاَ يَدْنُوَنَّ الفَتَى لِعِرْسٍ وَلاَ يُولِمِ [1]
فإنْ ظَهَرَتْ زَلَّتي فَقُلْ لِرَفِيقِي لُمِ

ويرى العرس كالمأتم :

ونَحنُ في غَيرِ شَيْءٍ والبَقَاءُ جَوَى مَجْرَى الرَّدى ونَظِيرُ المَأْتمِ العُرُسُ [2]

والموت خيراً للمرأة من العرس :

إنَّ العَرَائِسَ أنْ تَزُورَ قُبُورَهَا خَيْرٌ لَها مِنْ أنْ يُقَالَ عَرائِسُ [3]
كَمْ نَالَ قَبْلَكَ في طَعَامِكَ مِن يَدٍ نَصَبٌ إلىأنْ لاَسَ قُوتَكَ لاَئِسُ

اللوس : الذوق والأكل القليل .

وكثيراً ماصرح بالنهي عن الزواج في مثل قوله :

أَيا سَارِحاً في الجَوِّ دُنْيَاكَ مَعْدِنٌ يَفُورُ بِشَرّ فَابْغِ فِي غَيْرِهاوَكْرا [4]
فَإنْ أنتَ لَمْ تَمْلِكْ وَشِيكَ فِرَاقِهَا فَعِفَّ وَلاَ تَنْكِحْ عَوَاناًوَلاَ بِكْرا
وَأَلْقَاكَ فيها وَالِدَاكَ فَلاَ تَضَعْ بِهاوَلَداً يَلْقَى الشَّدَائِدَ والنُّكْرا

---

(١) اللزوميات « ص ٢٥٦ . وأولم يولم إيلاماً : أقام وليمة .
(٢) « « ص ٢٩٣ .
(٣) « « ص ٢٩٥ .
(٤) « « ص ١٣٥ .

نسبة المزدكية اليه وميله الى الاشتراكية في النساء :

قال صاحب الذكرى : « وذلك ـ أي رأيه في الزواج أو نهيه عنه أو كلاهما ـ جاءه من سوء ظنه بالنساء ، واعتقاده أن العفة والإحصان فيهن نادرة . ولعل هذا الرأي هو المزدكية التي أشار إليها الذهبي في ترجمة أبي العلاء ، ونسب شيئاً منها إلى ( رسالة الغفران ) لاشتمال هذه الرسالة على ألوان من إباحة القرامطة ، يرويها رواية السّاخط عليها . وفي ( اللزوميات ) ما يؤيد ميل أبي العلاء في بعض أطواره إلى الاشتراكية في النساء ، فهو لا يفرق في حكم العقل بين ابن الحرة وابن الزانية . فيقول :

وَسِيّـــانِ مَنْ أُمُّهُ حُرَّةٌ حَصَانٌ وَمَنْ أُمُّهُ زَانِيَهْ[1]

ويقول :

مَا مَيَّزَ الأَطْفَالَ في أَشْبَاحِهَا لِلْعَيْنِ حِلٌّ وِلاَدَةٍ وعِهَارُ[2]

وسترى أن مذهب أبي العلاء في الأخلاق لا ينافي هذا الرأي » . . .
الى آخر كلامه في ( تجديده ص ٣٠١ ) .[3] وهذا كلام غريب جدا ، لأن مذهب المزدكية يأمر بتناول اللذات ، والعكوف على الشهوات ، ويبيح الاشتراك في النساء والأموال ، وإذا أضافوا الإنسان لم يمنعوه من شيء يلتمسه كائناً ما كان [4] . وأبو العلاء يخالف في ذلك كله ، فإنه يزهد في اللذات ،

---

(١) لم يعثر على هذا البيت في لزوميات المعري . وانظر ما بعد ص ١٥٦٠ .
(٢) اللزوميات ﻫ ص ١٣١ .
(٣) وانظر ذكرى أبي العلاء ـ طه حسين ـ ط ٢ ص ٢٧٦ .
(٤) راجع الفهرست ص ١٧٩ ، والملل والنحل ص ١٤٦ (ج) .

ويحض على التشدد في حجاب المرأة ، ويحظر عليها الخروج إلى الحج والصلاة والحمام والمنجم ، ونحو ذلك بما لم يبلغ معشاره أعظم متشدد أو ذو غيرة ؛ فهل يكون من المعقول بعد هذا أن يبيح المرأة فيما لا يحل ، وهو يحرم عليها الجلوس مع ابن زوجها وختنها حيث يقول :

لا تَجلِسَنْ حُرَّةٌ مُوَفَّقَةٌ مَعَ ابْنِ زَوْجٍ لَهَا وَلاَ خَتَنِ[1]
فَذَاكَ خَيْرٌ لَهَا وأَسْلَمُ لِلْـإِنسَانِ إِنَّ الفَتَى مَعَ الفِتَنِ
وَدُمْ عَلَى غِيرَةِ الصِّبَا أَبَداً وَلاَ تَعُدْ في الشَّرَابِ ثُمَّ تَنِي

وينهى عن دخول الوليد على الحرم متى بلغ العشر كما تقدم في قوله :

إذَا بَلَغَ الوَلِيدُ لَدَيْكَ عَشْراً فَلاَ يَدْخُلْ عَلَى الحُرَمِ الوَلِيدُ[2]

ويكره أن يغني الندامى في بيت فيه زوجة فيقول :

لَعَمْرُكَ مَا زَوْجُ الفَتَاةِ بِحَازِمٍ إِذَا مَا النَّدَامَى فِي مَحَلَّتِهِ غَنَّوْا[3]
أَتَى بَيْتَهُ بِالرَّاحِ وَالشَّرْبِ لاَهِياً فَإِمَّا رَنَوْا نَحْوَ الظَّعِينَةِ أَوْ زَنَّوْا

وكيف يتأتى ممن يخاف أن يرنو أصحابه إلى الظعينة أن يأمرهم باستباحة عرضها ؟ . أو كيف يتصور العقل ممن يتشدد في كل ما يخاف منه الفتنة أن يأمر بالفتنة نفسها ؟ ولو أن أبا العلاء يذهب إلى الإباحة والاشتراك في المرأة ، ما ضيق عليها الخناق إلى هذا الحد .

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٨١ وفيها : « .. ولا تعد في الغياب ثم تني » .

(٢) انظر ما سبق ص ١٠٤٧ .

(٣) زنى : بتشديد النون بمعنى زنى بتخفيفها (ج) وانظر اللزوميات هـ ص ٣٤٢ .

### النساء المشاعات

ومن استقرى كلامه في المرأة يجد فيه تصريحاً بذم النساء المشاعات . كما ترى ذلك في قوله :

شَرُّ النِّسَاءِ مُشَاعَاتٌ غَدَوْنَ سُدًى ... كَالأَرْضِ يَحْمِلْنَ أَوْلاَداً مَشَاعِينَا[1]

### النساء اللاتي ليس لهن مهور والمومس

وعدّ من اضمحلال الدين وتغيير آياته أن يعتاض قوم النكاح الحلال بنسوة مالها مهور ، كما قال من أبيات تقدمت :

وَاعْتَاضَ حِلَّ النِّكَاحِ قَوْمٌ ... بِنِسْوَةٍ مَالَهَا مُهُورُ[2]

وانظر كيف شبه المومس ومن يرتادها في مثل قوله :

مُومِسٌ كَالإِنَاءِ دَنَّسَهُ الشُّرْ ... بُ وَوَغْدٌ كَأَنَّهُ الكَلْبُ وَالِغْ[3]

### دفع المرأة المهر

وإذا كان أبو العلاء يعد من انقلاب الزمان أن تدفع المرأة مهراً للزوج ، لأنه مخالف للمألوف فيقول :

قُلِبَ الزَّمَانُ فَرُبَّ خَوْدٍ تَبْتَغِي ... زَوْجاً وَتَبْذُلُ غَالِياً مِنْ مَهْرِهِ[4]

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٦٦ .

(٢) انظر ما سبق ص ١٣٢ .

(٣) اللزوميات هـ ص ٢٩٠ .

(٤) « « ص ١٥٨ .

وليس في ذلك مخالفة للعقل، فهل يعقل أن يبيح المرأة، وهـذا يخالف الدين والعقل، ولا يتفق مع ما نعرفه في أبي العلاء من الغيرة المفرطة؟ إن هذا لشيء عجاب . وبعد هذا فكل ما في كلامي القفطي، وصاحب (الذكرى) خطأ ناشىء عن عدم استقراء كلام المعري، وإمعان النظر في معانيه . أما ما يتعلق بالقرامطة، فقد بينا بطلانه في الكلام على الأديان، وعلى معتقده ودينه .

والبيت الأول :

وَسِـيَّانِ مَنْ أُمُّهُ حُرَّةٌ . . . . . . .

لم أجده في (لزوم ما لا يلزم) . وأما البيت الثاني، فقد ذكره من أبيات وقبله :

وَالنَّاسُ مِثْلُ النَّبْتِ يُظْهِرُهُ الحَيَا ... وَيَكُونُ أَوَّلَ هُلْكِهِ الإِظْهَارُ[1]

تَرْعَاهُ رَاعِيَةٌ وَتَهْتِكُ بُرْدَهُ ... أُخْرَى وَمِنْهُ شَقَائِقٌ وَبَهَارُ

مَا مَيَّزَ الأَطْفَالَ . . . . . . .

وأعاد هذا المعنى بقوله :

وَلَقَدْ تَشَابَهَ فِي الظَّوَاهِرِ مَوْلِدٌ ... حِلُّ النِّكَاحِ وَمَوْلِدٌ بِعِهَارِ[2]

وهو في كلا الموضعين لا يريد الإباحة، وإنما يقول : إن الولد إذا كان لرشدة، لا تهبه الطبيعة سمة ظاهرة تميزه من الولد إذا كان لزنية . وكذلك العكس . ولعل في قوله المتقدم :

---

(١) انظر ما سبق ص ١٥٥٧ .

(٢) انظر ما سبق ص ١٥٣٢ .

بَرِئتُ إلى الخَلاّقِ مِنْ أهلِ مَذهَبٍ يَرَوْنَ مِنَ الحَقِّ الإباحَةَ للأهْلِ [١]

برهاناً على براءته من الإباحه كما قلنا ؛ ودليلا على أن صاحب ( الذكرى ) حكم بغير استقراء ولا تتبع .

## التناقض في أقواله في الزواج

يبدو للناظر في كلامه في الزواج أن فيه تناقضا ؛ لأنه تارة يحض عليه ، ويبين الطريق الحسن فيه ؛ وتارة ينفر منه ويزهد فيه ، ويرى الخِصاء خيراً منه ، ويمكن التوفيق بين الطرفين ، بأن يقال : إنه نفّر منه قبل وقوعه إذا لم يترتب على تركه مفسدة ؛ وحثّ عليه فيما عدا ذلك ، مراعاة للأصلح في كل حال .

## عطفه على المرأة المتزوجة

عطف أبو العلاء على المرأة المتزوجة ، بقدر ما سخط عليها ، وحض على مجاملتها ومراعاة السن بينها وبين زوجها ، حتى لا تضيع الحكمة المقصودة من الزواج التي منها أو من أعظمها الإحصان والإعفاف . ونهى عن مضارّتها . وأرشد إلى من تصلح أن تكون زوجاً أكثر من غيرها . وهذه طائفة من كلامه تبين رأيه في المرأة التي يراها أهلا للزواج :

تَزَوَّجْ إنْ أرَدْتَ فَتاةَ صِدْقٍ كَمُضْمَرِ نِعْمَ دَامَ عَلى الضَّميرِ [٢]

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢١١ .
(٢) انظر ما سبق ص ٥٩٧ .

إِذَا اطَّلَعَ الأَوَانِسُ لَمْ تَطَلَّعْ　　إِلَى عِرْسٍ يَمُرُّ وَلاَ أَمِيرِ

. . .

وَخَيْرُ النِّسَاءِ الحَامِيَاتُ نُفُوسَهَا　　مِنَ العَارِ قَبْلَ الخَيْلِ تَحْمِي ذِمَارَهَا[١]

. . .

إِذَا شِئْتَ يَوْماً أَنْ تُقَارِنَ حُرَّةً　　مِنَ النَّاسِ فَاخْتَرْ قَوْمَهَا وَنِجَارَهَا[٢]

ويظهر من كلامه أنه يؤثر الجمال الباطني على الجمال الظاهر ، فيفضل الحرة العفيفة الصادقة القاصرة الطرف الكريمة ، وإن لم تكن جميلة الرواء ، حسنة المنظر ، معنة مفتنة ، على ذات الجمال التي لم تتوفر فيها هذه الصفات ، حتى يقول :

سُقْياً لِشَوْهَاءَ مَا هَمَّتْ بِفَاحِشَةٍ　　غَدَتْ عَلَى الغَزْلِ لَيْسَتْ تَعْرِفُ الغَزَلاَ[٣]

وَتَجْهَلُ العُودَ إِلاَّ عُودَ مِغْزَلِهَا　　وَلاَ تَرَاحُ إِذَا مَا عَاتِقٌ بُزِلاَ

لأن هذه هي التي تحوط نفسها ، وتحوط زوجها كما يحوطها من كل خطب وعيب .

## اختيار الأصهار

ورد في حديث رواه ابن ماجة والحاكم والبيهقي : « تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم » . وعلى هذا يرى أبو العلاء أن الرجل

---

(١) اللزوميات ٥ ص ١٣٩ .

(٢) المصدر السابق . والنجار : الأصل .

(٣) الشوهاء : الحسنة الرائعة والقبيحة فهو من الأضداد . (ج) وانظر اللزوميات ٥ ص ٢٠٤ . وراح للشيء يَراحُ : خف إليه وفرح . والعاتق : الخمر . وبزل الخمر والشراب : صفاه .

إذا كانت له بنت بلغت سن الزواج ، يجب عليه أن يطلب لهـا زوجاً يراعيها في حياتها ، ويرعى عفافها . لأن إبقاءهـا عانساً يعرضها للعار والأخطار ، وعارها يلتصق به دون غيره . أمـا إذا كان له ولد ذكر فيجب عليه أن يخوفه من التزويج والنسل ، حتى يأمن عليه غـائلتها . وليس في إبقاء الولد بغير تزويج مافي إبقاء الأنثى من الخطر . وهـذا ما يريده بقوله :

وَاطْلُبْ لِبِنْتِكَ زَوْجاً كَيْ يُرَاعِيَهَا    وَخَوِّفِ ابْنَكَ مِنْ نَسْلٍ وَتَزْوِيجِ (١)

ثم إنه نظر في موضع آخر ، فرأى أن الناس كلهم من طينة واحدة ، وأن طباعهم واحدة ، وأنهم أسواء في سوء الطبع . فإذا كان الأمر كذلك كان تخير الأحماء والأصهار جهلاً أو طيشاً ، لأنه لايجدي نفعاً . وأظن أنه أراد هذا بقوله :

لَوْلَا السَّفَاهَةُ مَا تَعَلَّلَ جَاهِلٌ    بِتَخَيُّرِ الأَحْمَاءِ وَالأَصْهَارِ (٢)

## التقارب في السن مابين الزوجين

علم أبو العلاء أن من أعظم المقاصد التي شُرِع الزواج من أجلهـا إحصان الزوجين وإعفافهما ؛ وأن التفاوت الشديد بينهما في السن قد يضيع هذه الفائدة . ولذلك بالغ في الحض على التقارب ، وبيّن المفاسد التي تنجم عن التفاوت في العمر . وأورد صوراً تدل على أنه درس هذا الموضوع

---

(١) اللزوميات هـ س ٧٨ .

(٢) اللزوميات هـ س ١٦٠ .

درساً وافياً ، حتى استطاع أن يطلع على خبايا النفس في الرجل والمرأة . فالشاب إذا تزوج عجوزاً كانت حياته كلها شديدة ثقيلة مكروهة كما قال :

إذَا أنتَ زَوَّجتَ العَجُوزَ عَلى الصِّبَا فَأيَّامُهَا صِنٌّ عَلَيْكَ وَصِنَّبْرُ[1]

صن ، وصنبر : هما من أيام العجوز الشديدة البرد في الشتاء .

والشابة إذا تزوجها الشيخ فهي في مأتم دائم ، وتعب مستمر ، وأقصى أمانيها أن تخلص منه ؛ لأنه لايغني غناء الشاب في الحياة الزوجية . فاسمع كيف يخبرك بما في نفس شابة منيت بشيخ ، كأنما تغلغل في نفسها وفهم نبضات قلبها :

تَزَوَّجَ الشَّيْخُ فَالْفَتَـــاةُ كَأنَّهُ مُثقَلٌ إبْلٍ وَحِلٌ[2]
وَعِرْسُـــهُ في تَعَبٍ دَائِمٍ لا تَخْضِبُ الكَفَّ وَلاَ تَكْتَحِلْ
مَلَّتْ وَإنْ أحْسَنَ أيَّامَهُ تَقُولُ في النَّفْسِ مَتَى يَرْتَحِلْ
لَوْ مَاتَ لاَسْتَبْدَلْتُ مِنْهُ فَتًى إنِّي أرَاهُ مُحْرِماً لا يُحِلْ

وهذه صورة ثانية يحدث فيها بما يجيش به صدر الشابة التي ابتليت بشيخ وإن ألجمها الحياء عن إبانته :

بَدَا شَيْبُهُ مِثْلَ النَّهَارِ وَلَمْ يَكُنْ يُشَابِهُ فَجْراً أوْ نُجُومَ ظَلاَمِ[3]

---

(١) اللزوميات ﻫ س ١١٨ .

(٢) « « س ٢٢٥ وفي الأصل : « كأنه مثل إبل وحل » . ووحل : أي وقع في الوحل .

(٣) اللزوميات ﻫ س ٢٤٧ .

يُحَدِّثُها مَا لا تُرِيدُ اسْتِماعَهُ ... وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَ الشَّيْخِ غَيْرُ كَلَامِ

تَقُولُ لَهُ في النفسِ غَيْرَ مُبِينَةٍ ... خُذِ المَهْرَ مِنِّي وَانْصَرِفْ بِسَلَامِ

تَوَدُّ لَوَ انَّ اللهَ أَعْطَاهُ حَتْفَهُ ... وَكَيفَ لَهَا مِنْ بَعْدِهِ بِغُلَامِ

وله كثير من الأبيات ، يبيّن فيها أن الشيخ لم يرضه أهله ، ولم يرض في أفعاله أهله ، وأبيات أخر تبين أن الشابة تؤثر في الزوج الشباب مع الفقر على الهرم مع الغنى ؛ لأن قدرة من بلغ الستين لاتساوي قدرة الشاب السائر في طريق الستين . وهي أحوج إلى شاب تباعله وتلاعبه منها إلى شيخ موسر كثر ثراؤه وقل غناؤه . منها قوله :

إذَا خَطَبَ الزَّهْرَاءَ كَهْلٌ وَنَاشِئٌ ... فَإِنَّ الصِّبَا فِيها شَفِيعٌ مُشَفَّعُ(١)

وَلاَ يُزْهِدَنْهَا عُدْمُهُ إِنْ مُدَّهُ ... لأَبْرَكُ مِنْ صَاعِ الكَبِيرِ وأَنْفَعُ

وَمَا لأَخي سِتِّينَ قُدْرَةُ سَائِرٍ ... إِلَيْها وَلَكِنْ عَجْزُهُ لَيسَ يَدْفَعُ

وقوله :

إذَا خَطَبَ الزَّهْراءَ شَيْخٌ لَهُ غِنًى ... وَنَاشِئُ قَوْمٍ آثَرَتْ مَن تُعَانِقُ(٢)

وَقَلَّ غَنَاءُ عَنْ فَتَاةٍ وزَوْجُها ... أَخُو هَرَمٍ أَحجَالُهَا والمَخَانِقُ

. . . . . . . . . . . . . . . .

(١) اللزوميات ج ص ٢٨١ .

(٢) « « ص ٢٩٩ وفيها : « وناشيء عدم آثرت من تعانق » . والزهراء : الشابة البيضاء المشرقة الوجه . الغرانق : الشاب التام الأبيض .

وَمَا تَسْتَوِي الأَخْدَانُ قِيمُ هَذِهِ مُسِنٌّ وَلِلأُخْرَى وَلِيٌّ غُرَانِق

وقوله :

كَأَنَّكَ بَعْدَ خَمْسِينَ اسْتَقَلَّتْ لِمَوْلِدِكَ البِنَاءُ دَنَا لِيَهْوِي

وَإِنَّكَ إِنْ تَزَوَّجْ بِنْتَ عَشْرٍ لأَخْيَبُ صَفْقَةً مِنْ شَيْخِ مَهْوِ [1]

وإذا كان زوج الشابة شيخاً فقيراً كانت البلية أعظم . كما يشعر بذلك قوله :

وَلا يَتَأَهَّلَنْ شَيْخٌ مُقِلٌّ بِمُعْصِرَةٍ مِنَ المُتَنَعِّمَاتِ [2]

فَإِنَّ الفَقْرَ عَيْبٌ إِنْ أُضِيفَتْ إِلَيْهِ السِّنُّ جَاءَ بِمُعْظِمَاتِ

إلى أن قال :

وَيَغْتَفِرُ الغِنَى وَخَطاً بِرَأْسٍ إِذَا كَانَتْ قُوَاكَ مُسَلَّمَاتِ

---

(١) كان الفسو لقب حي من العرب ، فجاء رجل منهم ببردي حبرة إلى سوق عكاظ فقال : من يشتري منا الفسو بهذين البردين ؟ فقام شيخ من مَهْو يقال له عبد الله ابن بيدرة ، فارتدى بأحدهما وأتزر بالآخر ، وهو مشتري الفسو ببردي حبرة ، وضرب به المثل فقيل : أخيب صفقة من شيخ مهو . وأنشد :

يامن رأى كصفقة ابن بيدره من صفقة خاسرة مخسره

المشتري الفسو ببردي حبره (ج)

وانظر اللزوميات ﻫ ص ٣٤٢ .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ٦٩ .

## المضارّة

اشتد أبو العلاء في القسوة على المرأة من بعض الجهات ، واشتد في العطف عليها من بعض جهات أخرى . ومن الثانية مضارّتها : فقد شدد في النكير عليها ، وندد بتعداد الزوجات ، وبين مايترتب عليه من شر وضر في مثل قوله :

مَتَى تُشْرِكْ مَعَ امْرَأَةٍ سِوَاهَا ... فَقَدْ أَخْطَأْتَ فِي الرَّأْيِ التَّرِيكِ[١]

فَلَوْ يُرْجَى مَعَ الشُّرَكَاءِ خَيْرٌ ... لَمَا كَانَ الإِلٰهُ بِلا شَرِيكِ

وقوله :

وَمَنْ جَمَعَ الضَّرَّاتِ يَطْلُبُ لَذَّةً ... فَقَدْ بَاتَ بِالإِضْرَارِ غَيْرَ سَدِيدِ[٢]

وقوله :

وَوَاحِدَةٌ كَفَتْكَ فَلاَ تَجَاوَزْ ... إِلَى أُخْرَى تَجِيءُ بِمُؤْلِمَاتِ[٣]

ولقد أجاد وأحسن في بيان ما تقتضيه المضارة من المضار للرجل والمرأة ؛ فإنه إذا التمس امرأة جديدة لا يأمن منها ابتغاء جديد ، وروُّع بما يكره ؛ لأن النساء كالزجاج سريعات التكسر . والمرأة الواحدة عدوٌ واحد ، فإذا تعددت تعددت أعداؤه . وإليك جملة من كلامه في ذلك :

وَإِنْ أَرْغَمْتَ صَاحِبَةً بِضَرٍّ ... فَأَجْدِرْ أَنْ تُرَوَّعَ بِمُغْرِمَاتِ[٤]

---

(١) اللزوميات ٢ ص ١٨٩ والتريك : المتروك .

(٢) « « ص ١٠٦ وفيها : « فقد بات في الاضرار » .

(٣) اللزوميات ٢ ص ٦٩ .

(٤) المصدر السابق . والمرام : العدة والأذى .

زُجاجٌ إنْ رَفقتَ بِهِ وإلاّ ... رَأيتَ ضُرُوبَهُ مُتقصِّماتِ

. . .

إذا كُنتَ ذا ثِنتَينِ فاغدُ مُحارِباً ... عَدُوَّينِ واحذَرْ مِن ثلاثِ ضَرائِرِ [١]

وإنْ هُنَّ أبدَينَ المَودّةَ والرِّضا ... فكَمْ مِن حُقودٍ غُيِّبَتْ في السَّرائِرِ

قِرانُكَ ما بَيْنَ النِّساءِ أذِيّةٌ ... لهُنَّ فلا تَحْمِلْ أذاةَ الحَرائِرِ

وإنْ كُنتَ غِرّاً بالزَّمانِ وأهلِهِ ... فتَكفيكَ إحدَى الآنِساتِ الغَرائِرِ

وكان لا يريد استبدال زوج بزوج أخرى ولو كانت عجوزا :

إذَا كَانَتْ لَكَ امرَأةٌ عَجوزٌ ... فَلاَ تَأخُذْ بِها أبداً كَعَابَا [٢]

فَإنْ كَانَتْ أقلَّ بَهاءِ وَجهٍ ... فَأجدِرْ أنْ تَكُونَ أقلَّ عابَا

وفي كلامه ما يشبه أن يكون دعوة للمرأة إلى أن تثور على زوجها ؛ من ذلك قوله :

تَزوَّجَ بَعدَ وَاحِدَةٍ ثَلاثاً ... وَقالَ لِعِرْسِهِ يَكْفيكِ رُبعِي [٣]

فَيُرْضِيهَا إذَا قَنِعَتْ بِقُوتٍ ... وَيَرْجُمُهَا إذَا مَالَتْ لِتَبْعِ

وَمَنْ جَمَعَ اثْنَتَيْنِ فَمَا تَوَخَّى ... سَبِيلَ الحَقِّ في خُمسٍ ورُبعِ

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ١٤٨ .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ٤١ .

(٣) اللزوميات ﻫ ص ٢٨٨ .

## هو والزواج

من المعقول أن لايدنو من النساء بعد أن أرصى غيره بمثل قوله :

لاَ تَدْنُونَ مِنَ النِّسَا ٭ فَإنَّ غِبَّ الإِرْيِ مُرُّ [١]

والبَاهُ مِثْلُ البَاهِ تَخْـــفِضُ لِلدَّنَاءَةِ أوْ تَجُرُّ

وبعد أن قال :

خِصَاؤُكَ خَيْرٌ مِنْ زَوَاجِكَ [٢] ... . . . . . . . . .

ونحوه من الأبيات التي تقدم بعضها . وقد بقي صَرُورَةً مدة حياته :

وَصَرُورَةٌ بِالمَغْنَيَيْنِ لِأَنَّني مُذْ كُنْتُ لَمْ أَحجُجْ وَلَمْ أَتَزَوَّجِ [٣]

وقطع حبل النسل الذي كان متصلا بينه وبين آدم — ص — :

تَوَاصَلَ حَبْلُ النَّسْلِ مَا بَيْنَ آدَمٍ وَبَيْني وَلَمْ يُوصَلْ بِلاَمِي بَاءُ [٤]

وأعجبه دأب الرهبان في ابتعادهم عن الزواج . ولكنه كره منهم أكل الحيوان وما تولد منه ، وأكل أموال الفقراء الذين يجمعون لهم الأموال :

وَيُعْجِبُني دَأْبُ الذينَ تَرَهَّبُوا سِوَى أكْلِهِمْ كَدَّ النُّفُوسِ الشَّحَائحِ [٥]

---

(١) اللزوميات ﻫ س ١٣٣ ، والأري : العسل الأبيض . والباه الأولى : النكاح ، والباء الثاني : حرف الجر .

(٢) تمامه : « . . . . . حرة فكيف لذا أصبحت زوجاً لموس » . انظر ماسبق س ١٥٥٤ .

(٣) اللزوميات ﻫ س ٧٨ . وفيها : « وصرورة لي شيبتين لأنني ... » .

(٤) انظر ماسبق س ١٤٩٢ .

(٥) اللزوميات ﻫ س ٨٤ .

وإصراره على ضرورته بعد الأربعين أمر طبيعي له ، لأنه يعتقد أن قربان المرأة بعدها معين الموت :

إِذَا مَا الأَرْبَعُونَ مَضَتْ كَمَالاً     فَمَا لِلْمَرْءِ مِنْ أَرَبٍ بِعِينِ [1]
وَغِشْيَانُ النِّسَاءِ إِذَا تَقَضَّتْ     لِسُلْطَانِ المَنِيَّةِ كَالْمُعِينِ

## نسل

وليس من الغريب أن نرى أبا العلاء يكره النسل لنفسه بعد أن كرهه لغيره ، فإن من طبيعة الحي مهما كان نوعه أن يشفق على ولده ، وفلذة كبده من عوادي الدهر وصروفه ، بما لا يستطيع تحمله ولا رده . ولذلك حرص أبو العلاء على إبقاء بنيه في راحة العدم ، وإراحتهم من عناء الوجود . وقد سمعناه يقول : إنه قطع حبل النسل المتواصل بينه وبين آدم . ولنسمعه الآن يبين إشفاقه على بنيه لو وجدوا :

لَوَ انِّيَ كَلْبٌ لاَعْتَرَتْنِي حَمِيَّةٌ     لِجَرْوِيَ أَنْ يَلْقَى كَمَا لَقِيَ الإِنْسُ [2]

ويفصح عن رغبته عن النسل وسببها :

لَوَ أَنَّ بَنِيَّ أَفْضَلُ أَهْلِ عَصْرِي     لَمَا آثَرْتُ أَنْ أَحْظَى بِنَسْلِ [3]
فَكَيْفَ وَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ مِثْلِي     خَسِيسٌ لاَ يَجِيءُ بِغَيْرِ فَسْلِ

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢٧٩ . والعين : مفردها عيناء وهي المرأة الجميلة العينين .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ٣٠٩ .

(٣) انظر ما سبق ص ١٢٠٢ . والفسل : الرذل .

ويعرب عن حرصه على إراحة أبنائه من العناء والأذى ، واستراحته بسبب ذلك :

وَأَرَحْتُ أَوْلَادِي فَهُمْ فِي نِعْمَةِ الْـــعَدَمِ الَّتِي فَضَلَتْ نَعِيمَ الْعَاجِلِ [1]
وَلَوَ انَّهُمْ ظَهَرُوا لَعَانَوْا شِدَّةً تَرْمِيهِمُ فِي مُتْلِفَاتِ هَوَاجِلِ

• • •

وَأَصْبَحْتُ فِي الدُّنْيَا غَنِيّاً مُرَزَّأً فَأَعْفَيْتُ نَسْلِي مِنْ أَذَاةٍ وَمِنْ غَبْنِ [2]
فَلَسْتَ تَرَانِي حَافِراً مِثْلَ ضَبِّهَا وَلَا لِفِرَاخِي مِثْلَ طَائِرِهَا أَبْنِي
فَإِنْ تَحْكُمِي بِالْجَوْرِ فِيَّ وَفِي أَبِي فَلَنْ تَحْكُمِيهِ فِي بَنَاتِي وَلَا فِي ابْنِي

العدم

نظر أبو العلاء في الدنيا نظر ناقد بصير ، واستقرى ما فيها من ضروب الخير والشر ، فرأى الغلبة للشر ، وتقصّى أحوال الإنسان وأعماله وأطواره ، فأسفر له البحث والاستقراء عن أن الإنسان جُبل على الفساد ؛ وليس في الإمكان تقويمه ولا تهذيبه ، وأنّ الله ـ عز وجل ـ أرسل إليه رسلاً كثيرة في أزمان مختلفة ، وشرائع متنوعة ؛ فلم يغنوا شيئاً ، وظل الناس على فسادهم . وكذلك تبين له أن الدنيا لا يمكن أن تكون في يوم واحد خالية من المصائب والآلام ؛ فتكوّن في نفسه مزاج مؤلف من ثلاثة عناصر :

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٢١ ، والهواجل : مفردها هوجل ، وهي للفازة البعيدة لاعَلَمَ بها .

(٢) اللزوميات هـ ص ٢٢١ .

الأول : ذم الدنيا ، والإعراض عنها ، وعما فيها من الملاذ .

الثاني : تمنّي الهلاك لهذا البشر ، لأنه رجس لا يمكن تطهيره ولا يستطاع تهذيبه .

الثالث : السعي لقطع النسل . وقد فصل في ( لزوم ما لا يلزم ) الأسباب التي حملته على هذه العقيدة والأدلة التي زينتها في نفسه ، حتى جعل الإنسال جناية من الوالد على الولد . مثل قوله الآتي :

عَلى الوَلَدِ يَجْني وَالِدٌ وَلَوَ انَّهُمْ ... وُلاةٌ عَلى أَمْصارِهِمْ خُطَبَاءُ[1]

وستأتي أمثلة من هذا . والولد الصغير لم يقدم إلى هذه الدنيا باختياره ، ولم يصدر عنه من الأعمال ما يوجب السخط عليه ؛ وإنما هو ضعيف بريء لا يستحق إلا الرحمة والعطف . ولقد غالى أبو العلاء في الإشفاق عليه ، وآثر العدم على الوجود ، وتمنى للناس أن لا يكونوا خلقوا ، رحمة بهم مما يعانون في هذه الحياة كما يشعر به مثل قوله :

خَيْرٌ لِآدَمَ وَالخَلْقِ الذي خَرَجُوا ... مِنْ ظَهْرِهِ أَنْ يَكُونُوا قَبْلُ مَا خُلِقُوا[2]

فَهَلْ أَحَسَّ وَبَالِي جِسْمِهِ رِمَمٌ ... بِمَا رَآهُ بَنُوهُ مِنْ أَذًى وَلَقُوا

وتمنى للوليد الموت ساعة يولد ، حتى لا يشعر بما في الحياة فقال :

وَلَيْتَ وَلِيداً مَاتَ سَاعَةَ وَضْعِهِ ... وَلَمْ يَرْتَضِعْ مِنْ أُمِّهِ النُّفَسَاءِ[3]

وأشار إلى أن سبب هذا التمني هو الإشفاق على الأم ، وعلى الولد الذي :

---

(١) اللزوميات ھ ص ٢٠ .

(٢) انظر ما سبق ص ١٥٤٢ .

(٣) اللزوميات ھ ص ٢٥ .

يَقُولُ لَهَا مِنْ قَبْلِ نُطْقِ لِسَانِهِ تُفِيدِينَ بِي أَنْ تَنْكبِي وَتُسَائِي[١]

وما قوله :

لِيَذْمُمْ وَالِداً وَلَدٌ وَيَعْتِبْ عَلَيْهِ فَبِئْسَ عَمْرِي مَا سَعَى لَهْ[٢]

إلى آخر الأبيات الآتية وأشباهها إلا دليل واضح على أن تمنيه العدم منشؤه الرحمة والإشفاق على الولد مما يكتنفه من صروف الدهر في حياته ، وكذلك قوله في النساء :

صَحِبْنَكَ فَاسْتَفَدْتَ بِهِنَّ وَلْداً أَصَابَكَ مِنْ أَذَاتِكَ بِالسِّمَاتِ[٣]

وَمَنْ رُزِقَ الْبَنِينَ فَغَيْرُ نَاءٍ بِذَلِكَ عَنْ نَوَائِبَ مُسْقِمَاتِ

فَمِنْ ثُكْلٍ يُهَابُ وَمِنْ عُقُوقٍ وَأَرْزَاءٍ يَجِئْنَ مُصَمِّمَاتِ

وَإِنْ تُعْطَ الْبَنَاتِ[٤] فَأَيُّ بُؤْسٍ تَبَيَّنَ فِي وُجُوهٍ مُقَسَّمَاتِ

يُرِدْنَ بُعُولَةً وَيُرِدْنَ حَلْياً وَيَلْقَيْنَ الْخُطُوبَ مُلَوَّمَاتِ

وَلَسْنَ بِدَافِعَاتٍ يَوْمَ حَرْبٍ وَلاَ فِي غَارَةٍ مُتَغَشِّمَاتِ

وَدَفْنٌ وَالْحَوَادِثُ فَاجِعَاتٌ لإِحْدَاهُنَّ إِحْدَى الْمَكْرُمَاتِ

وَقَدْ يَفْقِدْنَ أَزْوَاجاً كِرَاماً فَيَا لِلنِّسْوَةِ الْمُتَأَيِّمَاتِ

---

(١) اللزوميات ھ س ٢٥ .

(٢) « « س ٢٠٦ .

(٣) « « س ٦٨ .

(٤) في اللزوميات ھ : « ... نعط الإناث ... » .

## وأد البنات

قال صاحب ( الذكرى ) بعد أن ذكر هذه الأبيات : « فانظر كيف بالغ في ذلك ، حتى استحسن من وأد البنات ماحرم الله ونهى عنه الدين »[١] اهـ . وهذا غير صحيح ، لأن أبا العلاء لم يذكر الوأد ؛ وإنما قال : « دفن » وليس الدفن والوأد مترادفين . وقد زعم بعضهم أنه ورد في الحديث الشريف : « دفن البنات من المكرمات » ، أي من الخصال التي يكرم الله بها آباءهن . وهذا الكلام يخرج مخرج التعزية للنفس ؛ لأن البنت عورة ضعيفة كثيرة المؤونة ، وقد تجلب العار ، وتجر العدو إلى الدار . وقد ماتت امرأة لرجل ، فقال لمن يعزيه : عورة سترت ، ومؤونة كفيت ، وأجر ساقه الله . وعلى نحو هذا قولهم : نعم الصهر القبر . وهذا الحديث حكم ابن الجوزي بوضعه ، وأقره عليه الذهبي وغيره . وقد أعاد أبو العلاء هذا المعنى فقال :

وَدَفْنُ الغَانِيَاتِ لَهُنَّ أوْفَى    مِنَ الكِلَلِ المَنِيعَةِ والسُّتُورِ[٢]

أما الوأد فقد نهى عنه بقوله :

لاَ تُولِدُوا وَإذَا أَبَى طَبْعٌ فَلاَ    تَئِدُوا وأكْرِمْ بِالتُّرابِ مُصَاهِرا[٣]

على أنه هنأ الموؤدة لخلاصها من شرور الحياة فقال :

طُوبَى لِمَوْؤُدَةٍ في حَالِ مَوْلِدِهَا    ظُلْماً فَلَيْتَ أَبَاهَا الفَظَّ مَوْؤُدُ[٤]

---

(١) ذكرى أبي العلاء ط ٢ س ٢٧٤ ـ ٥ .

(٢) اللزوميات هـ س ١٥٥ ، وفيها وفي ط عزيز زند : « . المنية والخدور » .

(٣) « » س ١٤٣ .

(٤) « » س ٩٤ .

وعد موت الولد راحة له :

قَدِمَ الفَتَى وَمَضَى بِغَيْرِ تَثَبُّتٍ   كَهِلَالِ أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِهِ[1]
لَقَدِ اسْتَرَاحَ مِنَ الحَيَاةِ مُعَجَّلٌ   لَوْ عَاشَ كَابَدَ شِدَّةً فِي دَهْرِهِ

ويفهم من أقواله المذكورة وغيرها ، أنه يؤثر العدم على الوجود ، لأنه مصدر الشقاء والألم ؛ ويعد النسل جناية على الولد وشقاء للوالدين ، وأنه حض على قطع النسل ليتوصل بذلك إلى العدم ، وأنه لم يكره النسل إلا رحمة به ، وأنه لم يستحسن الوأد .

وهذا لا ينافي ما تقدم من أنه يريد قطع النسل للخلاص منه ، لأنه لا يمكن إصلاحه ولا تهذيبه . لأن الشيء الواحد قد يكون له أسباب متعددة ، وعلل مختلفة بحسب الجهة التي ينظر إليه منها ؛ ولأن العدم يجمع بين تطهير الأرض وإراحة أهلها ، على أنه جعل كلامه الأخير في الولد الصغير البريء من الجرائم والمآثم .

## الوالدان

نظر أبو العلاء إلى الوالدين فرأى ما يعانيانه من الشقاء والعناء لإسعاد الولد وإراحته ، ورأى أن مجيء الولد لم يكن على اختيار منهما ، كما أن سعادته وشقاءه كذلك . فحض الولد على إكرام الأب ومساعدته بمثل قوله :

تَحَمَّلْ عَنْ أَبِيكَ الثِّقْلَ يَوْماً   فَإِنَّ الشَّيْخَ قَدْ ضَعُفَتْ قُوَاهُ[2]
أَتَى بِكَ عَنْ قَضَاءٍ لَمْ يُرِدْهُ   وَآثَرَ أَنْ تَفُوزَ بِمَا حَوَاهُ

(١) اللزوميات ﻫ ص ١٠٩ ، والتثبت : اللبث والتمكث .
(٢) اللزوميات ﻫ ص ٣٣٤ وفيها : « .. قضاء لم ترده » .

وحثٌ على إكرام الوالدين ، وعلى أن يكون حظ الأم من البر والإكرام أكثر من حظ الأب ؛ لأن نصيبها من العناء أوفر ، وأوضح ذلك في قوله السابق :

العَيْشُ ماضٍ فأكْرِمْ والِدَيْكَ بِهِ    والأُمُّ أوْلَى بإكْرامٍ وإحسانِ[1]

وقوله المتقدم :

وأعطِ أباكَ النِّصْفَ حَيّاً ومَيِّتاً    وَفَضِّلْ عليهِ مِنْ كَرامَتِها الأُمّا[2]

ونظر إليهما فرأى أنهما هما اللذان جاءا بالولد إلى هذا الوجود ، وألقياه بين مخالب النوائب ، وأنياب الأوصاب ، فعد ذلك جناية على الولد ، كما بين ذلك في أبيات تقدم بعضها وأبيات سيأتي ذكرها .

## تحريض الآباء على الأبناء ، والأبناء على الآباء

قذف أبو العلاء منذ ألف سنة تقريباً في المجتمع البشري قذيفتين ، انفجرتا في هذا العصر ، فكان لهما من الأثر السيء ما كان .

الأولى منهما : تذكير الوالد بما يعانيه في تربية الولد ، وتحذيره من شر ولده ، وتنبيهه إلى ما يجب له على الولد من البر والإكرام .

والثانية منهما : إثارة الأبناء على آبائهم . لأنهم من أجل شهواتهم ألقوهم في هذه الدنيا الطافحة بالبلاء والمكاره والشقاء .

ومن البيّن أن الشيء الواحد قد تكون له جهات مختلفة ، فيختلف الحكم عليه بحسب تلك الجهات ؛ حتى يشبه أن يكون الحكم عليه نقيضاً لحكم آخر ؛ ولا يعد ذلك من التناقض في شيء بحسب الحقيقة ، فالماء

---

(١) انظر ما سبق ص ١٤٢٨ .

(٢) « « ص ١٤٢٧ .

الذي جعل الله منه كل شيء حي ، إذا نظرتَ إليه من جهة أنه يطفيء النار المحرقة ، ويطفيء الغلة ، ويزيل الغصة ، وينبت الزرع ، ويغسل الأدران وما أشبه ذلك ، حكمت عليه بأنه نافع ؛ وربما توسعت فحكمت عليه بأنه كله نفع . وإذا نظرت إليه من جهة أنه يُغرِق الإنسان والحيوان ، ويهدم البنيان ، ويفسد الزرع ، ويزيد بعض العلل ، وما شاكل ذلك ، حكمت عليه بأنه ضار ؛ وربما توسعت فحكمت بأنه كله ضرر .

فهذا شيء واحد حكمت عليه بأمرين متناقضين بحسب الظاهر ، لاختلاف جهة الحكم وسببه . على أن كثيراً من الأحكام تتبدل بتبدل الأزمان ، وتتغير بحسب الخواص في الأمكنة والأشخاص ، فإن نكاح الأخوات تبدل بمقتضى الزمان ، وأكل الميتة يتغير بحسب حالة الآكل .

وقد نظر الناس في القديم والحديث ، في الولد ، والوالد ، والوالدة ، والسلطان ، وغيره ممن له مكانة عالية في المجتمع من بعض الجهات ؛ وحكموا على كل منهم بحسب ما تقتضيه تلك الجهة . فمنهم من قصر نظره على جهات الخير . ومنهم من قصره على جهات الشر . ومنهم من جمع قليلاً من النوعين .

أما أبو العلاء ، فقد نظر إلى كل واحد من هؤلاء من أكثر من جهة ، وحكم عليه بما تقتضيه تلك الجهة ، فتوهم بعض الأدباء أنه يناقض نفسه في أحكامه . ومنشأ هذا التوهم إمّا عدم التنبه لما ذكرناه ، وإما التقليد الأعمى في الحكم . وهذا الداء مستفيض في أكثر الكتاب والأدباء . ونحن نبين رأي المعري في كل واحد ممن تقدم ذكره .

## إيثارة الأولاد على الآباء

يعتقد أبو العلاء أن هذه الدنيا دار بلاء ومحن ، وأن صفوها قليل بالنسبة إلى كدرها ، وأنها إذا سرّت ساعة ساءت ساعات ، والعاقل فيها

معذب شقي . ومن علق في أشراكِ الحياة شقّ عليه تحمل آلامها ، وصعب عليه مفارقتها ، وهو لا يعلم بعد ذلك إلى أيّ شيء يصير ، بعد أن يصبح ترابا مهينا مهانا تطؤه الأرجل والحوافر .

وأن الأب من أجل قضاء شهوته ، يلقي ولده في حبائل من الأكدار ، لا يستطيع التخلص منها إلا بالموت ، والموت أمر شيء عليه وأكرهه لديه ، وما بعده أشد منه . فلهذه الأسباب وأشباهها عد النسل جناية من الوالد على الولد ، وإن كان نبيلا نجيبا ، فقال :

عَلى الوُلْدِ يَجْنِي وَالِدٌ وَلوَ انَّهُمْ     وُلاةٌ عَلى أمْصَارِهِمْ خُطَبَاءُ[1]

وذلك لأنهم :

يَرَوْنَ أباَ ألْقَاهُمُ في مُؤَرَّبٍ     مِنَ العَقْدِ ضَلَّتْ حلهُ الأرْبَاءُ[2]

والضبة تعدو على أولادها فتقتلها وتأكلها . والإنسان يعرض أولاده المرزايا والقتل . فهو باعتبار النتيجة كالضب سبب لأذى الولد :

أبُوكَ جَنَى شرًا عَلَيْكَ وإنَّما     هُوَ الضَّبُّ إذْ يُسْدِي العُقُوقَ إلى الحِسْلِ[3]

وإذا تأمل العاقل ما يحيط بالإنسان من الفواجع في حياته ، هاله ذلك ، وأنكر على الأب أن يلقي فلذة كبده ضعيفا بين أعداء أقوياء ، يسعى كل منهم ليقتنص حياته ، ويذيقه أنواعا من العذاب ، ثم لا يستطيع هو أن يدفع عن ولده ضرا ، ولو كان أشجع من أسد ، وأروغ من ثعلب . فالعاقل إذا رأى ذلك عتب على الأب وشارك أبا العلاء في قوله :

---

(١) اللزوميات ه س ٢ .

(٢) المصدر السابق . والمؤرب : محكم العقد .

(٣) « « س ٢١١ . والحسل : ولد الضب .

لِيَذْمُمْ وَالِداً وَلَدٌ وَيَعْتِبْ عَلَيْهِ فَبِئْسَ عَمْرِي مَا سَعَى لَهْ[1]

أَتَدْرِي وَالحَيَاةُ لَهَا صُرُوفٌ بِمَا يَلْقَاهُ جِرْوُكَ يَا ثُعَالَهْ

فَمِنْ ضَارٍ يُمَزِّقُ مِنْهُ شِلْواً وَيُعْطِي فَضْلَ أَكْرُعِهِ جِعَالَهْ[2]

وَمِنْ صَقْرٍ يَقُولُ لَهُ رُوَيْداً وَمِنْ شَرَكٍ يَصِيحُ بِهِ تَعَالَهْ

والعقل يقضى على الأب قبل أن ينسل أن يسبر أحوال الحياة ، وينظر فيما فيها من العظات والعبر ، وفيما يكتنفها من المحن والبلايا ، وفيما يؤول إليه أمر الأحياء . فإن رأى بيئة حسنة ألقى فيها ولده ، وإن رأى غير ذلك أشفق على ولده وتركه في نعمة العدم :

أَلاَ تَفَكَّرْتَ قَبْلَ النَّسْلِ فِي زَمَنٍ بِهِ حَلَلْتَ فَتَدْرِي أَيْنَ تُلْقِيهِ[3]

تَرْجُو لَهُ مِنْ نَعِيمِ الدَّهْرِ مُمْتَنِعاً وَمَا عَلِمْتَ بِأَنَّ العَيْشَ يُشْقِيهِ

إلى آخر الأبيات . ولكن الأب الغرّ أعمته شهواته الحيوانية ، ودفعته طبيعته الدنيئة ؛ فلم يفكر في شيء ، وأقدم على الزواج بغير تبصر ولا تفكير في أمر نفسه وأمر ولده . واحتذى على مثال غيره في الزواج بغير شعور ، بل بطريق العدوى كما قلنا ، فإذا عق الولد أباه ، فإنما جزى سيئة بسيئة ، وكافأ جريمة بمثلها ، كما قال :

جَنَى أَبٌ وَضَعَ ابْناً لِلرَّدَى غَرَضاً إِنْ عَقَّ فَهْوَ عَلَى جُرْمٍ يُكَافِيهِ[4]

---

(١) انظر ما سبق ص ١٥٧٣ . وثعالة : الأنثى من الثعالب .

(٢) في اللزوميات « فمن ضار يمزق عنه شلواً ... » . والشلو : الجلد والجسد من كل شيء .

(٣) اللزوميات ٢ ص ٣٤٠ .

(٤) المصدر السابق .

وأبو العلاء لا يحمد أبا على عطفه على ولده ، ولا يلوم ولداً على تجافيه عن أبيه :

وَمَا حَمِدْتُ كَبِيراً في تَحَدُّبِهِ وَلاَ عَذَلْتُ صَغِيراً في تَجَافِيهِ[1]

لأن عطف الأب لا يكفر جريمة الإيلاد ؛ ولأن تجافي الصغير مكافأة سوء بسوء .

## إبادة الآباء على الأولاد

ورأى فريقاً من الأبناء لا يرعون حق الأبوة ، ولا يقومون بما يجب عليهم من البر والتكرمة لآبائهم ، حتى إن فريقاً منهم كان يمتهن أباه ويسخره في أعماله . ومنهم من كان يركب فرسه ويمشي أبوه خلفه ، حتى إذا انتهى إلى المكان الذي يريد زيارة صاحبه ، أمسك أبوه بعنان فرسه ، وانتظره على الباب حتى يخرج ، ومنهم ، ومنهم .

سمع بعضاً من هذه الصور الوحشية فأنكرها . ونبه الآباء إلى أنهم إنما يربّون أعداء ، بل إنه يرى أن :

أَعْدَى عَدُوٍّ لابنِ آدَمَ خِلْتُهُ وَلَدٌ يَكُونُ خُرُوجُه مِنْ ظَهْرِهِ[2]

وأن الولد حنش فيجب أن يحذره .

. . . . . . . . . وَخَفْ مِنْ سَلِيلِكَ فَهْوَ الحَنَشْ[3]

---

(١) اللزوميات ٥ ص ٣٤٠ .

(٢) انظر ما سبق ص ١٥٥٣ .

(٣) عجز بيت ، صدره : « عروسك أفعى فهب قربها » . انظر ما سبق ص ١٥٤٤ .

بل هو نار إذا أصابته أحرقته :

اِحْذَرْ سَلِيلَكَ فَالنَّارُ الَّتِي خَرَجَتْ ... مِنْ زَنْدِهَا إِنْ أَصَابَتْ عُودَهُ احْتَرَقَا[1]

ولو وفقت الأم لم تحمل به ولم تلده تاماً :

أَحَاضِنَةَ الغُلَامِ ذَمَمْتِ مِنْهُ ... أَذَاهُ فَأَرْضِعِي حَنَشاً وَضُمِّي[2]

فَلَوْ وُفِّقْتِ لَمْ تَسْقِي جَنِيناً ... وَلَمْ تَضَعِي الوَلِيدَ وَلَمْ تُتِمِّي

لَهَانَ عَلَى أَقَارِبِكِ الأَدَانِي ... قِيَامُكِ عَنْ خَدِيجٍ غَيْرِ تَمِّ

ولو تتبع الناس أحوال الأولاد ، وما يجلبونه من الويل لآبائهم لرغبوا عن النسل بل :

لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا أَبْنَاؤُهُمْ جَلَبُوا ... وَبِيعَ بِالفِلْسِ أَلْفٌ مِنْهُمُ كَسَدُوا[3]

فَوَيْحَهُمْ بِئْسَمَا رَبُّوا وَمَا حَضَنُوا ... فَهُوَ الخَدِيعَةُ وَالأَضْغَانُ وَالحَسَدُ

ولو علموا ما يلقاه الآباء من أبنائهم من كفران النعم ، ومقابلة الحسن بالقبيح ونحو ذلك لحرّقوا الأرّم على النسل ، وتمنوا العقم والعقر أو الثكل :

فَكَمْ وَلَدٍ لِلْوَالِدَيْنِ مُضَيِّعٍ ... يُجَازِيهِمَا بُخْلاً بِمَا بَجَلَاهُ[4]

طَوَى عَنْهُمَا القُوتَ الزَّهِيدَ نَفَاسَةً ... وَجَرَّاهُ سَارَا الحُزْنَ وَارْتَحَلَاهُ

إلى آخر هذه الأبيات . وفي كلامه صور مختلفة من هذا النوع .

---

(١) اللزوميات هـ ٢ ٣٠٣ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٢٥١ ، وفيها : « ... أذاك فارضعي .. » . والخديج : الناقص الخلق . يقال : خدجت الناقة وأخدجت إذا ألقت ولدها قبل استتام خلقه .

(٣) اللزوميات هـ ص ٩٣ وفيها : « لو يعلم الناس ... » و « فهي الخديعة ... » .

(٤) « « ص ٣٣٠ . وجراه : أي من أجله .

## إثارة كل من الزوجين على الآخر

وفي أبياته السابقة ، وما يشبهها من الأبيات التي ذكر فيها زواج الشاب عجوزاً ، وما تكنه المرأة في صدرها للرجل ، وتحذير الرجل من ذهاب المرأة إلى العراف ، والمنجم ، والحمام ، والحج ، وتعلمها القراءة والكتابة ، ومجالسة الختن ، ودخول من بلغ العشر [١] ، وما شاكل ذلك أيقظ في قلب الرجل شيئاً كثيراً من أنواع الريبة في المرأة . وفي ذلك إثارة للرجل عليها ؛ لأنه ملأ قلبه ريبة فيها وظنوناً سيئة .

وفي أبياته التي ذكر فيها زواج الشابة كهلا أو شيخاً ، ومضارة المرأة بتعدد الزوجات [٢] ، وما أشبه هذا شيء من إثارة المرأة على الرجل ؛ لأنه أفعم قلبها كرهاً له ، ودلها على المواطن التي تثير غيظها وحقدها على الرجل .

وقد ذكرنا في غير هذا الموضع إثارته الرعية على رعاتها . والفقراء على الأغنياء الذين يمنعونهم حقوقهم المشروعة لهم . وقد يقال : إن فلسفة أبي العلاء هذه هدّامة تفضي إلى هدم المجتمع . والجواب : إن هدم هذا المجتمع من هذه الناحية من أقصى أمانيه ، وأسمى غاياته ؛ لأنه ملّ من فساده ، ويئس من إصلاحه كما تقدم .

## حبه الرفق بكل حي

قلنا غير مرة : إنّ أبا العلاء كان قاسي القلب والحكم على المرأة ؛ لأنها مزرعة النسل ، والعماد الذي يقوم عليه ، وموضع العار ؛ وعلى الرجل ، لأنه سبب الولد الذي سيكون أداة شر في المستقبل ، وسبباً للنسل ، فهو قاس عليهما إذا نظر اليهما من هذه الجهات وما يتصل بها . أما إذا نظر إليهما من حيث إن كلاً منهما حي يحرص على حياته ويحبها ويشعر بالآلام

---

(١) انظر ما سبق ص ١٥٤٧ .

(٢) انظر ما سبق ص ١٩٦٣ ـ ١٩٦٩ .

ويكرهها ، وإنه ضعيف ورد إلى هذه الدنيا بغير اختيار ولا رغبة ، وإنه يعاني فيهـا شقاء وآلاما بغير رضا ولا طلب ؛ فإنه يوليها من العطف ما مر بك بعضه ، وسيجيء بعض آخر منه . ولم يقتصر عطفه على الإنسان ، بل تعداه إلى كل ذي روح يشعر بالألم ، وقد تمكنت هذه الرأفة من نفسه ، فكان من آثارها ما نراه في شعره من صور الرفق المختلفة الدالة على قلب رقيق ، وعطف صادق ، ويمكن إرجاع كلامه في ذلك إلى أمرين :

الأول : الرفق بالإنسان .

والثاني : الرفق بالحيوان .

## الرفق بالإنسان

قلنا : إن أبا العلاء درس أحوال الناس وأطوارهم ، وقتلهم علماً واختبارا . فكان مما رآه فيهم أن فريقاً منهم قضت عليه الأيام أن يكون أسيراً في يد غيره ، أو فقيراً يضطر إلى أن يمتهن نفسه ليسد رمقه ، أو ضعيفاً لا يستطيع أن يذود عن حوضه ، أو مبتلى بعاهة لا يستطيع معها أن يجاري غيره في مضمار الحياة ، أو نكد الحظ فلا ينال ما يناله المجدود في حياته ، وان كان سعيه أضعاف سعي ذاك ، أو يتيما لا يجد له ناصرا . أو نحو ذلك من البلايا التي تجعل صاحبها مقصراً عن غيره في إدراك ما يبتغيه من الرزق والسعادة ، أو عاجزاً عن دفع ما يعتريه من المحن والرزايا .

وان السالمين من هذه العلل قد نزع الله الرحمة من قلوبهم ؛ فلا يرقون لشاك ، ولا يرأفون بباك . فحض في مواطن من شعره على الرأفة بهؤلاء ، وحذر من عاقبة الجور عليهم . وهذه أمثلة من كلامه في ذلك :

الرفق بالعبيد والخدم

إذا كَسَرَ العَبْدُ الإناءَ فَعُدَّهُ أذاةً لَهُ إنَّ الإناءَ إلى كَسْرِ [1]
رَقيقُكَ أسرى في يَدَيْكَ فلا تَكُنْ غَليظاً عَلَيْهِمْ واتّقِ اللهَ في الأسْرِ

• • •

أسأتَ بِعَبْدِكَ في عَسْفِهِ وَحَمّلْتَ غَيْرَكَ مالَمْ يُطِقْ [2]
وَسَوْفَ يُجازِيكَ رَبُّ السَّماءِ فَشَمِّرْ لِأَحْكامِهِ وانْتَطِقْ

• • •

وَلا تَكُ مِمَّنْ قَرَّبَ العَبْدَ شارِخاً وَضَيَّعَهُ إذْ صارَ مِنْ كِبَرٍ هِمّا [3]

• • •

وَارْدُدْ عَصاكَ عَنِ السَّوْداءِ ماهِنَةً وَارْفُقْ بِعَبْدِكَ في المُصْطافِ والقَرَسِ [4]

الرفق بالفقير :

وَانْبِذْ إلى مَنْ تَشَكّى قِرَّةً سَمَلاً مِنَ الثِّيابِ وأوْرِدْ ظامِئاً سَمَلَكْ [5]

• • •

---

(١) اللزوميات هـ ص ١٤٨ .
(٢) اللزوميات هـ ص ٣٠٨ .
(٣) « « ص ٢٣٨ .
(٤) « « ص ٢٩٩ وماهنة : خادمة ، والقرس : البرد الشديد .
(٥) السَّمَل : الخلق من الثياب ، والسَّمَل : جمع سَمَلة الماء القليل يبقى في الإناء وغيره (ج) . وانظر اللزوميات هـ ص ١٩٠ .

فَرِشْ مُعْدِماً إنْ كَانَ يُمكِنُ رَيْشُهُ ... وَلاَ تَفْخَرَنْ بينَ الأَنَامِ بِما رِشْتَا[١]

• • •

فاجْبُرْ فَقِيراً بِعَطَاءِ لَهُ ... إنْ كَانَ في طَوْلِكَ أنْ تَجْبُرَهْ[٢]

الرفق بالضعيف :

فَامْنَحْ ضَعِيفَكَ إنْ عَرَاكَ وَلَوْ ... نَزْراً وَلاَ تَصْرِفْهُ بالكَهْرِ[٣]

وَارْفَعْ لَهُ شَقْرَاءَ تَرْمَحُ في ... دَهْمَاءَ مِثْلَ تَأرُّنِ المُهْرِ

• • •

أكْرِمْ ضَعِيفَكَ والآفاقُ مُجْدِبَةٌ ... وَلاَ تُهِنْهُ وَلَوْ أعْطَيْتَهُ القُوتَا[٤]

• • •

إذَا كُنْتَ في نَخْلٍ جَنَاهُ مُيَسَّرٌ ... لِكَفِّكَ فَاهْتِفْ بالضَّعِيفِ إلى النَّخْلِ[٥]

الرفق بالمعتر :

إذَا أُوتِيتَ مِلْءَ يَدٍ طَعَاماً ... فَأطْعِمْ مَنْ عَرَاكَ وَلَوْ كَظُفْرِ[٦]

---

(١) راشه : من باب باع قام بمصلحته أو أناله خيراً (ج) . وانظر اللزوميات هـ ص ٦٣ .

(٢) اللزوميات هـ ص ١٤٤ .

(٣) » » ص ١٦٥ . والكهر: الانتهار واستقبال الإنسان بوجه عابس تهاوناً به ، والشقراء : النار . والدهماء : الظلمة ؛ وتأرن : لعلها من الأرن وهو النشاط .

(٤) اللزوميات هـ ص ٦٣ .

(٥) » » ص ٢١٠ .

(٦) » » ص ١٥٥ .

الرفق باليتيم :

أنْصِفْ يَتِيمَكَ في التُّرَاثِ وَلاَ تَأْخُذْهُ بالإعْنَاتِ وَالقَهْرِ [١]

الرفق بالأعمى :

إذَا مَرَّ أعْمَى فَارْحَمُوهُ وأيْقِنُوا وَإنْ لَمْ تُكَفُّوا أنَّ كُلَّكُمُ أعْمَى [٢]

الرفق به وبالأصم :

تَصَدَّقْ عَلى الأعْمَى وَخُذْ بيَمِينِهِ لِتَهْدِيَهُ وامْنُنْ بإفْهَامِكَ الصُّمَّا [٣]

الرفق بالمؤمن :

أنْجِدْ أخَاكَ عَلى خَيْرٍ يَهُمُّ بِهِ فَالمُؤْمِنُونَ لَدَى الخَيْرَاتِ أنْجَادُ [٤]

## ترك الحروب والنهي عنها

ولشدة حبه الرأفة بالإنسان ، والرفق به ، كره الحروب لما فيها من إراقة دماء ، وتمزيق أشلاء ، وتعذيب نفوس ، وعدّ ذلك كله من السفه والجهل والظلم ؛ ونهى عن شهر الحسام ، وحض على التماس الرزق من طريق العمل والجد ، لا من طريق الأسنة والسيوف ، وقد أكثر من التصدي لهذا الموضوع في ( اللزوم ) وأورد صوراً مختلفة منه ، منها قوله :

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ١٦٠ . وفي الأصل : « وانصف يتيمك .. » .

(٢) « « ص ٢٣٩ .

(٣) « « ص ٢٣٨ . وفيها : « ... على الأعمى بأخذ يمينه ... »

(٤) « « ص ٩٥ .

فإنْ تَرْشُدُوا لاَ تَخْضِبُوا السَّيْفَ مِنْ دَمٍ
وَلَا تُلْزِمُوا الأَمْيَالَ سَبْرَ الجَرَائِحِ [١]

. . .

وَمَا اقْتَتَلَ الحَيَّانِ إلاَّ سَفَاهَةً ... وَلَوْ صَحَّ وُدِّي لِلمُحَارِبِ حَيَّانِي [٢]

. . .

وَالظُّلْمُ عِنْدِي قَبِيحٌ لا أُجَوِّزُهُ ... وَلَوْ أُطِعْتُ لَمَا فَاهُوا بِأَجْلابِ [٣]

. . .

وَلَوْ صَفَا العَقْلُ أَلْقَى الثِّقْلَ حَامِلُهُ ... عَنْهُ وَلَمْ تَرَ فِي الهَيْجَاءِ مُعْتَرِكَا [٤]

. . .

وَلاَ تَشِيمَنْ حُسَاماً كَيْ تُرِيقَ دَماً ... كَفَاكَ سَيْفٌ لِهَذَا الدَّهْرِ مَا غُمِدَا [٥]

. . .

وَلَوَ أَنَّ الأَنَامَ خَافُوا مِنَ العُقْـ ... ـبَى لَمَا جَارَتِ المِيَاهَ الدِّمَاءُ [٦]

. . .

فَعَلاَمَ تَجْتَلِبُ الحِمَامَ بِجَهْلِهَا ... مُهَجٌ تُطَاعِنُ فِي الوَغَى وَتُجَالِدُ [٧]

. . .

---

(١) اللزوميات » ص ٨٤ .
(٢) » » ص ٢٧٢ .
(٣) » » ص ٤٨ .
(٤) » » ص ١٨٦ .
(٥) » » ص ١٠٢ .
(٦) » » ص ٢٤ .
(٧) » » ص ٩٩ . وفي الأصل : « تجتنب ... » .

وَاطْلُبِ الرِّزْقَ بِالْمُرُودِ مِنَ الشَّجْرَاءِ لَا مِنْ أَسِنَّةٍ وَمَنَاصِلِ [١]

. . .

لَا تُحْدِثِ القَطْعَ فِي كَفٍّ وَلَا قَدَمٍ وَلَا تَعَرَّضْ مَدَى الدُّنْيَا لِسَفْكِ دَمِ [٢]

وَخَلِّ مَنْ صَوَّرَ الأَشْبَاحَ مُقْتَدِراً يَحُلُّهَا فَهْوَ رَبُّ الدَّهْرِ وَالقِدَمِ

## الاشتراك

ومن آثار محبته الرفق والرأفة اعتقاده أن للفقير حقاً في مال الغني ، ولكنه لم يجر على طريقة الاشتراكيين في هذا العصر ، وإنما كان معتدلاً في رأيه ، بعيداً عن الغلو والشطط ، ومصدر هذا الرأي أمران : أحدهما : الإسلام . والثاني : رقة القلب والرحمة للضعيف والمعدم .

أما الإسلام : فقد أوجب الشارع الزكاة ، وحض القرآن الكريم على الصدقات والإنفاق في مواطن كثيرة . وأمر المسلمين بالإحسان للوالدين ، وذي القربى واليتامى والمساكين ، والجار ذي القربى ، والجار الجنب ، والصاحب بالجنب ، وابن السبيل ، وما ملكت أيمانهم . وقد قال بعض العلماء : يشمل المملوك من الآدمي والحيوان . ورغّب في الإحسان ، وجعل من صفات المتقين أنّ في أموالهم حقّاً معلوما للسائل والمحروم ، أي المتعفف عن السؤال ، من غير أن يعين صنفاً بعينه .

---

(١) اللزوميات ٢ ص ٢٢٦ . والمرور : للهاجم تمر بالفتح وهي المسحاة . والشجراء : الأرض الكثيرة الشجر . والأسنة : الرماح . ومناصل : مفردها منصل وهو السيف .

(٢) اللزوميات ٢ ص ٢٤٧ .

وقد جاء كثير من الأحاديث في الحض على البر والترغيب فيه ؛ وبيان ما يترتب عليه من الفوائد في الدنيا والآخرة .

وأما رقة القلب : فقد أسلفنا طائفة من أقواله الدالة عليها ، وسنذكر طائفة أخرى منها . وأكثر كلامه مغمور بالشعور الإسلامي ؛ فهو يجعل حق المعدم من باب الزكاة تارة ، ومن باب الصدقة تارة أخرى . وهذه أمثلة من كلامه :

إذَا وَهَبَ اللهُ لي نِعْمَـــةً … أفدْتُ المَسَاكِينَ مِمَّا وَهَبْ[1]

جَعَلْتُ لَهُمْ عُشْرَ سَقْيِ الغَمَامِ … وأعطَيْتُهُمْ رُبْعَ عُشْرِ الذَّهَبْ

. . .

وَأحسِبُ النَّاسَ لَوْ أدّوْا زَكَاتَهُمُ … لَمَا رأيتَ بَنِي الإعْدَامِ شَاكِينَا[2]

فَإنْ تَعِشْ تُبْصِرِ البَاكِينَ قَدْ ضَحِكُوا … والضَّاحِكِينَ لِفَرْطِ الجَهْلِ بَاكِينا

. . .

إذَا طَرَقَ المِسْكِينُ دَارَكَ فَاحْبُهُ … قَليلاً ولَوْ مِقْدَارَ حَبَّةِ خَرْدَلِ[3]

وَلاَ تَحْتَقِرْ شَيْئاً تُسَاعِفُهُ بِهِ … فَكَمْ مِنْ حَصَاةٍ أيَّدَتْ ظَهْرَ مِجْدَلِ

. . .

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٥٧ .
(٢) » » ٢٦٦ ، وفيها : « ... الناس لو أعطوا زكاتهم » .
(٣) » » ص ٢١١ . والمجدل كمنبر : القصر .

وَقَدْ رَفَقَ الذي أوْصَى أُنَاساً  بِعُشْرٍ في الزّكَاةِ وَنِصْفِ عُشْرِ [١]

فهو في هذه الأبيات يحتذي على مثال الشرع الإسلامي ، ولا يتعدى حدوده في الواجبات . وفي أبياته المتقدمة في الرفق بالفقير والضعيف يدل على أن حق الضعيف من باب الصدقة والبر ، وليس فيه تحديد للقدر الذي يجب أن يعطى . وفي ( لزوم ما لا يلزم ) أبيات تشير إلى إشراك الضعيف ومشاطرته المال كقوله :

كَيْفَ لَا يُشْرِكُ المُضِيقِينَ في النِّعْـــمَةِ  قَوْمٌ عَلَيْهِمُ النَّعْمَاءُ [٢]

• • •

شَاطِرْ ضَعِيفَكَ مَا أُوتِيتَ مِنْ نَشَبٍ  وَعَدِّ ذِكْرَكَ أُخْتَ الجِيرَةِ الشُّطُرِ [٣]

وقوله :

زَعَمَ الزّاعِمُونَ والقَوْلُ مِنْ مَيْـــنٍ وَصِدْقٍ يُرْوَى فَعَالِي وَعِيفِي [٤]

إنّ شِقًّا يَلُوحُ في بَاطِنِ التّمْـــرَةِ قَسْمٌ بَيْنِي وَبَيْنَ الضّعِيفِ

---

(١) مذهب الإمام أبي حنيفة ( ض ) يجب العشر فيما سقته السماء أو السيح ، بلا شرط نصاب ولا حولان ، حول من كل ما قصد به استغلال الأرض . ويجب نصف العشر فيما سقي بدلو او دالية أي دولاب . وقال صاحباه : لا يجب الا فيما له ثمرة باقية حولاً بشرط أن يبلغ خمسة أوسق على التفصيل المبسوط في كتب الفقه وعند الشافعي ( ض ) : لا زكاة في شيء من النابت إلا في رطب وعنب وما صلح للخبز من الحبوب . بخلاف ما يؤكل على وجه التفكه كالتفاح والتين ونحوهما ، ويجب العشر فيما سقي بلا مؤونة ، ونصفه فيما سقي بمؤونة . بشرط أن يبلغ خمسة أوسق وأن يزرعه مالكه أو نائبه . وكلام أبي العلاء مطلق يدل على أنه جرى على مذهب أبي حنيفة (ج) . وانظر اللزوميات هـ ص ١٥٥ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٢٤ وفيها : « قوم عليهم نعماء » والمضيق : من ذهب ماله وضاقت حاله .

(٣) « « ص ١٥١ .

(٤) « « ص ٢٩٧ . وفيها : « في باطن البرة قسم .. » .

وقد توهّم بعض الأدباء، فظن أن أبا العلاء يرى مذهب الاشتراكية في هذا العصر، والحق ما ذكرناه هنا وفي الكلام على المال أنه يريد أن يكون للفقير حظ في مال الغني، على سبيل الزكاة أو البر والمعروف. ولفظ «يشرك» و «شاطر..» لا يريد بهما تحديد قدر معين؛ لأن أبا العلاء كان كريماً يحب الكرم ويحض عليه، ويعتقد أن الموسر إن أمسك ماله كان خازناً للوارث، وإن أنفقه كان وكيلا للبرية كما قال:

إذا أعملَ الفِكْرَ الفَتَى وَجدَ الغِنَى ... بِدُنْيَاهُ فَقْراً والسُّرُورَ بِها حُزْنَا[1]

يَكُونُ وَكِيلاً لِلْبَرِيَّةِ بَاذِلاً ... وَلِلْوارِثِيهِ إنْ أرَادَ لَهُ خَزْنَا

ولذلك حض على تفريقه وإنفاقه حيث قال:

لاَ تَجْمَعُوا المَالَ واحْبُوهُ مَوَالِيَهُ ... فَالمُمْسِكُونَ تُرَاثٌ كُلُّ مَا جَمَعُوا[2]

• • •

إنْ حَبَاكَ القَدِيرُ كَالنِّيلِ تِبْراً ... فَلْيَغِضْهُ العَطَاءُ والتَّنْوِيلُ[3]

لَا تُعَوِّلْ عَلَى اخْتِزَانٍ فَمَا لِلْـ ... ـبِدَرِ الصُّفْرِ إثْرَ مَيْتٍ عَوِيلُ

## الرفق بالحيوان

ويرى الناظر في كلامه صوراً مختلفة من الحض على الرفق بالحيوان، ودفع الأذى عنه، من ذلك قوله في العوْد، وهو الجمل المسن:

---

(١) اللزوميات هـ ص ٣٦٤. وفيها: «.. الفتى جعل الغنى من المال فقراً ..».
(٢) » » ص ٢٨١.
(٣) » » ص ٢٠٢. وغاض العطاء المال: نقصه.

يَا ضَارِبَ العَوْدِ البَطِيءِ وظَهْرِهِ لَاوِزْرَ يَحْمِلُهُ كَوِزْرِ الضَّارِبِ[١]

ارْفُقْ بِهِ فَشَهِدتُ أنكَ ظَالِمٌ في ظَالِمِينَ أبَاعِدٍ وأقَارِبِ

وقوله في العير وهو الحمار :

أَلَمْ تَرَ أن الخَيرَ يَكسِبُه الحِجى طَرِيفاً وأنَّ الشَّرَّ في الطَّبْعِ مُتْلَدُ[٢]

لَقَدْ رَابَنِي مَغْدَى الفَقِيرِ بِجَهْلِهِ عَلى العَيْرِ ضَرْباً سَاءَ مَا يَتَقَلَّدُ

يُحَمِّلُهُ مَا لَا يُطِيقُ فَإِنْ وَنَى أَحَالَ عَلى ذِي فَتْرَةٍ يَتَجَلَّدُ

يَظَلُّ كَزَانٍ مُفْتَرٍ غَيْرِ مُحْصَنٍ يُقَامُ عَلَيْهِ الحَدُّ شَفْعاً فَيُجْلَدُ

تَظَاهَرُ أبْلادُ[٣] الرَّزَايَا بِظَهْرِهِ وَكَشْحَيْهِ فَاعْذِرْ عَاجِزاً يَتَبَلَّدُ

وقوله في الناقة والفرس :

أَحْسِنْ إلى النَّاقَةِ الوَجْنَاءِ تَبْعَثُهَا فِيمَا تَشَاءُ وأَكْرِمْ عِشْرَةَ الفَرَسِ[٤]

وقوله في الطير :

تَصَدَّقْ عَلى الطَّيْرِ العَوَادِي بِشَرْبَةٍ مِنَ المَاءِ واعْدُدْهَا أحَقَّ مِنَ الإِنْسِ[٥]

فَمَا جِنْسُهَا جَانٍ عَلَيْكَ أَذِيَّةً بِحَالٍ إذَا مَا خِفْتَ مِنْ ذَلِكَ الجِنْسِ

* * *

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٥٣ .

(٢) » » ص ٨٩ . والفترة : الانكسار والضعف .

(٣) جمع بَلَد : وهو الأثر (ج) .

(٤) اللزوميات ﻫ ص ٢٩٩ .

(٥) » » ص ٢٩٧ .

لَا تَرُعِ الطَّائِرَ يَغْذُو بُجَّهُ  يَلْتَقِطُ الْحَبَّ لِكَيْ يَمُجَّهُ[١]

وقوله في البرغوث :

تَسْرِيحُ كَفِّيَ بُرْغُوثاً ظَفِرْتُ بِهِ  أَبَرُّ مِنْ دِرْهَمٍ تُعْطِيهِ مُحْتَاجا[٢]

لاَ فَرْقَ بَيْنَ الأَسَكِّ الْجَوْنِ أُطْلِقُهُ  وَجَوْنِ كِنْدَةَ أَمْسَى يَعْقِدُ التَّاجا

كِلاَهُمَا يَتَوَقَّى وَالْحَيَاةُ لَهُ  حَبِيبَةٌ وَيَرُومُ الْعَيْشَ مُهْتَاجا

وقد قدمنا أبياتاً تدل على نهيه عن ذبح الحيوان ، وإخراجه من الماء ، وفجع الطير في أوكارها ، وأكل ما تدخره النحل لنفسها ، ونحو ذلك من الأعمال التي تؤذي الحيوان وتؤلمه .

وقد بين في بعض الأبيات الأسباب التي حملته على الرفق ، لأن الحيوان كالإنسان يحب الحياة ، ويحرص على سلامتها ، ويشعر بالأذى والآلام ، وإن الإنسان ظالم قاسي القلب ، قد يحمّل الحيوان ما لا يطيق ، ويضربه لغير سبب ، ويفجعه بأفراخه وأفولته ، ولا يدع باباً من أبواب الأذى إلا فتحه عليه . وفي كلامه الباقي صور تمثل ذلك .

## ذبح الحيوان

علمنا أن أبا العلاء امتنع عن أكل الحيوان ، لأنه لا يُوصل إلى أكله إلا بإيلامه ، بذبح أو نحوه . وعلى هذا لا ننكر عليه أن ينهى عن قتل الحيوان كما نهى عن قتل الإنسان فيقول :

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٧٦ والبجّ . فرخ الحمام ، ومج الشي من فيه : إذا ألقاه وطرحه .

(٢) الأسك : الصغير الأذن . والجون : الأسود والمراد به البرغوث والجون الثاني : الملك معاوية بن حجر بن عمرو . . من ثور بن كندة وهو أبو بطن منهم (ج) وانظر اللزوميات ﻫ ص ٧٦ .

فَلاَ تُرْهِفْ مُدًى لِعَبِيطِ نَحْضٍ    وَلَا تَشْهَرْ عَلَى قِرْنٍ صَقِيلاً[١]

• • •

فَلاَ تُبْكِرَنْ يَوْماً بِكَفِّكَ مُدْيَةٌ    لِتُهْلِكَ فَرْخاً فِي مَوَاطِنِهِ دَجَّا[٢]

ولا ننكر عليه أن يعد التذكية ظلماً وغواية وابتعاداً عن الذكاء :

وَلَوْلَا أَنَّكُمْ ظُلْمٌ غُوَاةٌ    لَصَدَّكُمُ الذَّكَاءُ فَلَمْ تُذَكُّوا[٣]

وقد علم أن الناس لا يطيعونه في عـدم الذبح ، وأحب أن يعامل الحيوان بالرفق في حياته وعند مماته ، فأوصى أن يريح الذابح ذبيحته ؛ وإراحتها تكون بأن يُحِدَّ آلة الذبح ، ولا يصرع الذبيحة بعنف ، ولا يجرها بشدة ، وأن يسرع بذبحها ، ويتركها حتى تبرد . ولا يذبحها بحضور غيرها مذبوحاً كان أم مراداً ذبحه . ونحو ذلك مما يقتضيه الرفق والإحسان ، وهذا ما يشير اليه قوله :

رَوِّحْ ذَبِيحَكَ لَا تُعْجِلْهُ مِيتَتَهُ    فَتَأْخُذَ النَّحْضَ مِنْهُ وَهُوَ يَخْتَلِجُ[٤]

وهذا يشير إلى حديث صحيح رواه أحمد ومسلم وغيرهما عن النبي - ﷺ - أنه قال : « إنَّ الله تعالى كَتَبَ الإحْسَانَ على كلِّ شيءٍ فإذا قتلتم فأحْسِنوا القِتْلَةَ ، وإذا ذبحتم فأحْسِنوا الذِّبْحَةَ ، وليحِدَّ أحدكم شفرَتَه ، وليُرِح ذَبيحَتَه » .

وقد قدمنا في الكلام على طعامه شيئاً يتعلق بهذا الغرض .

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٠٦ . وفيها : « ولا ترهف ... » . والعبيط : الطري . والنحض : اللحم ، والقطعة منه نحضة .

(٢) اللزوميات هـ ص ٧٥ . بكر وأبكر : عجل وأسرع ، ودجَّ : دب في السير .

(٣) « « ص ١٨٤ .

(٤) « « ص ٧٤ .

# الأخلاق

تناول أبو العلاء هذه الناحية بكثير من العناية والاستقراء ، حتى لا تكاد تجد قصيدة له خلوا منها ، ولم يدع ناحية إلا وألم بطارف منها . وقد نبهه اضطراب الحياة السياسية ، والاجتماعية ، والدينية إلى ما انطوى عليه الناس من الأخلاق الذميمة ، حتى أصبح لا يثق بشيء من أقوالهم ولا أعمالهم ، ولا يصدق شيئاً من مظاهرهم الحسنة . وفي كلامه صور رائعة تمثل للقارىء اعتقاده في الناس بعد اختباره لهم . وإليك طرفاً منها :

وَمَنْ يَفْتَقِدْ حَالَ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ ... يَذُمَّ بِهِمْ غَرْباً مِنَ الأَرْضِ أَوْ شَرْقَا[1]

يَجِدْ قَوْلَهُمْ مَيْناً وَوُدَّهُمُ قِلًى ... وَخَيْرَهُمُ شَرّاً وَصُنْعَهُمُ خُرْقَا

وَبِشْرَهُمُ خَدْعاً وَفَقْرَهُمُ غِنًى ... وَعِلْمَهُمُ جَهْلاً وَحِكْمَتَهُمْ زَرْقَا

ومنها :

مَتَى كَشَّفْتَ أَخْلاقَ البَرَايَا ... تَجِدْ مَا شِئْتَ مِنْ ظُلْمٍ وَحَرْجِ[2]

ضَغَائِنُ لَمْ تَزَلْ مِنْ قَبْلِ نُوحٍ ... عَلَى مَا هَانَ مِنْ فِرْزٍ وَعَرْجِ .

. . . . . . . . . . . . . . .

وَأَشْرَفُ مَنْ تَرَى فِي الأَرْضِ قَدْراً ... يَعِيشُ الدَّهْرَ عَبْدَ فَمٍ وَفَرْجِ

---

(١) اللزوميات ﻫ س ٣٠٢ .

(٢) « « س ٧٨ . والفرز من الضأن : ما بين العشرة إلى الأربعين . والعرج : نحو خمسمائة من الإبل .

ومنها :

أَمْسَى النِّفَاقُ دُرُوعاً يُسْتَجَنُّ بها مِنَ الأَذَى وَيُقَوِّي سَرْدَهَا الحَلِفُ[(١)]

ومنها :

وَبِيعَتْ بِالفُلُوسِ لِكُلِّ خِزْيٍ وُجُوهٌ كَالدَّنَانِيرِ الحِسَانِ[(٢)]

وقد بلغ به سوء الظن في الناس إلى أن لا يثق بنسبة الولد إلى أبيه ، لكثرة ما رأى وسمع من الكذب والشر والخداع في الوالدين ، كما قال في أبيات تقدمت ، منها قوله :

وَلِحُبِّ الصَّحِيحِ آثَرَتِ الرُّو مُ انْتِسابَ الفَتَى إِلَى أُمَّهَاتِهْ[(٣)]

ولكثرة ما علم في أهل عصره ومن تقدمهم من الأخلاق الذميمة ، والأفعال اللئيمة ، شك فيهم هل هم من نسل ابليس أم نسل حواء ؟ فقال :

أَنَسْلُ إِبْلِيسَ أَمْ حَوَّاءَ وَيْحَكُمُ هذَا الأَنَامُ فَفِي أَفْعَالِهِ دَلَسُ[(٤)]

إِنْ يُؤْمَنُوا لا يُؤَدُّوا أَوْ يَكُنْ لَهُمُ عِزٌّ يَضِيمُوا وَإِنْ أَعْيَاهُمُ اخْتَلَسُوا

وشك مرة أخرى في أنهم جن أم إنس في مثل قوله :

وَتَفَكَّرَتْ نَفْسُ اللَّبِيبِ وَقَدْ رَأَتْ أَشُخُوصُ جِنٍّ أَمْ شُخُوصُ أُنَاسِ[(٥)]

. . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

(١) اللزوميات ٥ ص ٢٩٢ .

(٢) « « ص ٢٧٩ .

(٣) اللزوميات ٥ ص ٧٠ .

(٤) اللزوميات ٥ ص ٢٩٢ وفيها : « . . . ففي أفعالهم دلس » .

(٥) « « ص ٣٠٣ .

عُرْبٌ وَعُجْمٌ دَائِلُونَ وَكُلُّنَا ... في الظُّلْمِ أَهْلُ تَشَابُهٍ وَجِنَاسِ

وأكبر أن تصدر أفعالهم من الجن ، لأنهم عقلاء ، فشبههم بأنواع من البهائم في مثل قوله :

فَنَحْنُ كَأَيْمِ الضَّالِ أَوْلَى بِرَاسِهِ ... بِمَا كَانَ يَغْوِي الآخِرَ المُتَقَدِّمُ[1]

• • •

والنَّاسُ مِثْلُ سَوَامٍ لا حُلُومَ لَهُمْ ... يَسُوقُهُ لِلْمَنَايَا سَائِقٌ حُطَمُ[2]

• • •

مَا أَشْبَهَ النَّاسَ بِالأَنْعَامِ ضَمَّهُمُ ... إِلَى البَسِيطَةِ مُصْطَافٌ وَمُرْتَبَعُ[3]

• • •

وأَكْثَرُ النَّاسِ مِثْلُ الذِّئْبِ تَصْحَبُهُ ... إِذَا تَبَيَّنَ مِنْكَ الضَّعْفَ أَطْمَعَهُ[4]

• • •

وَلَيْسَ أَخُوكَ إِلاَّ لَيْثَ غَابٍ ... يَسُورُ إِلَى افْتِرَاسِكَ بِافْتِرَاصِ[5]

• • •

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٣٠ .

(٢) » » ص ٢٣٣ . والحطم : الذي يلف كل شيء .

(٣) » » ص ٢٨٣ .

(٤) » » ص ٢٨٦ وفيها : « وأكثر الانس . . . » .

(٥) » » ص ٢٨٨ ، ويسور : يثب ؛ والافتراس : دق العنق ، وفرصت الجلد بالحديد : اذا شققته ، أو لعلها من افترص الفرصة إذا انتهزها .

وَكَأَنَّ أَبْنَاءَ الذينَ هُمُ الذُّرَا … أَعْفَاءُ أَهْلٍ لا أَقُولُ مِهَارُ[1]

• • •

والشرُّ في حيوانِ الأرضِ مُفترِقٌ … وَالإِنسُ كَالوَحشِ مِن ضَارٍ ومُبتَقِلِ[2]

وكأنه استقل عليهم التشبيه بالحيوان ، لأن التشبيه يدل على أن الصفة التي يراد التشبيه بها تكون في المشبه أقل منها في المشبه به . ولذلك جعلهم حيواناً بغير تشبيه في مواضع متعددة منها قوله :

وَهُمُ البِهَامُ قَصِيرَةٌ آجَالُهُمْ … وَيُؤَمِّلُونَ أَطَاوِلَ الأَعمَارِ[3]

وقوله :

وَالبَهمُ يُرْبَقُ وَالأَنامُ بَهائِمٌ … أَبداً تُقَيَّدُ بِالقَضَاءِ وَتُرْبَقُ[4]

وقوله :

لاَ تَحفِلَنْ هَجوَهُمْ وَمَدْحَهُمُ … فَإِنَّمَا القَومُ أَكْلُبٌ نُبُحُ[5]

وقوله :

هُمُ السِّبَاعُ إِذَا عَنَّتْ فَرَائِسُهَا … وَإِن دَعَوتَ لِخَيرٍ حُوِّلُوا حُمُرَا[6]

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ١٣١ ، والأعفاء : مفردها عفو وهو ولد الحمار ، والمهار : مفردها مهر وهو ولد الفرس .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ٢١٤ . ومبتقل : آكل البقل .

(٣) لم نعثر على هذا البيت في قافية الراء المكسورة مع الميم من اللزوميات . والبهام والبَهْم جمع البَهْمة وهي أولاد الضأن والمعز والبقر .

(٤) اللزوميات ﻫ ص ٣٠١ ، وتربق : أي تشد بالربق وهو حبل فيه عدة عرى يشد به البهم .

(٥) اللزوميات ﻫ ص ٨٣ .

(٦) « « ص ١٤٩ ، عرى يشد به البهم .

وجعلهم مرة أخرى مساوين للحيوان صراحة كقوله :

دَعَوْا إلى اللهِ كَيْ يُجِيبَهُمُ      سِيَّانِ هُمْ والخَوَاسِىءُ النُّبُحُ[١]

وربما رأى أن بعض الصفات الذميمة موجودة فيهم أكثر مما هي في الحيوان فشبهه بهم ، كما نرى ذلك في قوله :

إنَّ البَهَائِمَ مِثْلُ الإنْسِ غَافِلَةٌ      وَإنَّمَا نَحْنُ بَهْمٌ ذَاتُ أرْبَاقِ[٢]

وجعل الحيوان خيراً منهم في مثل قوله :

وَالوَحْشُ في الفَلَوَاتِ أحْسَنُ عِشْرَةً      لِلْمَرْءِ مِنْ أهْلِيهِ في الأمْصَارِ[٣]

وصرح في بعض كلامه بأن الحيوان يستقبح أفعالهم كقوله :

فَمَا اسْتَحْسَنَتْ هَذِي البَهَائِمُ فِعْلَكُمْ      مِنَ الغَيِّ في الأمَّاتِ وَالحَمَوَاتِ[٤]

وجعل الجماد أفضل من أفضلهم في قوله :

أفْضَلُ مِنْ أفْضَلِهِمْ صَخْرَةٌ      لا تَظْلِمُ النَّاسَ وَلاَ تَكْذِبُ[٥]

* * *

(١) اللزوميات ﻫ ص ٨٣ ، وخسأت الكلب : إذا طردته ومنها الخواسيء وهي الكلاب .
(٢) « « ص ٣٠٧ . والأرباق : مفردها ربق وقد تقدم تفسيره ص ١٥٩٨ .
(٣) اللزوميات ﻫ ص ١٦١ وفيها : « والوحش بالفلوات أجمل عشرة ... » .
(٤) « « ص ٦٥ .
(٥) « « ص ٣٦ .

# العزلة

جرّب أبو العلاء دهره وأهليه . وخبّر من أخلاقهم وأحوالهم ما خبر . مما تبين في أقواله السابق ذكرها ، وأقواله التي تأتي ، فرأى قربهم داء يستعصي إبراؤه ، ولا سبيل إلى النجاة من شرهم إلا باعتزالهم .

## متى عزم على العزلة ؟

ربما كان يدور في خلده العزم على العزلة وهو في بلده حين كان يخالط أهلها ومن يمر بها . وربما كان يظن أن في البلاد الأخرى صنفاً من الناس يفضلون من رآهم في الأخلاق ، كما يَفْضُلونهم في العلم والمنزلة ، فلما رحل إلى بغداد ، وجرب من جرب من الناس ، رأى أنهم كلهم من طينة واحدة ، وطبيعة واحدة . فقال وهو في العراق :

جَرَّبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكَتْ ... لِيَ التَّجَارِبُ فِي وُدِّ امْرِئٍ غَرَضَا[1]

ثم قال :

بُعْدِي عَنِ النَّاسِ بُرْءٌ مِنْ سَقَامِهِمُ ... وَقُرْبُهُمْ لِلْحِجَى وَالدِّينِ أَدْوَاءُ[2]

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٥٦ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٢٢ ونيها : « بعدي من الناس . . . . » والحجى : العقل والفطنة ؛ والأدواء : جمع داء .

وبيّن سبب إيثاره العزلة على المخالطة في مثل قوله :

وَجَانِبِ النَّاسَ تَأْمَنْ مِنْ سَقَامِهِمُ ... وَأَنْ تَكُونَ لَدَى الجُلاَّسِ مَمْقُوتَا(١)

لاَ بُدَّ مِنْ أَنْ يَذُمُّوا كُلَّ مَنْ صَحِبُوا ... وَلَوْ أَرَاهُمْ حَصَى المَعزَاءِ يَاقُوتَا

وقوله :

تَخَيَّرْ فَإِمَّا وَحْدَةٌ مِثْلُ مِيتَةٍ ... وإِمَّا جَلِيسٌ في الحَيَاةِ مُنَافِقُ(٢)

وقوله :

أَمَّا الأَنَامُ فَقَدْ صَاحَبْتُهُمْ زَمَناً ... فَمَا رَضِيتُ مِنَ الخُلاَّنِ مَصْحُوبَا(٣)

وقوله :

وَأَيُّ بَنِي الأَقْوَامِ يَحْمَدُ قَائِلٌ ... وَمَنْ جَرَّبَ الأَقْوَامَ أَوْسَعَهُمْ ثَلْبَا(٤)

وهو لم يجرب العرب فقط حتى يكون ذمه مقصوراً عليهم ، بل خبر العجم أيضاً . فلم يجد في كلا الفريقين من يستحق المدح كما يدل عليه قوله :

لَعَمْرِي لَقَدْ شَاهَدْتُ عُجْماً كَثِيرَةً ... وَعُرْباً فَلاَ عُجْماً حَمِدْتُ وَلاَ عُرْبَا(٥)

وقد عرفنا أنه وحشي الغريزة إنسي الولادة ، وهذه الغريزة ما زالت تنمى فيه وتزداد كلما ازداد مخالطة للناس واختبارا ، حتى رأى هجر الناس مذهباً نافعا :

---

(١) اللزوميات هـ ص ٦٣ وفيها : « وجانب الناس تأمن سوء فعلهم . . . » . والمعزاء : الأرض ذات الحصى الكثير .

(٢) اللزوميات هـ ص ٢٩٩ .

(٣) « « ص ٤٠ .

(٤) « « ص ٣٨ وفيها : « وأي بني لأيام . . . » والثلب : الذم .

(٥) « « ص ٣٨ .

وَلِي مَذْهَبٌ فِي هَجْرِيَ الإِنْسَ نَافِعٌ ... إِذَا القَوْمُ خَاضُوا فِي اخْتِيَارِ المَذَاهِبِ [١]

ورأى صدود الأنيس إيناسا :

جَزَى اللهُ عَنِّي مُؤْنِسِي بِصُدُودِهِ ... جَمِيلاً فَفِي الإِيحَاشِ مَا هُوَ إِينَاسُ [٢]

ولم يحب اقتراب الجليس ومعاشرته :

جَلِيسِي مَا هَوِيتُ لَكَ اقْتِرَاباً ... وَصُنْتُكَ عَنْ مُعَاشَرَتِي فَصُنِّي [٣]

وزاد على هذا ، فعد القرب من الناس مجلبة للوحشة والهموم ، والبعد عنهم طهارة وأنسا :

إِذَا حَضَرَتْ عِنْدِي الجَمَاعَةُ أَوْحَشَتْ ... فَمَا وَحْدَتِي إِلاَّ صَحِيفَةُ إِينَاسِي [٤]

طَهَارَةُ مِثْلِي فِي التَّبَاعُدِ عَنْكُمُ ... وَقُرْبُكُمُ يُجْنِي هُمُومِي وَأَدْنَاسِي

لأنه يعتقد أن ليس في أهل زمنه من يستحق إلا القطيعة والهجر :

هَذَا زَمَانٌ لَيْسَ فِي أَهْلِهِ ... إِلاَّ لِأَنْ تَهْجُرَهُ أَهْلُ [٥]

وقد تقدم أنه أخفق في طلب العزلة التي أرادها . وأن الناس غلبوه على أمره . ولكنه كان يقتصر على مخالطة الطلاب والزوار . وفي كلامه ما يدل على تذمره من تلك المخالطة ، وأنه كان غير مختار فيها .

---

(١) اللزوميات هـ س ٤٦ .

(٢) « « س ٣٠٩

(٣) « « س ٢٧٨ .

(٤) « « س ٢٩٨ .

(٥) « « س ٢٠١ .

# السياسة

لا أذكر أني رأيت في كلام أبي العلاء ما يدل على مذهبه الصريح في الملك . هل يكون بالوراثة ، أو البيعة ، أو الشورى ، أو التغلب ، أو الدهاء ، أو غير ذلك ؟ وقد يشير في بعض كلامه إلى شيء من هذه الصور . ويمكن أن يلخص كلامه في أمرين :

الأول : حق الرعية على الراعي .

والثاني : حق الراعي على الرعية .

## حق الرعية على الراعي

أما الأول ، فإنه يعتقد أن الملِكَ أو الأمير خادم للرعية ؛ فيجب عليه أن يقوم بما يعود عليها بالعوائد الحسنة بصدق وإخلاص :

إِذَا مَا تَبَيَّنَّا الأُمورَ تَكَشَّفَتْ      لَنَا وَأَمِيرُ القَوْمِ لِلقَوْمِ خَادِمُ[1] .

وليس له أن يستعمل ما استمده منها من القوة والسلطان في مصالح نفسه وخلصانه ، ولا أن يتعدى الحدود التي أقامها له الشارع أو اختطتها له الرعية . وعلى هذا الأساس نقم على أمراء زمانه لما جاوزوا تلك الحدود ، واستجازوا كيد الأمة ، ورغبوا عن مصلحتها إلى مصلحتهم ، وتوهموا أن الأمة ملك لهم يتصرفون بها تصرف المالك بالحيوان أو السلعة .

---

(١) اللزوميات ٥ ص ٢٣١ .

ولعله أول شاعر استثار سخط الأمة على أمرائها ، وعرّفها أن الأمراء أجراء ؛ والأجير يجب أن يعمل لمصلحة مستأجره ؛ فإذا أخل بذلك استحق العزل والطرد . ولم أر شاعراً اجترأ على ملوك زمانه وأماط النقاب عن مخازيهم مثل أبي العلاء ، وقد يتراءى ذلك في مثل قوله :

مُلَّ الْمُقَامُ فَكَمْ أُعَاشِرُ أُمَّةً أَمَرَتْ بِغَيْرِ صَلاحِهَا أُمَرَاؤُهَا[1]
ظَلَمُوا الرَّعِيَّةَ واسْتَجَازُوا كَيْدَهَا فَعَدَوْا مَصَالِحَهَا وَهُمْ أُجَرَاؤُهَا

وقد ذكرنا فيما سبق أن الحياة السياسية في عهده كانت سيئة ، وأن المتمردين على السلطان والخارجين عن طاعته كانوا يسومون الناس ضروباً من الظلم والعسف ولا يصدون أنفسهم عن منكر أو خزي ، وأن السلطان وخلصانه وأعوانه كانوا لا يألون جهداً في ذلك . ولذلك لا يكاد يصف الملوك في عهده إلا بما يوجب النقمة عليهم كقوله :

فَإِنِّي أَرَى الآفَاقَ دَانَتْ لِظَالِمٍ يَغُرُّ بَغَايَاهَا وَيَشْرَبُ خَمْرَهَا[2]

وكان يرى في الملوك السابقين من عرب ومن عجم ، من لا يقل شره عن الملوك الذين كانوا في عصره يدل على ذلك مثل قوله :

وَهَلْ خَلَتْ قَبْلُ مِنْ جَوْرٍ وَمَظْلِمَةٍ مُلُوكُ فَارِسَ أَوْ أَرْبَابُ غَسَّانِ[3]

وأبو العلاء درس أحوال الملوك ، والرؤساء ، والأمراء ، والزعماء ، والوزراء ، والولاة في عصره درساً متقناً ؛ وألمّ من أخبارهم وأحوالهم بما

---

(١) اللزوميات « ص ٢٣ .
(٢) « « ص ١٣٨ .
(٣) « « ص ٢٧٦ .

تقشعر منه الجلود . وقد صور لنا بعض ذلك في شعره ؛ وهو يعبر عن ولي أمر الناس بالرؤساء تارة ، وبالملوك ثانية ، وبالأمراء ثالثة ، وبالولاة رابعة ونحو ذلك . والمراد بكل واحد من هؤلاء من يتولى أمر الناس وسياستهم .

## الرؤساء

أما الرؤساء فإنهم تولوا الرآسة بالمكر والدهاء ، لا بالكفاءة والإخلاص :

رَئِسَ النَّاسُ بِالدَّهاءِ فَمَا يَنْـ ــفَكُّ جِيلٌ يَنْقَادُ طَوْعَ دُهَاتِهْ[1]

## الملوك

وأما الملوك فإنهم :

مَلَكُوا فَمَا سَلَكُوا سَبِيلَ الرُّشْدِ بَلْ مَلأُوا الدِّيارَ ضَوارِباً وَمَزَاهِرَا[2]

وهم عبيد لشهواتهم ، ومن اقترب منهم لا ينجو من أذاهم ، أو منّ منهم عليه بغير إحسان ولا منة :

أَتَعْجَبُ مِنْ مُلُوكِ الأَرْضِ أَمْسَوْا لِلَذَّاتِ النُّفُوسِ عَبِيدَ قِنٍّ[3]

فَإِنْ دَانَيْتَهُمْ لَمْ تَعْدُ ظُلْماً وَمَنّاً في الأُمُورِ بِغَيْرِ مَنِّ

---

(١) اللزوميات هـ ص ٧٠ .

(٢) » » ص ١٤٣ .

(٣) » » ص ٢٧٨ . والقنّ بالكسر : عبد ملك هو وأبواه .

وقد استنزفوا أموال الناس ، وثمروها وكنزوها ؛ وهم لا يسمحون بشيء منها . وإن أمّهم فقير عاد بالخيبة والإخفاق :

وَأَمْلاكٌ تَبَحَّرُ في غِنَاهَا  وَإِنْ وَرَدَ العُفَاةُ فَهُمْ سَرَابُ[(١)]

وقلما غشي منازلهم أحد من أهل الفضل ، أو هشّوا للقاء أهل الفضل بل :

مُلُوكُنَا الصَّالِحُونَ كُلُّهُمُ  زِيرُ نِسَاءٍ يَهَشُّ لِلزِّيَرَهْ[(٢)]

لأن شبيه الشيء منجذب اليه .

وأكثرهم كحمر الوحش لا تعرف ولا تألف إلا أتنها :

غَنِيْنَا مِنْ عَفَافِ النَّفْسِ أَفْقَرُنَا  وَقِيلُنَا عِلْجُ وَحْشٍ يَأْلَفُ الأُتُنَا[(٣)]

وقد تقاسموا الأعمال الجائرة والمخزية بينهم وبين عمالهم :

فَشَأْنُ مُلُوكِهِمْ عَزْفٌ وَنَزْفٌ  وَأَصْحَابُ الأُمُورِ جُبَاةُ خَرْجِ[(٤)]

وَهَمُّ زَعِيمِهِمْ إِنْهَابُ مَالٍ  حَرَامِ النَّهْبِ أَوْ إِحْلالُ فَرْجِ

**الأمراء**

وأما الأمراء ، فقد قدر الله على الناس أن يكون لهم :

بِكُلِّ أَرْضٍ أَمِيرُ سُوءٍ  يَضْرِبُ لِلنَّاسِ شَرَّ سِكَّهْ[(٥)]

---

(١) اللزوميات هـ ص ٣٤ .

(٢) « « ص ١٤٤ والزير : الذي يكثر زيارة النساء . والزيرة : مفردها زير وهو زير العود .

(٣) اللزوميات هـ ص ٢٦٥ . والأتن : مفردها أتان وهي أنثى الحمار

(٤) « « ص ٧٨ . والنزف : السكر ، ومن معاني النزيف : السكران والخرج : الإتاوة .

(٥) اللزوميات هـ ص ١٨٧ .

ولم ينل أحد منهم الإمارة من طريق شريف ؛ ولا عن عمل محمود . بل الأمر بالعكس :

فأَمِيرُهُمْ نَالَ الإِمَارَةَ بالخَنَا ... وَتَقِيُّهُمْ بِصَلاَتِهِ يَتَصَيَّدُ[1]

ولم يوفق أحد منهم إلى عمل يربح به ثواباً من الله ، أو ثناء من الناس :

هَلِ الأُمَرَاءُ إلاَّ في خَسَارٍ ... أوِ الوُزَرَاءُ إلاَّ أهْلُ وِزْرِ[2]

ولعل السبب في ذلك أن الملوك ، ومن في حكمهم ، لم يتولوا أمور الناس عن إجماع ورضى ، ولا عن جدارة وفضل ، ولم يكونوا من ذوي الحسب التالد والشرف القديم ، ولا من ذوي النفوس العظيمة . وإنما دار الزمان دورته حتى :

غَدَا العُصْفُورُ للبَازِي أمِيراً ... وَأصْبَحَ ثَعْلباً ضِرْغَامُ تَرْجِ[3]

وجبن الناس عن الذود عن حياضهم بأيديهم ، وأقفرت البلاد من رؤساء يكبحون جماح هذه الفئة الطاغية العاتية حتى :

عَاثَتْ ذِئابٌ فَلَمْ يَزْجُرْ مَعَرَّتَها ... مُسْتَضْعَفُونَ لِفُقْدَانِ السَّنَانِيرِ[4]

---

(١) اللزوميات هـ ص ٩٧ . وفيها : « . . . بصلاته متصيد » .

(٢) « « ص ١٥٤ .

(٣) ترْج : جبل بالحجاز كثير الأسْد أو قرية أو واد ( ج ) وانظر اللزوميات هـ ص ٧٨ .

(٤) السنانير : رؤساء كل قبيلة جمع سِنَّور (ج) وانظر اللزوميات هـ ص ١٥٢ .

## الولاة

وأما الولاة فإنهم ذئاب مسلطة على رعية أذل من النَّقَد ، وأصبر على الضيم من الوتد :

وُلاَةُ العَالَمِينَ ذِئَابُ خَتْلٍ تَكُونُ مِنَ الشَّقَاءِ رُعَاةَ فِزْرٍ [1]

بل هم شياطين مسلطون على مستضعفين لا يهمهم إلا أن يملأوا بطونهم من الشهوات ، وإن كان الناس في أقصى دركات الشقاء فقد :

سَاسَ البِلاَدَ شَيَاطِينٌ مُسَلَّطَةٌ فِي كُلِّ مِصْرٍ مِنَ الوَالِينَ شَيْطَانُ [2]

مَنْ لَيْسَ يَحْفِلُ خُمْصَ النَّاسِ كُلِّهِمُ إِنْ بَاتَ يَشْرَبُ خَمْراً وَهْوَ مِبْطَانُ

. . .

وَمَا فَتِئَتْ وُلاَةُ الأَمْرِ فِيهَا عَلَى الصَّفْرَاءِ تُصْرَفُ أَوْ تُشَجُّ [3]

وصفوة القول : أنه لم ير في ولاة الأمر من ملوك وأمراء ووزراء ونحوهم من يستحق أن يحمد . وإنما هم بين زير نساء ، وعبد فرج ، وجابي خرج ، وذئب خاتل ، وشيطان مسلط . استباحوا من أموال الناس وأعراضهم ما حرم الله . ولم تعرف قلوبهم الرحمة ولا الخشية من الخالق ، ولا الحياء من المخلوق . وهم فوق ذلك :

---

(١) الفزر : الجدي . والقطيع من الغنم (ج) وانظر اللزوميات ‍ه س ١٥٤ .

(٢) اللزوميات ‍ه س ٢٦٢ . وفيها : « ساس الأنام ... » وخمص : مفردها خميص وهو ضامر الحشا من الجوع . والمبطان : الذي لا يزال ضخم البطن من كثرة الأكل .

(٣) اللزوميات ‍ه س ٧٥ . والصفراء : الخمر . وتصرف : أي لم تمزج وتشرب صرفا ، وتشج : تمزج .

يَسُوسُونَ الأُمورَ بِغَيْرِ عَقْلٍ  فَيَنْفُذُ أَمْرُهُمْ وَيُقَالُ سَاسَهْ[١]

ورئيس القوم إذا لم يعتصم في سياسته بحبل العقل أخطأ الصواب وخبط خبط عشواء :

وَإِذَا الرِّآسَةُ لَمْ تُعَنْ بِسِيَاسَةٍ  عَقْلِيَّةٍ خَطِئَ الصَّوَابَ السَّائِسُ[٢]

وإذا كانت الرعاة على ما وصفنا من الجَور والانهماك في الملاذ ، والرعية على ما أسلفنا من الضعف والاستكانة :

فَأُفٍّ مِنَ الزَّمَانِ وَأُفٍّ مِنِّي  وَمِنْ زَمَنٍ رِآسَتُهُ خَسَاسَهْ[٣]

والسلطان في جملته كالنار تحرق ما دنا منها :

وَسُلْطَانُهَا كَالنَّارِ إِنْ هِيَ لُومِسَتْ  تُحَرِّقُ مَا يَدْنُو لَهَا وَيُلَامِسُ[٤]

هذا اعتقاد أبي العلاء في أولي الأمر ، وقد أيده الاختبار ، ونماه الاستقراء لأحوالهم . فكره الإمارة والولاية في كل شيء . حتى في إمامة الصلاة ، ولم يرتضها لأقاربه وأصدقائه ، بل حذر منها بمثل قوله :

أَنْهَاكَ أَنْ تَلِيَ الحُكُومَةَ أَوْ تُرَى  حِلْفَ الخَطَابَةِ أَوْ إِمَامَ المَسْجِدِ[٥]

وَذَرِ الإِمَارَةَ وَاتِّخَاذَكَ دِرَّةً  فِي المِصْرِ تَحْسِبُهَا حُسَامَ المُنْجِدِ

تِلْكَ الأُمُورُ كَرِهْتُهَا لِأَقَارِبٍ  وَأَصَادِقٍ فَاخْلُ بِنَفْسِكَ أَوْجِدِ

---

(١) اللزوميات ﻫ س ٢٩٦ .

(٢) « « ص ٢٩٥ . وفيها : « وإذا الرئاسة ... » .

(٣) « « ص ٢٩٦ . وفيها : « نأف من الحياة وأف مني ومن زمن رئاسته خساسة » .

(٤) « « ص ٣١٠ .

(٥) « « ص ١١٢ . والدِرّة بالكسر : السوط يضرب به .

ولم يختر لقومه أن يلوا القضاء ، أو شهادة العدل لما فيهما من الولاية :

يَقُولُونَ في المِصْرِ العُدُولُ وَإِنَّمَا حَقِيقَةُ مَا قَالُوا العُدُولُ عَنِ الحَقِّ[١]

وَلَسْتُ بِمُخْتَارٍ لِقَوْمِيَ كَوْنَهُمْ قُضَاةً وَلاَ وَضْعَ الشَّهَادَةِ فِي الرَّقِّ

وقد قدمنا أنه استعفى من الفتيا ، ولم يرض لابن أخيه الذي كان يتعهده أن يلي القضاء .

ومن مجموع أقوال أبي العلاء ، يتبين أنه لم يكن ناقماً على المُلْك ، ولا ساخطاً على كل مليك لأنه ملك . ولا متمرداً على كل ذي سلطان . وإنما كان يكره الملك الذي يستصفي أموال الناس ، ويستبيح أعراضهم ، ويسلط أعوانه عليهم ، ويسومهم أنواعاً من الخسف والعسف ، ثم لا يدفع عنهم شرا ، ولا يحوطهم من الأشرار ، كالملوك الذين وصفهم بقوله :

وَأَرَى مُلُوكاً لاَ تَحُوطُ رَعِيَّةً فَعَلاَمَ تُؤْخَذُ جِزْيَةٌ وَمُكُوسُ[٢]

وكذلك لم يكن نزّاعاً إلى عدم الملك ، وترك الناس هملا ليس لهم رادع ولا وازع ، بل كان يعتقد أن الملك للأرض كالمطر ، وأنه ينفع وإن ضر . لأن الناس محتاجون إلى من يجمع كلمتهم ، ويحمي حوزتهم ، يدل على هذا مثل قوله :

فَاخْشَ المُلُوكَ وَيَاسِرْهَا بِطَاعَتِهَا فَالمُلْكُ لِلأَرْضِ مِثْلُ المَاطِرِ السَّانِي[٣]

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٣٠٥ . وفيها : « ... الشهادة في رقّ » . والرق بالفتح وبكسر : الصحيفة البيضاء .

(٢) « » ص ٢٩٥ . والجزية : ما يؤخذ من أهل الذمة . والمكوس : مفردها مكس وهو جباية العشار .

(٣) اللزوميات ﻫ ص ٢٧٦ . وفيها : « واخش الملوك ... » . والساني : المطر من سنا الأرض يسنوها أو يسنيها .

إنْ يَظلِمُوا فَلَهُمْ نَفعٌ يُعَاشُ بِهِ ... وَكَمْ حَمَوْكَ بِرَجْلٍ أوْ بِفُرْسَانِ

وكان يتمنى أن يقوم في الناس إمام عادل ، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، حتى أصبحت لا تعرف ما هو العدل :

مَتَى يَقُومُ إمَامٌ يَسْتَقِيدُ لنَا ... فَتَعْرِفَ العَدْلَ أجْبَالٌ وَغِيطَانُ[1]

يريد أن الظلم لم يقتصر على الأمصار والقرى والسهول ، بل عم الأرض كلها : أجبالها وغيطانها . وكان يجب أن يكون المجتمع الإنساني على غاية من الكمال ، وأن يتمتع كل إنسان بنصيب وافر من الراحة والهناء ، ليتمكن من أداء ما يجب عليه في الحياة .

ويعتقد أن النوع الإنساني كالجسم الواحد ، وكل فرد منه بمنزلة عضو من ذلك الجسم ، له وظيفة يجب أن يقوم بها . فمصالح هذا الجسم مشتركة بين أعضائه ، وكل عضو يخدم نفسه بما يخدم به غيره ، ولا يسد غيره مسده فيه :

وَالنَّاسُ بالنَّاسِ مِنْ حَضْرٍ وبَادِيَةٍ ... بَعْضٌ لِبَعْضٍ وَإنْ لَمْ يَشْعُرُوا خَدَمُ[2]

وَكُلُّ عُضْوٍ لِأمْرٍ مَا يُمَارِسُهُ ... لَا مَشْيَ لِلْكَفِّ بَلْ تَمْشِي بِكَ القَدَمُ

ولا يستطيع كل عضو أن يقوم بما يجب عليه حق القيام إلا إذا سلم من كل آفة تعرقه عنه . فاحتيج إلى السلطان ليتعهد هذه الأعضاء ، ويدفع عنها كل شر يؤدي إلى الإخلال بسيرها ، ويشد أزر الضعيف منها حتى لا يضمحل أو يفنى ، ويوزع على كل منها ما به قوام حياته . فإن قام

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢٦٢ . ويستقيد له : ينقاد له .
(٢) » » ص ٢٣٣ .

بذلك على وجه عادل سلمت الأعضاء وسلم الجسم . وإن جار وحابى أفضى ذلك إلى الخلل والفوضى ، ثم إلى الهلاك . وقد علمنا فيما سبق أن أبا العلاء يكره المحاباة والأثرة بالنعيم من قوله :

فَلاَ هَطَلَتْ عَلَيَّ وَلاَ بِأَرْضِي سَحَائِبُ لَيْسَ تَنْتَظِمُ البِلاَدَا [١]

ويكره الظلم ولو نال به أقصى ما ينال :

وَمَا سَرَّنِي أَنِّي أَصَبْتُ مَعَاشِراً بِظُلْمٍ وَأَنِّي فِي النَّعِيمِ مُخَلَّدُ [٢]

ورأى أبو العلاء أصناف الملوك وأولي الأمر قد ركب كل منهم مطية الغرور والزهو ؛ وانخدع بمدح المنافقين ونفاق المتزلفين . فأماط لهم اللثام عن حقيقة ما هم فيه ، وعن عاقبة أمرهم . وبين لهم أنهم فقراء على غناهم ، ضعفاء على قوتهم ؛ ليكبحوا جماح أنفسهم ، ويقللوا من غلوائهم ، ويحاسبوا نفوسهم قبل أن يحاسبهم الدهر . فقال يبين أنهم أفقر الناس الأحياء :

وَأَفْقَرُ النَّاسِ فِي دُنْيَاهُمُ مَلِكٌ يُضْحِي إِلَى اللُّجُبِ الْجَرَّارِ مُحْتَاجَا [٣]

وزاد فقال : إنهم أفقر من الموتى :

لَكَوْنُ خِلِّكَ فِي رَمْسٍ أَعَزُّ لَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَلِيكاً عَاقِدَ التَّاجِ [٤]

اَلْمَلْكُ يَحْتَاجُ آلافاً لِتَنْصُرَهُ وَالْمَيْتُ لَيْسَ إِلَى خَلْقٍ بِمُحْتَاجِ

---

(١) شروح سقط الزند ، ق ٢ ص ٥٦٤ .

(٢) اللزوميات ٥ ص ٨٩ .

(٣) « « ص ٧٦ .

(٤) « « ص ٧٧ . والآلاف : العدد المعروف وجمع الإلف أي الأليف .

وهوّن أمرهم حتى جعل الحطّاب مساوياً للملك :

مَاعَاقِدُا لحبْلِ يَبْغِي بِالضُّحَى عَضَداً     إلّا كَصَاحِبِ مُلْكٍ عَاقِدِ التّاجِ[1]

وقال يشير إلى ما يؤول إليه أمر كل منهم :

إذَا كَانَ هَذَا التُّرْبُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا     فَأَهْلُ الرَّزَايَا مِثْلُ أَهْلِ المَمَالِكِ[2]

. . .

مَا يَفْعَلُ الرَّأْسُ بِالتِّيجَانِ يَعْقِدُهَا     وَإِنَّمَا هُوَ بَعْدَ المَوْتِ جُلْمُودُ[3]

. . .

وَكَمْ نَزَلَ القَيْلُ عَنْ مِنْبَرٍ     فَعَادَ إلَى عُنْصُرٍ فِي الثَّرَى[4]

وَأُخْرِجَ مِنْ مُلْكِهِ عَارِياً     وَخَلَّفَ مَمْلَكَةً بِالعَرَا

وقال فيمن يمدح الملوك على المنبر :

مَا أَجْهَلَ الأُمَمَ . . . . . . . . . . . . . . . .

يَدْعُونَ فِي جُمُعَاتِهِمْ بِسَفَاهَةٍ     لِمَلِيكِهِمْ فَيَكَادُ يَبْكِي المِنْبَرُ[5]

★ ★ ★

---

(١) اللزوميات ص ٧٧ والعضد : من عضد الشجر إذا قطعه ، والعضد بفتحتين ما قطع من الشجر .

(٢) اللزوميات « ص ١٨٨ .

(٣) اللزوميات « ص ٩٤ . وفيها : « ما يصنع الرأس . . . » . والجلمود : الصخر .

(٤) « « ص ٢٩ . وفيها « . . . « أخرج من ملكه عادياً . . . » .

(٥) اللزوميات « ص ١٢٦ . وتمام البيت الأول : . . . الذين عرفتهم
ولعل سالفهم أضل وأكبر

# الدنيا

أصل هذه الكلمة : « فعلى » مؤنث « أفعل » من الدنو وهو القرب ، وقد يعبر بالأدنى أو الدنيا تارة عن الأصغر ، فيقابل بالأكبر ، مثل ﴿ العَذَابِ الأدْنَى دُونَ العَذَابِ الأكْبَرِ [1] ﴾ . وتارة عن الأقل ، فيقابل بالأكثر ، مثل : ﴿ ولا أدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أكْثَر [2] ﴾ . وتارة عن الأرذل ، فيقابل بالخير ، مثل : ﴿ أتَسْتَبْدِلُونَ الذي هوَ أدْنَى بالذي هُوَ خير [3] ﴾ . وتارة عن الأول ، فيقابل بالآخر ؛ مثل : ﴿ خَسِرَ الدنيَا والآخرة [4] ﴾ وتارة عن الأقرب ، فيقابل بالأقصى ؛ مثل : ﴿ إذْ أنتمْ بالعُدْوَةِ الدُّنيَا وهُمْ بالعُدْوَةِ القُصْوَى [5] ﴾ .

## اشتقاق الدنيا وسبب تسميتها

والدنيا مشتقة من « الدنو » بمعنى القرب ، قال الجوهري : « وسميت الدنيا لدنوها » .

## ما هي الدنيا

اختلفت كلمة العلماء في تعريف الدنيا ، فقال ابن الأثير : « الدنيا : اسم لهذه الحياة لبعد الآخرة عنها » . وقال أبو البقاء : « الدنيا اسم لما تحت فلك القمر » . وقال غيره : « الدنيا ما على الأرض إلى قيام الساعة » . وقال آخر : « الدنيا كل موجود قبل الحشر » . ورجحه النووي . وقال

(١) سورة السجدة الآية ٢١ .
(٢) « المجادلة « ٧ .
(٣) « البقرة « ٦١ .
(٤) « الحج « ١١ .
(٥) « الأنفال « ٤٢ .

آخر : « الدنيا ما أدرك حساً » ، والآخرة ما أدرك عقلاً » . ورجح هذا بعض المحققين . وقال آخر : « الدنيا ما فيه شهوة للنفس » .

## الدنيا والشريعة الإسلامية

ذم القرآن الكريم الدنيا ، وحذر منها ، وصغر شأنها ، ونهى عن الاغترار بها ، وحقر أمر من آثرها على الآخرة . في مثل قوله :

﴿ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ ﴾ [١] ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ [٢] ﴿ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ [٣] ﴿ إنَّمَا مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأرْضِ مِمَّا يَأكُلُ النَّاسُ والأنعَامُ حَتَّى إذا أخَذَتِ الأرْضُ زُخْرُفَهَا وازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أهْلُهَا أنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أتَاهَا أمْرُنَا لَيْلاً أو نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأنْ لَمْ تَغْنَ بالأمْسِ . وكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٤] ﴿ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ [٥] . ﴿ ذَلِكَ بِأنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ ﴾ [٦] ﴿ فَأمَّا مَنْ طَغَى وآثَرَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإنَّ الجَحِيمَ هِيَ

---

(١) سورة آل عمران آية ١٨٥ .
(٢) سورة النساء آية ٧٧ .
(٣) سورة الأنعام آية ٣٢ .
(٤) سورة يونس آية ٢٤ .
(٥) سورة فاطر آية ٥ .
(٦) سورة النحل آية ١٠٧ .

المَأْوى ﴾ (١) ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا والآخِرَةُ خَيْرٌ وأَبْقَى ﴾ (٢) .

وجاءت أحاديث كثيرة في ذمها ولعنها والتحذير منها وتحقيرها . مثل قوله ( ﷺ ) : « الدنيا حلوة خضرة ، وإن اللهَ مستخلِفُكم فيها فناظرٌ كيفَ تعمَلُون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء » . رواه مسلم . وقوله : « الدُّنيَا دارُ مَنْ لا دَارَ له ، ومَالُ من لا مالَ له ، ولها يجمعُ من لا عقل له » رواه أحمد والبيهقي . وقوله : « الدنيَا سجنُ المؤمِنِ ، وَجَنّةُ الكافِرِ » رواه أحمد ، ومسلم ، والترمذي ، وابن ماجة ، والطبراني ، والحاكم . وقوله : « الدنيا ملعونَةٌ ، ملعونٌ ما فيها ، إلا ما كانَ منها لِلهِ عزّ وجل » رواه أبو نعيم ، والضياء . وروي بروايات أخرى .

## الدنيا وأبو العلاء

نظر أبو العلاء إلى الناس بمنظار قاتم أسود . ونظر إلى الدنيا بمنظار أشد سواداً وقتمة منه . فقد استنزل أشد سخطه وغضبه عليها . وكثيراً ما كان يدعوها أم دَفْر ـ والدفر : النتن ، وأم دَفْر : الداهية . وأم دفر : كنية الدنيا ، قيل : سميت أم دفر لما فيها من الآفات والدواهي ـ وقد أوسعها سباً وشتماً وذماً ولوماً ، وعرض ذمها بصور مختلفة . وحض على اجتنابها وزهد فيها ، وشغل حيزاً كبيراً من شعره فيها ، فهي تشابه جيفة وأهلها كلاب :

---

(١) سورة النازعات آية ٢٨ .
(٢) سورة الأعلى آية ١٦ .

أصاحِ هِيَ الدُّنيا تُشابِهُ مَيْتَةً ... ونَحْنُ حَوالَيْها الكِلابُ النَّوابِحُ[1]

فَمَنْ ظَلَّ مِنْها آكِلاً فَهْوَ خاسِرٌ ... وَمَنْ عادَ عَنْها ساغِباً فَهْوَ رابِحُ

وهي تشبه إناء خبيثا ، وأهلها كلاب والغة :

وَدُنْيـاكَ مِثْلُ الإناءِ الخَبِيثِ ... وَصاحِبُها مِثْلُ كَلْبٍ وَلَغْ[2]

وهي حائضٌ ليس لها طهر :

تَقَنَّعْ مِنَ الدُّنيا بِلَمْحٍ فَإِنَّها ... لَدَى كُلِّ زَوْجٍ حائِضٌ مالَها طُهْرُ[3]

وهي دار شرور وكدر :

دُنْياكَ دارُ شُرُورٍ لاسُرُورَ بِها ... وَلَيْسَ يَدْرِي أَخُوها كَيْفَ يَحْتَرِسُ[4]

ولو كانت من الإنس لم تكن إلا فاجرة عاهرة :

وَلَوْ كانَتِ الدُّنيا مِنَ الإنْسِ لَمْ تَكُنْ

سِوَى مُومِسٍ أَفْنَتْ بِما ساءَ عُمْرَها[5]

ومن فجورها وجورها أنها :

تَدِينُ لِمَجْدُودٍ وَإِنْ باتَ غَيْرُهُ ... يَهُزُّ لَها بِيضَ الحُرُوبِ وَسُمْرَها[5]

---

(١) اللزوميات هـ ص ٨١ . والساغب : الجائع .

(٢) اللزوميات هـ ص ٢٩٠ . وولغ الكلب في الإناء : شرب بطرف لسانه .

(٣) اللزوميات هـ ص ١١٨ .

(٤) اللزوميات هـ ص ٢٩٢ .

(٥) اللزوميات هـ ص ١٣٨ .

فلا يغرك منها منظر حسن ، ورواء مستحسن ، ولطف خادع ؛ فإنها باب ظاهره الرحمة وباطنه العذاب . بل إنها :

هِيَ العَرُوسُ أبانتْ عنْ سَمَاجتِهَا فَلاَ تغرَّكَ فِيهَا لَيْلَةُ العُرُسِ[1]

وإذا أنشبت أظفارها في إنسان لا يستطيع النجاة منها :

يَا أمَّ دَفْرٍ لَحَاكِ اللهُ وَالِدَةً مِنْكِ الإضَاعَةُ والتَّفْرِيطُ والسَّرَفُ[2]

لَوْ أنَّكِ العِرْسُ أوْقَعْتُ الطَّلاقَ بِهَا لَكِنَّكِ الأمُّ هَلْ لِي عَنْكِ مُنْصَرَفُ

وقد :

خَبِثْتِ يَا أُمَّنَا الدُّنْيَا فأفٍّ لَنَا بَنُو الخَبِيثَةِ أوْبَاشٌ أخِسَّاءُ[3]

. . . . . . . . . . . . .

إذَا تَعَطَّفْتِ يَوْماً كُنْتِ قَاسِيَةً وَإنْ نَظَرْتِ بِعَيْنٍ فَهْيَ شَوْسَاءُ

ومن الإطالة المملة أن نستقصي كل ما قاله فيها ؛ ولكننا ذكرنا شيئاً منه في هذا المقام ، وشيئاً آخر في غيره نستدل بها على أنه أبرع الشعراء في هذا الغرض ، وأن هذا الغرض من أبرز النواحي التي اشتهر بها أبو العلاء ، وصاحبها من فاتحة حياته إلى منتهاها . . لأن الدنيا ابتدأته بالإساءة إليه ، منذ أخذت كريمتيه وهو ابن أربع سنوات ، ثم فجعته بأبيه الذي كان يحدب عليه . ثم لم يزل أذاها متتابعاً عليه حتى فارقها . وقوله في مرثية أبيه :

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٩٩ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٢٩٠ .

(٣) اللزوميات هـ ص ٢١ .

عَلى أُمّ دَفْرٍ غَضْبَةُ اللهِ إنَّهَا لَأجْدَرُ أنثى أنْ تَخُونَ وأَنْ تُخْنِي[1]

. . . . . . . . . . . . . . . .

كَأنّ بَنِيها يُولَدُونَ وَمَا لَهَا حَلِيلٌ فَتَخْشَى العَارَ إنْ سَمَحَتْ بِابْنِ

يدل على أن قلبه يكاد يتميز من الغيظ من الدنيا وأحكامها الجائرة .

وهو على كثرة ذمه إياها ، ووصفها بالشر والخداع وغيرهما من الصفات ، لا يعتقد خلوها من الخير ، ولا ينكر وجود الخير فيها كما قدمنا ذلك . وإنما يعتقد أنه قليل فيها بالنسبة إلى الشر . كما يشير إلى ذلك قوله :

تَسَمَّى سُرُوراً جَاهِلٌ مُتَخَرِّصٌ بِفِيهِ البَرَى هَلْ في الزَّمَانِ سُرُورُ[2]

نَعَمْ ثَمّ جُزْءٌ مِنْ أُلُوفٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الخَيْرِ والأجْزَاءُ بَعْدُ شُرُورُ

والجزء الواحد بالنسبة إلى الألوف قليل نادر ، والنادر لا حكم له .

★ ★ ★

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٩١٢ ، ٩١٥ ، أخنى : أفحش . والحليل : الزوج .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ١٢١ . والمتخرص : الكذاب . والبرى : التراب .

# البخت والحظ

البخت : الجَد ، قيل : إنه عربي ، وقيل : معرب . والجد : هو الحظ ، وهو ما جعل الله للإنسان من الحظوظ الدنيوية . والجد : السعادة والغنى . والحظ : الجد والنصيب من الفضل والخير . والسعد : اليمن ، وهو خلاف النحس . وقال بعض العلماء : السعد والسعادة معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير ، ويضاده الشقاوة .

هذه معاني هذه الكلمات الأربع فيما ذكره أهل اللغة .

وفريق من الناس يتسامحون فيها ، فيجعلونها كأنها مترادفة ؛ ويضعون كل واحدة منها موضع الأخرى ؛ ويريدون بالبخت أو الجد أو الحظ ، في غالب الأحيان ، كل معونة أو توفيق أو نعمة تحصل للإنسان بغير سعي أو بغير جدارة . وأبو العلاء استعمل كل هذه الألفاظ في مواطن من شعره كقوله :

وَالبَخْتُ في الأولى أَنَالَ العُلا  وَلَيْسَ في الآخِرَةِ بَخْتُ[1]

وقوله :

وَبِالجَدِّ زَارَ اللاَّتَ أَهْلُ ضَلاَلَةٍ  وَعُظِّمَتِ العُزّى وَأُكْرِمَ بَاجِرُ[2]

---

(١) هكذا في اللزوميات ط عزيز زند . أما في اللزوميات هـ : ص ٦٢ ففيها « وليس في آخرة بخت » .

(٢) اللات : صنم لثقيف . والعزى : شجرة لغطفان يعبدونها . وباجر : صنم للأزد ومن جاورهم من طيء . (ج) . وانظر اللزوميات هـ ص ١٢١

وقوله :

وَبِالحَظِّ يُدْعَى تَابِعُ القَوْمِ سَيِّداً ... وَمَا كُلُّ آسَادِ العَرِينِ الهَجَارِسُ (١)

وقوله :

وَالسَّعْدُ يُدْرِكُ أقْوَاماً فَيَرْفَعُهُمْ ... وَقَدْ يَنَالُ إلى أنْ تَعْبُدَ الحَجَرا (٢)

وقد استقرى أبو العلاء كثيراً من حوادث الكون ، فرأى عزة ، وبهجة ، وتوفيقا ، وفضيلة ، ونحو ذلك من الصفات العالية ، والأمور المرغوب فيها فيمن لا يستحقها بحسب الظاهر ، أو لم يوجف عليها بخَيْلٍ ولا ركاب ، أو فيمن لا يعلم سببها فيه . فأضاف ذلك كله الى الحظ وما يرادفه أو يقاربه .

ولم يكن محصوراً في الإنسان ، وإنما يكون فيه وفي الحيوان الأعجم ، والنبات ، والجماد . وليس منحصراً في أمر دون أمر ، أو حالة دون حالة ؛ وإنما هو يظهر في كل شيء وفي كل حالة . وهذه أمثلة من كلامه فيه :

## الحظ في الإنسان

يرى أبو العلاء أن الحظ يورث الإنسان بهجة وعزة :

مَنْ يُؤْتَ حَظّاً يَبْتَهِجْ وَيَكُنْ لَهُ ... عِزٌّ فَتَرْهَبَ ضَأْنَهُ الآسَادُ (٣)

وَلَوِ ادَّعَى ظَبْيُ الفَلاةِ وَلاءَهُ ... لَعَدَاهُ مِنْ قُنَّاصِهِ الإيسَادُ

(١) الهجرس : الثعلب والقرد (ج) . وانظر اللزوميات هـ ص ٣١٠ .

(٢) اللزوميات هـ ص ١٤٠ . وقاله كذا : جعله يناله .

(٣) أوسد الكلب : أغراه بالصيد ، وأوسد الأسد في السير : أغذ وأسرع (ج) . وانظر اللزوميات هـ ص ٩٩ .

ويكسبه رغداً ودعة ، ويوليه معالي الأمور :

إِذَا رُزِقَ الفَتَى فِي المَحْلِ جَدّاً ... رَعَى مَا شَاءَ مِنْ ثَعْدٍ وَمَعْدِ [1]

وَمَا نَالَتْ خِلَافَتَهَا قُرَيْشٌ ... وَأُرْغِمَ سَعْدُهَا إِلَّا بِسَعْدِ

ويأتيه برزقه بغير سعي ، ويجلب إليه مال عدوه :

إِذَا سَعِدَ البَازِي البَعِيدُ مَغَارُهُ ... تَأَدَّى إِلَيْهِ رِزْقُهُ وَهْوَ فِي الوَكْرِ [2]

وَيَحْوِي الفَتَى بِالجَدِّ مَالَ عَدُوِّهِ ... عَلَى رَغْمِهِ مِنْ غَيْرِ حِرْصٍ وَلَا مَكْرِ

وَلَوْ نُحِسَتْ طَيُّ لَأُلْحِقَ حَاتِمٌ ... بِحَيٍّ سِوَاهَا مِثْلِ تَغْلِبَ أَوْ بَكْرِ

ويردُّ الضعيفَ قوياً :

وَالسَّعْدُ يَثْنِي المُسْتَضَامَ كَغَالِبٍ ... سَهِكاً الجِبَالَ مِنَ الأَنَامِ بِفِهْرِهِ [3]

وَالنَّحْسُ يَعْتَادُ البَصِيرَ وَلُبُّهُ ... حَتَّى يُقِيمَ عِشَاءَهُ فِي ظُهْرِهِ

---

(١) الثعد : ما لان من البسر ، ويقال : بقل ثعد معد أي غض رطب رخص ، ومعد : إتباع لثعد لا يفرد عنه ، وبعضهم يفرده . ويقال : ماله ثعد ولا معد أي قليل ولا كثير (ج) . وانظر اللزوميات ﻫ ص ١١١ . وسعدها : أي سعد بن عبادة ، وكان طلب الرئاسة يوم سقيفة بني ساعدة . والسعد الثانية : الجد أو الحظ .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ١٤٧ . وغار : ذهب في الأرض .

(٣) اللزوميات ﻫ ص ١٥٩ . والمستضام : المظلوم ، والغالب : ضد المظلوم وأوهم أبو العلاء به غالب بن فهر بن مالك . وسهك : لغة في سحق . والفهر : حجر ملء الكف .

ويجعل اللئيم كريماً :

وَالحَظُّ يسْرِي فَيَغشى مَعشراً حسِبُوا مِنَ اللِّئَام وتُقصَى دُونَهُ المُجُدُ (١)

ويجعل غير النجيب نجيباً :

وَقَدْ تَغْشَى السَّعَادَةُ غَيْرَ نَدْبٍ فَيَشْرُقُ بِالسُّعُودِ إذَا وَدَسْنَهْ (٢)

ويبلغ بصاحبه المكارم وإن لم يكن شجاعاً :

وأرَى الفَتَى بَلَغَ المَكَارِمَ والعُلَى بالحَظِّ لَا بِسِنَانِهِ والمُنْصُلِ (٣)

ويجعل هذا بليغاً ذكياً ، وذاك حصراً عيياً :

وَلَا فَضْلَ فِينَا وَلَكِنَّهَا حُظُوظٌ مِنَ الفَلَكِ الصَّاقِلِ (٤)

فَهَذَا كَسَحْبَانَ لَمَّا احْتَبَى وَذَلِكَ فِي سَمِلَيْ بَاقِلِ

ويقرب من الأمور ما لا ينال بشد الرحال :

وَالجَدُّ يأتِيكَ بِالأشْيَاءِ مُمْكِنَةً وَلَا تُنَالُ بِإشْآمٍ وَإعْرَاقِ (٥)

حتى إن الإرث يجري على قدر الحظوظ ، لا على قدر الرأفة بالميت والعناية به قبل موته :

---

(١) اللزوميات هـ س ٩٢ . والمجد : مفردها مجيد وهو كريم الآباء .

(٢) انظر ما سبق ص ١٤٢٣ .

(٣) اللزوميات هـ س ٢٢٠ .

(٤) اللزوميات هـ س ٢٢٤ . وسحبان : رجل من وائل كان لسناً بليغاً يضرب به المثل بالبيان . وباقل : رجل من العرب يضرب به المثل بفهاهته وعيه .

(٥) اللزوميات هـ س ٣٠٧ . والإشآم : السفر إلى الشام ، والإعراق : السفر إلى العراق .

حَيْرَانُ أَنْتَ فَأَيَّ النَّاسِ تَتَّبِعُ ... تَجْرِي الحُظُوظُ وَكُلٌّ جَاهِلٌ طَبِعُ[1]

والأُمُّ بِالسُّدْسِ عَادَتْ وَهْيَ أَرْأَفُ مِنْ
بِنْتٍ لَهَا النِّصْفُ أَوْ عِرْسٍ لَهَا الرُّبُعُ

وإذا صدق الحظ مع إنسان نسب إليه الناس من المكارم ما لا يصدقه الظن :

إِذَا صَدَقَ الجَدُّ افْتَرَى العَمُّ لِلْفَتَى ... مَكَارِمَ لَا تُكْرِي وَإِنْ كَذَبَ الخَالُ[2]

ومن تتبع حوادث الدهر والخلق تبين له أن الحظ لا يكون في الغالب إلا لدنيء الهمة بل :

لَا حَظَّ فِي الدُّنْيَا لِعَالِي هِمَّةٍ ... وَالوَحْشُ أَفْضَلُ صَيْدِهَا الأَعْيَارُ[3]

## الحظ في الحيوان

وقد يدرك الحظ الحيوانَ فيجعل الصغير منه كبيراً :

السَّعْدُ يَجْعَلُ ذَرِّيَّ الدَّبَى نَعَمَا ... وَالنَّحْسُ يُهْلِكُ مَالِلْمَرْءِ مِنْ أَمَرِ[4]

---

(١) انظر ما سبق ص ١٣٢٩ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٢٦٢ ، والجد : الحظ ، والعم : الجماعة ، وتكري : تنقص . والخال : المخيلة والظن ، وألغز بهذا البيت عن الجد والعم والخال .

(٣) اللزوميات ﻫ ص ١٣١ . والأعيار : الحمر ، مفردها : عير .

(٤) اللزوميات ﻫ ص ١٥٠ . والذري : من الذر وهو صغار النمل ويريد منه الصغير جداً من الجراد . الدبى : أصغر الجراد . والنعم : الإبل والأمَر : من أمر الرجل : كثرت ماشيته ، وأمره الله : كثر نسله وماشيته ، والأمر : الصغير من أولاد الضأن .

ويجعل العزيز ذليلاً مأسوراً ، والذليل حراً مطلقاً :

هُوَ الحَظُّ عَيْرُ البِيدِ سَافَ بِأَنْفِهِ خُزَامَى وَأَنْفُ العَوْدِ بالذُّلِّ يُخْزَمُ[1]

## الحظ في النبات

وقد يدرك الحظ النبات فيجعله إلهاً معبوداً :

والسَّعْدُ يُدْرِكُ أَقْوَاماً فَيَرْفَعُهُمْ وَقَدْ يَنَالُ إلى أنْ تَعْبُدَ الحجَرا[2]

وَشَرَّفَتْ ذَاتَ أَنْوَاطٍ قَبَائِلُها فَلَمْ تُبَايِنْ عَلى عِلاَّتِها الشَّجَرَا

## الحظ في الجماد

وكذلك الجماد قد يغشاه الحظ ، حتى يعبده الناس كما تقدم في قوله :

. . . . . . . . وَقَدْ يَنَالُ إلى أنْ تَعْبُدَ الحَجَرَا

وقد يكون لبعضه مزية على بعضه الآخر ، وقد لا تدرك الحكمة في ذلك :

وَهْيَ السَّعَادَةُ لِلْحِجْرَيْنِ مَائِزَةٌ مَغْنَى ثَمُودَ وَحِجْرِ البَيْتِ وَالحَرَمِ[3]

• • •

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢٢٨ . والعير : الحمار الوحشي . وساف يسوف : شم ، والخزامي : نبت زهره أطيب الأزهار نفحة . والعود : الجمل المسن . ويخزم : يشد بالخزامة وهي حلقة من شعر تكون في أنف البعير .

(٢) انظر ما سبق ص ١٦٢١ . ورواية البيت الثاني في اللزوميات ﻫ « ولم تباين على .. » وذات أنواط : شجرة كانت تعبد في الجاهلية ، وفي الحديث : (اجعل لنا ذات أنواط) قال ابن الأثير : هي اسم سمرة بعينها كانت للمشركين ينوطون بها سلاحهم أي يعلقونه بها ويعكفون حولها فسألوه أن يجعل لهم مثلها فنهاهم عن ذلك ، وأنواط : جمع نوط وهو مصدر ، سمي به ما علق . ( اللسان )

(٣) اللزوميات ﻫ ص ٢٤٧ . والحجران : أحدهما هو ديار ثمود ، قال الله تعالى : « ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين » وهي ناحية بالشام عند وادي القرى . والحجر الثاني : حجر الكعبة .

وَتُقسَمُ حُظوَةٌ حَتى صُخورٌ ... يُزَرْنَ فَيُستَلَمْنَ وَيُلتَمَسْنَهْ[(١)]

كَذاتِ القُدسِ أَوْ رُكنَيْ قُرَيشٍ ... وَأُسرَتُهُنَّ أَحجارٌ لِطِسْنَهْ

وقد يدركه الحظ فينبه بعد خمول ، ويشرف بعد خسة ، ويرغب فيه بعد الرغبة عنه :

والسَّهبُ تَغشاهُ السُّعودُ فَيَنثَني ... مُتَقَسَّماً في السَّكنِ بِالأَشبارِ[(٢)]

## الحظ في البلاد

الديار كأهلها تشقى وتسعد ، وقد يدرك الحظ بعضها فتفيض فيه الأنهار ، وتجري العيون ، وترى غيره أفضل منه ، ولكن أهله يكادون يموتون من العطش :

أَرى كَفَرطابَ أَعجَزَ ماءَها حَفرُها ... وَبالِسَ أَغناها الفُراتُ عَنِ الحَفرِ[(٣)]

كَذَلِكَ مَجرى الرِّزقِ وادٍ بِلا نَدىً ... وَوادٍ بِهِ فَيضٌ وَآخَرُ ذو جَفرِ

★ ★ ★

---

(١) انظر ما سبق ص ١٤٢٣.

(٢) اللزوميات هـ ص ١٦٣ . والسهب بالفتح : الفلاة ، وبالضم : المستوي من الأرض في سهولة.

(٣) » » ص ١٤٧ . والجفر : البئر الواسعة غير المطوية .

# الصمت والنطق

يرى أبو العلاء أن الصمت منقبة يأمن بها الإنسان غائلة الإنس والجن :

اسْكُتْ فَإِنَّ السُّكُوتَ مَنْقَبَةٌ  تَأْمَنُ بِهِ أُنْسَهَا وَخَابِلَهَا[1]

وتجارة إن لم تربح لا تخسر :

رَأَيْتُ سُكُوتِي مَتْجَراً فَلَزِمْتُهُ  إِذَا لَمْ يُفِدْ رِبْحاً فَلَسْتُ بِخَاسِرِ[2]

وأن النطق كالماء ، يضر كثيره دون قليله :

الْزَمِ الصَّمْتَ إِنْ أَرَدْتَ نَجَاةً  لَيْسَ ضَحْضَاحُ مَنْطِقٍ مِثْلَ غَمْرِ[3]

وأن الزيادة فيه مظنة للتزيد والكذب :

وَاصْمُتْ فَمَا كَثُرَ الْكَلَامُ مِنَ امْرِئٍ  إِلَّا وَظُنَّ بِأَنَّهُ مُتَزَيِّدُ[4]

وهو مدعاة إلى تكثير الخصوم ؛ وقد يدرك بالصمت ما لا يدرك بالنطق :

إِذَا سَكَتَ الإِنْسَانُ قَلَّتْ خُصُومُهُ

وَإِنْ أَضْجَعَتْهُ الْحَادِثَاتُ لِجَنْبِهِ[5]

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢٠٨ . والخابل : الجان . وقد خبّله وخبله واختبله أي أفسد عقله .

(٢) « « ص ١٤٨ .

(٣) « « ص ١٦٦ . الضحضاح : الماء القليل . والغمر : الماء الكثير .

(٤) « « ص ٩٧ .

(٥) « ؟ ص ٤٨ . والطامر : البرغوث ، من الطمور وهو شبه الوثوب في السماء .

حَسَا طَامِرٌ في صَمْتِهِ مِنْ دَمِ الفتى ... فَصَغَّرَ ذَاكَ الصَّمْتُ مُعْظَمَ ذَنْبِهِ

وَلَمْ يَكُ في حَالِ البَعُوضِ إذَا شَدَا ... لَهُ نَغَمٌ عَالٍ وَأَنْتَ أَذٍ بِهِ

وإن الإنسان خلقت له أذنان ولسان واحد ، لينطق بنصف ما سمع ؛ وإن تجاوز هـذا القدر تجاوز السداد :

أَصْمُتْ وإنْ تَأْبَ فَانْطِقْ نِصْفَ مَا سَمِعَتْ ... أُذْنَاكَ فَالفَمُ نِصْفُ اثْنَيْنِ في العَدَدِ[1]

وَاجْعَلْهُ غَايَةَ مَا يَأْتِي اللِّسَانُ بِهِ ... وَإِنْ تَجَاوَزَ لَمْ يَقْرُبْ مِنَ السَّدَدِ

والبلاء موكل بالمنطق فربما جر الكلام الى صاحبه الحمام :

وَاصْمُتْ فَإنَّ كَلَامَ المَرْءِ يُهْلِكُهُ ... وَإِنْ نَطَقْتَ فَإِفْصَاحٌ وإيجَازُ[2]

* * *

(١) اللزوميات هـ ص ١٠٩ .

(٢) « « ص ١٧٢ .

# الحسد

قدمنا أن أبا العلاء كان محسوداً على ما آتاه الله من فضله :

فَأَصْبَحْتُ مَحْسُوداً لِفَضْلِي وَحْدَهُ ... عَلَى بُعْدِ أَنْصَارِي وَقِلَّةِ مَالِي (١)

وأن حساده تكلموا فيه بما هو بعيد عن السداد :

تَكَلَّمَ بِالْقَوْلِ الْمُضَلَّلِ حَاسِدٌ ... وَكُلُّ كَلَامِ الْحَاسِدِينَ هُرَاءُ (٢)

وقد لقي الأمرين من حساده ، ولذلك تصدى للحسد وذمه في مواطن من شعره ، فجعله تارة عاراً يجب اجتنابه :

فَلَا تَحْسُدَنْ يَوْماً عَلَى فَضْلِ نِعْمَةٍ ... فَحَسْبُكَ عَاراً أَنْ يُقَالَ حَسُودُ (٣)

وتارة يجعله مناقضاً لخوف الله ، لا يجتمع معه في قلب واحد :

إِنْ كَانَ قَلْبُكَ فِيهِ خَوْفُ بَارِئِهِ ... فَلَا تُجَاوِرْ حِذَارَ اللهِ بِالْحَسَدِ (٤)

هُمَا نَقِيضَانِ لَا يَسْتَجْمِعَانِ بِهِ ... وَالظَّبْيُ غَيْرُ مُقِيمٍ فِي ذَرَى الْأَسَدِ

وأحياناً يجعل الخير كله في تطهير القلب من الغل والحسد ، لا في العبادة الظاهرة والتقشف الظاهر :

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٢٠٧ وفيها : « ... محسوداً بفضلي ... » .
(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٩٤ . والمراد من القول : الذي لا نظام له .
(٣) اللزوميات هـ ص ٩٠ .
(٤) » » ص ١٠٨ . والذرى : فناء الدار ونواحيها والملجأ والكنف .

مَا الخَيرُ صَومٌ يَذُوبُ الصَّائِمُونَ لَهُ ... وَلاَ صَلاةٌ وَلاَ صُوفٌ عَلى الجَسَدِ[١]

وَإِنَّمَا هُوَ تَرْكُ الشَّرِّ مُطَّرَحاً ... وَنَفْضُكَ الصَّدْرَ مِنْ غِلٍّ وَمِنْ حَسَدِ

وأحياناً يجعل نية الخير كالطير في الإنسان ، والحسد صائداً يحاول أخذها :

وَنِيَّةُ الخَيْرِ مِثْلُ الطَّيْرِ آبِيَةٌ ... صَدْرَ الفَتى فَلْيُحَاذِرْ صَائِدَ الحَسَدِ[٢]

والحسد خصلة مذمومة تشين صاحبها ؛ ولكنها غريزة في الإنسان ينقاد إليها:

والطَّبْعُ يَهوِي إِلى مَا شَانَ يَطْلُبُهُ ... لَكِنْ يُجَرُّ إِلى مَا زَانَ بِالمَسَدِ[٣]

وَفِي الغَرَائِزِ أَخْلاقٌ مُذَمَّمَةٌ ... فَهَلْ تُلامُ عَلى النَّكْرَاءِ والحَسَدِ

ومن أمعن النظر تبين له أن هذه الخصلة لا يخلو منها أحد ، حتى كأنها ملازمة للحياة ؛ فلا يخلو منها حي حتى الحيوان الأعجم ، ولذلك شك أبو العلاء في وجودها فيه في بعض المواطن كقوله :

هَلْ تَعْرِفُ الحَسَدَ الجِيَادُ كَغَيْرِهَا ... فَالبَهْمُ تَحْسُدُ بَيْنَهَا غُرَّاؤُهَا[٤]

* * *

فِينَا التَّحَاسُدُ مَعْرُوفٌ فَهَلْ حَسَدَتْ ... مُجْتَرَّةَ الإِبْلِ أُخْرَى مَا لَهَا جِرَرُ[٥]

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ١٠٩ . والغل بالكسر : الحقد والغش .

(٢) المصدر السابق .

(٣) اللزوميات ﻫ ص ١٠٨ . والمسد : حبل من ليف .

(٤) » » ص ٢٣ .

(٥) » » ص ١٢١ . والجرر : مفردها جرة وهي ما يفيض به البعير فيأكله ثانية .

ثم جزم بذلك في بعض المواطن كقوله :

وَالشَّرُّ فِي عَالَمٍ شَاهَدْتُهُ خُلُقٌ ... مَا صَدَّهُ عَنْ أذَاهُ الحَرُّ وَالخَصَرُ [1]

فَالصُّمُّ مِنْ عُنْصُرِ الإفْسَادِ حَاسِدَةٌ ... لِصِحَّةِ السَّمْعِ خُلْداً مَا لَهُ بَصَرُ

وقوله :

وَلاَ يُرَى حَيَوَانٌ لا يَكُونُ لَهُ ... فَوْقَ البَسِيطَةِ أعْدَاءٌ وَحُسَّادُ [2]

ثم نقل ما زعمه بعض الناس من أن النجوم لها عقول ، وأن بعضها يحسد بعضا :

وَقَدْ زَعَمُوا بِأنَّ لَهَا عُقُولاً ... وَأقْضِيَةُ المَلِيكِ مُؤَكَّدَاتُ [3]

وَأنَّ لِبَعْضِهَا لَفْظاً وَفِيهَا ... حَوَاسِدُ مِثْلُنَا وَمُحَسَّدَاتُ

* * *

(١) اللزوميات هـ س ١٢٢ . والخصر : البرد .

(٢) « « س ٩٥ .

(٣) انظر ما سبق س ١٢٩٨ .

# المال

علمنا مما تقدم ما كان لأبي العلاء من المال في السنة ، وما كان يعطي خادمه منه . وأنه كان يحب أن يتسع ماله ليوسع على نفسه في حاجاته وفي هباته ، وأنه كان يتذمر من ضيق ذات يده ، وأن ذلك أحد العاملين اللذين أزعجاه من بغداد ، وأن الناس كانوا يتهمونه بالمال ، ويكلفونه ما يقتضيه التمويل من بر وصلة وهبة . ولعل من أقوى الأسباب لتذمره من قلة المال ما كان يعلمه ويسمعه من تعظيم الناس لذوي المال .

## المال في نظر الناس

كان الناس في عهد أبي العلاء يعظمون الرجل لماله ، ويبالغون في تعظيمه على قدر ماله . وكان المال يرفع الوضيع ، ويجعل الدنيء سيداً ، وكثيراً ما :

قَالَ الدنِيُّ لِمَالٍ كَانَ سَادَ بِهِ　　　لَأُكْرِمَنَّكَ لَوْلَا أَنْتَ لَمْ أَسُدِ[1]

والمال يسوّد صاحبه ، وإن كان غير كريم النسب :

كُنْ مَنْ تَشَاءُ مُهَجَّناً أَوْ خَالِصاً　　　وَإِذَا رُزِقْتَ غِنًى فَأَنْتَ السَّيِّدُ[2]

والمال يسكت المحقّ فلا يجد له نصيرا ، وينطق المبطل فيلتسبع الناس لنصرته وتأييده :

---

(١) اللزوميات هـ س ١٠٨ .

(٢) » » س ٩٧ . والمهجن والمجين : العربي ولد من أمة أو من كان أبوه خيراً من أمه .

اَلْمَالُ يُسْكِتُ عَنْ حَقٍّ وَيُنْطِقُ فِي ... بُطْلٍ وَتُجْمَعُ إِجْلالاً لَهُ الشِّيَعُ[(١)]

والمال يحمل الإنسان يغضي على ما لا يرضى :

وَجِزْيَةُ الْقَوْمِ صَدَّتْ عَنْهُمُ فَغَدَتْ ... مَسَاجِدُ الْقَوْمِ مَقْرُوناً بِهَا الْبِيَعُ[(١)]

هـــذا هو المال في نظر الناس ، وهذا أثره فيما بينهم .

## المال في نظر أبي العلاء

وأما أبو العلاء فيرى أن المال على اختلاف أنواعه مجلبة للأذاة ، والهموم ، والهلاك ؛ ولذلك وضع لكل نوع منه اسماً مأخوذاً من مادة تشعر بما يترتب عليه من أنواع الضرر والأذى ، كما بيّن ذلك بقوله :

مَا فِضَّةُ الإِنْسَانِ إِلاَّ فِضَّةٌ ... وَالتِّبْرُ تَتْبِيرٌ وَجَدُّكَ ظَاهِرُ[(٢)]

وَالدُّرُّ دَرٌّ لِلهُمُــومِ تُثِيرُهُ ... إِنَّ الْجَوَاهِرَ بِالأَذَاةِ جَوَاهِرُ

وكثرة المال تجلب البطر لصاحبه فيجر له الضرر :

وَكَثْرَةُ الْمَالِ سَاقَتْ لِلْفَتَى أَشَراً ... كَالذَّيْلِ عَثَّرَ عِنْدَ الْمَشْيِ ضَافِيهِ[(٣)]

وإذا فكر العاقل ، وجد أن الإنفاق يزين المال ، ويعوض صاحبه خلفاً مما أنفق ، وأن الشح يشينه :

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢٨٢ . ورواية البيت الأول فيها : « .. وتجمع إكراماً له الشيع »

(٢) اللزوميات ﻫ ص ١٢٧ . والفضة الأولى : للمعدن المعروف . والفضة الثانية من فض الشيء : كسره وفرقه . والتبر : ما كان من الذهب غير مضروب ، والتتبير : الاهلاك والتدمير . والجد : الحظ . والجواهر الثانية في البيت الثاني : من الجهر ضد الهمس .

(٣) اللزوميات ﻫ ص ٣٤٠ . والأشر : البطر .

أَنفِقْ لِتُرْزَقَ فَالثَّرَاءُ الظُّفْرُ إِنْ  يُتْرَكْ يَشِنْ وَيَعُودُ حِينَ يُقَلَّمُ[١]

وأن الفقر خير من الغنى ، لأن الغني يجهد نفسه في جمع المال ثم :

يَكُونُ وَكِيلاً لِلبَرِيَّةِ بَاذِلاً  وَلِلْوَارِثِيهِ إِنْ أَرَادَ لَهُ خَزْنَا[٢]

وأن الوارثين ينتظرون موته ، ليأخذوا ما جمعه لهم :

فَهَنِيءُ وُلَاةِ المَيْتِ يَوْمَ رَحِيلِهِ  أَصَابُوا تُرَاثاً وَاسْتَرَاحَ الَّذِي مَضَى[٣]

★ ★ ★

---

(١) اللزوميات ١ ص ٢٣٦ .

(٢) « « ص ٢٦٤ .

(٣) « « ص ٢٨ .

# الخمر

لم يحدثنا التاريخ أن أبا العلاء شرب خمراً ، أو ما هو في معنى الخمر ، ولا حضر مجلساً فيه شراب ، ولا دعا إلى شربها ، ولا حدثته نفسه بشربها . . وإنما كان يمقتها مقتاً شديدا ، وينعي على شرّابها . وقوله وهو في بغداد :

تَمَنَّيْتُ أنَّ الخَمْرَ حَلَّتْ لِنَشْوَةٍ . . . . . . . . . .(١)

لا يدل على أنه أحبها أو أراد أو حاول شربها حقيقة ، لأن التمني تقدير شيء في النفس وتصويره فيها ، وأكثر التمني تصور ما لا حقيقة له كما قال الراغب ؛ وإنما أراد أن نفسه ضاقت لما طرأ عليها من الأحوال ، فتمنى أن تكون حلالاً ليشربها ، فيفقد شعوره بما يطرأ عليه من الأمور التي ضاق صدره عن احتمالها . ويحتمل أن يقال : إنه جعل شربها أمراً عظيما ، فتمنى شربها على فظاعتها ليخلص مما هو فيه ، كما يتمنى الإنسان الموت ، ليستريح مما هو فيه من العناء ، ومثل ذلك يكون كناية عن شدة الحال التي هو فيها . ويرجح هذا أنه صرح في مواطن كثيرة بأنه لا يشربها ولو كانت حلالاً ، منها قوله :

لَوْ كَانَتِ الخَمْرُ حِلاً مَا سَمَحْتُ بِهَا لِنَفْسِيَ الدَّهْرَ لَا سِرّاً وَلَا عَلَنَا(٢)

---

(١) عجزه « تجهلني كيف اطمأنت بي الحال » انظر شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٢٥١ .

(٢) اللزوميات هـ ص ٢٦٥ .

لأنها إذا خففت أحزانه ، خففت في الحلم ميزانه :

لَا أَشْرَبُ الرَّاحَ وَلَوْ ضُمِّنَتْ ذَهَابَ لَوْعَاتِي وَأَحْزَانِي[1]
مُخَفِّفاً مِيزَانَ حِلْمِي بِهَا كَأَنَّنِي مَا خَفَّ مِيزَانِي

• • •

وَهَيْهَاتَ لَوْ حَلَّتْ لَمَا كُنْتُ شَارِباً مُخَفِّفَةً فِي الحِلْمِ كِفَّةَ مِيزَانِي[2]

والسبب في ذلك أن شاربها يشتري نشوتها بعقله . والعقل عند أبي العلاء أفضل الأعوان والأنصار :

لَا أَشْرَبُ الرَّاحَ أَشْرِي طِيبَ نَشْوَتِهَا بِالعَقْلِ أَفْضَلِ أَنْصَارِي وَأَعْوَانِي[3]

وإنه ليعجب ممن لا يشرب الخمر ويسقي زوجته منها ، فيزيدها ضعفاً في عقلها ، وعيًّا في منطقها :

عَجِبْتُ لِلْمَرْءِ إِذْ يَسْقِي حَلِيلَتَهُ سُلَافَةً وَهُوَ مِنْهَا تَائِبٌ صَاحِ[4]
كَأَنَّهَا إِذْ تَحَسَّتْ ثُمَّ أَرْبَعَةً أَوْ خَمْسَةً شَرَدَتْ عَنْهُ بِصَحْصَاحِ
كَانَتْ ضَعِيفَةَ عَقْلٍ فَاسْتَزَادَ لَهَا فِي ضَعْفِهِ ضِدُّ عُذَّالٍ وَنُصَّاحِ
وَكَانَ فِي لَفْظِهَا عِيٌّ فَأَيَّدَهُ فَلَمْ تُخَبِّرْهُ عَنْ شَيْءٍ بِإِفْصَاحِ

---

(١) اللزوميات ٢ ص ٢٨٠ .
(٢) « « ص ٢٧٢ .
(٣) « « ص ٢٧٦ .
(٤) « « ص ٨٥ . وتحست : شربت . والصحصاح : المستوي من الأرض .

ويتعوذ بالله من سفهاء يعكفون على الرّاح ؛ وفيهم غانيـــة تأتي بما لا ترتضيه المروءة وتحتج بالمزاح :

أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ أُولِي سَــفَهٍ ... إِنْ يَعْرِفُوا عِلَّةَ الضَّلالِ تُرَحْ[1]

يُسْقَوْنَ رَاحاً لَهُمْ مُعَتَّقَةً ... لَوْ أَنَّها مِنْ قَلِيبِهِمْ انْتَزَحْ

بَيْنَهُمُ كَالْغَمَـــامِ شَادِيَةٌ ... تُومِضُ فِي مَلْبَسٍ كَقَوْسِ قُزَحْ

تَجِدُ فِي وَصْلِهَـــا مُلاَعِبَها ... وَهْيَ لِجُلاَّسِهَا تَقُولُ مَزَحْ

وينعى على الرجل أن يجعل بيته مركزاً للشرب ؛ لأنه يعرض حرمه لما لا يرضاه العاقل :

لَعَمْرُكَ مَا زَوْجُ الْفَتَاةِ بِحَازِمٍ ... إِذَا مَا النَّدَامَى فِي مَحَلَّتِهِ غَنَّوْا[2]

أَتَى بَيْتَهُ بِالرَّاحِ وَالشَّرْبِ لَاهِياً ... فَإِمَّا رَنَوْا نَحْوَ الظَّعِينَةِ أَوْ زَنَوْا

وفي وسع الإنسان أن يقول : إن أبا العلاء ذم الخمر وحرص على الابتعاد عنها ، وافتنّ بذمها أكثر مما افتن أبو نواس في مدحها والحض على شربها ؛ وأكثر من التنفير عنها ، وذكر ما تجلبه من شر وتعقبه من ضر ، فهي خالبة غالبة :

إِيَّاكَ وَالْخَمْرَ فَهْيَ خَالِبَــةٌ ... غَالِبَةٌ خَابَ ذَلِكَ الْغَلَبُ[3]

وهي :

(١) اللزوميات ه س ٨٦ . وفيها : « يجد في وصلها ملاعبها » . والقليب : البئر .

(٢) « « س ٣٤٣ . وانظر ما سبق ص ١٠٠٨ .

(٣) « « ص ٣٦ .

أَشأَمُ مِنْ نَاقَةِ البَسُوسِ عَلى النَّـــــاسِ وَإِنْ يُنَلْ عِندَهَا الطَّلَب

بل هي كاسم :

كَأَنَّ التي في الكَأْسِ يَطفُو حَبَابُهَا سِمَامُ حُبَابٍ بَيْنَ مُرْتَشِفِيهَا[1]

ومن تفكر فيما تفعله في النفس والعقل لا يشك في أن :

حُمَّى ثَلاثٍ في حُمَيَّا عِلَّةٍ خَيْرٌ لِنَفْسِكَ مِنْ ثَلاثَةِ أَكْؤُسِ[2]

وقد أطال في هذا الباب وأجاد . ونحن نجتزىء بإيراد بعض أبياته ، ليرجع القارىء إلى بقيتها في ديوانه . فالخمر في اعتقاده :

تُحَيِّي وُجُوهَ الشَّرْبِ فِعلَ مُسَامِ يُضَاحِكُهُ وَالكَيْدُ كَيْدُ مُحَارِبِ[3]

إِذَا قُتِلَتْ خَافَ الرَّشَادُ جِنَايَةً فَكَانَ مِنَ الفِتْيَانِ أَوَّلَ هَارِبِ

. . . . . . . . . . . .

فَمَا أَبْعَدَتْ إِلَّا أَجَلَّ مُقَارِنٍ وَلَا بَلَغَتْ إِلَّا أَخَسَّ المَآرِبِ

وطالما :

جَرَتْ مُلاحَاةَ الصَّدِيقِ وَهَجْرَهُ وَأَذَى النَّدِيمِ وَفُرْقَةَ الأَحْبَابِ[4]

. . . . . . . . . . . . .

هَتَكَتْ حِجَابَ المُحْصَنَاتِ وَجَشَّمَتْ مِهَنَ العَبِيدِ تَهَضُّمَ الأَرْبَابِ

---

(١) اللزوميات هـ ص ٣٣٥ . والحباب : بفتح الحاء الفقاقيع التي تعلو الخمر ، وسمام : جمع سم والحباب : بضم الحاء الذكر من الحيات .

(٢) هكذا بتأنيث ثلاثة (ج) وانظر اللزوميات هـ ص ٣٢٤ .

(٣) اللزوميات هـ ص ٤٦ ــ ٤٧ وفيها : « ولا بلغت إلا خسيس المآرب » .

(٤) اللزوميات هـ ص ٥٣ .

وشر ما فيها أنها :

تُذِيعُ السِّرَّ مِنْ حُرٍّ وَعَبْدٍ وَتُعْرِبُ عَنْ كَنَائِزَ مُعْجَمَاتِ[١]

وَيَنْفُضُ إِلْفُهَا الرَّاحَاتِ حَتَّى تعودُ مِنَ النَّفَائِسِ مُعْدَمَاتِ

وأنها تذهب بوقار الرجل وحلمه ، كما تذهب بشعوره وعقله. حتى إن شاربها:

لَوْ كَانَ قُدْساً ثُمَّ هَبَّتْ رِيحُهَا بِهِضَابِهِ لَمْ يَبْقَ فِيهِ وَقَارُ[٢]

بل :

لَوْ يَحْمِلُ الشِّرْبُ الرَّوَاسِيَ أَوْهَمُوا أَنْ لَيْسَ فَوْقَ ظُهُورِهِمْ أَوْقَارُ[٢]

وتجد شيئاً من أقواله في الخمر في ( لزوم ما لا يلزم ) في الجزء الأول[٣] في « ص ١٢٥ و ١٣٥ و ١٤٤ و ١٤٦ و ١٥٠ و ١٥١ و ١٥٦ و ١٧٨ و ١٨١ و ١٩٠ و ١٩٥ و ٢١٥ و ٢٢٣ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٤ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٤٠ و ٢٩٢ و ٣١٨ و ٣٤٠ و ٣٤٩ و ٣٥٣ و ٣٥٦ و ٣٦١ و ٣٨٠ و ٣٩٣ » .

وفي الجزء الثاني في : « ص ٣٩ و ١٥٢ و ١٦١ و ١٨٨ و ١٩٢ و ٢٤٦ ٢٥٥ و ٢٩٨ و ٣١٢ و ٣١٧ و ٣٢٩ و ٣٣١ و ٣٣٢ و ٣٤٤ و ٣٦٠ ٣٦١ و ٣٨٤ و ٤١١ و ٤٢٥ » . وغيرها .

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ٦٨ .

(٢) « « ص ١٣١ والقدس : جبل . وأوقار : مفردها وقر وهو الثقل .

(٣) هذه الأرقام تشير إلى « طبعة عزيز زند » ويقابلها في « طبعة ﻫ » الأرقام التالية : « ٤٦ و ٥٠ و ٥٣ و ٥٣ و ٥١ و ٥٥ و ٥٧ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٨ و ٧٠ و ٧٧ و ٨٠ و ٨٢ و ٨٣ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٦ و ٨٧ و ١١٢ و ١٢٢ و ١٣١ و ١٣٥ و ١٣٧ و ١٣٨ و ١٤١ و ١٤٩ و ١٥٦ و ١٨٦ و ١٩٠ و ٢٠١ و ٢٠٣ و ٢٢٥ و ٢٢٩ و ٢٤٦ و ٢٥٢ و ٢٥٤ و ٢٦٩ و ٢٦٠ و ٢٦٠ و ٢٦٥ و ٢٧٢ و ٢٧٢ و ٢٨١ و ٣٣٥ و ٣٤٢ .

# الخاتمة

تناول أبو العلاء في كلامه كثيراً من عادات النـــاس ، ومزاعمهم ، ومعتقداتهم ، وأخلاقهم ، وأعمالهم ، ومواضعاتهم . سواء أكانوا في المعرة أم في غيرها ، وانتقد منها ما انتقد تصريحاً أو تلميحا .

والواقف على كل كلامه يستطيع أن يستخلص منه صورة تمثل له حياة الأمة السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والعقلية ، والدينية .

وقد كنت عزمت على استخراج صورة جامعة لأنواع الحيوات المذكورة ، ليقف القارىء على صورة تامة لحالة ذلك العصر ، ولكن ثنى عزمي عن ذلك أمور :

أحدها : أنني توقعت أن بعض أرباب الهمم الفاترة من القراء سيعولون على ما أذكره فقط ، طلباً للاختصار والراحة . وأنا أوردت كثيراً من كلام أبي العلاء بنصه ، ليأخذ القارىء معانيه منه لا مما أذكره . وفي ذلك من اللذة والفائدة ما لا يحصل من أخذ ذلك المعنى من غير كلامه .

ألا ترى أن الصائد إذا اصطاد الطير من أوكارها ومجاثمها ، والوحش من معاقلها ووجرها ، وجد فيها من اللذة ما لا يجده لو اصطادها غيره ، وسلمها اليه بغير عناء .

ثانيها : أن سرد جميع ما تقدم في كلامه فيه تكرير مملّ ، وأكثر النفوس مجبولة على معاداة المعادات .

ثالثها : أن البيت أو الأبيات قد يشتمل على نكت متعددة ؛ فإذا لخصنا منه معنى واحداً ، لاستخراج حالة منه ، فقد قصرنا فائدته على ذلك المعنى الواحد . وإذا أوردناه بنفسه ، نبهنا القارىء إلى كل ما فيه . وربما اطلع على معنى جديد لم يره من قبل . أو ذكر بمعنى كان ينقب عنه . أو اهتدى إلى ما لم نهتد إليه من النكت والفوائد . وهذه الأمور وأشباهها حملتني على أن أجتزىء بالإشارة إلى بعض المواطن في كل حياة ، ليقيس القارىء غيرها عليها ، ويعود إلى كلام أبي العلاء فيأخذ ما يروي غلته من مورده الأصلي .

★ ★ ★

# الحياة السياسية

يصور أبو العلاء في كلامه أولي الأمر في عصره والعصر الذي قبله بصور مختلفة ؛ تتلخص جملتها في أن الغالب في ذلك العهد أن يكون الملك ، أو الوالي ، أو الأمير ، أو من شاكله وحشا ضارياً ، متهالكاً في سبيل شهواته الحيوانية ؛ فهو عبد فم وفرج ، لا يهمه من أمر الدنيا شيء ، إلا أن يشبع نهمة بطنه وفرجه من أية جهة كانت ، وبأية وسيلة كانت . وأنه يجد في الحرام من اللذة ما لا يجده في الحلال .

وفي هؤلاء من يعدّ حلالاً كل ما استطاع الوصول إليه . ويستحل أن يسخر الناس في حاجاته ، ويستبيح ما حرم الله من أموالهم وأعراضهم ؛ ويثقل كواهلهم بالمكوس والجزى والضرائب والمغارم الباطلة والتجنيات المفتراة . وهو مع ذلك لا يحوطهم من العوادي ، ولا يحمي ذمارهم من الأعادي . بل هو في الحقيقة من أشد أعدائهم نقمة عليهم . وأكثرهم أذاة لهم وإضراراً بهم .

وأن المناصب العالية في الدول لم تنل بالشرف الطريف ، والحسب التليد ، والعمل الجيد ، والكفاءة والجدارة . وإنما تنال بطريق التغلب والاحتيال . ولطالما رئس الناس بالدهاء ، ونيلت الإمارة بالخنا .

ولمثل هذه الأسباب كانت نيران الفتن تتقد بين الطامعين في الرآسة والمدافعين عنها ، فتلتهم الأخضر واليابس ، وتقوّض كل عامر ، وتعل كل صحيح ، وتفقر كل غني ، وتذل كل عزيز ، وتفضح كل مستور .

وقد يقع في الملك أعظم الفظائع والمنكرات ، وتراق دماء الأبرياء وتهتك أعراض المخدّرات ، وتسلب أموال الضعفاء . والأمير أو الرئيس ،

يلهو بجارية يغتصبها نفسها، وبخمرة يحسو كأسها . ومنهم من كان يسره أن يرى النار تلتهم الناس، والمنازل، والأثاث، والمعاهد، والحوانيت وغيرها . وأن يرى هامات الرجال وأشلاءها تطير في الفضاء، وتكون طعمة للنار . وأن يرى جنده وبطانته تسبي النساء والأطفال؛ فيخرج على حمار فيرى ذلك ساعة ثم يعود إلى مقره . وقد أحاط بكل واحد من الأمراء طائفة من المنافقين والمحتالين، أقاموا حوله سياجاً من التعظيم الباطل، والثناء الكاذب، والمداهنة والنفاق؛ فجعلوه كأنه في قفص، واستقلوا بالأعمال وتصريفها على حسب أهوائهم . وهم يوجهون الحوادث والأوامر إلى ما يلائم رغباتهم ومنافعهم .

والأمير أو الرئيس لا يشعر بما يقع خارج الغرفة التي هو فيها؛ ولا بما يحدث في بيته الذي يأوي إليه .



# الحياة الاجتماعية

يصور أبو العلاء في كلامه الحياة الاجتماعية في عصره صورة مستفظعة مستبشعة ، بحيث لا ينتهي القارىء من كلامه فيها حتى يعتقد أنّ الإنسان في ذلك العهد شيطان في مسلاخ إنسان . ولا يكاد المستقري لأحوال أكثر أهل ذلك العصر يجد في الناس أثراً المروءة والحياء ، ولا للشمم والإباء ، ولا للشرف والعفاف ، ولا للصدق والوفاء ، ولا للتقوى والنسك ، ولا للرحمة والإحسان ، ولا للعدل والحق . ولا لغير ذلك من الصفات الحسنة والأخلاق المستحسنة . وأن كثيراً منهم يشبه الحيوان في سجاياه الذميمة . ومنهم من تكون الصفات القبيحة فيه أتم مما هي في الحيوان وأوفر .

فإن فيهم من هو آكَل من السوس ، وأبخل من كلب ، وأجهل من حمار ، وأحمق من نعامة ، وأحول من أبي براقش ، وأخف من فراشة ، وأروغ من ثعلب ، وأزنى من قرد ، وأسرق من زبابة ، وأسفد من ديك ، وأظلم من حية ، وأعبث من قرد ، وأفسد من الجراد ، وألج من الخنفساء ، وألوط من نغر ، وأعدى من ذئب ، وأخبط من عشواء ، وأذل من حمار ...

وقد يرى الإنسان كثيراً من هذه الخلائق السافلة مجتمعة في شخص واحد . كما يرى كثيراً من الحيوان خيراً من الإنسان ؛ لأنه أقل شراً منه ، وأقل ضرراً لأبناء نوعه وجنسه .

وفيهم من إذا عرضت له أطماعه أقدم عليها كالأسد ، وإذا دعي لخير تبلد كالحمار . ومن يعظ الناس منهم ويرشدهم إلى سبل الهدي أحق بالوعظ وأحوج إلى الإرشاد من غيره .

وإن جبلة الإنسان فاسدة ، ومحاولة تهذيبه وإصلاحه نوع من العبث والضلال ، لأن الرسل — صلوات الله عليهم — جاءوا وبشروا وأنذروا وبينوا فلم يغن ذلك فتيلا ، وإنما تبعهم النزر اليسير من المستضعفين ، وتمرد عليهم غيرهم من الطغاة والجبابرة ، ثم لم يلبث فريق من أتباعهم أن فرقوا دينهم ، وكانوا شيعا ، يقاتل بعضهم بعضا ، ويستحل كل فريق منهم مال أخيه وعرضه باسم الدين ، كما وقع بين السنية والشيعة ، وبين الشافعية والحنابلة ، وبين الفرق من غيرهم من أرباب النحل والمذاهب .

ووصف أبو العلاء المرأة ، وصورها في أقبح صورة ، حيث جعلها متهالكة في سبيل شهواتها ، خداعة ، خلابة ، محتالة ، كذابة ، قليلة الأمانة ، كثيرة الخيانة . وأفرط في الريبة فيها ، حتى خاف عليها من الخروج إلى الحج ، والمسجد ، والحمام ، والعراف ، والمنجم ، وسطح الدار ، ومعاشرة الوليد ، والختن ، وتعلم القراءة والكتابة .

ويرى بعض المتحذلقين من شبان هذا العصر وشوابّه أن ذلك تشدد من أبي العلاء ، وإسراف في الارتياب في المرأة لا محل له . وقد حملوا عليه حملات منكرة . ويظهر عند التأمل أن تحاملهم عليه ناشىء عن عدم فهمهم مرامي أقواله وأغراضها . وأنهم رأوه ينفر عن المرأة ويسيء إليها ، وهم يحبون غير ذلك . ويظهر عند التأمل أنهم هم مخطئون ، وبيان هذا :

١ — أن أبا العلاء وصف في كلامه المرأة التي كانت في عصره بالحالة التي كان عليها كثير من النساء في ذلك العهد . فهو وصف للحالة الواقعة والحقيقة المؤلمة . ولم يصف المرأة في الأجيال السابقة أو اللاحقة . ولا وصف امرأة تصوّرها في خياله . وقد كانت المرأة في عهده كما وصف وفوق ما وصف . وهذا التاريخ ينطق بما وقع . والأحوال والصفات التي ذم

بها المرأة ما كانت متخيلة ، وإنما كانت واقعة . وكلامه في بعض المواطن يدل على وجود امرأة صالحة في ذلك العهد تحفظ نفسها ، وزوجها ، وأولادها ؟ وتقوم بخدمة زوجها وفرنسة بيتها ، وكل ما تقوم به المرأة العفيفة الشريفة الحصيفة الرأي كما يأتي في قوله قريباً .

ومن استقرى في التاريخ ما كانت تفعله الجواري ، والوصائف ، والسبايا ، والهدايا التي عجت بهـا قصور الخلفاء ، والملوك ، والأمراء ، والوزراء ، وبيوت الأغنياء ، والعمال ، وحوانيت النخاسين وغيرهم ، وما كان لهؤلاء وللنساء الأعجميات وللنساء الشاعات من الأثر السيء في الأخلاق ، وفي تربية الأولاد ، وتوجيه الأزواج إلى ما يردن ، لا ينكر على أبي العلاء أقواله في هذه الأنواع ، ولا يراه مسرفاً إلا إذا حمل كلامه على عامة النساء . وهذا لا يريده أبو العلاء .

٢ — أن وصف المرأة بالصفات السيئة التي وصفها بهـا لا يعني منه تخصيصها بتلك الخصال الذميمة ، بل إنه وصف الرجل في مواطن أخرى بصفات أكثر عدداً وأشد ذما . وكل خصلة ذميمة نقد بها المرأة فهي — في الوقت نفسه — نعت للرجل ، لأن الرجل أحد ركني الفساد الذي تأتي به المرأة . بل هو الجزء المتمم للفساد ، إذ لا يتأتى فسادها إلا بالرجل . فذمُّ المرأة بهذه الأخلاق ذمٌّ للرجل معها . وإذا تأملت مثل قوله : لا أعد الحج فرضاً على العجائز والعذارى ، ثم تبيينه سبب ذلك بقوله :

فَفِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ شَرُّ قَوْمٍ ... وَلَيْسُوا بِالحُمَاةِ ولا الغَيَارى[1]

ومثل قوله :

وَلَكِنْ جَاءَتِ الجَمَرَاتِ تَرْمِي ... وَأَبْصَارُ الغُوَاةِ إِلَى يَدَيْهَا[2]

---

(١) اللزوميات ٥ ص ٢٨ .

(٢) » » ص ٣٣٩ .

وقوله :

رَاحتْ إلىْ القَسِّ بتَقْرِيبِها ... وَبَيْتُها أوْلىْ بِقُرْبَانِها[1]

قَدْ جَرّبَتْ مِنْ فِعْلِهِ سَيِّئاً ... والطِّيبُ تَجار بجُرُبّانِها

وقوله

وَلَيسَ حِبْرٌ بِبِدْعٍ فِي صَحَابَتِهِ ... إنْ سَامَ نَفْعاً بِأخْبَارٍ تَقَوّلَهَا[2]

وَإنّمَا رَامَ نِسْوَاناً تَزَوّجَهَا ... بِمَا افْتَرَاهُ وأمْوَالاً تَمَوّلَهَا

تبيّن لك أنه إنما يخاف على المرأة من الرجل . ولو كان الرجل مأمون الغائلة ، محمود السجايا في نظره واعتقاده ، لما حذر منه وأنذر ونبه إلى مواطن كيده واحتياله لإغراء المرأة .

٣ - أن أبا العلاء ذم المرأة التي كانت في عهده على نحو ما وصفها . ولا يلزم من ذلك أن يكون ذلك ذماً للمرأة في كل عصر ، ولا أن يكون ذماً لكل امرأة في عصره . فإن المرأة التي تتصف بما ذكره من الصفات الذميمة داخلة في كلامه ، والتي استطاعت أن تطهر أخلاقها وتحتفظ بآدابها وعفافها لا يتناولها كلامه ، سواء كانت في عصره أم في العصور التي قبله أو بعده ، يدلنا على ذلك مثل قوله :

رَعَى اللهُ قَوماً مَضَى دَهْرُهُمْ ... وَمَا فِيهِمُ أحَـدٌ يَـغْزِلُ[3]

تُضَاهِي العَنَاكِبَ نِسْوَانُهُمْ ... فَتَنْسِجُ لِلنَّفعِ أوْ تَغْزِلُ

---

(١) انظر ما سبق ص ١٤١٣ .

(٢) « « ص ١٤٠٨ .

(٣) اللزوميات هـ ص ٢٠٢ .

وَمَا عَزَفَتْ مِزْهَراً في الحَيَاةِ ... وَلَا الدَّنُّ يُفْتَحُ أَوْ يُبْزَلُ

تَجْهَلُ مِنَ الغِنَاءِ وَصَوْتاً يُقَا ... لُ غَنَّاهُ دَحْمَانُ أَوْ زَلْزَلُ[1]

وقوله :

سُقْياً لِشَوْهَاءَ مَاهَمَتْ بِفَاحِشَةٍ ... غَدَتْ عَلَى الغَزْلِ لَيْسَتْ تَعْرِفُ الغَزَلا[2]

وَتَجْهَلُ العُودَ إِلَّا عُودَ مِغْزَلِهَا ... وَلَا تَرَاحُ إِذَا مَا عَاتِقٌ بُزِلَا

فإنه مدح المرأة التي عكفت على الغَزْل ، وابتعدت عن الغَزَل ؛ وجهلت الغناء وأدواته . وأمثال هذا كثير في شعره . وقد سبق إلى بعض الأذهان أن أبا العلاء عدوٌّ للمرأة في كل أحوالها ، ناقم عليها في جميع أطوارها . وقد أشرنا في غير موضع إلى أن ذلك غير صحيح ، وأن نقمته عليها من حيث إنها مزرعة للنسل ، ومن حيث إنها موضع العار والشنار أكثر من الرجل ؛ لأن النفوس البشرية قد تكره الشيء الواحد من الذكر والأنثى ، ولكن كراهتها في أحدهما أشد منها في الثانية . فالجبن مثلاً مذموم مستقبح في الرجل والمرأة ، ولكنه في الرجل أشد وأقبح . وكذلك الزنى مستقبح في المرأة والرجل ، ولكنه في المرأة أقبح وأنكر ، لأنها موضع العار بحسب ما رسخ في النفوس بتأثير العادات أو المعتقدات .

وعلى هذا فإن ما في كلام أبي العلاء في حق المرأة ليس لأنها أنثى ، وإنما جاءها ذلك بسبب ما يكتنفها من الأسباب والعلل والموجبات .

★ ★ ★

---

(١) دحمان : هو دحمان الأشقر المغني واسمه عبد الرحمن ودحمان لقب له وكان من رواة معبد المغني وتلامذته . زلزل : بفتح وسكون ثم فتح ، المغني . وكهدهد الطبال الحاذق .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ٢٠٤ . وانظر ما سبق ص ١٥٦٢ .

# الحياة الاقتصادية

رأينا في كلام أبي العلاء كثيراً من الإشارات إلى ما انتاب الأمة في عهده من الحوادث والكوارث، وذكرنا عند الكلام على الأحداث في عهده طائفة مما ألم بها من الحروب الطاحنة والفتن المدمرة بين الملوك والأمراء، وأصحاب المذاهب والمتغلبين من الفاتحين والجند وغيرهم .

ورأينا أن اضطراب الحياة السياسية، وضعف الوازع الديني والمدني فسح المجال للعيارين والشطار وأرباب الدعارة؛ فكانوا يتطاولون على الناس ويروّعونهم حتى لا يكاد الإنسان يجد رجلا واحداً آمناً في سربه .

ومن شأن هذه الأمور أن ينجم خلالها أو يعقبها ذهاب الأنفس العامة وهلاك الأموال، ما بين إحراق وإغراق وهدم ونهب، وما شاكل ذلك من المصائب التي تفقد الأمة أسباب الراحة والدعة، وترد غناها إلى فقر، ويسرها إلى عسر، فيقف دولاب العمل، وتنتشر البطالة، ويطغى البؤس والشقاء فيعم القاصية والدانية . ومن تتبع التاريخ وجد أن كثيراً مما عمر من المصانع والضياع، وشق من الأنهار، وغرس من الأشجار، هدمه المتحاربون وأحرقوه ودمروه، ليضعفوا خصومهم، وليضيقوا عليهم ويزعجوهم عن ديارهم . وحسبك دليلا على هذا ما وقع من النهب والإحراق والتدمير وقتل النفوس في الفتن التي حدثت في بغداد بين جيوش المتغلبين وأهل البلاد؛ وبين أهل البلاد أنفسهم بسبب الخلاف بين الحنابلة وغيرهم . وما وقع في حلب ودمشق والرملة وغيرها من بلاد الشام، من طيء وعامر والروم وغيرهم . وما وقع في مصر، من مثل ذلك في عهد الحاكم، مما سبق ذكر شيء منه . وإذا

أضيف إلى هذا محاربة الطبيعة ، وضنّ السماء والأرض بخيراتها في كثير من الأحيان ، وصعوبة المواصلات والنقل بين البلدان ، وقطع العيارين وأمثالهم الطرق ، واستيلاؤهم على كل صادر ووارد ، لا نستفظع بعد ذلك أن نرى الناس يأكلون موتاهم وجيف الحيوان على اختلاف أنواعه من الجوع .
وإذا فسدت حالة الأمة الاقتصادية ، واشتد فيها الفقر والجوع والحاجة ، اختلت فيها نظم الحياة كلها ، وعمت الفوضى كل شيء ، وأخذت الأمة تتدهور في دركات الشقاء ، وترجع إلى الوراء .

وقد عرض أبو العلاء في كلامه تصريحاً وتلميحاً صوراً مختلفة من فساد الحياة السياسية وغيرها الناشىء عن فساد الحياة الاقتصادية . كما عرض صوراً من فساد الحيـــاة الاقتصادية الناشىء عن فساد الحياة السياسية والدينية وغيرهما . وقد ذكرنا منها ما يقنع المرتاب .

★ ★ ★

# الحياة الدينية

يتراءى لنا من أقوال أبي العلاء التي انتهت الينا أن جُلّ الناس في عهده كانوا لا يتجاهرون بالإخلال بشيء من الواجبات الدينية ، كالصلاة والصوم والحج ونحوها مما يعود إلى العبادات . وإن كانت أعمالهم مشوبة بالرياء ، منبعثة عن الأغراض النفسية التي كانوا يتخذون الدين وسيلة إلى بلوغها .

وأما في المعاملات فكانت الأقوياء تستبيح كل ما تطول إليه أيديهم من أموال غيرهم وأعراضهم ودمائهم . وكانت قوانين الدين وأحكامه تطبق على بعض الضعفاء الذين لا يجدون رجالاً تنصرهم ، وأموالاً تذود عنهم .

وأن أصحاب الملل والنحل من غير المسلمين كانوا أحراراً في نشر عقائدهم ، وكانوا لا يألون جهداً في دس مزاعمهم بين أصناف الأمة .

وأن المسلمين كانوا أحراراً في إظهار آرائهم ومعتقداتهم ومعارضاتهم ، وأن فيهم فرقاً مختلفة تكفر كل واحدة منهن غيرها ممن لا يوافقها على عقيدتها أو تفسقها أو تجهلها .

وأن باب الجدل والمناظرة كان مفتوحاً على مصراعيه بين المسلمين أنفسهم ، وبينهم وبين غيرهم من أرباب الأديان الأخرى ، وبين كل من أرباب الأديان المذكورة أنفسهم ، وبينهم وبين غيرهم من أرباب الملل المخالفة لهم .

وأن الزنادقة والملحدين كانوا يستفرغون مجهودهم في بث مزاعمهم بين ضعفاء العقل والعلم ، لإغوائهم وتشكيكهم في دينهم .

وأن معظم الحكام في ذلك العهد كانوا مشغولين عن نصرة الدين وتقوية دعائمه ببسط سلطانهم وتأييد أركانه ونصرة أعوانه . وإنما كانوا يلجئون

إلى الدين إذا كانوا يجتنون من وراء ذلك فائدة ، فيتخذون نصرته والغيرة عليه ذريعة لقتل معاند لهم ، أو خارج عن طاعتهم ، أو معارض لسياستهم ؛ أو يتخذون منه وسيلة لاستصفاء مال من ينقمون عليه ، أو ما شابه هذا من الأمور التي تعود عليهم بالمنافع الخاصة .

ومع هذا كله كان في الأمة أفراد أفذاذ في العلم ، والتقى ، والزهد ، والإخلاص في العمل ، والنصح ، وعمل البر ، ونصرة الحق ، والإرشاد . ولكنهم كانوا قليلين بالنسبة لغيرهم .

ولم أر في كلام أبي العلاء أن فرقة من المسلمين أو مدينة من مدنهم عطلت شيئاً من شعائر الإسلام ، وإن ارتكب فريق منهم أعمالاً لا تتفق مع الإسلام .

# الحياة العقلية

قلنا غير مرة : إن أنواع الحياة في العهد الذي أظل أبا العلاء كانت كلها قلقة مضطربة ، سائرة نحو الدمار والبوار . ما عدا الحياة العقلية ، فإنها كانت آخذة في النمو والتقدم .

وحسبك دليلاً على هذا ، أن المعرة لم تكن عاصمة للخلافة ، ولا مقرّاً للملك ، ولا من أمهات المدن الكبيرة في بلاد الشام . وإنما كانت إحدى مدنها المتوسطة في مركزها السياسي والعسكري والجغرافي . وقد أخرجت في ذلك العهد جماعات كثيرة من العلماء الأعلام في كل علم ، وأنبتت أفذاذاً في الشعر والأدب ، تخرج ببعضهم أبو العلاء في ثقافته الواسعة وخرج بعضاً آخرين كما تقدم .

## طرق التعليم والتعلم

استظهرنا من حالة أبي العلاء أنه شرع وهو صغير السن في التعلم والدراسة في الكتاب والمسجد . إذ لم يكن في عهده مدارس مخصصة بتعليم الأطفال العلوم لا في المعرة ولا في غيرها .

وأنه تعلم القراءة بالحروف النافرة التي يقرؤها العميان باللمس .

## كتب العلم والدراسة

ويتضح للمتأمل أن ذلك العهد كان عهد تنافس في التأليف والتدوين . وأن الكتب المؤلفة في العلوم ـ بحسب الغالب ـ أربعة أنواع :

١ - المتن : وهو الكتاب الجامع للقواعد الكلية ، والضوابط العامة ، والأقسام من علم واحد .

٢ - الشرح : وهو الكتاب الذي يوضح ما في المتن ، ويشرح قواعده وشواهده بصورة تقريبية . وربما زاد على المتن ما ينقصه من شروط وأركان وأقوال مناقضة ، وغير ذلك . إلا أنه بصورة مختصرة .

٣ - شرح الشواهد : وهو أن يعمد المؤلف إلى ما أورده صاحب المتن من أبيات الشعر شاهداً على حكم ، فيفسر المغلق من ألفاظه . وقد يذكر ما قبله أو بعده ويبين قائله ويذكر مولده ووفاته ، وطرفاً من أخباره وآثاره . ويتكلم على شيء من آثاره ومواطن عبقريته . ويبين محل الاستشهاد به ، وما فيه من نكت علمية وأدبية ، ونحو ذلك مما تدعو اليه الحاجة . وهذا النوع عند أهل عصرنا أتم وأجمع مما عرفه المتقدمون ، لأنه يتناول البحث عن حياة الشاعر وبيئته ، ومصادر ثقافته ، وعن نفسيته . كما يتناول الموازنة بينه وبين غيره ممن شاركه في بعض معانيه وألفاظه ونحو ذلك .

٤ - الامالي : وهي عبارة عن مباحث يتخيرها المملي لتحقيقها وتوضيحها . وليست لها وحدة تجمعها بل فيها من كل واد عصاً ، ومن كل شجرة زهرة .

وقد حدث عند المتأخرين عن هذا العهد نوعان ، يسمى أحدهما : الحاشية . والثاني : التقرير أو التقريرات .

أما الحاشية : فهي الكتاب الذي يبين ويشرح ويوضح ما أهمله المتن والشرح ، أو ما غمض في أحدهما أو كليهما ، ويتمم ما نقص ، ويذكر ما في المسألة من أقوال ، ويرجح بعضها على بعض . وقد يناقش المتن والشرح ، ويدحض حججهما ، ويذكر للمسألة أدلة وأشباها ، ويتعرض في الغالب لاكثر ما في المتن والشرح .

وأما التقريرات أو التقرير : فهي أن يعمد المؤلف إلى بعض المسائل التي في المتن أو الشرح أو فيهما فيشبعها بحثاً وتدقيقاً وتحليلا ، ويرجّح فيها قولاً على قول ، ووجها على وجه ، وهو في الجملة عبارة عن حاشية موجزة .

مثال ذلك كتاب ( تلخيص المفتاح ) ألفه جلال الدين القزويني . ثم شرحه سعد الدين التفتازاني شرحاً مختصرا . ثم وضع عليه الشيخ مصطفى البناني حاشية ، ووضع عليه الشيخ الإنبابي تقريرا ووضع العثماني شرحاً لشواهده سماه ( معاهد التنصيص ) .

وقد يكون الكتاب خالياً من الشواهد ، فيكون له شرح وحاشية . وذلك مثل كتاب ( جمع الجوامع ) في علم الأصول ، ألف المتن تاج الدين عبد الوهاب بن السبكي ، وشرحه جلال الدين المحلي . ووضع عليه حواشي جماعة ؛ منهم البناني ، والشيخ حسن العطار . ووضع عليه تقريراً الشيخ عبد الرحمن الشربيني .

وقد رأيت في الكتب المدونة في عهد أبي العلاء متونا وشروحاً ، وشروحاً للشواهد ، وأمالي ولكني لم أر حاشية أو تقريرا .

على أن كتاب ( عبث الوليد ) لأبي العلاء يشبه التقرير ، من حيث إنه يشتمل على تحقيق للألفاظ ، وضبط للرواية ، وتفسير المبهم ، وتبيين للخطأ ، وما شاكل ذلك . وهو لم يتناول مباحث الكتاب كله [1] .

☆ ★ ★

---

(١) هذا آخر ما كتبه المرحوم الأستاذ سليم الجندي ولا ندري أكان ينوي إضافة بحث يختم به الكتاب فلم يفسح له ذلك أم اكتفى بما صنف .

# فهارس الجامع

# الجزء الأول

## ١ ـ موضوعات الكتاب

## المقالة الثالثة

# الجزء الثاني

# الجزء الثالث

# فهرس الأعلام

## (أ)



• • •

★ ★ ★

## (ب)

## ( ح )

★ ★ ★

## ( خ )

★ ★ ★

( د )



. . .

★ ★ ★

## (ز)

★ ★ ★

## (س)



. . .

* * *

## (ش)

. . .

* * *

( ك )

* * *

# ( و )

* * *

( ي )



# فهرس

## الأمم والقبائل والأرهاط والطوائف والدول

★ ★ ★

# ( ت )

★ ★ ★

## (ح)



* * *

## (خ)



* * *

## (د)

• • •



• • •



★ ★ ★

## ( ذ )



• • •



★ ★ ★

## ( ر )



• • •



• • •



• • •



★ ★ ★

★ ★ ★

(ص)



★ ★ ★

(ض)



★ ★ ★

(ط)



. . .

٤٨٩ : ٩، ١٠/ ٧٤٥ : ١٢ /٧٦٦ :
١٠ / ٩٦٢ : ٩/ ٩٦٣ : ح / ٩٦٤:
٢٢ / ٩٦٥ : ١٤ / ٩٦٦ : ١٣ /
١٠١١ : ح/ ١٠٥٥ : ١٧/ ١١٤٦ :
٣ / ١٢١٩ : ١٢ / ١٢٤٣ : ح /
١٢٥٤ : ١٢/ ١٢٥٧ : ١٠/ ١٢٥٨ :
٨ / ١٢٦٨ : ٣ / ١٢٧٠ : ١١ /
١٢٧٢ : ١١ / ١٢٧٧ : ٥/ ١٣٠٦:
٩، ١٢ / ١٣٢٨ : ١١ / ١٣٣٤ :
٥ / ١٣٥٠ : ١١/ ١٣٦٠ : ٨، ١٩/
١٣٦١ : ٤/ ١٣٦٢ : ١٣ / ١٣٦٨ :
١ / ١٣٧٦ : ٣ / ١٣٧٧ : ١٢ /
١٤١٧ : ١/ ١٤١٨ : ١٠ / ١٤٢٤ :
٩/ ١٤٢٧ :.١/ ١٤٣٢ : ٢/ ١٤٣٥ :
٢ / ١٤٣٩ : ٤، ١٢ / ١٤٥٠ : ٢/
١٤٥٢ : ٧ / ١٤٨٨ : ١٠/ ١٥١٠ :
١/ ١٥١٢ : ١/ ١٥١٨: ح / ١٥٨٨ :
١٠/ ١٦٥٢ : ٩، ١١، ١٤/ ١٦٥٣: ٨

• • •

المشركون ٣٧٥ : ٥، ٧/ ١٣٩٦ : ٥، ٦/
١٤٣٩ : ٨ / ١٦٢٥ : ح

• • •

المصريون ٧٤ : ٥ / ٧٥ : ح / ٧٦ : ٣،
ح / ٧٧ : ١٨ / ٧٨ : ١٥ / ٧٩ :
١٠ / ٨٣ : ١٠ ، ١٣، ١٤، ١٦،
٢١ / ٨٥ : ٦ / ٩١ : ٦ / ١١٧ :
٢ ، ٧ / ١٢٨ : ٥/ ٢١٢ : ٢ ، ١٩/
٤٣٥ : ٢ / ٧٠٤ : ١٥ / ٧٣٣ : ٧/
٧٧٥ : ١٢

• • •

مضر ٦٠ : ١١ / ٧٧ : ٣ / ٤٩١ : ح /
٦٦٧ : ١٧ / ٦٧٤ : ٦ / ٩٧٤ :
ح / ١٢٦٧ : ح

• • •

المعتزلة ١٢٠ : ١٠/ ١٢٢ : ٤ ، ٨/ ٤٠٤ :
٦/ ٤٠٥ : ٣، ٥ / ٤١٩ : ١٥ /
٤٦٠ : ١ / ٥٨٥ : ح / ٥٨٦ : ح /
١٢٥٧ : ١٩/ ١٢٥٨ : ٤ / ١٣٠٨ :
٩ ، ١١ / ١٣١٧ : ٢١ ، ٢٣ /
١٣١٩ : ١٣ / ١٣٤٣ : ١ ، ٥ /
١٣٦٨ : ١١/ ١٣٦٩ : ١٤/ ١٣٨٦ :
٨ / ١٤٢٧ : ٥ / ١٤٣٢ : ١١ ،
١٥ / ١٤٣٣ : ٩ ، ١٣ ، ١٤ /
١٤٣٤ : ١ ، ١٤ / ١٤٥٢ : ٨ /
١٤٦٦ : ١٣ ، ح / ١٤٧٠ : ٢٠

معـــد ٧٦١ : ٢١، ٢٢

* * *

* * *

# الملائكة والجن

# البلدان والأماكن والمياه

★ ★ ★

## ( ب )

* * *

(ت)



* * *

(ث)



. . .

## ( د )



. . .

. . .

★ ★ ★

(ص)



. . .

★ ★ ★

## (ل)



. . .

١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٨ ، ١٩ / ٢٥ :
٢ ، ٣ ، ٩ ، ١٠ ، ١٥ / ٢٦ : ١ ،
٧ / ٢٧ : ٤ ، ٦ ، ١٥ ، ٢٠ ، ٢١ /
٢٨ : ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١٤ ، ١٦ ،
١٨ / ٢٩ : ٢ ، ٥ ، ٧ ، ١٠ ،
١٣ ، ١٥ / ٣٠ : ٢ ، ٥ ، ٧ ، ٩ ،
١١ ، ١٧ / ٣١ : ١٣ ، ١٤ / ٣٢ :
١١ ، ١٨ / ٣٣ : ١ ، ٣ — ١٨٥ ، ح /
٣٤ : ٤ ، ٥ / ٣٥ : ٤ ، ٥ ، ٨ ،
١٤ / ٣٦ : ٣ ، ١٥ ، ٢١ / ٣٧ :
٣ / ٣٨ : ١ ، ٢ ، ٧ ، ٨ ، ١٣ ،
١٥ ، ١٦ / ٣٩ : ٤ ، ١٣ / ٤٠ :
٢ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٣ /
٤١ : ٢ ، ٤ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٦ /
٤٢ : ٣ ، ١٤ ، ١٩ / ٤٣ : ١٤ ،
١٦ ، ١٧ / ٤٤ : ٣ ، ١٠ / ٤٥ :
٢ ، ٥ ، ١٠ ، ١٩ ، ٢١ / ٤٦ :
٢٠ ، ٢٣ / ٤٧ : ١٧ / ٥٠ : ١١ /
٥١ : ٥ / ٥٣ : ١٢ ، ١٣ ، ١٦ /
٥٤ : ٤ ، ٨ ، ١٠ / ٥٥ : ٦ — ٨ ،
١١ ، ١٥ / ٥٦ : ٣ / ٦٤ : ٢ /
٧٠ : ٤ ، ٥ / ٧١ : ١٢ / ٧٩ :

١٧ / ٨٣ : ٧ ، ٨ / ٨٦ : ١٢ /
٨٧ : ٢ / ٩٣ : ٧ ، ١٣ ، ١٥ /
٩٤ : ٤ ، ٥ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ،
١٧ / ٩٥ : ٢ ، ٨ ، ١٨ / ٩٦ :
٣ ، ٤ / ٩٧ : ٥ ، ٨ / ١٣٨ : ٦ /
١٤٠ : ١ / ١٤٢ : ١٦ / ١٤٥ :
٦ / ١٤٧ : ٩ / ١٧٣ : ٦ ، ١٠ ،
١٣ / ١٧٤ : ٣ ، ٥ ، ٩ ، ١١ /
١٧٦ : ١٩ / ١٧٧ : ٥ ، ٧ ، ١٣ /
١٧٨ : ١٠ / ١٧٩ : ١٩ / ١٨٢ :
١٢ ، ١٣ ، ١٤ / ١٨٣ : ١٦ /
١٨٤ : ١ / ١٨٥ : ١٧ ، ٢٠ /
١٨٧ : ١١ ، ١٤ / ١٩٢ : ١٤ /
١٩٧ : ٩ / ١٩٩ : ١٩ / ٢٠٠ :
١٦ / ٢٠١ : ٦ / ٢٠٩ : ٢ /
٢١١ : ٢٠ / ٢١٣ : ٨ ، ١١ /
٢١٤ : ٤ / ٢١٥ : ٥ ، ١٠ /
٢١٧ : ٢ ، ١٢ / ٢١٨ : ٢ /
٢٢٣ : ١ / ٢٢٩ : ٧ / ٢٣٦ :
١٠ / ٢٣٧ : ١٧ / ٢٣٨ : ١٠ /
٢٤٠ : ١١ ، ١٢ / ٢٥٠ : ٧ /
٢٥٢ : ١٣ / ٢٥٤ : ١٢ ، ١٣ ،
١٤ / ٢٥٦ : ١١ / ٢٦٤ : ١٧ /

* * *

( ي )



* * *

# النجوم والكواكب والافلاك

١٠٢٨ : ح / ٨ : ١٠٣٢ / ٨ : ١٠٤٧ :
ح / ١٠٦٦ : ١٤ / ١٠٦٨ : ١٥ /
١٠٩٦ : ٨ / ١٣٠٠ : ٣

* * *

(ح)

الحمل ٣٥ : ٢١

* * *

(ر)

الرشاء ٨١٥ : ١٤

* * *

(ز)

الزبرقان ١١١٤ : ١٥ (وانظر البدر والقمر والهلال)

. . .

زحل ٧ : ٧ / ٢٤٦ : ٨ / ٦٤٤ : ح /
٧٠١ : ١ / ٨١٥ : ١٢ / ١٠٧٥ :
١١ / ١٠٨٧ : ٧ / ١٠٩٨ : ١٣ /
١١٢٦ : ٣ / ١٢٩٧ : ٩ / ١٣٠٢ :
٥ ، ٨ / ١٣٧٠ : ٥ ، ح / ١٣٧٤ :
٣ / ١٣٨٣ : ٨ / ١٤٢٢ : ١٢ /
١٤٤٠ : ٦ / ١٤٤٧ : ١٩

. . .

الزهرة ٢٤٦ : ٧ / ٨١٥ : ١١ / ٨٩٤ :
١٢ / ٩٠٠ : ٩ / ١٣٠٢ : ١٥

* * *

(س)

السرطان ٨١٥ : ١٢

. . .

السماك ٣ : ٩ / ٧ : ٧ / ٦٠ : ٧ / ٨١٥ :
١٢ / ٩٧١ : ٢ / ١٠٦٧ : ١٦ /
١١٠٤ : ٤ / ١١٨٠ : ١ / ١٢٩٣ :
٨ ، ح / ١٣٠٠ : ٨ (وانظر السماك الأعزل والسماك الرامح و« السماكان»)

السماك الأعزل ٧ : ٧ ، ١٥ / ١٢٩٤ : ٤ /
١٢٩٧ : ح (وانظر السماك والسماك الرامح و « السماكان »)

السماك الرامح ٧ : ١٤/١٢٩٣ : ح/١٢٩٤ :
٤/١٣٠٢ : ١ (وانظر السماك والسماك الأعزل و « السماكان »)

السماكان ١٠٣٠ : ١١ / ١٠٩٣ : ١١ ،
١٢ / ١١٣٣ : ١٤ / ١٢٩٤ : ٤ /
١٤٩١ : ح (وانظر السماك والسماك الأعزل والسماك الرامح)

. .

السها ٨١٥ : ١٠ / ٨٢٣ : ١٤ / ١٠٧٢ :
١ / ١٠٩٤ : ١٥ / ١٠٩٨ : ١٣

* * *

# الأديان والمذاهب

## (أ)

★ ★ ★

مذهب داود ١٣٦٩ : ١٥

المذهب الدرزي ٤١٠ : ٩ ، ١٢ ، ١٥ ، ٢٠

مذهب الزيدية ٧٤٠ : ١٢

المذهب الشافعي ١٣٩ : ٤ ، ١٣ / ٢١٧ : ح / ٢٢٦ : ١٢ / ٣٢١ : ٩ / ٣٢٢ : ٣ / ٥٨٦ : ٦ ، ١٠ / ٥٨٨ : ٩

المذهب الصوفي = التصوف

المذهب المالكي ١٣٩ : ٣ / ١٣٦٩ : ١٥

مذهب الهند ١٣٣٤ : ٣

. . .

المزدكية ٣٨٠ : ١٤ ، ح / ٤٠٩ : ٦ ، ٧ ، ١٩ / ١٥٥٧ : ١ ، ٤ ، ١٤

. . .

المسخ ( من التناسخ ) ١٣٣٧ : ٥ / ١٤١٧ : ١٥

المسيحية = النصرانية

★ ★ ★

( ن )

الناصبية ٤٠٢ : ح

. . .

النسخ = التناسخ

. . .

النصرانية ١٢١ : ح / ٢٠٠ : ١٤ / ١٢٤٥ : ٥ / ١٢٥٣ : ٧ / ١٢٥٤ : ٢ / ١٣٦٠ : ٤ / ١٤١٠ : ١ ، ٢

. .

★ ★ ★

( ي )

اليهودية ١٢٤٥ : ٥ / ١٢٥٣ : ٧ / ١٢٥٤ : ١ / ١٣٦٠ : ٤ / ١٣٦١ : ٨ ، ١١ / ١٤٠٤ : ١ / ١٤٠٨ : ٩

★ ★ ★

# الكتب

## (ح)

* * *

## ( ذ )



. . .



. . .



* * *

ح/ ١٠١٧ : ح/ ١٠١٨ : ح/
١٠١٩ : ح/ ١٠٢٠ : ح/ ١٠٢١ :
ح/ ١٠٢٢ : ح/ ١٠٢٣ : ح/
١٠٢٤ : ح/ ١٠٢٥ : ح/ ١٠٢٦ :
ح/ ١٠٢٧ : ح/ ١٠٢٨ : ح/
١٠٢٩ : ح/ ١٠٣٠ : ح/ ١٠٣١ :
ح/ ١٠٣٢ : ح/ ١٠٣٣ : ح/
١٠٣٤ : ح/ ١٠٣٥ : ح/ ١٠٣٦ :
ح/ ١٠٣٧ : ح/ ١٠٣٨ : ح/
١٠٣٩ : ح/ ١٠٤٠ : ح/ ١٠٤٦ :
ح/ ١٠٤٧ : ح/ ١٠٤٨ : ح:
١٠٤٩ : ح/ ١٠٥٠ : ح/ ١٠٥١ :
ح/ ١٠٥٢ : ح/ ١٠٥٥ : ح/
١٠٥٦ : ح/ ١٠٥٧ : ح/ ١٠٥٨ :
ح/ ١٠٥٩ : ح/ ١٠٦٠ : ح/
١٠٦١ : ح/ ١٠٦٢ : ح/ ١٠٦٣ :
ح/ ١٠٦٤ : ح/ ١٠٦٥ : ح/
١٠٦٦ : ح/ ١٠٦٧ : ح/ ١٠٦٨ :
ح/ ١٠٦٩ : ح/ ١٠٧٠ : ح/
١٠٧١ : ح/ ١٠٧٢ : ح/ ١٠٧٣ :
ح/ ١٠٧٧ : ح/ ١٠٧٨ : ح/
١٠٧٩ : ح/ ١٠٨١ : ح/ ١٠٨٣ :

ح/ ١٠٨٥ : ح/ ١٠٨٦ : ح/
١٠٨٨ : ح/ ١٠٩٠ : ح/ ١٠٩١ :
ح/ ١٠٩٢ : ح/ ١٠٩٣ : ح/
١٠٩٥ : ح/ ١٠٩٦ : ح/ ١٠٩٧ :
ح/ ١١٠٠ : ح/ ١١٠١ : ح/
١١-٣ : ح/ ١١٠٤ : ح/ ١١٠٥ :
ح/ ١١٠٦ : ح/ ١١٠٧ : ح/
١١٠٨ : ح/ ١١٠٩ : ح/ ١١١٠ :
ح/ ١١١١ : ح/ ١١١٢ : ح/
١١١٣ : ح/ ١١١٤ : ح/ ١١١٥ :
ح/ ١١١٦ : ح/ ١١١٧ : ح/
١١١٨ : ح/ ١١١٩ : ح/ ١١٢٠ :
ح/ ١١٢١ : ح/ ١١٢٢ . ح/
١١٢٣ : ح/ ١١٢٤ : ح/ ١١٢٥ :
ح/ ١١٢٦ : ح/ ١١٢٧ : ح/
١١٢٨ : ح/ ١١٢٩ : ح/ ١١٣٠ /
ح/ ١١٣١ : ح/ ١١٣٢ : ح/
١١٣٣ : ح/ ١١٣٤ : ح/ ١١٣٥ /
ح/ ١١٣٦ : ح/ ١١٥١ : ح/
١١٥٢ : ح/ ١١٧٠ : ح/ ١٢١٠ :
ح/ ١٢١٢ : ح/ ١٢١٣ : ح/
١٢١٤ : ح/ ١٢١٥ : ح/ ١٢١٦ :

★ ★ ★

## (ص)

* * *

## (غ)

* * *

## ( ق )

* * *

## ( ل )

١٤ / ٥١٠ : ١٢ ، ح / ٥١١ : ح /
٥١٧ : ح / ٥١٩ : ٢ ، ١٨ / ٥٢٣ :
٧ ، ح / ٥٢٤ ح / ٥٢٥ ح /
٥٢٦ : ح / ٥٣٥ : ح / ٥٣٧ : ح /
٥٤٠ : ح / ٥٤١ : ح / ٥٥٧ : ١ /
٥٥٨ : ١٢ ، ح / ٥٦١ : ١٦ ، ح /
٥٦٢ : ح / ٥٦٣ : ح / ٥٨٢ : ح /
٥٨٣ : ح / ٥٠٥ : ١ ، ٤ / ٥٨٦ :
ح / ٥٨٧ : ح / ٥٨٨ : ح / ٥٨٩ :
ح / ٥٩٧ ١ ، ٣ ، ٥ ، ٧ ، ٩ ،
١٠ ، ح / ٥٩٩ ١ ، ح / ٦٠٠ :
٥ ، ٦ ، ح / ٦٠١ : ج / ٦٠٩ : ح /
٦١٠ : ح / ٦١١ : ١١ ، ١٢ / ٦١٣ :
٤ / ٦١٤ : ١٣ ، ح / ٦١٨ ٨ /
٦١٩ : ٥ ، ح / ٦٢٠ ٨ ، ١٩ ،
ح / ٦٢١ : ٢ ، ٤ ، ١٠ ، ح / ٦٢٣ :
١٣ / ٦٢٥ : ٨ ، ح / ٦٢٩ : ١٣ ،
ح / ٦٣٣ : ١٢ / ٦٣٤ ٦ ، ح /
٦٣٥ : ٢٠ ، ح / ٦٣٦ : ٣ ، ١٠ ،
١٢ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ح / ٦٣٧ :
٩ ، ح / ٦٣٨ ح / ٦٣٩ ح /
٦٤٠ : ح / ٦٤١ : ح / ٦٤٢ : ح /
٦٤٣ : ح / ٦٤٤ : ح / ٦٤٥ : ١٨ ،

ح / ٦٤٦ : ١٠ ، ح / ٦٤٧ ح /
٦٥٢ : ٥ / ٦٥٣ : ١ / ٦٥٤ : ١ /
٦٥٥ : ١ / ٦٥٦ : ١ / ٦٥٧ : ١
٦٥٨ : ١ / ٦٥٩ : ١ / ٦٦٠ : ١ /
٦٦١ ١ / ٦٦٢ : ١ / ٦٦٣ : ١ /
٦٦٤ : ١ / ٦٦٥ : ١ / ٦٦٦ : ١ /
٦٦٧ : ١ / ٦٦٨ : ١ / ٦٦٩ : ١ /
٦٧٠ : ١ / ٦٧١ : ١ / ٦٧٢ : ١ /
٦٧٣ : ١ / ٦٧٤ : ١ / ٦٧٥ : ١ /
٦٧٦ : ١ / ٦٧٧ : ١ / ٦٧٨ : ١ /
٦٧٩ : ١ / ٦٨٠ : ١ / ٦٨١ : ١ /
٦٨٢ : ١ / ٦٨٣ : ١ / ٦٨٤ : ٣ /
٦٨٥ : ١ / ٦٨٦ : ١ / ٦٨٧ : ١ /
٦٨٨ : ١ / ٦٨٩ : ١ / ٦٩٠ : ١ /
٦٩١ : ١ / ٦٩٢ : ١ / ٦٩٣ : ١ /
٦٩٤ : ١ / ٦٩٥ : ١ / ٦٩٧ : ٤ ،
٦ ، ١٢ / ٧١٦ : ح / ٧٣٢ : ٢ ،
ح / ٧٣٨ : ٣ / ٧٤٠ : ١٨ / ٧٥١ :
ح / ٧٥٢ : ١٢ / ٧٦٨ : ٩ / ٧٧٠ :
١١ / ٧٩٠ : ١٠ ، ١٩ ، ٢٠ / ٧٩١ :
٤ ، ١٥ ، ١٨ / ٧٩٩ : ١٩ / ٨٠٠ :
٨ ، ٩ / ٨٠٢ : ١٨ / ٨٠٩ ٨ ،

٩/ ٨١٣: ح/ ٨٢٩: ح/ ٨٣٨:
ح، ٤/ ٨٣٩: ح/ ٨٦٢ ١١،
ح/ ٩٠٣ ٤، ٦/ ٩١٣: ١٠،
ح/ ٩١٤: ٨، ١١، ح/ ٩٢٤: ٨،
ح/ ٩٢٩: ٨، ح/ ٩٣١ ١١،
ح/ ٩٣٤: ح/ ٩٣٥: ح/ ٩٣٦:
ح/ ٩٣٧: ١١/ ٩٣٩: ح/ ٩٤٠:
ح/ ٩٤١: ح/ ٩٤٢: ح/ ٩٤٨:
٦/ ٩٤٩: ١/ ٩٥٤ ١، ١٠،
ح/ ٩٥٦: ٥، ٦، ح/ ٩٥٩: ١٦/
٩٧٦: ١٨/ ٩٧٧: ح/ ٩٧٨: ح/
٩٧٩: ح/ ٩٨٠: ح/ ٩٨٢: ح/
٩٨٣: ح/ ٩٨٤: ٢/ ٩٩١: ٣/
٩٩٦: ٤/ ١٠٤٦: ح/ ١٠٥١: ح/
١٠٥٢: ح/ ١١٣١: ح/ ١١٣٨
١/ ١١٤٢ ٤، ح/ ١١٤٣: ٢،
ح/ ١١٤٤: ح/ ١١٤٥ ١، ٢،
٩/ ١١٤٧ ١٠، ١١، ح/ ١١٤٨:
ح/ ١١٤٩: ١، ح/ ١١٥٠: ١٣،
١٤، ح/ ١١٥١ ٢، ٥، ٦/
١١٥٢ ٩، ١٠/ ١١٥٣ ٢،
١٥، ح/ ١١٥٤ ح/ ١١٥٥
ح/ ١١٥٦: ح/ ١١٥٧: ١، ٢،

١٢، ١٣/ ١١٥٨: ١، ح/ ١١٥٩
٢، ح/ ١١٦٠: ح/ ١١٦١: ٧،
ح/ ١١٦٢ ٩، ١٠، ١٤، ح/
١١٦٣ ح/ ١١٦٤ ٢، ح/
١١٦٥: ٥، ح/ ١١٦٦: ٢، ١٢،
ح/ ١١٦٧ ح/ ١١٦٨ ح/
١١٦٩: ح/ ١١٧٠: ح/ ١١٧١:
ح/ ١١٧٢ ٨، ٩، ح/ ١١٧٣:
٦، ١٠، ح/ ١١٧٤: ح/ ١١٧٥:
ح/ ١١٧٦ ح/ ١١٧٧: ح/
١١٧٨: ١٢، ح/ ١١٧٩: ٤، ح/
١١٨٠: ٩، ١٠، ١٤، ح/ ١١٨١:
ح/ ١١٨٢: ح/ ١١٨٤: ١٤، ح/
١١٨٦: ح/ ١١٨٩: ح/ ١١٩٠:
١، ٤، ٦، ح/ ١١٩١: ١٣، ح/
١١٩٢: ح/ ١١٩٣: ح/ ١١٩٤
ح/ ١١٩٥: ١٢، ح/ ١١٩٦: ح/
١١٩٧ ح/ ١١٩٨ ٦، ح/
١١٩٩: ح/ ١٢٠٠: ح/ ١٢٠١
ح/ ١٢٠٢ ح/ ١٢٠٣ ح/
١٢٠٤: ح/ ١٢٠٥: ح/ ١٢٠٦:
ح/ ١٢٠٧ ح/ ١٢٠٨ ح/
١٢٠٩ ٩، ح/ ١٢١٠ ح/

١٢١٢ : ح / ١٢١٣ : ح / ١٢١٤
ح / ١٢١٧ ٧، ح / ١٢١٨ : ح /
١٢١٩ : ح / ١٢٢٠ ح / ١٢٢١
٧ : ح / ١٢٢٢ ٢، ١٢، ١٥،
ح / ١٢٢٣ ح / ١٢٤٥ ح /
١٢٤٦ : ٦، ٧، ٢١، ٢٢/١٢٤٧:
٣، ٥، ح / ١٢٤٨ : ٩ / ١٢٤٩ :
٤، ١٩/ ١٢٥١ : ٥، ح / ١٢٥٢
١٠، ح / ١٢٥٣ : ٣، ٥ / ١٢٥٥
١٣ / ١٢٥٦ ٤ / ١٢٥٨ ١٠،
ح / ١٢٥٩ ح / ١٢٦٠ ح /
١٢٦١ : ح / ١٢٦٢ ح / ١٢٦٣
ح / ١٢٦٤ ح / ١٢٦٥ ح /
١٢٦٦ : ح / ١٢٦٩ : ح / ١٢٧٠
١٦ / ١٢٧١ ح / ١٢٧٢ ح /
١٢٧٣ : ح / ١٢٧٤ : ح / ١٢٧٥
ح / ١٢٧٦ ح / ١٢٧٨ ١٨،
١٩ / ١٢٧٩ : ح / ١٢٨٠ : ٥، ح /
١٢٨١ : ح / ١٢٨٢ : ح / ١٢٨٣
ح / ١٢٨٤ : ح / ١٢٨٦ ٩، ح /
١٢٨٧ : ح / ١٢٨٩ : ح / ١٢٩١
ح / ١٢٩٢ ١٥، ح / ١٢٩٣
ح / ١٢٩٤ ح / ١٢٩٥ ح /

١٢٩٦ : ح / ١٢٩٧ ١، ٥، ح /
١٢٩٨ : ح / ١٢٩٩ ح / ١٣٠٠
ح / ١٣٠١ ح / ١٣٠٢ ح /
١٣٠٣ : ح / ١٣٠٤ : ح / ١٣٠٥ : ح /
١٣٠٦ : ح / ١٣٠٧ : ح / ١٣٠٨ : ح /
١٣٠٩ ٦، ح / ١٣١٠ ح /
١٣١١ : ح / ١٣١٢ : ح / ١٣١٣ :
ح / ١٣١٤ : ٣، ح / ١٣١٥ : ح /
١٣١٦ : ح / ١٣١٨ : ح / ١٣١٩ :
ح / ١٣٢٠ ح / ١٣٢١ ح /
١٣٢٢ : ح / ١٣٢٣ : ح / ١٣٢٤
ح / ١٣٢٥ ح / ١٣٢٦ ح /
١٣٢٧ : ح / ١٣٢٨ ح / ١٣٢٩
ح / ١٣٣٠ ح / ١٣٣١ ح /
١٣٣٢ ح / ١٣٣٣ : ح / ١٣٣٤
ح / ١٣٣٥ : ح / ١٣٣٩ : ٨، ح /
١٣٤٦ ح / ١٣٤٧ ١٢، ح /
١٣٤٨ ح / ١٣٤٩ ١٢، ح /
١٣٥٠ ح / ١٣٥١ ٤، ح /
١٣٥٢ : ح / ١٣٥٤ : ح / ١٣٥٥
ح / ١٣٥٦ ح / ١٣٥٨ ح /
١٣٦٠ : ح / ١٣٦١ : ح / ١٣٦٢ :
ح / ١٣٦٣ ح / ١٣٦٤ ح /

١٥١٢ : ح / ١٥١٣ : ح / ١٥١٤ :
ح / ١٥١٥ : ح / ١٥١٦ : ح /
١٥١٧ : ح / ١٥١٨ : ح / ١٥١٩ :
ح / ١٥٢٠ : ح / ١٥٢١ : ح /
١٥٢٢ : ح / ١٥٢٣ : ح / ١٥٢٤ :
ح / ١٥٢٥ : ح / ١٥٢٦ : ح /
١٥٢٧ : ح / ١٥٢٨ : ح / ١٥٢٩ /
ح / ١٥٣٠ : ح / ١٥٣١ : ح /
١٥٣٢ : ح / ١٥٣٣ : ح / ١٥٣٤ :
ح / ١٥٣٥ : ح / ١٥٣٦ : ح /
١٥٣٧ : ح / ١٥٣٨ : ح / ١٥٣٩ :
ح / ١٥٤٠ : ح / ١٥٤١ : ح /
١٥٤٢ : ح / ١٥٤٣ : ح / ١٥٤٤ :
ح / ١٥٤٥ : ح / ١٥٤٦ : ح /
١٥٤٧ : ح / ١٥٤٨ : ح / ١٥٤٩ :
ح / ١٥٥٠ : ح / ١٥٥١ : ح /
١٥٥٢ : ح / ١٥٥٣ : ح / ١٥٥٤ :
ح / ١٥٥٥ : ح / ١٥٥٦ : ح /
١٥٥٧ : ٦، ح / ١٥٥٨ : ح / ١٥٥٩ :
ح / ١٥٦٠ : ٩ / ١٥٦١ : ح /
١٥٦٢ : ح / ١٥٦٣ : ح / ١٥٦٤ :
ح / ١٥٦٥ : ح / ١٥٦٦ : ح /
١٥٦٧ : ح / ١٥٦٨ : ح / ١٥٦٩ :

ح / ١٥٧٠ : ح / ١٥٧١ : ح /
١٥٧٢ : ٣، ح / ١٥٧٣ : ح / ١٥٧٤ :
ح / ١٥٧٥ : ح / ١٥٧٨ : ح /
١٥٧٩ : ح / ١٥٨٠ : ح / ١٥٨٤ :
ح / ١٥٨٥ : ح / ١٥٨٦ : ١٤ ،
ح / ١٥٨٧ : ح / ١٥٨٨ : ح /
١٥٨٩ : ح / ١٥٩٠ : ٥ ، ح /
١٥٩١ : ح / ١٥٩٢ : ح / ١٥٩٣ :
ح / ١٥٩٤ : ح / ١٥٩٥ : ح /
١٥٩٦ : ح / ١٥٩٧ : ح / ١٥٩٨ :
ح / ١٥٩٩ : ح / ١٦٠٠ : ح /
١٦٠١ : ح / ١٦٠٢ : ح / ١٦٠٣ :
ح / ١٦٠٤ : ح / ١٦٠٥ : ح /
١٦٠٦ : ح / ١٦٠٧ : ح / ١٦٠٨ :
ح / ١٦٠٩ : ح / ١٦١٠ : ح /
١٦١١ : ح / ١٦١٢ : ح / ١٦١٣ :
ح / ١٦١٧ : ح / ١٦١٨ : ح /
١٦١٩ : ح / ١٦٢٠ : ح / ١٦٢١ :
ح / ١٦٢٢ : ح / ١٦٢٣ : ح /
١٦٢٤ : ح / ١٦٢٥ : ح / ١٦٢٦ :
ح / ١٦٢٧ : ح / ١٦٢٨ : ح /
١٦٢٩ : ح / ١٦٣٠ : ح / ١٦٣١ :
ح / ١٦٣٢ : ح / ١٦٣٣ : ح /

## (م)

• • •

## ( و )



. . .

( هـ )



( ي )



* * *

# فهرس القوافي[1]

## (العلائيات)[2]

### (قافية الهمزة)

| القافية | البحر | الصفحة |
|---|---|---|
| غرباء | الطويل | ٢٠ ، ٢٨ |
| الكبراء | » | ٣٢٥ ، ١٠٢٣ |
| رثاء | » | ٣٧٥ |
| برءاء | » | ٣٢٥ ، ١٣٠٧ |
| ووراء/٢/ | » | ٧٠٢ |
| شقاء | » | ٧٢٤ |
| صباء | » | ٩٨١ |
| القرباء | » | ٩٨١ح، ١١٦٢، ١٧١٣ |
| شقاء | » | ٩٨٧ |
| سواء | » | ٩٨٩ |
| الشعراء | » | ١٠٢٩ |
| هراء | » | ١٠٣٣ ، ١٦٢٩ |

| القافية | البحر | الصفحة |
|---|---|---|
| ثناء /٦/ | الطويل | ١١٠١ |
| إباء | » | ١١٧٨ |
| سباء | » | ١٣٢٩ |
| هباء | » | ١٣٣١ |
| أدباء | » | ١٥١٧ |
| رياء | » | ١٥٢٧ |
| بلامي باء /٢/ | » | ١٥٥٠ ، ١٥٦٩ |
| خطباء | » | ١٥٧٢ ، ١٥٧٨ |
| ارباء | » | ١٥٧٨ |
| ونصدا | » | ١٣٢٤ |
| إلواء | البسيط | ٦١٥ |
| إقواء | » | ٦٣٤ ، ٩٤٠ ، ١٢١٨ |
| ساءوا /٢/ | » | ١٤٤٩ |

(١) رتبت القوافي على البحور والحركات : الضم ثم الفتح ثم الكسر ثم السكون . والرقم الذي يتلو القافية يدل على عدد الأبيات التالية .

(٢) هذا الفهرس يشتمل على ما ورد في الكتاب من أبيات أبي العلاء .

( قافية الثاء )



( قافية الجيم )

( قافية الحاء )

( قافية الخاء )



( قافية الدال )

## ( قافية الكاف )

( قافية اللام )

( قافية الياء )

★ ★ ★

# أنصاف الأبيات العلائية

## ( الصدور )

## ( الأعجاز )

★ ★ ★

# لسوى أبي العلاء من الشعراء

( قافية التاء )



( قافية الثاء )

(قافية الراء)

## ( قافية النون )

( قافية الواو )



( قافية الهاء )

★ ★ ★

# أنصاف الابيات غير العلائية

## الصدور

* * *

## ( الأعجاز )



★ ★ ★

# فهرس النصوص النثرية العلائية(*)

## الأيك والغصون :

في تمجيد الله والاستغفار والنصائح ٧٠٥ : ١٤ — ٧١٢ : ٦

دعاؤه على النحو واستخفافه به ٦٠٢ : ١١/٧٣١ : ٢١ — ٢٣

## خطبة الفصيح :

الحمدلة وجزء من أول الخطبة ٧٢١ : ٤ — ١١

الشعر وفضله ٧٢٢ : ١ — ٨

## ذكرى حبيب :

قراءة وإجازة ١٧٠ : ٨، ٩

## رسائل أبي العلاء الى داعي الدعاة :

ذكر عماه ٦٥ : ١٢ — ١٣/٦٦ : ١/٤٧٧ : ١٦

سبب تركه أكل الحيوان ٢٩٦ : ٤ — ٦

صومه وقناعته من الطعام بالنبات ٢٩٧ : ٨ — ١٥

تحرجه من ذبح الحيوان وسبب عزوفه عن أكل لحمه ٤٠٦ : ١٤ — ٤٠٧ : ١٠

(*) ذكرنا عقب عنوان الكتاب ملخصات عن موضوعات النصوص التي انتلها المؤلف واستشهد بها ، وقدمنا رقم الصفحة على رقم السطر . فاذا استغرق الشاهد صفحتين متاليتين أو أكثر وضعنا بين الرقمين خطاً ـ .

رسالة الإغريض :



رسالة الى أحمد بن عثمان النلمتي :

## رسالة الى أبي عمرو الاستراباذي :



## رسالة الى خاله علي بن سبيكة :

رسالة الغفران :

رسالة إلى صديق له يسأله أن ينقصه في ترتيب الملاثة :



رسالة إلى بعض العلويين :



رسالة إلى أهل المعرة :



رسالة إلى محمد بن سنان الخفاجي :



رسالة الضبعي :

رسالة الهناء :



رسالة يشفع فيها بالحسين بن عتبة :



رسالة الملائكة :



رسالة المنيح :

## شرح ديوان ابن أبي حصينة :



## الصاهل والشاحج :



## غريب الحديث لأبي عبيد :



## الفصول والغايات :

**القائف :**



**مقدمة ثبت كتبه :**

★ ★ ★



